أضواء على

الشيخ أحمد التجاني وأتباعه

تأليف
عبد الباقي مفتاح

الإهداء

إلى والديّ أحمد ورقية اللذين ربياني على حب الله ورسوله والصالحين من عباده.

رب ارحمهما كما ربياني صغيرا وألحقهما بالأسبقين الأقربين بحضرة خاتم رسلك سيدنا محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقريظ

كتبه الشيخ الأستاذ المقدم التجاني عبد الرحمن طالب

أما بعد، فإنه لمن منن الله علي أن أرسل لي صديقنا العلامة المقتدر مفتاح عبد الباقي مؤلف:(أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه) للاطلاع عليه، ونقد ما يستحق النقد (...) وإني بعدما اطلعت على هذا المؤلف الجليل، وجدته فوق ما كنت أظن، ورأيتني قد غيرت نيتي، فبدلا من نية تصحيح الكتاب إلى نية تصحيح معلوماتي منه، وضبطها بالأدلة والمراجع وتواريخ الأحداث والوفيات.

ذلك أن مؤلف الكتاب له -ولله الحمد -دراية كبرى، ومعرفة عظمى بالطريقة ومؤلفاتها، وشيوخها الميامين. ثم إنه امتاز بالشجاعة الأدبية، وقد ناقش كتابه هذا مجموعة من الأفكار التي لا يستطيع الإفصاح عنها إلا قلة من الأفذاذ، ونقد المواضيع الشائكة الحساسة منهج جامعي عالمي معاصر.

والإفصاح عن مكنونات الأشياء بما لها وما عليها مر المذاق لا يستطيع صاحبه أن يستلذ الحلاوة إلا من ربه وضميره، ومن المنصفين أمثاله.

وكتاب:(أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه) ليس بكتاب فقه الطريقة، ومعرفة أحكام وشروط وآداب تلاوة الأوراد، بل هو ترجمة للشيخ وأتباعه الناشرين لطريقته (...) واعتمد في إنجاز عمله على مئات المراجع الموثوق بها العربية منها والأجنبية التي لم توجد مجتمعة في كتاب من كتب الطريقة. والمؤلف - وهو يعرض الأحداث والقضايا -يؤيد ما يقول بالنقول المعتمدة بنقلها بأمانة، ويشير إلى مراجعها بدقة (...) وقد ناقش في كتابه قضايا حساسة جدا قد تثير له مشاكل من جهات مختلفة، ولكن ما ذنبه إذا كان اعتمد على مصادر صحيحة معترف بها، وصرح بذلك، وأحال القارئ عليها؟

وخلاصة كلمتي هذه التي لا أريد بها إلا وجه الله والدار الآخرة هي:أن هذا الكتاب مفيد جدا:

- لمن يريد أن يعرف حياة الشيخ سيدي أحمد التجاني العلمية والعملية وحياة بعض أتباعه بإجمال.

- لمن يحب أن يطلع على جملة وافرة مما كتب حول الطريقة التجانية من مؤلفات ورسائل.

- ولمن يرغب في الاطلاع على انتقادات الغير للتجانيين.

- وأخيرا لمن يرجو أن يعلم ما تعرضت له عين ماضي من اعتداءات ظالمة.

ولكن لا يفيد أبدا العوام ولا أنصاف المثقفين الذين يجادلون بغير علم ولا الذين اكتفوا بما عندهم من علم ونسوا قول الله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾.

أقول كلمتي هذه وأستغفر الله إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

عبد الرحمن طالب – عضو المجلس الإسلامي الأعلى - الأستاذ بالمعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية -جامعة وهران.

وهران في يوم الجمعة 16ذي القعدة من عام 1408ـ

الباب الأول

عصر الشيخ أحمد التجاني

1150 هـ - 1230 هـ
1737 م - 1815 م

الفصل الأول: الحالة السياسية

الجزائر:

العصر الذي عاش فيه الشيخ أحمد التجاني كان في أواخر حكم الدايات الأتراك[1] وهو عصر حصلت فيه اضطرابات كبيرة في مركز السلطنة العثمانية من جراء إلغاء جيش الانكشارية وتغيير النظام العسكري وما صاحب ذلك من انقلابات وحوادث دامية.

وفي الجزائر كان العثمانيون معتمدين في حكمهم على زعماء القبائل وشيوخ الطوائف والزوايا، ومستندين على فكرة الجامعة الإسلامية المتمثلة في الخلافة العثمانية، وعلى الجهاد المشترك ضد الحملات الصليبية المتتالية -خصوصا الإسبانية والبرتغالية - على الشواطئ الجزائرية.

وكان من الولاة الأتراك ولاة صالحون دافعوا عن البلاد وخدموا أهلها، كما كان منهم طغاة أكثروا في الأرض الفساد. وعلاقة الجزائريين بالأتراك كانت تتأرجح حينذاك بين التحالف والتقاتل حسب الظروف والمصالح. وفي الفترة التي عاش فيها الشيخ التجاني تقلد الحكم في الجزائر عشرة دايات [2].

وقد كانت القبائل الصحراوية في ذلك العهد -كأهالي بلد الشيخ التجاني عين ماضي وغيرهم - تنزع إلى الاستقلال عن السيطرة التركية لعدة أسباب منها: طغيان بعض الحكام الأتراك وظلمهم، ومنها عدم تحمل الأهالي الفقراء للضرائب التي كانوا ملزمين بها، ومنها اعتقاد الكثير من الناس بأن رجال الوطن الجزائريين -خصوصا-آل البيت النبوي الشريف - هم أحق بالحكم من الأتراك العجم، حتى أن الشيخ التجاني ذكر يوما حكام الجزائر آنذاك فقال فيهم: (إنهم كفار لنبذهم الأحكام الشرعية

---

(1) دخل الأتراك الجزائر سنة 1512م (916هـ) حين استنجد زعماء جزائريون بالشقيقين عروج وخير الدين لمقاومة الاحتلال الإسباني لمدن الشواطئ كوهران ومستغانم وبجاية. وكان الشقيقان على رأس تشكيلة قوية من البحارة المسلمين الذين يجاهدون الأساطيل المسيحية. وانتهى الحكم التركي بدخول الجيوش الفرنسية في سنة 1830م (1245هـ).

(2) وهم: إبراهيم باشا (1146هـ - 1159هـ) - إبراهيم باشا كوجك (1162هـ) - محمد بكير باشا (1168هـ.) - علي باشا بوصباع (1179هـ) - محمد عثمان باشا (1205هـ) - حسن باشا (1212هـ) - مصطفى باشا (1220هـ) - أحمد باشا (1223هـ) -علي باشا (24 12هـ) - الحاج علي باشا (1230هـ)

وتقديمهم القوانين الفرنجية عليها وحكمهم بغير ما أنزل الله)[1]. يصف أبو القاسم سعد الله الحالة المتوترة في ذلك العهد فيقول:[2] (... كان المفروض أن يطبق الحكام العثمانيون تعاليم الإسلام في الحكم وأن يؤاخوا بينهم وبين السكان وأن يشاوروهم في الأمر وأن يفسحوا المجال أمامهم وأن يختلطوا بهم ويخالطوهم. ولكنهم في الواقع أساءوا التصرف كمعظم الحكام حينئذ، فحكموا كفئة متميزة واحتكروا الحكم بين أيديهم طيلة الفترة العثمانية أو استبدوا بالسلطة واستذلوا السكان واستعلوا عليهم وعاملوهم معاملة المنتصر للمهزوم.

وكان لثورة درقاوة[3] في غرب البلاد وشرقها وانضمام مقدم الطريقة الرحمانية في نواحي قسنطينة إلى الثورة، عواقب سيئة على العثمانيين في الجزائر. ذلك أن سمعتهم قد سقطت في أعين السكان. فلأول مرة وقع تحد قوي لسلطتهم منذ عهد بعيد. ونظرا إلى أن القائمين بالثورة كانوا من رجال الدين ومن مديري المعاهد -أو الزوايا- فإن العثمانيين قد أخذوا منذ ذلك الحين يتوجسون خيفة من أصحاب الطرق ويتتبعون أخبارهم وحركاتهم. وقد انعكس هذا حتى على الطرق الأكثر قربا منهم والتي كانوا قد ساندوها وساعدوها على الانتشار كالطريقة القادرية. ومن مواقفهم نحوها ما قام به الباي حسن حاكم إقليم وهران من منع مس الدين رئيس الطريقة القادرية من الحج وحجزه عنده هو وولده الأمير عبد القادر في المستقبل. كما ضيق العثمانيون الخناق بعد ثورة درقاوة على. آخرين من زعماء الطرق الصوفية ورجال الدين عامة. وكان من ضحاياهم في ذلك ابن القندوز التوجيني[4] الذي قتل في مازونة، وضيقوا الخناق على أحمد التجاني حتى رحل إلى المغرب، كما فر منهم

(1) انظر كتاب (الإفادة الأحمدية) للطيب السفياني - فصل حرف الحاء - مع تعليق محمد الحافظ التجاني المصري - الطبعة الثانية سنة 1971 م / 1391هـ بالقاهرة - ص: 87-88.

(2) انظر كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر) لسعد الله بلقاسم الجزء الأول ص: 134-135- 221-220- 222الطبعة الأولى - الجزائر - 1981-.

(3) هي الثورة التي قام بها أتباع الشيخ محمد العربي الدرقاوي المغربي في بداية القرن الثالث عشر الهجري خصوصا سنة 1219هـ بقيادة عبد القادر بن الشريف في الغرب ومحمد بن الأحرش في الشرق الجزائري وانضم إليه عبد الله الزبوشي مقدم الرحمانيين بنواحي قسنطينة.

(4) هو المقرئ الشهير صاحب معهد قرب البطحاء. كان يتعلم فيه القرآن نحو400طالب وكان الشيخ درقاوي رئيس الطريقة فجاءه الباي حسن على رأس جنده فألقى القبض عليه وذهب به وقتله قرب مازونة في الغرب الجزائري. والبطحاء كانت توجد بين مازونة وقلعة بني راشد.

الشارف بن تكوك إلى المغرب ومحمد بن علي السنوسي[1] إلى المشرق. وقد خلفت ثورة درقاوة وغيرها من الثورات كثيرا من الإنتاج التاريخي والأدبي والشعر الشعبي. ولكن أقسى ثورة واجهها العثمانيون في الجزائر هي التي وقعت سنة 1246 هـ (1830م). وقد طمع الحضر[2] والكراغلة[3] (هلم في الحكم بعدهم ومدوا أيديهم إلى الفرنسيين لمساعدتهم على استلام السلطة السياسية من العثمانيين. وخرج البعض ينتقد تصرفاتهم كأحمد أبو ضربة[4] وحمدان خوجه[5] (الم.

ورفض محيي الدين والد الأمير عبد القادر رئيس الطريقة القادرية وأحمد التجاني رئيس الطريقة التجانية أن يمدا يد المساعدة إلى الباي حسن في وهران، كما رفض الأمير عبد القادر التحالف مع الحاج أحمد باي قسنطينة، الذي ادعى أنه الوريث الشرعي للنظام العثماني. وكان اعتماد الشعب الجزائري على نفسه في مقاومة الفرنسيين أكبر درس للعثمانيين الذين خرجوا من الجزائر غير مأسوف عليهم من قبل السكان).

المغرب:

كان أهالي الغرب الجزائري -وهم الذين عاش بينهم الشيخ التجاني- في عهد الأتراك على صلة وطيدة بالمغرب الذي يحكمه الأشراف العلويون. فقد حكمه بنو سعيد الحسنيون من سنة 950هـ(1544م) إلى سنة 1053ـ(1644م). واستطاع أحمد الأول المنصور (985- 1018 هـ - 1578- 1610م) أن يبسط سلطان أسرته حتى قلب الصحراء وغزا السودان وتنبكتو[6] عام 1509م (997هـ) وجلب من مناجمها الذهب حتى لقب بالذهبي. لكن في عهد خلفائه المستضعفين، انقسمت بلاد المغرب

(1) انظر ترجمتهما عند الكلام على الطريقة السنوسية.

(2) الحضر: هم سكان المدن الجزائرية في مقابلة سكان الريف والبوادي.

(3) الكراغلة: هم المولودون من آباء أتراك وأمهات جزائريات.

(4) راجع الكتاب الذي نشره محمد العربي الزبيري وعنوانه:(مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة) - الشركة الوطنية الجزائرية. الجزائر 1973م.

(5) حمدان خوجة ينتمي إلى أسرة علمية جزائرية وكان فاله وإن برأس المالية في العهد التركي ورافقه في أسفاره وبعد الاحتلال الفرنسي تزعم المقاومة السياسية واتصل بمن كان يأمل منهم الإعانة فعينت فرنسا لجنة برلمانية فسر لها المترجم له تقريرا هاما هو (المرآة) سجل فيه حقائق البلاد قبل الاحتلال الفرنسي وبعده.
طبع في باريس سنة 1833م. وترجمه محمد العربي الزبيري ونشر بالجزائر سنة 1975م.

(6) تنبكتو: من كبريات مدن مالي قرب الحدود من النيجر وكانت مركزا تجاريا وعلميا كبيرا.

إلى عدة مقاطعات حتى أعلنت فاس نفسها استقلالها. كما كان لزعماء الطوائف والطرق شبه استقلال في نواحيهم. ومن بين هؤلاء ظهر الرشيد، وهو رأس العشيرة الشريفة الحسنية في تافيلالت [1] فقضى شيئا فشيئا على سلطة حكام المقاطعات. ثم إن أخاه وخليفته إسماعيل (1084-1140هـ/ 1672- 1727م) أنشأ جيشا قويا أخضع به قبائل البربر وسعى لتطهير البلاد من البرتغاليين الذين احتلوا ثغر طنجة طوال ما يقرب من قرنين إلى أن سلموها للإنجليز في سنة 1096هـ. (1684م) بعد حصار دام ست سنوات، كما طرد الأسبان من قواعدهم على المحيط الأطلسي. لكن بعد وفاته ترددت البلاد في الفوضى وأمست الجيوش -وفيها كثرة من الزنج - تستخدم العنف لرفع الأمراء وخلعهم. ولم يتوطد الأمن الداخلي إلا على يد محمد الثاني حفيد إسماعيل (1172- 1206هـ / 1757- 1790م). ثم عاد الاضطراب مرة أخرى في عهد يزيد (1206هـ - 1208هـ /1790م- 1792م) إلى أن تولى المولى سليمان (1208- 1238هـ / 1792- 1822م) الذي تميز حكمه بربط علاقات طيبة جدا مع الجزائر. وبناء على هذه السياسة سلمه باي وهران سنة 1210هـ(1795م) مدينة وجدة التي كانت في يد الجزائريين. والسلطان سليمان هذا هو الذي رحب بالشيخ لما هاجر إلى فاس وأصبح من أصدق أصحابه. [2]

---

(1) تافيلالت: منطقة الصحراء الواقعة جنوب الأطلس في المغرب.

(2) راجع سيرة هذا السلطان في كتاب (الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى) للناصري السلاوي وفي كتاب: (كشف الحجاب) لسكيرج.

الفصل الثاني

الطرق الصوفية بالمغرب العربي في عصر الشيخ

في العصر الذي عاشه الشيخ برز الكثير من العلماء وكبار الصوفية في المغرب العربي، وظهرت في الحجاز الحركة الوهابية. وكانت للشيخ اتصالات بهم، خصوصا رؤساء المدارس الصوفية منهم. وأهم هذه المدارس حينذاك هي ما نذكرها هنا بإيجاز.

1ـ الطريقة القادرية:

من الطرق الواسعة الانتشار في المغرب في عصر التجاني الطريقة القادرية المشهورة التي أسسها الشيخ الذائع الصيت مس الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني ابن أبي موسى الحسني المولود في جيلان بإيران عام 471هـ (1078م)، والمتوفى عام 561هـ (1166م) ببغداد حيث قبره وزاويته إلى الآن. وقد انتهت إليه في زمنه الإمامة في العلوم الشرعية وفي التربية الصوفية وكان له من التلاميذ مالا يحصون في كل أنحاء العالم الإسلامي، ولا تزال طريقته منتشرة في جل أصقاع العالم خصوصا الشرق الأقصى. ولعل أول من نشر تعاليم هذه الطريقة في المغرب العربي هو الشيخ المشهور أبو مدين دفين تلمسان المتوفى سنة 589هـ الذي اجتمع بالشيخ عبد القادر بمكة المكرمة، وأكمل سلوكه الصوفي على يديه بعد أن ابتدأه على يد الشيخ أبي يعزى المغربي، ثم واصلت الطريقة القادرية انتشارها عن طريق مصر والأندلس، حيث استقر في مصر أحد أبناء الشيخ وهو الشيخ عيسى، أما من طريق الأندلس فقد نشرها ذرية ولديه إبراهيم وعبد العزيز بعد هجرتهم من الأندلس إلى فاس، بل قيل، إن بعضهم انتقل مباشرة إلى الشرق الجزائري. وفي العهد العثماني شجع الأتراك هذه الطريقة المنتشرة عندهم في تركيا أيضا، فازدهرت زواياها في كل أنحاء الجزائر حتى بلغ عددها 29زاوية و268 مقدما ونحو 15.000 شخص من أتباعها في إحصاء 1882م [1]. وكان من أشهر تلك الزوايا الزاوية التي أسسها الحاج مصطفى الغريسي حوالي سنة 1200هـ المعروفة بزاوية القيطنة الواقعة على وادي الحمام قرب مدينة

---

(1) كان منهم الثائر على فرنسا ابن ناصر بن شهرة الذي خاض الكفاح بين سنتي 1851و 1875م. انظر تفاصيل ثورته في كتاب (ثورات الجزائر في القرنين 19و20) ليحي بو عزيز طبعة الجزائر 1980 ص:177و181.

معسكر [1]، بعد زيارته لضريح الجيلاني ببغداد أثناء حجه، وإجازته من طرف رئيس شيوخ القادرية بها. ونشرت زاويته العلم والقرآن وتعاليم الطرق، وكانت محطة للزوار والمسافرين وملجأ للغرباء والفقراء. وتوفي الحاج مصطفى أثناء عودته من حجته الرابعة في عين غزالة قرب درنة بليبيا، فتولى أمر الزاوية ابنه مس الدين وكان عالما صالحا وهو الذي تولى تكوين وتعليم ولده عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية ضد الفرنسيين، وأكبر مدافع عن المذهب الصوفي لابن العربي في القرن الثالث عشر الهجري. وقد أخذ الشيخ التجاني الطريقة القادرية أثناء رحلته الأولى لفاس.

2- الطريقة الطيبية الشاذلية.

في العصر الذي عاش فيه الشيخ التجاني،كان للطريقة الشاذلية انتشار واسع في كل العالم الإسلامي خصوصا مصر والمغرب العربي. وفي ذلك يقول سعد الله بلقاسم [2]: (وكان لتعاليم أبي الحسن الشاذلي [3] أثر كبير في الجزائر، ونكاد نجزم بأن معظم الطرق الصوفية التي ظهرت بعد القرن الثامن الهجري (14م) تتصل بطريقة أو بأخرى بتعاليم الطريقة الشاذلية. وقد أحصى بعضهم عدد الطرق الصوفية في المغرب العربي أواخر القرن الثالث عشر (19م) فوجد ثلاث عشرة طريقة - من مجموع ست عشرة - شاذلية الأصل. وكان أبو الحسن الشاذلي قد تأثر بتعاليم عبد السلام بن مشيش تلميذ أبي مدين، ورغم ذهاب الشاذلي إلى مصر ووفاته بها فإن تعاليمه قد انتشرت بعده في المغرب العربي انتشارا كبيرا. ويمكننا أن نعد الشيخ واضح ومحمد الهواري وإبراهيم التازي ومحمد بن يوسف السنوسي وعبد الرحمن الثعالبي وأحمد الملياني وغيرهم من أتباع الطريقة الشاذلية. وجميعهم قد أثروا في معاصريهم وتركوا تلاميذا وأتباعا وأسس بعضهم زوايا ظلت إلى اليوم، وألفوا كتبا في أصول هذه الطريقة وتراجم رجالها. ويمكننا القول أن الجزائر قبل العثمانيين كانت من الناحية الصوفية تحت نفوذ الطريقتين الشاذلية والقادرية). انتهى.

ومن فرع الشاذلية التي نشأت في عهد الشيخ التجاني الطريقة الطيبية التي نشأت في وزان بالمغرب الأقصى. وكان مؤسسها هو الشيخ عبد الله الشريف المشرفي من نسل عبد

(1) انظر ذكر الشيخ مصطفى وأسلافه ومآثره في خاتمة كتاب (تحفة الزائر) لمحمد بن الأمير عبد القادر.

(2) التاريخ الثقافي للجزائر الجزء الأول ص: 466.

(3) المتوفى سنة 656هـ/1258م بصحراء مصر. انظر ترجمته في (لطائف المنن) لابن عطا الله. وكتاب ابن عباد(المفاخر العلية) و(أبو الحسن الشاذلي) لعلي سالم عور و(أبو الحسن الشاذلي) لعبد الحليم محمود، و(الكواكب الدرية) للمناوي. وأهمها (درة الأسرار وتحفة الأبرار) لمحمد بن أبي القاسم المعروف بابن الصباغ.

السلام بن مشيش الحسني والمنتسب إلى قبيلة بني عروس في جبل العلم بالمغرب. درس عبد الله الشريف في تطوان وفاس ثم أسس زاوية عظيمة بوزان كانت تطعم أربعة عشر ألف نسمة، على ما قيل. ولما توفي سنة 1089هـ تولى الزاوية ابنه محمد الذي واصل الدعوة إلى الله فأصبح لزاويته فروع ومقدمون في المغرب والجزائر. وبعده تولى الطريقة ابنه الثاني ثم أخوه الطيب [1] الذي ظل على الزاوية من سنة 1127هـ إلى 1181هـ، وعنه أخذ طريقته الشيخ أحمد التجاني سنة 1171هـ عند زيارته الأولى للمغرب. وفي عهده ازدهرت الزاوية واشتهرت طريقته حتى أصبحت تعرف بالطيبية رغم أن تأسيسها يعود إلى عهد جده عبد الله، وسلسلتهم في الطريق تصعد إلى الشيخ الجزولي مؤلف (دلائل الخيرات) وشيخ الطريقة الجزولية الشاذلية. وانتشرت الطيبية في كل بلدان إفريقيا الشمالية وفي مصر، وبلغ عدد أتباعها في الجزائر وحدها سنة 1956م (1375هـ) حوالي 50.000 شخص [2]. والتربية الروحية في هذه الطريقة شبيهة بالكيفية التجانية، إذ أن كلا منهما تعتمد على الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله وعليه وسلم. فالورد الذي كان يلقنه مؤسس الطريقة يتمثل في الاستحضار والتشخيص المعنوي لروح النبي صلى الله وعليه وسلم والصلاة عليه أربعا وعشرين ومائة ألف مرة كل يوم وليلة. ومن تعاليم هذه الطريقة ما أوصى به الشيخ الطيب بعض أصحابه قائلا: استوص خيرا بإخوانك ما استطعتَ واحرص على التخلق بالحلم جهدك فقد كاد الحليم أن يكون نبيا وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس، وازهد في الدنيا يحبك الله، وإذا هدى الله على يديك رجلا واحدا فخير لك من كل شيء.

3- الطريقة الدرقاوية الشاذلية:

من أبرز الفروع الشاذلية التي برزت في عصر التجاني، الطريقة الدرقاوية ومؤسسها هو الشيخ محمد العربي الدرقاوي [3] بن أحمد بن الحسين بن علي بن

(1) أهم مصادر طريقته محاب (تحفة الإخوان بمبادئ مناقب شرفاء وزان) لحمدون بن محمد الفاسي، وكتاب (الكوكب الأسعد) لمحمد بن محمد المكنا سي.

(2) كان منهم الثائر على الاحتلال الفرنسي الشريف محمد بن عبد الله المعروف ببومعزة وثورته بدأت سنة 1844م وانتهت سنة 1847م.انظر أحداث ثورته في كتاب (ثورات الجزائر في القرنين 19و20) ليحى بوعزيز. ص:52- 58.

(3) من المراجع حول الدرقاوي وطريقته نذكر: (كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار) لمحمد بن أحمد العسكري المعروف بأبي زيان. - الخزانة العامة بالرباط رقم 2339- وكتاب (النصرة النبوية لأهل الطريقة الدرقاوية الشاذلية) لإسماعيل حبش المدني - وهو مطبوع - وكتاب (رسائل مولاي العربي الدرقاوي) وهو مطبوع.

محمد بن يوسف الملقب (أبو درقاوي) الشريف الإدريسي. ولد الشيخ في قبيلة بني زروال بضواحي تطوان بعد عام 1150هـ (1738م). حفظ القرآن بالقراءات العشر ودرس العلوم في فاس واشتغل كمدرس فيها. ثم سلك الطريق الصوفي على يد الشيخ علي بن عبد الرحمن الجمل الإدريسي الفاسي شيخ الشاذلية بالمغرب الذي سلمه كافة سلطاته الروحية قبل وفاته سنة 1194هـ (1780م) عن عمر تجاوز 100 سنة. فبادر الشيخ محمد العربي إلى تأسيس زاوية في (بوبريح) بنواحي فاس. وسرعان ما انتشرت طريقته خصوصا في شمال المغرب الأقصى وغرب الجزائر، واعتنقها عدد كبير من الناس من علمائهم وعامتهم. وقد قام أتباعه ومن والاهم بالثورة ضد الأتراك في غرب الجزائر وشرقها. وحاول هو سنة 1220هـ (1805م) أن يعيد زعيم الثورة تلميذه عبد القادر بن الشريف إلى التصالح ونبذ المشاركة في الثورات، وبقي في زاويته داعيا إلى الله ومشتغلا بتربية المريدين الذين قصدوه من الآفاق البعيدة إلى أن توفي سنة 1239هـ (1823م) ودفن بزاويته ببوبريح. ومنهج تربيته الصوفية يعتمد على التحقق بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) والفناء في ذكر اسم الجلالة (الله). وقد خلف الشيخ عددا كبيرا جدا من التلاميذ العلماء الذين نشروا الدعوة في إفريقيا الشمالية ومصر والحجاز والشام والشرق الأقصى. فكان من خريجي هذه المدرسة الأمير عبد القادر الجزائري الذي سلك الطريق الصوفي على يد شيخه محمد الفاسي بمكة المكرمة [1]، كما تأثر بتعاليمها الشيخ محمد عبده عندما أقام بليبيا في صغره وكان ناشرها هناك الشيخ ظافر المدني، حتى سميت بالمدنية. وقد بلغ عدد زوايا الدرقاوية في الجزائر حسب إحصاء سنة 1882م اثنين وثلاثين زاوية يشرف عليها 268مقدما وعدد أتباعها حوالي 15.000[2] ومن أشهر فروعها الباقية إلى يومنا الطريقة العلوية التي لها أتباع في الجزائر وتونس والشام وأوروبا وأمريكا. وشيخها هو أحمد بن مصطفى العلاوي المتوفى بمستغانم سنة 1934م، والطريقة الهبرية وشيخها هو السيد الحاج محمد الهبري المتوفي في نواحي مغنية في سنة 1899م، أما في المغرب

---

(1) انظر تفصيل هذا اللقاء بين الأمير وشيخه في (تحفة الزائر) الجزء الثاني لمحمد بن الأمير عبد القادر. ومحمد الفاسي أخذ عن ظافر المدني الذي هو أحد خلفاء العربي الدرقاوي.

(2) كان منهم الشيخ بوزيان مقدم الدرقاوية بالزيبان وقائد ثورة الزعاطشة ضد فرنسا سنة 1849م. إلى أن استشهد، انظر تفصيل ثورته في محاب (ثورات الجزائر في القرنين 19و20) ليحي بوعزيز ص: 59-68.

ففروعها كثيرة. ومن الأقوال أن الشيخ التجاني اجتمع بالشيخ الدرقاوي واستفاد منه، ولكن التجانيين ينكرون هذا القول لعدم وجوده في أي مرجع من المراجع الموثوقة [1] ولكن الثابت هو أن الشيخ التجاني لقي بفاس سنة 1171هـ وهو ابن 21 سنة شيخ الشاذلية عبد الله معن (م 1188هـ) وتبرك به ودعا له بخير، ووالده الشيخ العربي هو شيخ السيد علي الجمل الذي هو شيخ الشيخ العربي الدرقاوي حسبما ذكره علي حرازم في جواهر المعاني.

ويمكن القول أن الشيخين الدرقاوي، والتجاني هما أعظم الشخصيات الصوفية في المغرب العربي منذ ما يزيد على القرنين لما أثمرت دعوتهما من معاهد وأتباع ولأثرهما الواسع في العالم الإسلامي.

4ـ الطريقة الرحمانية الخلوتية:

مؤسس الطريقة الخلوتية هو محمد الخلوتي - وهو من إيران وعاش في القرن السابع الهجري- وقام بنشر تعاليمها تلاميذه وخلفاؤهم، فكان من أشهرهم: عمر الخلوتي المتوفى في قصاريا سنة 800 هـ(1397م). وقد تغلغلت الطريقة أولا في آسيا الصغرى وأوروبا الشرقية الجنوبية والحجاز والهند ثم انتقلت إلى مصر وأفريقيا الشمالية وتفرعت إلى فروع. وفي القرن الحادي عشر الهجري أحياها وأعطاها دفعا جديدا الشيخ العلامة مصطفى بن كمال الدين البكري المولود في دمشق سنة 1099هـ، والمتوفى بالقاهرة سنة 1161هـ (1748م)، وخلفه أحد أكابر علماء الأزهر الشيخ الحفني أو الحفناوي..

أما حامل لواء هذه الطريقة بالجزائر فهو الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجرجري[2] (نسبة إلى جبل جرجرة موطن قبيلته بالجزائر)، وهو من نسل أحد الأشراف القادمين من المغرب إلى بلاد القبائل. ولد حوالي سنة 1720م (1133 هـ)

---

(1) انظر محاب (عقد المرجان الموجه إلى الشيخ محمد سليمان) لأحمد سكيرج المطبوع بتونس سنة 1339هـ

(2) ترجمته موجودة في كثير من الكتب الرحمانية التي منها: (فاكهة الحلقوم في نبذة قليلة من أحوال القوم) للشيخ علي بن عمر الطولقي وفي(تعريف الخلف برجال السلف) للحفناوي. وله رسائل وتآليف وكنانيش بعضها موجود في المكاتب كالخزانة العامة بالرباط رقم ك 956 وبعضها مبثوث في كبريات الزوايا الرحمانية بالجزائر. وأوسع كتاب في تاريخ الرحمانية وشيوخها وزواياها ومناهجها عنوانه (أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية) لمفتاح عبد الباقي طبع سنة 1425 هـ (2004م) بالوادي – الجزائر.

في قبيلة آيت إسماعيل التي كانت جزءاً من حلف قشتولة في قبائل جرجرة. وقد زاول دراسته في مسقط رأسه ثم واصل تعلمه في الجزائر العاصمة. وفي عام 1152هـ (1739م) توجه إلى الحج وأثناء عودته استقر بالجامع الأزهر حيث ظل مدة تزيد على ربع قرن. وتتلمذ هناك على كبار العلماء ورسخ في العلوم ثم سلك طريق التصوف على يد أحمد بن محمد بن سالم الحفناوي شيخ الطريقة الخلوتية بمصر، المذكور سابقا. فعهد إليه بالقيام بالدعوة الإسلامية ونشر الطريقة في السودان. وقد طالت إقامته في السودان ونجحت دعوته نجاحا كبيرا. ففي رسالة بعثها إلى بلحسن اليوسفي نقيبه بتونس، قال إنه أقام ست سنوات في دارفور بالسودان ليقرئ السلطان هناك.

ثم عاد إلى الجزائر عام 1183هـ (1769م) بأمر شيخه. فأسس في مسقط رأسه آيت إسماعيل زاوية وشرع في نشر العلم وبث السلوك الصوفي على نهج الخلوتية. فطار صيته في الآفاق وورد عليه المريدون من كافة أنحاء الجزائر ومن تونس والمغرب. ثم انتقل إلى الحامة إحدى ضواحي العاصمة وأسس بها زاوية. لكن بعض الناس أثاروا ضده معارضة وأرغموه على المثول أمام مجلس العلماء بأمل دعوى تسفه دعوته. لكنه خرج منتصرا من المحاكمة حيث اعترف العلماء والحكام بعلمه وصلاحه وفضله، وأصدر المجلس فتوى لصالحه، رجع بعدها إلى زاويته بآيت إسماعيل. وبعد ستة أشهر من رجوعه جمع مريديه وأخبرهم بقرب أجله وعين الشيخ علي بن عيسى المغربي خليفة له، فترك له جميع كتبه - ومنها مؤلفاته الخاصة في التصوف والفقه - وأرضه وأوقاف زاويته وتوفي عام 1208هـ (1793م). وقد انتشرت طريقته في حياته في بلاد القبائل والوسط والشرق الجزائري وفي المدن التونسية. وبعد وفاته واصل تلاميذه دعوته،فاستطاع خليفته علي بن عيسى أن يدير الزاوية الأم بكل حكمة ونجاح مما أكسبها نفوذا روحيا واسعا وقويا في جميع أنحاء البلاد وظل على ذلك مدة 43 عاما من 1208هـ إلى 1251هـ. كما أن تلاميذه كالعلامة مصطفى بن عبد الرحمن باشتارزي - ناشر الطريقة في الشرق الجزائري مدة إقامته بقسنطينة - وكالشيخ الجليل محمد عزوز البرجي- ناشر الطريقة في الجنوب الصحراوي والأوراس وأولاد جلال - وكالمقدمين بلقاسم بن محمد المعانقي والعابد ابن الأعلى الشرشالي وغيرهم، أكسبوا الطريقة رواجا وتوسعا سريعا بحيث بلغ عدد أتباعها حوالي 160.000شخص في عام 1315هـ (1898م) وتفرعت إلى 25 فرعا موزعة على 117 زاوية أشهرها زوايا جبال القبائل والحامة بالعاصمة وزاوية صدوق بناحية سطيف وزاوية باشتارزي بقسنطينة

والزاوية الحملاوية بنواحيها، وزاوية طولقة، وزوايا أولاد جلال وخنقة سيدي ناجي ووادي سوف وتبسة، وزوايا القطر التونسي التي بلغ عددها نحو التسعين، أشهرها زاوية نفطة التي أسسها مصطفى بن محمد عزوز البرجي. وقد اهتمت هذه الزوايا اهتماما عظيما بنشر العلوم الإسلامية والعربية وتعليم القرآن فكانت قلاعا للثقافة الدينية وحصونا للشخصية الوطنية طيلة عهد الاستعمار الفرنسي المظلم، كما تزعمت الجهاد في عدة ثورات ضد الاحتلال [1]. والتربية الصوفية في الطريقة الرحمانية الخلوتية تعتمد على ملازمة التقوى ثم قطع المقامات السبعة للنفس بواسطة ذكر أسماء معينة من أسماء الله الحسنى. وهناك تآليف كثيرة فيها بيان لتعاليم الطريقة وتراجم رجالها منها المطبوع ومنها المخطوط. وقد أخذ الشيخ أحمد التجاني هذه الطريقة عن مؤسسها في الجزائر الشيخ محمد بن عبد الرحمن عندما زاره في زاويته بآيت إسماعيل عام 1186هـ.

5- الطريقة السنوسية:

من أشهر الطرق الصوفية التي ظهرت في عصر خلفاء الشيخ التجاني، وكان أثرها كبيرا حتى في العهود المتأخرة الطريقة السنوسية التي تنافست مع التجانية في نشر الإسلام ومقاومة الحملات الصليبية في إفريقيا السوداء وليبيا. مؤسسها هو السيد محمد بن علي السنوسي من آل عبد الله الخطابي الإدريسي. ولد بناحية مستغانم بالجزائر سنة 1202هـ / 1787م. حصل العلوم في بلاده ثم رحل إلى فاس وبقي فيها من 1822م إلى 1829م حيث تلقى عن كبار أساتذتها. وقد أخذ السنوسي وهو لا يزال شابا عن الشيخ أحمد التجاني نفسه كما هو ثابت في إجازته وأسانيده. وتوفي الشيخ التجاني وعمر السنوسي ثمان وعشرون سنة. ولما ظهر علم السنوسي وفضله في فاس، أقبل عليه التلاميذ فغادر المغرب عام 1245 هـ (1829م) وأخذ يدعو إلى الإصلاح حيثما حل وارتحل ثم اتجه إلى مصر في عهد محمد علي باشا واجتمع بعلماء الأزهر، ثم سافر إلى مكة للحج وأخذ يتعمق في الطرق الصوفية فأخذ الشاذلية والناصرية والقادرية. والتقى في الحجاز بالشيخ الكبير أحمد بن إدريس الفاسي إمام الطريقة الإدريسية، وسلسلته في الطريق تصعد إلى الشيخ عبد العزيز الدباغ [2]. وهو [3]

(1) انظر كتاب (ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون) ليحيى بوعزيز1980م.
(2) انظر ترجمته وعلومه في كتاب (الأبريز) الذي خصصه له تلميذه ابن المبارك.
(3) أي أحمد بن إدريس وتسمى طريقته أيضا الأحمدية أوالخضيرية نسبة إلى الخضر شيخ عبد -

ممن التقى بالشيخ أحمد التجاني أيضا عندما كان شابا في فاس. وقد جيئ به وهو صبي إلى الشيخ أحمد التجاني فتوسم فيه النجابة وعلو الهمة فأمسك برأسه وقال: (يا ما يخرج من هذه الرأس) [1]. تأثر السنوسي بأحمد بن إدريس وسلك الطريق الصوفي على يده إلى أن أجازه في الدعوة إلى الله والإصلاح، فأعلن طريقته السنوسية وأسس زاويته على جبل أبي قبيس بمكة وأخذ ينشر دعوته. ثم ارتحل إلى برقة وقد انتشرت دعوته سريعا بحيث بلغ عدد زواياه في نواحي برقة في حياته ثماني عشرة زاوية وأولها الزاوية البيضاء في الجبل الأخضر بليبيا. ولكن العثمانيين تعقبوه فاضطر إلى إنشاء زاوية في جغبوب جنوبي ليبيا الشرقي على حدود مصر حيث تكثر القبائل العربية المستقلة، ومنها استطاع نشر دعوته في قلب إفريقيا بدءا من تشاد، وواصل جهاده إلى أن توفي في جغبوب سنة 1275 هـ (1859م). وخلال حياته أرسل السنوسي أحد تلامذته وهو محمد بن عبد الله إلى الجنوب الجزائري ليقوم بثورة ضد الاحتلال الفرنسي [2] فوصل إلى طرابلس الغرب عام 1850م، ومن هناك اتجه إلى سوف عبر غدامس وتقرت، واستقر بزاوية الرويسات قرب ورقلة وبدأ ثورته مدعما برسائل السنوسي لأهالي الجنوب التي تطلب منهم الوقوف بجانب محمد بن عبد الله، وامتدت فترة كفاحه نصف قرن كامل وشملت الجزائر وتونس وطرابلس إلى أن توفي عام 1895م. وقبل هذه الأحداث كلها كان السنوسي قد أرسل إلى الجزائر أحد تلامذته حاملا إجازة أجازه بها سنة 1267 هـ لينشر الدعوة السنوسية، فاتصل بعالم من أقارب السنوسي وهو الشيخ الشارف بن تكوك فأخذ عنه الطريقة. وقد هاجر ابن تكوك إلى المغرب بعد قتل شيخه ابن القندوز. ثم رجع إلى بلاده بعد الاحتلال الفرنسي، وتوجست فرنسا منه خيفة فاعتقلته عدة سنوات. ولما خرج من السجن واصل نشاطه الديني وأسس أول زاوية سنوسية بالجزائر سنة 1859م (1275 هـ). لكن اتصالاته

العزيز الدباغ

(1) انظر صفحة 10من كتاب (الإفادة الأحمدية) مع تعليقات محمد الحافظ التجاني: 1391 وفيه نبأ إلى الوهم الذي دخل على النبهاني في كتابه (جامع كرامات الأولياء) حيث يقول: إن الاثنان أخذا عن أحمد التجاني وأن التجاني أجل خلفاء أحمد بن إدريس،والحق أن السنوسي هو أجل خلفاء أحمد بن إدريس.

(2) انظر تفاصيل أحداث هذه الثورة في كتاب (ثورات الجزائر في القرنين 19و20) ليحي بو عزيز ص 121-132.

بليبيا ومصر جعلته يعتقل مرة أخرى. ثم أطلق سراحه وواصل نشر العلم والدعوة إلى الطريق، واستعان بعلماء في الشريعة للتدريس في زاويته وبقي داعيا إلى الله إلى أن توفي وعمره 96 سنة. وعند موته كان ابنه أحمد في ليبيا مع الشيخ محمد المهدي السنوسي فرجع إلى موطنه واعتقلته السلطات الفرنسية ثم أطلق سراحه وبقي منعزلا متعبدا إلى أن أعاد فتح زاوية والده سنة 1904م، وبقي في إدارتها إلى أن توفي سنة 1924م وخلفه على الزاوية أبناؤه، أما في ليبيا، فعند وفاة محمد بن علي السنوسي خلفه ابنه محمد المهدي الذي انتقل إلى واحة كفرا وزاد في نشاط الطريقة الذي تمحور حول نشر الإسلام بين الوثنيين في إفريقيا ومقاومة البعثات المسيحية هناك والدعوة إلى الطريقة في بلدان إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط والثورة ضد الاستعمار الفرنسي والإنجليزي [1]. ولما احتل الإيطاليون ليبيا سنة 1911م تزعم شيوخ السنوسية الجهاد وكان من أشهرهم الشهيد عمر المختار. وعند وفاة محمد المهدي، خلفه أحمد الشريف السنوسي الذي تحالف مع العثمانيين ضد الإنجليز وانتقل في غواصة إلى تركيا حيث أنشأ هناك زوايا، وكثف نشاط دعوته في أرمينيا وكردستان ابتداء من سنة 1921م، وكلف بقيادة القبائل العربية العراقية المقاومة للإنجليز. وبقي في ليبيا شيخا للسنوسية محمد إدريس الذي كان قد هاجر إلى مصر سنة 1923م ثم رجع مع الحلفاء سنة 1943م خلال الحرب العالمية الثانية وأصبح بعدها ملكا لليبيا. وهكذا قامت الدعوة السنوسية بأعمال عظمى في خدمة الإسلام وأهله يشهد لها العدو والصديق. وقد اقتصر انتشارها في الجزائر على الشمال الغربي وعلى الجنوب الشرقي خصوصا عند التوارك.. [2].

6- طرق أخرى:

من الطرق الصوفية الأخرى التي راجت في الجزائر- خصوصا في الجنوب

(1) أكبر معارك السنوسيين مع فرنسا وقعت في إفريقيا بين سنتي 1900م و 1913م. أما في الجزائر فزيادة على ثورة محمد بن عبد الله المذكور سابقا فقد وقعت أيضا ثورة الشهيد بوشوشة السنوسي في الجنوب مابين سنتي 1869-1847 (انظر تفاصيل أحداث هذه الثورة في كتاب (ثورات الجزائر في القرنين 19 و20) ليحيى بوعزيز - ص: 182-191).

(2) راجع تاريخ السنوسية في الكتب التالية: 1) - (السنوسية دين ودولة) لمحمد فؤاد شكري1948.
2) - The sinusi of cyranica «par evans prichard
3) - (حاضر العالم الإسلامي) لشكيب أرسلان. 4) - (عند السنوسيين والطوارق) لنبي محمد الحشائشي. وترجمه إلى الفرنسية محمد الأصرم وفسرو سيريس.

الغربي- الطريقة الزيانية الشاذلية. ومؤسسها هو محمد بن بوزيان [1] الذي نشأ في قرية (التحاتة) القريبة من القنادسة بصحراء الجزائر، وبعد أن توفي والده وهو في عمر مبكر توجه إلى سجلماسة [2] وأخذ القرآن والفقه والطريقة الشاذلية عن شيخها بوبكر بن عزه. ثم توجه إلى فاس بناء على نصيحة شيخه، وبقي فيها ثماني سنوات أخذ خلالها العلوم عن أبرز العلماء هناك، أمثال محمد بن عبد القادر الفاسي وعبد السلام جسوس وأحمد ابن الحاج. ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث بنى زاوية أصبحت مقصدا للزوار ومركزا لنشاطات علمية وروحية واقتصادية (حفر آبار، تشجيع الفلاحة والتجارة) وكان شعار الشيخ (السبحة واللوح إلى خروج الروح) أي العبادة والعلم إلى الممات. وبعد حياة حافلة بالنشاط العلمي والصوفي توفي بالقنادسة سنة 1145هـ. فخلفه ابنه محمد الأعرج الذي ظل على رأس الزاوية إلى أن توفي سنة 1175هـ ثم استمر أولاده وأحفاده يتوارثون إدارة الزاوية ناشرين العلم والقرآن والطريقة الشاذلية. ومن أشهر من عاصروا الشيخ محمد بن بوزيان شيخ الطريقة القرزازية الشاذلية الشيخ عبد الرحمن القرزازي - نسبة إلى قرزاز بالقرب من بني عباس [3] - وكانا يتبادلان الزيارة وتعاونا معا في إحياء الجنوب الغربي من الجزائر.

أما في الشرق الجزائري، فقد ظهرت أيضا الطريقة الحنصالية التي أسسها الشيخ يوسف الحنصالي الذي عاش في ضواحي قسنطينة واشتهر في عهد البايات المتأخرين. يقول أبو القاسم سعد الله [4]: (ولا شك أن للحنصالية علاقة وطيدة بالشاذلية أيضا وبالخلوتية (الرحمانية) ومن أشهر رجال الحنصالية الشيخ أحمد الزواوي الذي عاصر صالح باي وثار عليه كما أسلفنا. ثم أخذها عنه بعض علماء قسنطينة أمثال الشيخ أحمد المبارك الذي تولى بهذه المدينة التدريس والفتوى وترك بعض التأليف... ويبدو أن الطريقة الحنصالية لم تكن على علاقة طيبة أيضا مع

(1) ذكر سعد الله بلقاسم في (تاريخ الجزائر الثقافي) أن من مصادر الطريقة الزيانية كتاب (طهارة الأنفاس والأرواح الجسمانية في الطريقة الزيانية الشاذلية) لمصطفى بن الحاج بشير. وكتاب (فتح المزن في سيرة الشيخ سيدي الحاج محمد بن أبي زيان) ومؤلفه غيرمذكور.

(2) سجلماسة: كانت تقع على ضفة وادي زير قريبا من تافيلالت. قبل أنها أسست سنة 787م حاصرها المرابطون واضمحلت بعد سنة 1362م. وتحقق من موقعها 9|8792279 سنة 1836م. راجع البكري: كتاب المغرب والأسد الإفريقي. وصف...ج 2ص 424-428-430.

(3) بني عباس: قرية على نحو 225كلم من بشار في طريق القوافل بين الشمال والتوات والهقار.

(4) (تاريخ الجزائر الثقافي) لسعد الله بلقاسم. الجزء الأول ص: 526.

العثمانيين. فبالإضافة إلى ثورة أحمد الزواوي على صالح باي وجدنا أبا القاسم الرحموني الحداد يعرض في شعره بسوء الأحوال السياسية والاقتصادية في عهده ويشيد في نفس الوقت بالطريقة الحنصالية والرحمانية). انتهى. لكن هذه الطريقة لم تنتشر انتشارا واسعا كالطرق التي ذكرناها سابقا وبقيت منحصرة في ناحية قسنطينة. وكذلك الطريقة النقشبندية [1] والطريقة البكطاشية [2] اللتان دخلتا الجزائر مع العثمانيين بقيتا محصورتين في الأوساط التركية.

أما الطريقة الميرغينية التي ظهرت مع السنوسية، فلم تدخل الجزائر بتاتا [3].

ومن الطرق الصوفية القوية التي كانت منتشرة في عصر الشيخ التجاني، الطريقة الشيخية الشاذلية التي انتشرت في الغرب الجزائري ووسطه شمالا وجنوبا. ومؤسسها هو الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة المولود سنة 940 هـ. (1533م) وقد أخذ العلم في فقيق ثم مال إلى التصوف فأخذ الطريقة الشاذلية على الشيخ محمد بن عبد الرحمن الساحلي [4]. ثم أصبح بدوره إماما في الطريق، فالتف حوله التلاميذ والأتباع. وقضى فترة طويلة يجوب جهات الغرب، وفترة أخرى أمضاها في فقيق. وله رسائل وأشعار أشهرها قصيدته الطويلة المسماة (الياقوتة لم التي يبين فيها عقيدته وسلسلة أشياخه وطريقته، ويرد فيها على المنكرين عليه. ولا تزال هذه القصيدة رائجة إلى اليوم عند أتباع طريقته. وتوفي الشيخ بواحة تانكريت بالجنوب الوهراني التي أصبحت تعرف بالأبيض سيدي الشيخ - نسبة إليه - في عام 1024هـ

(1) الناشر الزول للنقشبندية هو محمد بهاء الدين النقشبندي الذي ولد قرب بخاري سنة (717هـ-1317م) وتوفي سنة 791هـ(1389م) لكن الرجل الذي وضع قواعدها وأسسها هو أبو يعقوب يوسف الحمداني (م: 1140م) ثم نظمها عبد الخالق الغجدواني (متوفى في 1220م) ولا تزال هذه الطريقة منتشرة بكثرة في كل بلدان الشرق الأقصى والأوسط والاتحاد السوفياتي وتركيا.

(2) مؤسس البكطاشية هو محمد فنكار بكطاش (متوفي سنة 738هـ). لعبت دورا كبيرا في الخلافة العثمانية وكان شيوخها قادة المجاهدين الأتراك من الانكشارية وغيرهم.

(3) مؤسس الميرغينية هو محمد عثمان الميرغيني الذي تتلمذ مثل السنوسي في الحجاز على يد أحمد بن إدريس الفاسي وأسس أول زاوية له بدار الخيزران بمكة ثم انتشرت طريقته خصوصا في السودان وما حوله. ويعتقد فيه أتباعه ختمية الولاية مثل اعتقاد التجانيين في شيخهم أحمد التجاني.

(4) هو تلميذ شيخ الشاذلية بالجزائر السيد أحمد بن يوسف الملياني (متوفى حوالي1524م بمليانة،أي سنة 927هـ) وقد تتلمذ ببجاية على أحمد زروق البرنسي ومناقبه مذكورة في (ربح التجارة) لعلي بن الحاج موسى المتوفى سنة 1330هـ.

(1615م) وعرف أولاده بأولاد سيدي الشيخ وتاريخهم في مقاومة الاحتلال مشهور [1]. وقد قضى الشيخ أحمد التجاني وهو لا يزال شابا خمسة أعوام في بلد الأبيض، حيث زاوية وضريح الشيخ عبد القادر بن محمد، قضاها في العبادات والتدريس، وزار خلالها بلده عين ماضي، ولا شك أنه كان على اطلاع وتتبع للأحوال السياسية المضطربة، والحركات الدينية والطرق الصوفية التي برزت في عصره وتأثر بها.

(1) انظر تفاصيل ثوراتهم في كتاب (ثورات الجزائر في القرنين 19و 20) ليحيى بوعزيز خصوصا ص: 133-176 وص: 245 -256 وكتاب (الطريقة الشيخية) لعبد القادر خليفي - طبع بوهران - 2006.

وقد تكلم بوعزيزعلى نسبهم فقال:

(ينحدر أولاد سيدي الشيخ حسبما هو شائع ومتواتر من أسرة الخليفة أبي بكر الصديق. فقد هاجر أجدادهم الأوائل من المدينة المنورة بالحجاز إلى مدينة الإسكندرية بمصر ومن هناك انتقلوا إلى تونس واستوطنوها بعض الوقت فانحدر منهم العالم المشهور سيدي محرز الذي ما يزال قبره ومسجده حتى اليوم يمثل إحدى المعالم المعمارية الكبرى في مدينة تونس. ومن تونس انتقل البعض منهم إلى تلمسان بالمغرب الأوسط ثم غرناطة بالأندلس ثم إلى منطقة فقيق بالمغرب الأقصى وأخيرا استقروا في واحة تانكيرت التي تعرف باسم الأبيض سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني منذ مطلع القرن السادس عشر. وذلك نسبة إلى الجد السادس والعشرين الذي يسمى عبد القادر بن محمد ويعرف بسيدي الشيخ) وقد قدر عدد أتباع الطريقة الشيخية بالقطر الجزائري في أواخر الخمسينات بأكثر من خمسين ألف شخص. وأتباع الحنصالية بأكثر من سبعة آلاف شخص (راجع كتاب).

Les confreries religieusees musulmanes – par General Andre Alger 1956

الفصل الثالث: بلدة الشيخ أحمد التجاني: عين ماضي

عين ماضي قرية تبعد بـ 72كيلومتر غربي الأغواط [1]. عند ذكره لعين ماضي، قال محمد بن الأمير عبد القادر في كتابة (تحفة الزائر)، وهو يتكلم عن حصنها: (وهذا الحصن اختطه ماضي بن يقرب من أقيال العرب في المائة الخامسة لأول استيلاء العرب على المغرب الأوسط أيام العبيديين، ويحتوي على ثلاثمائة دار، وتدخل له العين المسماة بالحصن في قناة وبه صهاريج لجمع ماء المطر تسد عوز أهله، وله من المتانة والحصانة ما يبهر العقول، وحوله من النخيل والأشجار المتنوعة ما هو زينة للناظرين).

ويبدو أن عين ماضي قد سكنت وهجرت عدة مرات. والخبر المتواتر عند ثقات أهلها في شأن بداية سكانها الحاليين هو التالي:

أول من ابتدأ سكنى عين ماضي هو السيد محمد - بفتح الميم - الشريف الإدريسي القادم من تافيلالت [2]. وهو الجد الرابع للشيخ أحمد التجاني وكان قد تعاشر مع قبيلة بني توجين أصحاب تاهرت وتاكدمت من البربر إخوان بني زيان ملوك تلمسان وبني مرين ملوك المغرب الأقصى. وتزوج امرأة من آل سيدي معمر مولى العالية تسمى مباركة بنت عيسى فأنجب منها ولدين هما: أحمد وعيسى. وله ولد آخر من ابنة عمه كان متزوجا بها من قبل، ذهب هذا الابن الثالث إلى نواحي قسنطينة حيث أخذ العلم وتزوج وأنجب أولادا أكبرهم عبد الرحمن الذي كبر هناك وتزوج فكان أكبر أبنائه يدعى أحمد مقران وذريته تعرف الآن بأولاد أمقران [3] أما السيد

(1) الأغواط: مدينة على بعد 428كلم جنوب الجزائر العاصمة، وتمتد المدينة والواحة على الضفة الشرقية لوادي ملغير، واختلف في تاريخ تأسيسها، والراجح عند بعض المؤرخين أنه في منتصف القرن العاشر الميلادي.وصفها أبو العباس أحمد الفاسي (المتوفي عام 1214هـ) في (الرحلة الفاسية) بقوله: (الأغواط بلدة طيبة وعليها أجنة ونخيل ولها أبراج وسور دائر بها غير أنها غير متقنة البناء ولها عيون ماء تجري بداخلها ولقينا بها في شهر يناير العجمي السفر جل الجيد الطيب الرائحة والدلاع والبطيخ والرمان....) راجع:

-Mangin (E): note sur histoire de Laghouat. RA. 1894. 1895.

-Yver (G): Langhouat,in Encyclopedie de l'islam , m ,5

-Letourneu: Langhouat , 1964

(2) ستجد تعليقا في هذا الكتاب ينفي قدوم الجد الرابع من المغرب.

(3) انظر حديثا عن هذه الأسرة في ص: 408من الجزء الثاني من (تاريخ الجزائر الثقافي) لسعد الله بلقاسم.

محمد أول قادم إلى عين ماضي فمكث إلى أن توفي بها، ومن نسل ابنه أحمد ولد الشيخ أحمد التجاني.

وقد ورد ذكر عين ماضي في كتب الرحالة المغاربة. فذكرها العياشي في رحلته [1] قائلا: (وكان لي فيها أرب لبيع الكتب ولقاء الأصحاب فلم يقدر ذلك.) وقد قام العياشي برحلته هذه سنة 1074هـ. وكانت عين ماضي محطة من محطات عبور الحجاج المغاربة الذين يقطنون في الجنوب كسكان سوس ومراكش. فكان طريقهم العادي: فقيق - بوسمغون - الغسول - عين ماضي - تاجمونت الأغواط - برج الغيران - سيدي خالد - بسكرة - سيدي عقبة - فتوزر بالتراب التونسي. وفي هذه المحطات كانت تقع مبادلات تجارية ومحاورات ثقافية وتبادل علمي واطلاع على التآليف والكتب. والرحالة العياشي هو أحد تلاميذ رحالة آخر كبير هو عاشور بن موسى القسنطيني المعروف بالفكيرين الذي طالت رحلته نحو العشرين سنة جال خلالها في المغرب والصحراء والسودان وتوفي سنة 1074هـ. ومن الرحالة الذين ذكروا عين ماضي وغيرها من واحات الصحراء الحاج ابن الدين الأغواطي، ورحلته مكتوبة سنة 1242هـ [2]. وذكرها أيضا الدرعي في رحلته وقال: إن أهلها جميعا كانوا طلبة، أي مشتغلين بالعلم. وذكر بغارة السلطان السعدي عبد الملك [3] على أهل عين ماضي وأثرها عليهم فقال: إنه فرق شملهم وكسر هيبتهم وأخذ خزائنهم، كما فرض عليهم ألف ريال ولم يترك لهم شيئا، بينما كانوا من قبل موقرين. فكبر ذلك عليهم. ووصف مسجدها بأنه مبني بأحجار كأنها منحوتة لاستقامتها وأنه مفروش بقطائف وحصير، وله نور يعلوه، وحوله مطعم كبير للسواح الذين يؤمونه للتعبد [4].

وأشهر القبائل التي كانت تقطن نواحي عين ماضي هم بنو عراش المكونون

(1) رحلة العياشي التي عنوانها (ماء الموائد) وهي مشهورة، مطبوعة بالعربية ومترجمة إلى الفرنسية.

(2) انظر الحديث على هذه الرحلة في (تاريخ الجزائر الثقافي) لسعد الله بلقاسم الجزء الثاني: ص 400-401.

(3) تولى هذا الملك سنة 983هـ بمساعدة السلطان العثماني سليم بن سليمان ومعونة الجزائر وقد انتصر على البرتغاليين في معركة وادي المخازن سنة 986هـ التي قتل فيها ملكهم سبستيان.

(4) مؤلف هذه الرحلة هو الشيخ أحمد المتوفى سنة (1129هـ/1717م) ابن العارف بالله سيدي محمد بن ناصر الدرعي. واسمها: الرحلة الناصرية.
راجع كذلك البحث الذي كتبه أوجين دوماس حول جغرافية وتاريخ عين ماضي وعنوانه:
Notice historique et geographique sur Ain Madi Oct. 1838 A. O. A.P.H. 226

من عشر قبائل قوية العدد والعدة. وفي العهد العثماني، كان أهالي عين ماضي - ككل القبائل الصحراوية - تنزع إلى الاستقلال عن السيطرة التركية للأسباب التي ذكرناها سابقا. فكانت علاقاتهم مع الأتراك متوترة. وحاول الأتراك إخضاعهم بمحاصرة حصنهم العديد من المرات، ولكنهم كانوا في كل مرة يفشلون إلا مرة واحدة سنذكرها بعد قليل. ومن أشهر الحملات التركية على أهالي عين ماضي حملة الباي محمد بن عثمان الكبير سنة 1189هـ (وعمر الشيخ آنذاك تسع وثلاثون سنة وكان مقيما حينئذ بتلمسان بعد أن رجع من حجته). وقد وصف هذه الحملة شاهد عيان لها وهو الكاتب الخاص للباي أحمد بن هطال في كتاب سماه (رحلة الباي محمد الكبير) وقد حققه محمد بن عبد الكريم الزموري ونشر بالقاهرة سنة 1969م، ولما بدأ الناس يلتفون حول الشيخ أحمد التجاني في تلمسان للاستفادة منه تخوف من ذلك الأتراك وضيقوا عليه حتى رحل منها إلى الشلالة وأبو سمغون في الصحراء قريبا من مسقط رأسه. ثم لما بدأ في نشر طريقته سنة 1196هـ وقصدته الوفود من الآفاق البعيدة، ازدادت مخاوف الأتراك من دعوته، فكانوا يرصدون حركاته وسكناته ويضيقون عليه، ويبدو أن الشيخ كان مؤيدا لقومه في مقاومتهم للترك لأنهم في نظره (كفار لنبذهم الأحكام الشرعية وتقديمهم القوانين الفرنجية عليها واكتفائهم بذلك). لكنه في آخر الأمر، بعد تأمل وروية وتفكير طويل واستخارة، رأى أن من الأولى العدول عن مقاومة الأتراك فحث قومه على التصالح معهم. فكتب إليهم هذه الرسالة وهو في أبي سمغون، حيث كان مستقرا من السنة 1199هـ إلى سنة هجرته إلى المغرب في 1213 هـ [1]. ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى على سيدنا محمد وآله، بعد حمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه، يصل الكتاب إلى أيدي أحبابنا وأعز الناس عندنا، جماعة أهل عين ماضي من غير تخصيص. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، من كاتبه إليكم أحمد بن محمد التجاني. وبعد فنسأل الله عز وجل أن يفيض عليكم بحور الأرزاق والبركات وأن يقيكم شر جميع الخلق وأن يلبسكم رداء

(1) هذه الرسالة وجدت نصها مكتوبا في كناش بالزاوية التجانية بتاغزوت بوادي سوف بالجنوب الشرقي الجزائري وهي منقولة من خط يد الشيخ أحمد التجاني نفسه. وتاغزوت هي إحدى قرى وادي سوف تبعد عن الوادي بنحو14 كيلومترا شمالا. وقد ذكر نصها الكامل صاحب كتاب (كشف الحجاب) ص:403-404- 405. وبوسمغون منطقة تقع جنوب البيض على بعد 120كلم.

العافية والستر. يليه إعلامكم كما كتبتم به إلي. فأما انتقالي إليكم فلا يمكنني لكوني ثقيل المحمل ولا يحملني إلا سبعون أو ثمانون بعيرا، ولا أجدها في هذا الوقت لا عندي ولا عندكم. والآن صارت الطريق بيني وبينكم مخوفة لا تسلك إلا بشدة من كثرة الأعداء. والله غالب على أمره. وأما ما طلبتم مني بعثه لكم من البارود والرصاص فلا وجود له في هذه البلاد أصلا، وكان قبل اليوم يوجد في بلاد فقيق [1]. والآن بلاد فقيق بيننا وبينهم خوف والأمان فيها قليل. وقد عاجلني في هذه الساعة السفر إلى بلاد أنقاد [2] لأجل شراء الزرع الذي أنا محتاج إليه ولا أقدر عن التخلف عنه حتى ساعة لكثرة ما يلزمني من أكل الطعام [3]. وأما أمر الباي معكم، فاسمعوا مني نصيحة كاملة يبذلها الوالد لولده إذا كنتم تراعون نصيحتي: فسيروا إليه في بلاده وأعطوه ما تقدرون عليه من المال ولا تقاتلوه فإنكم لا خير لكم في قتاله. وأخبركم أنه انكشف من سر الغيب ما لم يكن لنا ولكم به علم وهو أنه سبحانه قد قضى في حكمه على جميع خلقه بثقل المغرم [4] عقوبة لهم على معاصيهم وعدم توبتهم من ذلك ولكثرة اشتهار الظلم والفواحش في كل محل وعدم النهى عن ذلك، ونفذ حكم الله بذلك، ولا سبيل لدفعه، فقد غالبكم أمر الله وعجزنا عن دفع بلائه في خلقه، فإن الله له الحكم والتقدير والله غالب على أمره، وتنجيز لوعده في كتابه بقوله تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء: 123] ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ ﴾[الزلزلة: 7] ﴿ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [القصص: 84]. ولما ورد في صحيح البخاري عن أم سلمة وزينب بنت جحش رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال: (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب فقالت له زوجته صلى الله عليه

(1) أي، فقيق: أشهر واحة بوادي قير المنحدر من جبال الأطلس جبل تاندرارة ويجري نحو الجنوب إلى أن ينصب في وادي مسعود.و فقيق تقع شرق جنوبي المغرب الأقصى من أعمال وجدة بقرب الحدود الجزائرية وهي تحتوي على سبعة (قصور) أشهرها قصر زناقة وبها من النخيل ما يربو على 2.000.000 نخلة لكثرة مياهها

(2) أنكاد:هي بلاد عرب أنكاد القاطنين بسهل وجدة،وهم عرب رحل نزلوا بالمكان في القرن الثامن الهجري بأمرمن ملوك تلمسان،وفي الصراع بين ملوك تلمسان وملوك فاس كانوا تارة بجانب هؤلاء وتارة بجانب أولئك.

(3) تأمل هذه العبارة الدالة على كثرة الوافدين على الشيخ خلال إقامته بأبي سمغون.

(4) كان في هذا القول إشارة إلى توقع الشيخ نهاية العهد التركي في مستقبل غير بعيد وقد عبر عن هذا التوقع في عدة مناسبات أخرى.

وسلم: وما ذاك يارسول الله؟ قال: فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج قدر هذا وعقد نقرة بين إبهامه وسبابته. فقالت: ياوسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث). فأخبر صلى الله عليه وسلم أن وجود الصالحين في الخلق لا يدفع البلاء عنهم لكثرة الخبث. فإياكم ثم إياكم أن تخالفوه أو تقاتلوه فقد حدث الأمر من عند الله بما قلته لكم ودليل ذلك أن ذلك الأمر قد عم بلاد الصحراء حاضرها وباديتها ولم يسلم منه أحد ولا بد أن يعمكم ولا تقدرون على دفعه. فلا يغرنكم ما جرت به عادتكم من غلبتكم على كل من قاتلكم في قريتكم فإن تلك العادة قبل أن يحدث عموم هذا البلاء، كل تدبير عندكم في القتال والخلاف فاتركوه ولا تدبروا إلا في الصلح بينكم وبين هذا الباي ولا تعارضوا أمر الله فإني قلت لكم ذلك القول سابقا[1]. ثم ظهر لي من أمر الله ما لا دافع له وإن خالفتم قولي فقد ألقيتم بأنفسكم إلى الهلاك وهو واقع لا محالة، إلا تصبروا وتعطوه ما يصلح الله بينكم وبينه... وان قضى الله واصطلحتم مع الباي بذهاب الشر بينكم وبينه وبعثتم لي من الإبل قدوما يحملني انتقلت إليكم، ولا أقدر على دفع البلاء الذي أراده الله في خلقه لأجل ذنوبهم والسلام.) انتهت الرسالة. وهي غنية عن التعليق

لكن يبدو أن تحذير الشيخ وإنذاراته لقومه لم تثمر وبقيت العلاقات بين قبائل عين ماضي والأتراك متوترة. وفي ولاية الداي مصطفى باشا الذي تقلد الحكم سنة 1212هـ (1797م)، هاجم باي الغرب عثمان [2] عين ماضي وتحققت توقعات الشيخ فلأول مرة ينجح الأتراك في إخضاع أهالي عين ماضي على دفع غرامة قدرها 17ألف بوجو [3]. ومن حسن الحظ أن الشيخ لم يكن في بلدته خلال الهجوم وإنما كان في محل إقامته بأبي سمغون. فبعث الأتراك إلى أهلها يهددونهم إن لم يخرجوه. ولما بلغ

(1) هذه العبارة تشعر بأن أهل عين ماضي كانوا متفقين مع الشيخ على مقاومة الباي محمد الذي هاجمهم سنة 1199هـ(1784م)، كما هاجمهم سنة 1200هـ(1755م) صالح باي قسنطينة ونفس الشيء قام به عثمان باي بعد سنتين ليأخذ الضريبة عنوة من أهلها.

(2) هو عثمان بن الباي محمد بن عثمان. وأبوه محمد هو الذي ضيق على الشيخ في تلمسان حتى أزعجه فرحل إلى الشلالة وأبي سمغون. وقتل عثمان في ثورة محمد بن الأحراش الدرقاوي سنة 1220هـ بعد أن بقي 18شهرا بايا على قسنطينة وذلك بعد عزله من منصبه بوهران وإقامته الجبرية بالبليدة. وقد بقي 18شهرا بايا على وهران بعد وفاة أبيه لمدة خمس سنوات

(3) قدرها أحمد توفيق المدني بما يعادل 150ألف فرنك من نقود عام 1937م كما ذكره في كتاب (محمد عثمان باشا) الذي قدمه وعلق عليه ونشره سنة 1937م.

الشيخ ذلك وهو في قرية أبي سمغون خرج منها مع بعض تلامذته وأهله،سابع عشر ربيع الأول سالكا طريق الصحراء حتى دخل فاسا سادس ربيع الثاني سنة 1213هـ (1798م) - وبعث رسوله إلى سلطان المغرب أبو الربيع سليمان يعمه بأنه هاجر إليه من جور الترك. ولما اجتمع به وعرف علمه وفضله رحب به ومنحه دارا للسكنى وأصبح السلطان من أصدق أصحابه.

وقد ذكر محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي في رحلته الناصرية أن الشيخ أحمد التجانى قد ورد عليهم في المغرب رافضا سكنى بلده وأنه كان منزعجا من بعض أمراء الترك بالجزائر. وقال الدرعي أنه تذاكر معه في ضرورة التدريس حتى لا ينقرض العلم لكن الشيخ اشترط في ذلك الامتثال وتطهير الباطن مع الظاهر وتحسين النية بالإخلاص. وقد بقي الشيخ ساخطا على طغيان الترك ومظالمهم طيلة حياته، حتى أنه لما قيل له في أحد الأيام إن فلانا من تجار فاس أتى بعسكر معه من بر الترك في الجزائر، وأن الترك فرحوا به لأجل العسكر الذي أتى به قال عنه:

(وقف موقف الغضب، أعوذ بالله) (1).

الباب الثاني

حياة الشيخ أحمد التجاني

العائلية والعلمية والخُلقية

الفصل الأول: عائلته ونشأته

1ـ نسبه:

هو أبو العباس أحمد بن محمد - المكنى بابن عمرو- بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم بن أبي العيد بن سالم بن أحمد - الملقب بالعلواني - بن أحمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد الجبار بن إدريس بن إدريس بن إسحاق بن علي زين العابدين بن أحمد بن محمد - الملقب بالنفس الزكية - بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط - سيد شباب أهل الجنة - بن الإمام علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه - من فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

أما أم الشيخ فهي عائشة بنت أبي عبد الله محمد بن السنوسي التجاني (نسبة إلى قبيلة بني توجين) -المضاوي- (نسبة إلى قرية عين ماضي).

2ـ أجداده:

جده الرابع: محمد بن سالم هو أول من قدم إلى عين ماضي من تافيلالت واستقر بها. وكان معروفا بالعلم والتعبد والصلاح. وتزوج من قبيلة تجان (أو بني توجين)، فكانوا أخوالا للشيخ [1]. فنسب إليهم لأجل مصاهرة أجداده لهم كما نسب إلى جده الخامس سالم اتباعا لعادة الصحراء وتونس وغيرهم من النسبة إلى خامس الأجداد. فهو يدعى(أحمد بن سالم التجاني). أما جده الثالث (أحمد) – وهو الذي سمي باسمه الشيخ - فقد اشتهر بتدريس العلم. وهو الذي التقى به العياشي ووصفه في رحلته المشهورة بالعالم الكبير. وأنجب أحمد ابنه (المختار) الذي كان من أعيان قومه وأغنيائهم. أما والد الشيخ (محمد بن المختار) فقد عرف بالعلم والورع والعبادة وكان مدرسا للحديث والتفسير ومشهورا بالصلابة في الدين حتى لقب بابن عمرو.

---

(1) هذه العبارة، عبارة نسبة الشيخ التجاني إلى أخواله، ينكرها أشد النكير العلامة الكبير الشيخ بالعربي أبو بكر المضاوي الساكن بوهران، ويقول: إن الشيخ سيدي أحمد التجاني -رضي الله عنه - يتصل نسبه بقبيلة بني توجين، إذاً، فكلمة (التجاني) هي نسبة إلى بني توجين الذين هم أجداده. كما ينكر أن يكون جد الشيخ الرابع (سيدي محمد بن سالم) جاء من المغرب، بل يقول:جاء من غرب الجزائر، فالشيخ التجاني جزائري الأصل والنشأة. مع العلم بأن هذا العلامة السيد أبوبكر يتصل نسبه بأجداد الشيخ أحمد التجاني. (تعليق كتبه عام 1408هـ عبد الرحمن طالب مقدم التجانية بوهران وأستاذ بجامعتها).

3- عشيرته الأقربون:

كان الشيخ أوسط الأبناء لأمه وأبيه. وقد أنجب والدا الشيخ أبناء ذكورا وإناثا ماتوا كلهم بلا عقب إلا واحدا منهم اسمه محمد، وأنجب بنتا سماها رقية وابنا سماه محمد، وكناه بابن عمرو. وكان هذا الأخير حافظا القرآن ومشاركا في علوم الشريعة متخصصا في علوم الفرائض والحساب وتوفي بعين ماضي. أما شقيقته رقية - وكانت أكبر سنا من عمها الشيخ أحمد التجاني - فخلفت ولدا اسمه عبد الله، كان من حفظة القرآن وله باع في علم الحساب - مثل خاله محمد - وهو من أصحاب الشيخ الذين أخذوا عنه طريقته وكان قاطنا بعين ماضي.

وقد عرف الشيخ بشدة حبه لعشيرته وأهل بلده وآل البيت خصوصا. فكان يتبادل الزيارة مع بنت أخيه رقية فيكرمها ويواسيها ويرضيها، وإذا خاطب أهل بلده في رسائله لهم يقول: (إلى أعز الناس عندنا). وكان كثير الصلة لرحمه الديني والطيني وكثيرا ما يوصي بذلك ويقول: إن صلة الأرحام تدفع البلاء وتبارك في العمر [1]. وعرف الشيخ أيضا بتعظيمه الكبير لآل البيت ومن انتسب إليهم - مع أنه منهم - فكان يكرمهم غاية الإكرام ويخدمهم بنفسه. ومرة قبل أحد أهل البيت يده على غفلة منه، فأقسم عليه الشيخ: والله حتى تمكنني من يدك وفعل ذلك مرارا بهم [2]. ومع ذلك كان يرشدهم إلى التخلق بأخلاق جدهم - صلى الله وعليه وسلم - ويقول لهم: (أنتم أولى بالإرث من رسول الله صلى الله عليه وسلم). وكان إذا استشاره أحد أصحابه في مصاهرة آل البيت، لا يحثه على ذلك مخافة تقصيره في أمر من الحقوق التي تجب عليهم، أو وقوع فتور في احترامهم ومودتهم لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: 23]. والشيخ في موقفه هذا، مقتد بفعل ذلك الصحابي المذكور في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده والطبراني والحاكم في المستدرك والبيهقي عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه حين خطب ابنته الحسن المثنى على ابنة عمه فاطمة بنت الحسين رضي الله عنهما، فاعتل له بحديث: (فاطمة

---

(1) روى البخاري في صحيحه قوله صلى الله وعليه وسلم: (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه).وروى الترمذي: (إن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأجل) وروى أحمد:(صلة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار) وروى أبو يعلى: (إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بها في العمر ويدفع بها ميتة السوء).

(2) انظر (الإفادة الأحمدية) - الكلمة -2-.

بضعة مني، يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها). وبأن عنده أشبهها وذلك يقبضها ويقبض جدتها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم [1].

4- مولده ونشرته:

ولد الشيخ بعين ماضي سنة 1150هـ(1737م). ونشأ في تلك البيئة الصحراوية في وسط أسرته الشريفة المشبعة بالعلم والتصوف من تلاوة للقرآن واعتناء بالصلوات والاحتفال بالأعياد الدينية والليالي الفاضلة. ولما أدرك التمييز أسلمه والده للمكتب، فحفظ القرآن العظيم برواية نافع حفظا جيدا في سبعة أعوام قبل أن يبلغ الحلم، على الشيخ أبي عبد الله محمد بن حمو التجاني (المتوفى سنة 1162هـ). وشيخه هذا قرأ على الشيخ عيسى أبي عكاز المضاوي التجاني الذي كان مشهورا بالصلاح والفضل.

5- الشيخ والقرآن:

وقد بقي الشيخ طول حياته معتنيا بتلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار ويحث تلاميذه على ذلك حتى قال:(أقل ما يجزئ حافظ القرآن حزبان) [2]. كما كان يلوم من أهمل ذلك، ويوصي بالقيام بآدابه. وقد جرت عادة التجانيين في أكثر الزوايا من كل قطر بقراءة حزب من القرآن بعد صلاة الصبح وحزب ثان بعد العصر وعلى إتمام ختمة كل ليلة جمعة وفي مناسبات الاجتماع الأخرى. وقد قامت زواياهم بنشر تعليم القرآن خصوصا في بلدان إفريقيا حيث لا تجد زاوية إلا وبجوارها معهد للتعليم[3].

وقد سئل الشيخ مرة: ربما يطلع بعض القاصرين ومن لا علم له بسعة الفضل الناتج من الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: إذا كان كما

---

(1) وردت أحاديث محيرة في فضل آل البيت ووجوب مودتهم وألفت في ذلك محب. فقد جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله وعليه وسلم قال: (إني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثا). وروى الترمذي في جامعه وابن حنبل في مسنده قوله صلى الله عليه وسلم: (أهل بيتي أمان لأمتي فإذا ذهبوا أتاهم ما يوعدون).

(2) الإفادة الأحمدية، - الكلمة 10- من فصل حرف الألف.

(3) ذكر الأمين أنياس السنغالي في محاضرته التي ألقاها في ملتقى الفكر الإسلامي الذي انعقد بمعسكر سنة 1408هـ أن جماعات من الأمريكان الذين أسلموا على أيدي الدعاة التجانيين يؤمون زاوية كولخ بالمستعال لحفظ القرآن ودرسه.

ذكرتم، فينبغي الاشتغال بها لأنها أولى من كل ذكر حتى القرآن. فأجاب الشيخ: بل تلاوة القرآن أولى لأنها مطلوبة شرعا لأجل الذي ورد فيه، ولكونه أساس الشريعة وبساط المعاملة الإلهية، ولما ورد في تركه من الوعيد فلهذا لا يحل لقارئة ترك تلاوته. وأما فضل الصلاة التي نحن بصددها [1]، فإنها من باب التخيير لا شيء على من تركها[2]. وقال أيضا [3]:

الكلام على التفضيل بين الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وبين تلاوة القرآن: أما تفضيل القرآن على جميع الكلام من الأذكار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الكلام فأمر أوضح من الشمس كما هو معلوم في استقراءات الشرع وأصوله، شهدت به الآثار الصحيحة، وتفضيله من حيثيتين:الحيثية الأولى كونه كلام الذات المقدسة المتصفة بالعظمة والجلال، فهو في هذه المرتبة لا يوازيه كلام. والحيثية الثانية ما دل عليه من العلوم والمعارف ومحاسن الآداب وطرق الهدى ومكارم الأخلاق والأحكام الإلهية والأوصاف العلية التي لا يتصف بها إلا الربانيون، فهو في هذه المرتبة أيضا لا يوازيه كلام في الدلالة على هذه الأمور. ثم إن هاتين الحيثيتين لا يبلغ فضل القرآن فيهما إلا عارف بالله انكشفت له بحار الحقائق فهو أبدا يسبح في لججها، فصاحب هذه المرتبة هو الذي يكون القرآن في حقه أفضل من جميع الأذكار والكلام لحوزه الفضيلتين. والمرتبة الثانية في القرآن دون هذه وهي: من عرف معاني القرآن ظاهرا وألقى سمعه عند تلاوته كأنه يسمعه من الله يقصه عليه ويتلوه عليه مع وفائه بالحدود فهذا أيضا لاحق في الفضيلة بالمرتبة الأولى إلا أنه دونها. والمرتبة الثالثة في تلاوة القرآن، رجل لا يعلم شيئا من معانيه ليس له إلا سود حروفه ولا يعلم ماذا تدل عليه من العلوم والمعارف فهذا إن كان مهتديا كسائر الأعاجم الذين لا يعلمون معاني العربية، إلا أنه يعتقد أنه كلام الله ويلقي سمعه عند تلاوته معتقدا أن الله يتلو عليه تلاوة لا يعلم معناها فهذا لاحق في الفضل بالمرتبتين إلا أنه منحط عنهما بكثير بشرط أن يكون مهتديا موفيا بالحدود والواجبات غير مخل بشيء منها. والمرتبة الرابعة رجل يتلو القرآن سواء علم معانيه أو لم يعلم إلا أنه

(1) يعني صلاة الفاتح لما أغلق. انظر نصها في الفصل الثالث من الباب الرابع.

(2) من كتاب (جواهر المعاني) لعلي حرازم - الطبعة الثانية بمطبعة السعادة بمصر سنة 1329هـ ص: 141.ج: 1.

(3) (جواهر المعاني) جزء: أول: ص: 176-177-178. وحذفنا جملا مكررة لنفس المعني طلبا للاختصار.

متجرئ على معصية الله غير متوقف عن شئ منها فهذا لا يكون القرآن في حقه أفضل بل كلما ازداد تلاوة ازداد ذنبا وتعاظم عليه الهلاك ، يشهد له قوله سبحانه: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ ﴾ [الجاثية: 7] إلى قوله: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الجاثية: 10]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: 57]. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾ [المائدة: 68] الآية. وكل من يحفظ القرآن ولم يقم حدوده فقد اتخذه هزؤا. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ﴾ [البقرة: 231]. وقوله صلى الله عليه وسلم: (ما بال أقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويقولون بالقرآن ما وافق أهواءهم، وما خالف أهواءهم تركوه، فعند ذلك يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض) الحديث. وأراد صلى الله عليه وسلم أنه يصدق عليهم الوعيد الذي في الآية: قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة: 85]. وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ [طه: 124] إلى قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: 126]. فمن ترك العمل بالقرآن فقد نسيه ، والوعيد ثابت عليه. فمثل هذا لا يكون القرآن في حقه أفضل من الصلاة على النبي صلى الله وعليه وسلم.

فأصحاب المراتب الثلاثة الأول القرآن في حقهم أفضل من الصلاة على النبي صلى الله وعليه وسلم وصاحب المرتبة الرابعة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في حقه أفضل من القرآن لكونه أن الله يصلي عليه بكل صلاة عشرا عشرا [1].

فإن قلت: الثواب المرتب على تلاوة القرآن إنما هو للقرآن فقط دون التالي

(1) روى مسلم وأبو داود و النسائي وابن حبان قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا) وثمرة صلاة الله على عباده هي ما بينها قوله تعالى في سورة الأحزاب: (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور). وقد لفت لحب عديدة في فضائل وأسرار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. راجع مثلا كتاب (سعادة الدارين فى الصلاة على سيد الكونين) ليوسف النبهاني.

وذلك حاصل في تلاوته حتى من الفاسق. قلنا: الجواب في هذا الأمر محتمل أنه يكتب له من تلاوة القرآن، لكن يظهر إبطاله من جهة أخرى وهو عدم عمله بالقرآن فإن تلاوة القرآن مع عدم العمل هو المثل الذي ضربه الله تعالى لأهل التوراة فقال: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ [الجمعة: 5]. ومعلوم أن الحمار لا نفع له في حمل الأسفار على ظهره. وقوله: ﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ أي: لم يعملوا بما فيها. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [البقرة: 121]. وحق تلاوته هو العمل بما فيه ومن أعرض عنه بعدم العمل فما تلاه حق تلاوته....

فالقرآن هو أفضل الذكر. لكن السلوك به على شرط أن يقدر التالي نفسه في نفسه أنه يشهد نفسه في وقت التلاوة أن الرب سبحانه وتعالى هو الذي يتلوه عليه وهو يسمع، فإن دام له هذا الحال واتصف به فهو باب الوصول إلى الله تعالى والسلام.

فكلام الشيخ صريح في الحث على القرآن تلاوة وعملا وليس فيه تفضيل للصلاة على النبي صلى الله وعليه وسلم على القرآن مطلقا كما يدعي البعض. وقد سئل الشيخ عن قول أهل السنة أن القرآن دال على كلام الله تعالى،ما المراد به؟فأجاب: إن وجه التحقيق في ذلك أن كلام العبد بالقرآن دال على مدلولات الكلام الأزلي، ثم أطال في تفصيل هذا المعنى [1].

وقد فهم بعض الناس كلامه في هذا الموضوع ميلا لرأي المعتزلة حول مسألة: هل القرآن محدث أم قديم؟، حتى ألف في ذلك الميلي المصري رسالة سماها: (الصوارم والأسنة) ردا على رأي الشيخ. ولما وردت هذه الرسالة إلى تونس سنة 1220هـ انتصر مفتيها الأكبر الشيخ إبراهيم الرياحي [2] لأستاذه الشيخ أحمد التجاني وكتب رسالة سماها:مبرد الصوارم والأسنة في الرد على من أخرج الشيخ التجاني عن دائرة أهل السنة [3] أفاض فيها وأبدع حتى قرضها الشيخ محمد بيرم الثالث التونسي بقصيدة. ولما بلغ الشيخ أحمد التجاني - وهو بفاس - خبر هذا التأليف كتب إلى

(1) (جواهر المعاني) - الجزء الأول -ص: 175.

(2) انظر ترجمته في باب (أصحاب الشيخ) من هذا الكتاب وهو الباب الخامس.

(3) نص هذه الرسالة موجود في الكتاب (تعطير النواحي بترجمة الشيخسيدي إبراهيم الرياحي) لمؤلفه عمر الرياحي وأول طبعة صدرت لهذا الكتاب سنة 1320هـ بتونس.

تلاميذه بتونس الرسالة التي هذا نصها [1]:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. بعد حمد الله جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه، يصل الكتاب إلى أحبابنا وأعز الناس لدينا سيدي محمد بن المشري [2]، وسيدي محمود التونسي [3] وسيدي إبراهيم الرياحي التونسي. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ونعامه وبراره. من المسلم عليكم أحمد بن محمد التجاني. وبعد، نسأل الله تعالى أن يقبل عليكم بفضله ورضاه. وأن يجعلكم في ديوان الصديقين وأن يحرسكم بعين رعايته وأن يحفظكم من جميع المخاوف والمكاره وأن يغمركم في رضاه إلى الاستقرار في عليين آمين. يليه أن الكتاب الذي جمعه سيدي إبراهيم الرياحي في الرد على من طعن فينا، ونسبنا إلى الاعتزال والنكير علينا، فلا تلتفتوا لكلامه ولا تبالوا به ولا تهتموا من شأنه. إنما هو رجل أعماه الحسد واستولى الران على قلبه وليس هو من فرسان هذا الميدان حتى تلتفتوا إليه، إنما هو كما قيل:(ليس بعشك فادرجي) ولنا في الرسل عليهم الصلاة والسلام أسوة. نسبوا إلى الشعر والجنون وإلى الكهانة وإلى السحر، وما التفتوا إليه وما أهمهم أمر من نسبهم إلى ذلك. حاصل الكلام مطلقا: الحادث والقديم إنما هو أسماء ومسميات. الأسماء هي صورة كلام المتكلم والمسميات هي مدلولات الكلام الذي يدل عليها كلام المتكلم. فكلام الحق سبحانه وتعالى وصف قائم بذاته لا ينفك عنها وهو عين تلك الأسماء المعبر عنها عين المسميات. فالأسماء كلها قديمة أزلية لأنها عين الكلام الأزلي، فلا يصح الحدث فيها بوجه ولا بحال وهي في هذه المرتبة يستوي فيها القديم والحادث. والمسميات التي دخلت تلك الأسماء بعضها قديم وبعضها حادث. فالمسميات التي هي المدلولات لا يصح فيها أن تنتقل لفهم المتكلم الحادث مثلا... ولكن أعرضوا عن كلام هذا الجاهل ولا تلتفتوا إليه وأنسوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

(1) نص هذه الرسالة موجود في الكتاب (تعطير النواحي بترجمة الشيخسيدي إبراهيم الرياحي) لمؤلفه عمر الرياحي وأول طبعة صدرت لهذا الكتاب سنة 1320هـ بتونس.

(2) انظر ترجمته في الفصل الأول من الباب الرابع.

(3) انظر ترجمته في الفصل الثالث من الباب الرابع.

حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الحج: 52 - 59]- ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الأنعام: 112 - 113]. ولكن الأمر هين، اتركوه في عماه يقول كيف شاء والسلام عليكم وصلى الله على سيدنا محمد وآله. انتهى الجواب.

الفصل الثاني: طلبه العلوم بعد زواجه وتفقهه

لما بلغ الحلم زوجه والده فتاة شريفة النسب اعتناء بشأنه وحفظا له وصونا ومراعاة للسنة من المبادرة في ذلك. ومكث متزوجا مدة سنة في حجر والده. وفي هذه الفترة، قرأ على الفقيه المبروك بن أبي عافية المضاوي التجاني مختصر خليل والرسالة ومقدمة ابن رشد والأخضري. ومكث يتردد على شيخه هذا إلى أن توفي عام 1166هـ. وهو نفس العام الذي توفي فيه والدا الشيخ. فقد ماتت أمه مع أبيه في نفس اليوم بسبب الطاعون، وقبرا بعين ماضي، وكان عمر الشيخ حينذاك 16 سنة. وما من شك أنه تأثر بهذه الحادثة في أعماق نفسه وجعلته يذوق مرارة الدنيا الفانية، وما يلزمها من الصبر والتسليم والرضا بأحكام الله تعالى.

وإثر وفاة والده طلق زوجته ليتفرغ إلى طلب العلم. واشتغل بتحصيل فنون العلم الأصلية والفرعية الشرعية اللغوية والأدبية حتى رأس فيها ثم تعمق في تلك الدراسات إلى أن أصبح أهلا للتدريس والفتيا[1]. وكان يقول: (ما أحوج الناس في هذا الزمان إلى عالم أو علماء ينقحون لهم كتب الفقه من الحشو الذي فيها)[2]. وكانت ترد على الشيخ أسئلة الاستفتاء من غرب الجزائر ومن المغرب الأقصى ومن الصحراء[3]. وقد جمع تلميذه علي حرازم بعضا من فتاويه الفقهية ومسائله العلمية في الفصل الخامس من الجزء الثاني من كتابه (جواهر المعاني). والشيخ كان مالكي المذهب نحل أهل شمال إفريقيا، لكن له اجتهادات وترجيحات لبعض الأقوال في إطار المذهب. فمن آرائه أن الإتيان بالبسملة قبل فاتحة الكتاب في الصلاة أولى من تركها كما ذهب إليه بعض أئمة المالكية المتأخرين خصوصا وأن الإمام الشافعي قد أوجبها، مع أن المشهور في مذهب مالك كراهة الإتيان بها.

ويرى أيضا أن من واجب الأم إرضاعها لولدها تجبر على ذلك إن كان الصبي

---

(1) ولذلك ترجم له الأستاذ محمد بن محمد مخلوف في كتابه (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية) الذي طبعه محب الدين الخطيب سنة 1329هـ. بالقاهرة ص 378من الجزء الأول تحت رقم 1513طبقات فاس وقال عنه: (... اشتغل بطلب العلوم الأصولية والفروعية حتى رأس فيها وحصل أسرار معانيها... فكان يدرس ويفتي، له أجوبة في العلم أبدي فيها وأعاد وحرر المعقول والمنقول فأفاد).

(2) الإفادة الأحمدية. فصل حرف الميم - الكلمة 186- ص: 123.

(3) رأيت في زاوية تغزوت بعض الرسائل التي أجاب بها الشيخ على أسئلة بعثت إليه من سوف.

لا يقبل غير أمه وفي ذلك يقول: قال العبد الفقير إلى الله أحمد بن التجاني: كنت كتبت في جواب وجوب الرضاع على كل والدة إذا كانت في عصمة أبي الولد ونفقته جارية عليها. تذكرت قولة محشوة في لحب الفقهاء يعول عليها من لا علم له لكونهم يعتقدون أن كل ما سطر في الكتاب صحيح معمول به فيضلوا بمخالفة أمر الله. وتلك المقولة هي أن بعض من ينتسب إلى الفقه قال: إن المرأة الشريفة لا يجب عليها رضاعة ولدها، وبعضهم يقول: إنها إن كانت عادة البلد أن نساء الأشراف بها لا يرضعن أولادهن فلا رضاعة على الأم الشريفة. قلنا: إن هذا محض الكذب والافتراء على الله بما لم يشرعه في كتابه ولا في دينه بما سنبينه الآن إن شاء الله. ثم أورد حججه الشرعية والنظرية في ذلك [1].

ومن ترجيحاته الفقهية في صلاة الجنازة أن يبتدئ المصلي بالبسملة والفاتحة ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء للميت [2].

ومن آرائه أيضا أن التدخين بالتبغ حرام لأنه من المفترات ويشدد فيه غاية للحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود عن أم سلمى رضي الله عنها قالت: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر) فقرن صلى الله عليه وسلم بين المسكر الذي هو حرام إجماعا والمفتر. والعبرة في الافتار، لمن كان سليم الفطرة. فإن من تعود السكر حتى صار لا تسكره الخمر فهي حرام عليه لأن من شأنها الإسكار وان لم تسكر من أدمن شربها. فكذلك الدخان يحدث الفتور لمن يتعاطاه، وقد أجمع أطباء العالم على ضرره وتسببه في أمراض خبيثة كالسرطان مع ما فيه من تبذير للمال وإسراف قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الإسراء: 27]. وقال: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ [الأعراف: 31] [3].

وذكر الشيخ سكيرج في كتابه (كشف الحجاب) [4] أن بعض عبيد الشيخ حدث له مرض شديد، ولما احتضر صار يتكلم بكلام متهور ولسانه لا يطاوعه على النطق

---

(1) جواهر المعاني الجزء الثاني الفصل الخامس ص: 204-205-206-207

(2) ألف الشيخ سكيرج في هذا الموضوع كتابا عنوانه: (اختيارات الشيخ سيدي أحمد التجاني في الخلافات الفقهية).

(3) الإفادة الأحمدية - الكلمة 61 من فصل حرف التاء ص: 84-85 مع تعليق محمد الحافظ المصري.

(4) انظر الكلام على مؤلف هذا الكتاب في الباب الرابع، الفصل الأول.

بالشهادة إذا لقنوها له. فصار الإخوان يسألون الله اللطف مما رأوا منه وقال بعضهم لبعض: كيف يقع هذا بخديم سيدنا، وسيدنا في قيد الحياة؟ ثم إنهم اجتمعوا بالشيخ، وأخبروه بالقضية فقال لهم: سلوا زوجته عما كان يفعل. فقالت: إنه كان كذا وكذا، ووصفته بأوصاف حسنة من الديانة والحزم الشديد في طاعة ربه، غير أنه كان يستعمل تابغة (أي الدخان أو التنباك سواء كان شما أو شربا أو مضغا) فقال لهم الشيخ: من استعمل هذه العشبة أصيب، فاذهبوا إليه وقولوا له يتوب إلى الله. فلما ذهبوا إليه، وقالوا له ذلك تاب إلى الله تعالى. فبمجرد توبته نطق بالشهادة وخرجت روحه رحمه الله. ويعلق الشيخ محمد الحافظ التجاني على هذه الحكاية بعد أن ذكرها في بداية تعليقاته على كتاب (الإفادة الأحمدية) قائلا: (فما دامت العواقب مجهولة، فلا يصح الاتكال على بشارات العارفين ولا عمل ولا حال ولا مقام ولا نسبة).

وكان الشيخ شديد الإنكار على الأقاويل المزورة التي دست في بعض كتب الفقه ويقول: إنها كثيرة: منها قتل الثلث لإصلاح الثلثين جوازا، ومنها إباحة وطء الزوج في دبر زوجته، ومنها نكاح المتعة، ومنها الزيادة في جمع النسوة على أربع، ومنها تحليل شحم الخنزير مع تحريم لحمه، ومنها إباحة النبيذ المسكر، ومنها شفعة الجار، ومنها مسألة العروس في أيام أسبوعها الأول إذا كان العطر في رأسها كثيرا جدا أنها لا تغتسل وتمسح على رأسها فقط في الغسل من الجنابة دون الغسل لرأسها خوفا من فساد العطر لكونه إضاعة مال لا يحل.

وكل هذه المسائل وأشباهها ظاهرة البطلان وأن إتباع أقاويل من نص عليها ضلال لا جزاء لصاحبه إلا النار. ولولا خوف الإطالة المخلة لسردنا كثيرا من المسائل المحشوة في - الفقه الظاهرة البطلان لمن له بصيرة بمعاني الكتاب والسنة. قال صلى الله عليه وسلم: (يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الضالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين) ولنا قاعدة واحدة، عنها تنبع جميع الأصول أنه لا حكم إلا لله ورسوله ولا عبرة في الحكم إلا بقول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن أقاويل العلماء كلها باطلة إلا ما كان مستندا لقول رسوله صلى الله عليه وسلم وكل قولة لعالم جاءت مخالفة لصريح القرآن المحكم ولصريح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرام الفتوى بها وإن دخلت في كتب الفقه لأن الفتوى بالقول المخالف لنص القرآن أو الحديث كفر صريح مع العلم به. قال عز وجل: ﴿ وَمَن لَّمْ

تحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ [المائدة: 44]. وقال صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد). و قال صلى الله عليه وسلم: (خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار) الحديث. ومن أعرض عن قول الله عز وجل في الحكم فقد حكم بحكم الجاهلية. قال الله تعالى: ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ [المائدة: 50] الآية انتهى [1]. وعلى حسب القاعدة التي ذكرها الشيخ في هذا الحديث، جرت كل أعماله وأحواله ومعاملاته وأقواله طيلة حياته. فكان شديد الحذر من كل شبهة، بالغ الورع. وقد سئل مرة: أيكذب عليك؟ قال: نعم. إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع فإن وافق فاعملوا به، وان خالف فاتركوه. [2] وبعض مواقفة الملتقطة عبر حياته دالة على هذا، فلنذكر لمحات منها [3].

سمع يوما جماعة يلحنون في بعض الذكر حال الهيللة. فرفع صوته قائلا: (أي شيء هذا؟ أي شيء هذا؟ لا إله إلا الله لا إله إلا الله) ذكره تنبيها وتعليما لهم. وأكد ذلك موات أخرى.

وأتى بعض أصحابه بحصى وزيت من أحباس (أي أوقاف) مسجد القرويين ليلة السابع والعشرين من رمضان لزاوية الشيخ على عادة أهل المساجد والزوايا في تلك الليلة، فأمر برد ذلك وقال لأصحابه: (أحباس القرويين حرام، لإضافة أحباس غيرها إليها. أعطوا درهما للواحد [4] واشتروا ما تجلسون عليه) وكان الشيخ يحتفل بليلة السابع والعشرين من رمضان بزاوية فاس واستمر العمل بذلك في أكثر الزوايا التجانية إلى الآن.

وهدي له مرة واحد من الإوز فقال: انظروا لها ذكرا، أو انظروا له أنثى فإنه يتضرر وحده بغير زواج.

وسئل عن بعض أصحابه بعد وفاته: (أترى هل هو في الجنة؟) فقال: إن كان يذكر آية الكرسى دبر كل صلاة، قصد حث السائل عليها كما رواه النسائي وابن حبان

(1) جواهر المعاني – الجزء الثاني، ص: (20

(2) الإفادة الأحمدية – فصل الألف – الكلمة الأولى – وراجع التعليق الجيد الذي كبه الشيخ محمد الحافظ التجاني على هذا القول.

(3) مذكورة في الإفادة الأحمدية.

(4) أي: كل واحد منكم يعطي درهما.

وغيرهما عن علي وأبي أمامة رضي الله عنهما: (من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت). ويعلق على هذه القصة الشيخ محمد الحافظ التجاني فيقول: (وهذا يعين أن كل ما ورد عنه من فضل أصحابه إنما يراد به من كان دائم البعد عن المعاصي دائم التمسك بما يرضى الله من سائر الأوامر الشرعية، لا يأمن مكر الله مهما تجلى له من مقام أو حال أو علم أو عمل)

وسئل يوما عن أقل ما يحصل به الإجزاء في الركوع والسجود ويسمى طمأنينة فقال: (أقل ما يجزئ في الركوع والسجود مقدار ثلاث تسبيحات متراخيات أو ست متسارعات) وقال مرة: (من لم يحصل ذلك مع الإمام لا يعتد بتلك الركعة)، إجابة لمن سأله: ومن حصل اثنتين مع الإمام؟ وقول الشيخ هذا موافق لقول بعض الفقهاء القائلين بأن مقدار الطمأنينة في الركوع والسجود قدر ثلاث تسبيحات كما نقله الحافظ ابن حجر في الجزء الأول من الفتح لما روى عنه صلى الله عليه وسلم في السنن: إذا ركع أحدهم فليقل ثلاث مرات: سبحان ربي العظيم، وذلك أدناه. وفي رواية الدار قطني والطبراني (سبحان ربي العظيم وبحمده، سبحان ربي الأعلى وبحمده) وهو حديث مرسل. ولم يؤثر عن النبي صلى الله عليه ولا عن أصحابه أنه نقص عن ثلاث تسبيحات في الركوع أو السجود.

وأهدي له مكحلة مفضضة وجبدور بالذهب. فدفعهما لفقيه من أصحابه وقال له: بعهما. فلما باعهما سأله عن الجبدور: من اشتراه؟ فأخبره أن المشتري رجل مسلم، فكره ذلك وأمر بثمنها أن يصرف في مطهرة الزاوية، فصرف فيها.

ومن آراء الشيخ الفقهية أنه يرى كراهة وقبح أخذ الأجرة على الصلاة وغيرها من أعمال البر، مثل الأذان والشهادة وتدريس العلم والفتوى لمن هو غير محتاج إليها. والأصل أن يصلي لله سواء جاءه أجر أو لم يجئه، ومثل هذا إن جاءه مال عده من الله ابتداء، كما كان يفعل السلف الصالح.

وكان يقول: (لا أحب حضور عقد النكاح لما يدخلون فيه من العوائد المنافية للشرع).

وأخبر يوما أن قوما من الأعراب أغاروا على إبل له نحو من ستمائة بعير فقال: (الحمد لله إذ لم يؤخروا لنا ظهرا ولا عصرا).

وجاءته مرة امرأة فقبلت الأرض بين يديه فزجرها قائلا: (كفرت، قولي: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله) ونفس الكلام قاله لرجل فعل فعلتها معه وأمره بتجديد

عقد النكاح لأن نكاحه فسخ بذلك الفعل، والشيخ كان يرى أن الردة فسخ ولا تحسب طلاقا، فإذا تكررت وتاب منها تعود له زوجته بغير أن يحسب ذلك من الطلاق.

وذكر له مرة طائفة بدعية يدعون التصوف بالكذب فقال فيهم: (كتب الله عليهم الزلط [1] في الدنيا والنار في الآخرة) ثم قال: (إن الإمام الشاطبي. أشار لهم في وقته، وعين بلادهم ودعواهم وقال فيهم: يزعمون أنهم الطائفة العلية وهم الطائفة الردية).

وسئل يوما عن لعب الشطرنج فقال: (كل ما يشغل عن الله من هذه اللعب فهو حرام).

ومن أقواله الفقهية: لا تصح سنية إزالة النجاسة مع الذكر والقدرة بل هي واجبة والأصل في وجوبها قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ ﴾ [المدثر: 4].

وسئل يوما عن إعطاء الزكاة لأهل البيت النبوي الشريف فقال: (لا تحل لهم، ولا تجزئ معطيها لهم، لأن العلة في تحريمها عليهم كونها أوساخ الناس [2] وهي باقية فيها والعلة تدور مع المعلول كما هي القاعدة الأصولية وما ذكر من أن محلها بيت المال حيث لم يتوصلوا بحقهم منه، رخص لهم في أخذها، لا يصح لأجل ما ذكرنا. ثم قال: وقفت على حديث عنه صلى الله عليه وسلم: أن أهل البيت يجوز إعطاء زكاة بعضهم بعضا غير أن الكتاب الذي فيه هذا الحديث مبتور من أوله ولم أعرف مؤلفه، وكان بعض أسلافنا يأخذ الزكاة من أغنياء أقاربه – وهم من أهل البيت – ويصرفها على فقرائهم،لعله عمل بهذا الحديث). وهذه المسألة التي تكلم فيها الشيخ مختلف فيها بين الأئمة.

ومن تشدده في أمور العقيدة. أنه كان يقول: من ألقى أسماءه تعالى أو كلامه في نجاسة، يكفر. ومن يدفن مع الميت اسما من أسمائه تعالى أو قرآنا، يكفر، لأن الميت لا محالة يرجع دما وصديدا وخرج هذا القول من الشيخ مخرج الزجر والإنذار.
وسئل مرة عمن كان يخالط الربا والبيوع الفاسدة، وأراد أن يطهر ما بيده من المال فقال: (يخرج ثلثه يتصدق به)، والظاهر من فتواه هذه أنه علم أن هذا المقدار هو ما خالط ماله من الربا أو قاربه، لأن الإنسان في هذه الحال يخرج ما غلب على ظنه أنه من الربا.

(1) أي الفقر.
(2) قال تعالى: ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: 33].

وفي شأن زكاته يحكى عنه تلميذه الطيب السفياني في كتابة الإفادة الأحمدية:

كان رضي الله عنه إذا وصل نصف جمادى الآخرة، يطلع له الميزان، ويوم الأول من رجب بعد صلاة الصبح، يدفع زكاته لوكيله دفعة واحدة في داخل داره، ولا يشعر بها أحد. ويفرقها الوكيل لمن يستحقها بالخمسين وأكثر وأقل، ولا يخرجها إلا من الريال إخراج الفلوس مجزيا لأنها عروض، ويجوز بيعها بالأجل لأنها غير نقود. وكان رضي الله عنه لا يخرج الزكاة بالحساب، إنما يخرجها بالميزان تحريا من زيادة الدراهم ونقصها، وأجاز لنا رضي الله عنه بيع الفضة نسيئة على شرط البيع بالفلوس.

ومن تورعه في الطهارة واحترام المساجد أنه قيل له: إن النساء يبتن في القرويين ليلة السابع والعشرين من رمضان ويزغردن عند ختم القرآن فسأل: كم يبتن؟ فقيل: ثلاثمائة أو أقل. فقال أكلهن يكن طاهرات وليس فيهن مرضعات؟ فقيل له: إنهن يأتين معهن بما يستعملن فيه غائط الصبيان. فقال:(هذا مسجد مهان علينا هجره) وقطع الصلاة فيه مع أصحابه نحوا من أربعة أشهر. ثم وفق قائد البلد وأمر بتجصيصه وتجديد فراشه، فلما سمع الشيخ بذلك، جعل ينزل يصلي فيه الجمعة على عادته.

الشيخ وعلم العقائد

بعد أن رسخ الشيخ في الفقه وما يتعلق به، اهتم بعلم الكلام حتى أصبح من الفحول في علم العقائد. وصفه تلميذه محمد بن محمد بلمشري في كتابه (الجامع لدرر العلوم) بقوله: وكانت له قوة على التصحيح والتعليل والإبطال لم تكن في غيره، إلا أنه كان في أول عمره على طريق المتكلمين في الوقوف مع الأدلة العقلية. ثم بعد رجوعه من حجته المبرورة رجع إلى أدلة النقل ولم يعول على أدلة العقل إلا ما وافق النقل منها. وأبطل قولهم بأن العقلي قطعي والنقلي إقناعي. وقال: إن هذه قولة شنيعة لم يرضها موفق، ولو كانت كما قالوا لبطلت حجة الله على من لم يقدر على إقامة الدليل العقلي، ولم يقل بهذا مؤمن عاقل لأن حجة الله على خلقه هو خبره الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، لا غيره. قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [الزُّمَر: 71] ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية: 6] إلى غير ذلك من الآيات والأخبار... انتهى.

وبالرجوع إلى كلام الشيخ في مسائل العقائد يظهر أنه كان أشعريا سنيا سلفيا كغالب المسلمين من سكان إفريقيا، ويغلب عليه في بعض العقائد الفرعية الأخذ

بمفاهيم الصوفية من أهل السنة. فلنذكر نماذج من آرائه في هذا الموضوع. سئل عن قوله تعالى:(ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) هل هذا القرب أو المعية الإلهية الواردة بعض الآيات هما بالعلم أم الذات؟ فأجاب بما معناه [1]: إن الحق تعالى مع كل شيء بذاته وأقرب إلى كل شيء بذاته على الوصف اللائق بجلال الذات العلية، ومن وجه لا يدركه العقل، لأن المعية والقرب صفتان تابعتان لماهية الذات، وكما لا تعقل الذات كذلك لا سبيل للعقل لإدراك حقيقة معية الحق وقربه، لأن الفكر لا يخرج عن قيود الأجسام ولوازمها، والذات العلية من وراء طور العقل والحس والفكر، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: (تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فإنكم لا تقدرون قدره). وقد وردت آيات في معية الاختصاص أو العصمة أو العناية والنصر كقوله تعالى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: 46] ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: 40] ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ [الشعراء: 62] ﴿ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ ﴾ [محمد: 35] ﴿ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: 153] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [النحل: 128].

وسئل عن العبارات الواردة في الآيات والأحاديث التي تنسب الضحك والتعجب والنظر الخاص والإصبع والنزول وغيرها إلى الحق تعالى. فأجاب بما معناه أن الناس افترقوا فيها على فرق: فطائفة خاضوها بالتأويل بعد صرف ظواهرها عن الله تعالى، وطائفة تكلموا في حقائقها بإشارة دون تصريح. ثم أعطى لذلك أمثلة فقال في شأن الضحك [2]: إن لله صفة من صفات كمالاته الذاتية كالمجد والكرم والعفو وكذا الضحك. ثم إنه ضرب الحجب دون صفة الضحك سبحانه فلا يظهرها لخلقه فمن رضي عنه سبحانه وتعالى رفع له الحجب عن تلك الصفة الكاملة وأظهرها له. فبنفس ما يراها الناظر يمتلئ فرحا وسرورا ويذهب عنه الخوف والوجل، فهذا هو اللائق بصفة الضحك منه سبحانه لا الصفة المعهودة في حق البشر. ولهذا قال في الخبر في جنة

---

(1) اختصرت كلام الشيخ اختصارا كبيرا من عدة مقتطفات من جواهر المعاني.

(2) وردت عدة أحاديث صحيحة فيها نسبة الضحك إلى الحق جل جلاله. منها ما رواه البخاري في صحيحه في شأن آخر أهل النار دخولا الجنة، وهو حديث طويل جاء فيه: (... فيقول: يا رب لا تجعلني أشق خلقك، فيضحك الله عز وجل منه، ثم يأذن له في دخول الجنة... الخ...)، وعقيدة السلف وأهل السنة في صفات التشبيه المنسوبة للحق تعالى هي الإيمان بها على مراد الله فيها بلا تأويل ولا تكييف لقوله عز وجل: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11].

التجلي حيث تجلي لأوليائه قال: (يتجلى فيها ضاحكا) ليؤنس أولياءه ويفرحهم ويذهب عنهم جميع الروع من سطوة العظمة والكبرياء.

وأما العجب في حقه تعالى كقوله صلى الله عليه وسلم: (عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل). وإنما يتعجب من الشيء لغرابته وخفاء أسبابه. والحق سبحانه لا غرابة عنده في فعله ولا عجب عنده إذ لا تخفى عليه أسباب الأشياء والقضاء والقدر بيده تعالى، فكيف يتعجب من شيء هو خلقه وهو محيط به علما. وبيان الحديث - والله أعلم - أن قوما يساقون للجنة بالسلاسل يعني أنهم فارون منها وهم يقادون إليها قهرا- فهذا غاية العجب. والمراد أصحاب المصائب في الدنيا لأن البلايا تمحق ذنوب العبد حتى يدخل للجنة بلا تعويق. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [الزُّمَر: 10]...

أما الأصبع الوارد في الحديث: (ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء) فالإصبع في اللغة جزء من أجزاء اليد. نؤمن بأن لله أصابع، لكن نقول: إن الأصابع هي متعلقات المشيئة التي هي بمنزلة اليد،وكذلك القدرة، ومتعلقاتها بمنزلة الأصابع. والتثنية في قوله: (بين إصبعين) معناه أن كل قلب هو مقام بين أمرين إلهيين، أمر من متعلقات المشيئة وأمر من متعلقات القدوة. أما النزول الوارد في حديث: (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا) الخ الحديث، فاعلم أن للحق تعالى في مرتبة ذاته نسبتين: نسبة الكنه وهي بعيدة عن التغير بالزمان والمكان والنسب والحوادث. والنسبة الثانية نسبة التنزل إما بالنيابة وإما بالرحمة وإما بالغضب وإما بالاشتراك. فقوله: (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا) أي تنزل الرحمة والفضل كما يقول في آخر الحديث: (هل من داع يدعوني فأستجيب له) الخ الحديث. وأطال الشيخ في تفاصيل هذا الموضوع بكلام جيد يدل على رسوخه في علوم العقيدة واللغة واطلاعه الواسع على آراء مختلف علماء المذاهب.

ومن كلام الشيخ في إيضاح معنى وحدة الوجود على مذهب الصوفية قال: إن بيانها من وجهين: الوجه الأول إن العالم الكبير كذات الإنسان في التمثيل، فإنك إذا نظرت إليها وجدتها متحدة مع اختلاف ما تركبت منه في الصورة والخاصية من اختلاف الجوارح وطبائعها.فإن كانت الخواص متباعدة فالأصل الجامع لها ذات واحدة. الوجه الثاني: اتحاد العالم في كونه مخلوقا كله للخالق الواحد وأثرا لأسمائه

فلا يخرج فرد من أفراد العالم عن هذا الحكم، فالأصل واحد إنما اختلفت نسبه بحسب ما فصلته مشيئة الحق فيه من بين شريف ووضيع. ثم إن العالم كله متحد الوجود من حيث فيضان الوجود عليه من حضرة الحق فيضا متحدا ثم تختلف خواصه وأجزاؤه في حال التفصيل.

ونشير إلى أن الشيخ كان كثيرا ما ينبه تلاميذه عند ذكره لمقامات السلوك الصوفي إلى لزوم شهود الفرق الثاني أو الصحو والبقاء. أي شهود العبودية والخلق وتمييز الوجود الحادث عن الوجود القديم الباقي الذي اختص الحق به، ولذلك لا نجد في طوائف أتباعه من صدرت منه شطحات في هذا الموضوع الشائك الخطير. وموقف الشيخ مثل موقف الإمام الجنيد رحمه الله حيث يقول: (التوحيد تمييز الحدوث عن القدم). فهو عند تفصيله لمراتب السلوك يقول إن أعلاها هي: مرتبة الحياة وهو مقام الصحو وهو معرفه المراتب من الأحكام واللوازم والمقتضيات، فيقيم حقوق الله في جميعها من الأمور التكليفية التي هي القيام فيها لله تعالى عبادة في مقام الإسلام، وعبودية في مقام الإيمان، وعبودة في مقام الإحسان [1].

(1) انظر معنى (العبودية والعبودة) عند الصوفية في محاب (الفتوحات المكية) لابن العربي الجزء الثاني البابان 130-131. وأحيانا يعنون بـ (العبودة): كمال العبودية. أو: الحرية في العبودية. يقول عمر بن الفارض:

(كل مقام عن سلوك قطعته ... عبردية حققتها بعبودة)

الفصل الثالث: أخلاقه

وصفه تلميذه علي حرازم بقوله: بهي المنظر، منور الشبيه، عظيم الهيبة، أبيض مشرب بحمرة معتدل القامة، ذو صوت جهوري، حلو المنطق، فصيح اللسان، يعبر عن مراده في غاية البيان، وهو من حفاظ أهل زمانه... وأما لباسه فيلبس المتوسط من الثياب مما يقيه الحر والبرد كما يلبس عامة الناس ولا يحب الامتياز بثوب حسن ولا قبيح..

ومن الأخلاق التي عرف بها الشيخ منذ صباه: شدة الحزم فيما يتعاطاه من أموره حتى قال عن نفسه: من طبعي أني إذا ابتدأت شيئا ألا أرجع عنه، وما شرعت في أمرقط إلا أتممته. وبهذا الحزم، كان يوصي أصحابه فيقول: همة الإنسان قاهرة لجميع الأكوان متى تعلقت بمطلوب وسعت فيه على الجادة المستقيمة بحيث أن لا ينالها في طلبها سآمة ولا رجوع عن المطلوب ولا تصعب عليه صعوبة مطلبه ولا ينالها شك ولا تردد، بل اعتقاد جازم أن تناله أو تموت في طلبه، اتصلت بمطلوبها ولو كان وراء العرش.

وقد وجه الشيخ همته هذه إلى مجاهدة نفسه في شبيبته من صيام وقيام وعبادات وعلم، ثم إلى أمر بالمعروف ونهي عن المنكر خلال كهولته، مما تسبب له في عداوة الحكام الأتراك حتى أرغم على الهجرة من بلده. وفي الأربعين سنة الأخيرة من عمره، تجرد إلى دعوة الخلق إلى الله تعالى.

ففي ابتداء أمره كان مثلا يصوم ويسرد الصيام الأيام المتطاولة. وبقي مواظبا على قيام الليل طول حياته ولم تكن له راحة إلا فيه لأنه يتحقق أن عمره رأس ماله وعليه تجارته وبه يصل إلى نعيم الأبد، ويرى أن أنفاسه جواهر لا يسمح بها أن تمضي في غير ما خلقت له - على حد تعبير علي حرازم - وكان يحث أصحابه على قيام الليل ويقول: إن قيام ركعتين قبل طلوع الفجر أولى من الإتيان بورد الذكر إثر صلاة الصبح لأنه يمكن تأخير الورد إلى الضحى ولا يمكن تعويض فضل القيام في الثلث الأخير من الليل الذي فيه تتنزل الرحمات وعواطف النفحات، وإن من أيقظه الله فيه فقد استدعاه إلى رحمته.

وكثيرا ما يحض على إيقاع الصلوات في الجماعات، وكان يداوم على غسل الجمعة ويؤكده لتأكد سنيته، ويفعله على الوجه المسنون من كونه متصلا بالرواح،

ويلبس نقي ثيابه ويمشي هونا بسكينة ووقار. وفي أخريات عمره لما مرض وأصبح فرضه التيمم ترك الجمعة ليصليها ظهرا مدة خمس سنين، وقال لبعض أصحابه الذين أرادوا أن يصلوها ظهرا معه: (اذهبوا صلوا مع الناس). وقد اتخذ الشيخ لنفسه وأصحابه إماما وهو تلميذه محمد بلمشري [1] الذي التقى معه في تلمسان سنة 1188هـ، وبقي على ذلك إلى سنة 1208هـ حين تصدى الشيخ للإمامة بنفسه.

وكان الشيخ ذاكرا لله في كل أحيانه لا تفارقه سبحته ويقول: كل شيء حده الله إلا ذكره سبحانه فإنه قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ ﴾ [الأحزاب: 41] وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ [آل عمران: 191] الآية. وكانت له خلوة للذكر من صلاة الصبح إلى وقت الضحى الأعلى، ومن صلاة المغرب إلى صلاة العشاء وله أوراد من العصر إلى الغروب زيادة على أذكاره خلال تهجده بالليل. وإذا مشى في الطريق لا ينظر إلا موضع ممره ولا يلتفت ولا يحب الإكثار من ملاقاة الناس.

وكان لا يحب من ينسب إليه شيئا ولا من يمدحه بمحضره ويشدد النكير في دعوى الفقر ويقول: (إلى الآن ما حصلت لنا التوبة) وكان يقول: (إن عقوبة الدعوى الكاذبة الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى).

وقد وسع الله الرزق على الشيخ. فجده المختار كان مشهورا بالغنى في قومه وورث الشيخ عن والديه أموالا سعى في تنميتها ووكل عليها رجالا يقومون بإدارتها. كان منهم صاحبه الأمين الشيخ محمود التونسي [2] الذي كان متصرفا في أموال الشيخ في صحراء الجزائر، وكان يأتيه في كل مرة بمال له مما يجمعه من أثمان صوف وسمن وأكباش وتمور وغير ذلك، وهذا المال الذي كان يأتي به في كل مرة قدر أحيانا بنيف وثلاثين قنطارا. وكان الشيخ يقول: (كل من تصرف لي في شيء من المال ظهرت عليه الخيانة أو ريبة إلا سيدي محمود). ولعل غناه الحقيقي يظهر في قولته التي ذكرناها عندما أخبر أن أعرابا أغاروا على إبل له نحوا من ستمائة بعير فقال: (الحمد لله إذ لم يؤخروا لنا ظهرا ولا عصرا).

ومن شدة احتياط الشيخ في المعاملات أنه كان لا يشتري حاجة ممن علم

---

(1) انظر ترجمته في الباب الرابع.

(2) انظر ترجمته في الباب الرابع.

بكسب الحرام أو أنه يخالط الحكام...، وكثيرا ما ينهى أصحابه عن مخالطتهم ويحثهم على الورع في أمورهم كلها فيقول: (ما لا أرضاه لنفسي لا أرضاه لغيري وما لا أفعله لا آمر به). وكان إذا أعطى شيئا لا يقبل أن يعود إليه بتاتا ويقول: (إن الورع اتقاء الشبهات والمداومة على أكل الحلال مع الصدق مع الله في ذلك).

أتاه مرة رجل فقال له: يا سيدي جعلت لك من مالي كذا وكذا محبة فيك وهدية لك. فقبل منه ذلك، وطرحه بين يديه ثم أسر له في أذنه قائلا: يا سيدي أطلب منك أن تفعل لي كذا وكذا. فقال له الشيخ: ارفع متاعك ولم يقبل منه. وكان إذا أعطاه أحد شيئا وطلب منه الدعاء يرد عليه عطيته ويقول له: (الله يبلغك مرادك). وجاءه مرة أخرى رجل فسلم عليه ودفع له دراهم فردها عليه قائلا: لا تحل لي صدقة أنا غني عنها. وسئل يوما عن سبب عدم قبول الهدايا مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها فقال: (كانت الهدية هدية واليوم صارت رشوة، ففي زماننا لا يعطي الناس بقصد المودة في الدين بل للحصول على أغراضهم الفاسدة).

ومع كثرة أموال الشيخ فإنه لم يكن يدخر منها إلا ما يحتاجه أهله وينفق الباقي في سبل الخير ومصاريف الوافدين عليه ولوازم زاويته، وكان كثيرا ما يحث تلاميذه على ذلك ويقول: إن من أفضل النوافل أن يتصدق العبد كل يوم بشيء ولو قل. فكان من عادته في كل جمعة أن يفرق القمح على ضعفاء البلد، ويفرق كل يوم عند وقت الضحى الخبز على الصبيان في باب داره. وأكثر صدقته كان يبعث بها خفية بحيث لا يعلم بها إلا من أرسله لأدائها. ومن كرمه أنه أعتق في يوم واحد جميع من بداره من الإماء وكن حينئذ خمس عشرة. وكذلك أعتق بعد ذلك ثلاث عشرة رقبة من العبيد البالغين. واشترى يوما نحو خمس وعشرين نفسا وأعتقهم كلهم. وكان يقول:(المال مال الله إنما أنا خازن ومستخلف لقوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد: 7] ولقوله عليه الصلاة والسلام: (يد الله ملأى لا تغيضها نفقة) إلى آخر الحديث الصحيح.

ومما يبين أن الشيخ جعل لماله مصرفا معينا بحيث لا يترك شيئا عنده مجانا، أن خادمة أتته وقالت: اشترني لله فقال لأحد أصحابه: (ما عندي شيء نشتريها به ولكن بع هذه القطع وآت بثمنها لنخلصها إن شاء الله) وأعطاه قطعا للبيع.

ومن غريب مواقف الشيخ أن رجلا أكل مالا له نحو ألف ريال، فجعل أصحاب الشيخ يعيرونه بذلك فأخذ قرطاسا وكتب فيه: (الحمد لله، يشهد على نفسه

أحمد بن محمد التجاني، أنه اتخذ فلانا حبيبا بحيث لا ينقطع عنه بذنب، ولا ينفصل عنه بعمل، ولو عمل ما عمل) ثم دفع القرطاس لذلك الرجل. وهذا موقف من مواقف الحلم والمسامحة فيما يتعلق بحقوقه.

وسمع يوما برجل تقاعد من الكبر فقال لأصحابه: (قوموا بشأنه لئلا يضيع). وجعل الشيخ يبعث له كل يوم ما يكفيه وعياله من الطعام والفواكه وغير ذلك من الكسوة وأمور الأعياد والمواسم نحو خمس سنين إلى أن توفي ذلك الرجل. وكان يستشهد بقوله صلى الله عليه وسلم:(الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى)، ومن رفقه وإكرامه للحيوان أن حمالا أتى ببغلة مدبورة وعليها زرع للشيخ، فلما رآها أمر بتركها وقال: (يكفيها همها، ما نزيدها حتى همي). ورأى يوما بهيمة على مزبلة خارج البلد وهي لا تزال حية فسأل عن صاحبها فقيل له إنها هلكت، فأخرجها صاحبها لئلا يزيد عليها الكراء، فقال: أو تبقى بالجوع؟ لا يحل هذا، ونادى بعض خدمه: يا فلان يستر عليك إيتها بما تأكل وما تشرب إلى أن تموت. وكان من عادته كل يوم أن يأمر بقصعة من الطعام للقطط التي بداره. وسمع مرة هريرة صغيرة تصيح فبعث لها بآنية طعام لعشائها.

ومما كتب به الشيخ في رسالة إلى بعض تلاميذه:

وأوصيكم بالبعد عن أكل الطعام أو المال الحرام شرعا، فإن المداوم على ذلك يحبط عمله لا محالة فقد قال صلى الله عليه وسلم:ليجيئن أقوام يوم القيامة معهم من الحسنات أمثال جبال تهامة حتى إذا بس بهم صارت هباء منثورا. فقالوا له:

يا رسول الله: جل لنا هؤلاء، فو الله لنخشى أن نكون منهم. قال (أما إنهم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهنا من الليل ولكنهم كانوا إذا لاح لهم لائح من الحرام وثبوا عليه فأدحض الله أعمالهم وقذفهم في النار) الحديث. ثم إن الحرام وإن عم الأرض كلها فله أحوال في التحليل على حسب الضرورات والأعذار، وسنذكر في آخر الوصية إن شاء الله تعالى توجيه ما يتناول من ذلك. وأوصيكم بالبعد عما دان عليه الناس وعم جميع آفاق الأرض إلا النادر من الخلق وهو المعاملة بالغش والفساد في البيع والشراء مما حرمه الشرع صريحا أو ضمنا وهي مفصلة في لحب الفقه لا نطيل بذكرها...

وكان الشيخ كثير الخوف من الله، وربما سمع لصدره أنين ودوي من شدة ذلك لا سيما إذا كان في خلوته مستغرقا في الذكر، قال حرازم: وقد دخلت عليه مرارا

لخلوته فلم أستطع أن أواجهه بالخطاب لهيبته.

وكما كان صبورا على الأمراض في نفسه وأهله كان أيضا كذلك على الذين يؤذونه، حتى أن أحد السفهاء كان يجيء كل جمعة لمسجد القرويين فيمر بين يديه ويلوح له بالكلام ويكثر من ذلك والشيخ لا يلتفت إليه ولا يكلمه.

وكان يفر من ملاقاة الحكام وذوي الرياسة ويحذر من ملاقاتهم ويقول: (إنها فتنة في الدين، والرياسة قطب تطوف حوله كل الشرور). ومن زهده في ذلك ما وقع له مع بعض الأمراء من تركه الاجتماع بهم بعد طلبهم له في الملاقاة فامتنع منهم امتناعا كليا. إلا إذا تخيل صدق الطالب وعلم أن محبته لله فيرجو له الخير ويعظه ويذكره وينصحه ويقول: (إن الأخذ والعطاء لا يكونان إلا من الله ولله، ومن أعطى لغير الله تعالى أو أخذ من غيره فماله إلا الويل).

وكان من عادته حض أصحابه على تعليم أولادهم الحرف بعد تعليم ما تيسر من القرآن وتعليم الكتابة. وأخذ عنه أحد طلبة العلم الورد وبقي جالسا. فقال له: قم لشغلك. قال: ما عندي شغل أنا طالب. فقال له: (رح يا مسكين تعلم صنعة مادمت صغيرا).

الشيخ في بيته:

ذكرنا بأنه لما بلغ الشيخ الحلم زوجه والده من فتاة، لكن بعد سنة من زواجه بها طلقها لاشتغاله بطلب العلم. ثم اشترى أمتين وتزوج بهما بعد عتقهما، الأولى منهما اسمها: (مبروكة) ولدت له ابنا سنة 1211هـ بعين ماضي قبيل هجرته إلى فاس، وسماه (محمد الكبير). وقد توفيت بعين ماضي بعد وفاة الشيخ. والثانية اسمها (مباركة) وولدت له ابنا سنة 1217هـ بفاس بعد قدومه لها وسماه (محمد الحبيب) [1] ومنه وحده تناسلت ذرية الشيخ. وتوفيت هي أيضا بعين ماضي بعد وفاة الشيخ. وولد للشيخ ابن ثالث في فاس اسمه (عبد الله) مات صغيرا ودفن في باب الفتوح بفاس. كما ولد للشيخ قبل ذلك ابنين هما إسماعيل والمختار توفيا صغيرين في حياة والدهما ودفنا في أبي سمغون بصحراء الجزائر. (راجع الشجرة التجانية التي طبعت بأمر أولاد الشيخ الموجودين هناك).

وقد وصف علي حرازم حال الشيخ في داره وعياله فقال: أما شأنه في داره

(1) انظر ترجمة محمد الكبير ومحمد الحبيب في الفصلين الثاني والثالث من الباب الخامس.

وعياله فإكثار الطعام والإطعام والتوسعة والإنعام والإفضال والإكرام لا يدع شيئا إلا متعهم فيه من وجه شرعي من قصد كفايته إياهم وتنعيمهم بأنعم مولاهم لا على الرفاهية والترفه، قد اعتادهم السخاء حتى ألفته نفوسهم وأثمرت منه غروسهم، ويصرح أحيانا بأنه لولا الرفق بهم والجري على مقتضى عقولهم وصونهم عن أن يتشوفوا لما بأيدي الناس ما ادخر شيئا، فيخزن من قوت سنتهم طعاما وأداما وعسلا وفاكهة ما يكفيهم ويكفي أضيافه وأضعاف أضعافهم ليعول به الأضياف والضعفاء والمساكين المنتسبين إلى الله، ممن هو ملازم له ومضاف إليه، في عداد أهل نفقته أو من يرد عليه. فينفق على عدد عديد فيؤكل عنده الوسق من القمح في نحو يومين أو ثلاثة. وأما في أوقات وفود الزائرين عليه فلا نقدر لذلك قدرا. وجميع ذلك كله يكتاله ويجلبه من البلدان البعيدة لعدم وجود الزرع بالمكان الذي هو فيه لأن البلد ضعيفة ولا يخلو عن كثرة الأضياف. أما الرجال، ففي خارج الدار في أمكنة متعددة وأما النساء ففي داخل الدار، ويتفقد الغرباء وأهل النسبة ويطعمهم ويوصي من يفعل ذلك لهم. ومن شأنه حفظ الطعام من داره للأضياف وما فضل عنهم يتصدق به فلا يرجع إلى الدار منه شيء أصلا لأنه خرج لله تعالى.

وكان الشيخ في أكله يحسن الفطور، ويحبذ أكل اللحم فيه مع الفواكه، ولا يأكل في العشاء إلا النزر القليل، وقال مرة: منذ خمس سنين، ما شربت الماء القراح، حتى صار عندي مرا. ولم أشرب إلا ماء الزبيب، فإنه ينبت اللحم، ولو علم الناس نفعه ما شربوا الأتاي وتركوه.

وفي أحد الأيام، دخل أحد القادة إلى دار الشيخ لأمر أوجبه. فلما خرج أطلق لسانه في انتقادها وقال: وجدت القديد متاع العيد معلقا. فلما سمع به الشيخ قال: نحن دارنا دار خير الحمد لله، دخلها في هذا الشهر الشريف نيف وتسعون شاة، نفقة عيد الأضحى ونفقة أول شهر عاشورا، ونفقة موسم عاشورا.

ومرة، رأى الشيخ بعض الطعام مهروقا في الدار، فغضب على الخدام، وحلف لا يعطيهن ما يأكلن ما دمن في الحياة. فبقين ليلة، وفي الصباح أمر بشراء ثمانين رطلا سفنجا (أي بقلاوة) لهن، وأعطاهن ما يكفي ذلك من السمن والعسل وقال: كان صلى الله عليه وسلم يحلف على شيء، فيرى خيرا منه، فيأتيه ويكفر عن يمينه. أخرج كفارة ثلاثة آصع نبوية وثلث الصاع لعشرة مساكين.

ويوم توفي خازن داره، أتى أولاده للشيخ بأمانة له تحتوي على كثير من

الذهب فوهبها لهم وقال:(أبوكم - عليه رحمة الله - بقي معنا سنين خذوها لكم، ما هي بشيء).

وجاءه مرة ابنه الصغير شاكيا بأمه وسماها. فقيل له: إن أولاد الإماء لا يقولون أمي لأمهاتهم، فقال: ذلك عقوق قل: أمي.

وكان الشيخ عظيم الشفقة على الإماء والمماليك، حتى أنه رأى بعض الخدم في حالة رثة في زمن الشتاء فقال: حاشا الله، أرباب هؤلاء المماليك أن يشموا رائحة الجنة. وهذا للحديث: (لا يدخل الجنة سيء الملكة) رواه الترمذي وابن ماجه. وقال مرة أخرى: من يملك الأمة من غير أن يتسرى بها أو يزوجها لغيره أو يبيعها بهذا الشرط، فليحط سبحتي، ما بيني وبينه شيء.

وكان يقول أيضا: من كانت لزوجته خادمة، فليأمرها بتزويجها أو يبيعها بالشرط المذكور، وإن أبت يقول لها: إن لم تفعلي طلقتك.

تزويج ولديه:

وقبل وفاة الشيخ بقليل سنة 1230هـ بادر بتزويج ولديه معا، وكان عمر محمد الكبير آنذاك 18سنة وعمر أخيه محمد الحبيب 14سنة. وكان بعض أحبابه قد عرض عليه بنته لولده محمد الحبيب فتعلل بقوله: (أولادي لا تليق بهم إلا الصحراء يفلحون بها ويعيشون، والبنت لا تليق بها إلا الحاضرة).

وبالفعل، فما تمت السنة حتى توفي الشيخ في فاس وقطن ولداه الصحراء بعين ماضي.

ولما عزم على تزويجهما قال: نحن مساكين، ما عندنا إلا الله والنبي صلى الله عليه وسلم في الوجود. نصلح العش ونلتهي بالمعاش. ثم أمر بإصلاح بيتين من الدار، واستعمال قفلين عليها جيدين، وأمر باستعمال صندوق وقفل ليستعمل فيه مفاتيح البيتين، حين يغلقهما على ولديه وزوجيهما من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر، ويفتح عليهما كما هي عادته مع خدامه، كل يوم يسد عليهم مع الخدم من صلاة العشاء إلى الفجر، ويقف إلى أن يخرجوا ليصلوا. كل ذلك حزم منه. وحينما بلغ الولدان سبع سنين أو ثمان، أخرجهما من الدار ليقوم بأمرهما صاحبه الذي كان بدار أخرى. وجعل لهما فراشين كل واحد في ناحية، وهو يبيت بينهما وسط البيت إلى أن توفي.

وكانت بنت أخ الشيخ فاطمة في كفالته، وجاءته امرأة [1] بهدية وقالت له: (أعطها لابنة أخيك) فقال لها: (الله يصل رحمك بين يدي الله).

وكان أكثر دعائه لمن خاطبه: (الله يقبل علينا وعليك بمحض فضله ورضاه).ولما أراد إقامة التزويج، قال الشيخ لأحد أصحابه المقربين: (حضر أصحابنا غدا إن شاء الله واعقد لمحمد الكبير على فاطمة بنت أخي، ونب عني من الطرفين. وحضر أحمد بن موسى، يكمل لأخته حسناء، واعقد لمحمد الصغير عليها) - أي ابنه الأصغر محمد الحبيب - وفرض لهما صداقا قدره لكل واحد منهما خمسون ريالا رومية، وزوج من القفاطين أحدهما حرير والآخر ملف (جوخ)، وزوج مناصر كتان، وأربع محارم حرير كبار، وقطيفة، وحائك كبير للغطاء.

يقول تلميذه الطيب السفياني: (ومن الغرائب أننا في اليوم الأخير من العرس، اجتمعنا عليه رضي الله عنه، وطلبنا منه الفاتحة، فلما فرغ منها سقطت خصة عن مكانها حتى ذاع ماؤها، فكان ذلك الجمع آخر عهد بيننا وبينه...). وفي ليلة العرس وقع جمع حصل فيه سماع لقصائد ابن الفارض وغيره من القوم.

الشيخ والسماع والشعر:

كان الشيخ لا يحب السماع إلا من المعلم عبد الحق الجابري الذي كان ذا شفافية روحية وذوق فني رفيع. وإذا جلس للسماع يعطيه كليته، ولا يشتغل عنه بكلام أصلا، إلا لإصلاح تصحيف أو تحريف في كلام المسمعين، فيكلم الذي يليه في ذلك ويصلحه ولا يغفل عنه. وقد كان الشيخ يتمثل -ويتواجد أحيانا- بأبيات من شعر سابقيه من الصوفية خصوصا ابن فارض وأبا مدين والحسين بن منصور ورابعة العدوية وأبا الحسن الششتري. وكان خبيرا بالشعر وله فيه ذوق. وله أبيات في التشمير والحزم خلل بهن بيتين لبعض الفضلاء وهما:

تريد المجد ثم تنام ليلا   لقد أطمعت نفسك بالمحال
يغوص البحر من طلب اللآلي   ومن طلب العلا سهر الليالي

فأضاف إليهما الشيخ قوله:

تريد المجد ثم تنام ليلا   لقد أطمعت نفسك بالمحال
لقد رمت الحصاد بغير حرث   يغوص البحر من طلب اللآلي

(1) هي زوجة الطيب السفياني (انظر ترجمته في الباب الرابع).

فدع عنك التعلل بالأماني   وجد تنل مقامات الرجال
فليس ينالها سعي الهوينا   ولا بالهون ترقى للجبال
ألا خل التكاسل والتواني   ونفسك جرعن مر النكال
وخذ في الكد واحتز من وشمر   بعزم إن سوم الدر غالي
فمن ركنت سجيته لعجز   تقاعس عن محاولة المعالي
فإن قصد المفاخر لم ينلها   ومن طلب العلا سهر الليالي

وسمع الشيخ مرة أبياتا يقول فيها صاحبها:

كل من قل أنجاله   كان من الزلات أنجى له
كل من قل أقواله   كان من الطاعة أقوى له
كل من أهمل أفعاله   أوشك أن ترجع أفعى له

فأضاف إليها الشيخ:

كل من راقب أحواله   كان لدى الخيرات أحوى له
كل من لم يرع أعماله   كان عن الإرشاد أعمى له
كل من باين أعلاله   كان عن الخسران أعلى له
كل من باعد أغلاله   كان لرفع القدر أغلى له
كل من فارق أوحاله   وارد الخير أوحى له

وللشيخ موال يعبر فيه عن بعض الأحوال الروحية يقول فيه:

لما خلصنا نجونا من تناجينا   أوحى لنا فوق ما نرجوا مناجينا
ومذ جلانا تجلى في مجالينا   فمن له محونا حتى يجالينا

وكثيرا ما كان ينشد لأصحابه.

وآمن مكر الله بالله جاهل   وخائف مكر الله بالله عارف
ولا جاهل إلا من الله آمن   ولا عارف إلا من الله خائف

كما كان يتمثل أحيانا بقول من أنشد بالملحون:

ثيابي شين ورمني ما تملأ العين   قلبي زين يأتي بالأخبار البعيدة

وللشيخ أبيات في الشوق إلى حضرة الحق عز وجل سيأتي ذكرها في ما بعد:

ومما كان ينشده:

زر من هويت وإن شطت بك الدار   وحال من دونه حجب وأستار
لا يمنعنك بعد من زيارته   إن المحب لمن يحب زوار

ومما أنشد أيضا:

بين المحبين سر لا يفشيه / قول ولا علم للخلق يحكيه

سر يمازجه أنس يقابله / نور يحير في البحر من التيه

ومن الألغاز العرفانية التي يقول عنها علي حرازم في جواهر المعاني أن الشيخ أملاها على بعض أصحابه:

أراك تراني بحيث لا تراني / ومن العجائب أن تراني فلا تراني

وقد شرح في الفصل الثالث من جواهر المعاني ألغازا عرفانية وأشعارا صوفية منها البيتين:

عينان عينان لم يكتبهما قلم / في كل عين من العينان نونان

نونان نونان لم يكتبهما قلم / في كل نون من النونين عينان

وفي حديثه عن حياء الصديقين يستشهد بهذه الأبيات:

أشتاقه فإذا بدا / أطرقت من إجلاله

لا خيفة بل هيبة / و صيانة لجماله

وأصد عنه تجلدا / وأروم طيف خياله

فالموت في إدباره / والعيش في إقباله

وفي ميدان الحب الإلهي يذكر الأبيات التالية:

لست أدري أطال ليلي أم لا / كيف يدري بذاك من يتقلى

لو تفرغت لاستطالة ليلي / وأرعى النجوم كنت مخلى

إن للعاشقين عن قصر الليل / وعن طوله لفي الحب شغلى

كما يذكر قول بعضهم:

وتجرعت كأسا لو ابتليت لظى / بتجرعه طارت كأسرع ذاهب

وقول الآخر:

تسترت عن دهري بظل جنابه / فصرت أرى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيام ما اسمي ما درت / و أين مكاني ما عرفن مكاني

وخلال إفصاحه على مقام الغنى في حضرة الله تعالى يستشهد بمثل هذه الأبيات:

فلم يبق إلا الله لا شيء غيره / فما ثم موصول ولا ثم بائن

ولم نلق كنه الكون إلا توهما / وليس بشيء ثابت هكذا ألفينا

كما يستشهد بأبيات من عينية الشيخ عبد الكريم الجيلي(ت:832هـ) المشهورة كقوله:

فلله خلف الاسم والوصف مظهر / وعنه عيون العالمين هواجع

وليس يرى الرحمن إلا بعينه / و ذلك حكم في الحقيقة واقع

وإياك لا تستبعد الأمر إنه / قريب على من فيه للحق تابع

وفي (جواهر المعاني) شروح لبعض الأشعار الصوفية منها:

تطهر بماء الغيب إن كنت ذا سر / وإلا تيمم بالصعيد وبالصخر

وقدم إماما كنت أنت أمامه / وصل صلاة الفجر في أول العصر

فهذي صلاة العارفين بربهم / فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

ومنها:

أتمنى على الزمان محالا / أن ترى مقلتاي طلعة حر

ومنها:

وإذا صفا لك من زمانك واحد / فهو المراد وأين ذاك الواحد

وفي جواهر المعاني شروح للعديد من أبيات لعمر بن الفارض كقوله:

واني وإن كنت ابن آدم صورة / فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

ومنها قول رابعة العدوية:

أحبك حبين حب الهوى / وحبا لأنك أهل لذاكا

ومنها قول أبو العباس بن العريف:

بدا لك سر طال عنك اكتتامه / و لاح صباح كنت أنت ظلامه

فأنت حجاب القلب عن سر غيبه / ولولاك لم يطبع عليه ختامه

إذا غبت عنه حل فيه وطنبت / على موكب الكشف المصون خيامه

و جاء حديث لا يمل سماعه / شهي إلينا نثره ونظامه

إذا ألفته النفس طاب نعيمها / وزال عن القلب المعنى غرامه

ومنها:

أيا ري يا جهري وبغضي وجملتي / ويا كل أجزائي ومكنون خفيتي

ويا عين بهجتي وأنوار مهجتي / وبرد فؤادي أمن علي برؤية

ومنها:

تالله ما طلعت شمس ولا غربت / إلا وأنت من بين قلبي ووسواسي

ولا تنفست مسرورا ومكتئبا ... إلا وذكرك مقرون بأنفاسي

ولا جلست إلى قوم أحدثهم ... إلا وأنت حديثي بين جلاسي

ولا تناولت شرب الماء من عطش ... إلا رأيت خيالا منك في الكأس

ومنها:

حقيقة ظهرت في الكون قدرتها ... فأظهرت هذه الأكوان والحجبا

تنكرت بعيون العالمين كما ... تعرفت بقلوب العرف الأدبا

الخلق كلهم أستار طلعتها ... وجملة الأمر قد صاروا لها نقبا

ما في التستر في الأكوان من عجب ... بل كونها عينها مما ترى عجبا

ومنها أربعة أبيات لصاحبه أبي عبد الله محمد بن العربي الدمراوي التازي المتوفى بعين ماضي سنة 1214هـ وهي:

فبالمجد والتحميد به تتجلى ذاته ... وبالقصد كان المنع لي وحدي

وبحق الحق بالحق ترى حقيقته ... وبالحق لا بالحق احتجب عني زندي

وفي تدبير أمره أحاطت قدرته ... وبالقصد لا بالقصد احتجب عنهم أخذي

فاغرق في بحر الوحدة تر وحدته ... ترتفع عنك الحجب حتى ترى الأسود بالضد

وشرح الشيخ هذه الأبيات، ومما جاء في الشرح أن معنى البيت الثالث مطوي في حروف (حم عسق) من حيث أن القاف يشير إلى القدرة، والحاء تشير إلى الحكمة المحيطة، والميم تشير إلى سر الجمعية الإحاطية، والسين سره - تعالى- المودع في نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

الباب الثالث

حياة الشيخ الصوفية

الفصل الأول

- المرحلة الأولى:

التعليم

بالرجوع إلى سيرة الشيخ يمكن تقسيم المراحل التي قطعها في تصوفه إلى أربعة مراحل:

- الأولى منها تبتدأ من ولادته سنة 1150هـ. إلى بلوغه من العمر 21سنة، وهي مرحلة التكوين النفساني والعقلي حيث شب الشيخ في وسط مشبع بروح العلم والتقوى والتصوف. والعوامل التي جعلته يقبل منذ بداية شبابه على طريق الصوفية متعددة: فهو سليل آل الذين نزل فيهم قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: 33]. ومنهم، بالفعل، جاء أقطاب الطريق: فجعفر الصادق والجيلاني والرفاعي والدسوقي وأحمد البدوي وابن مشيش والشاذلي والدرقاوي ومحمد بن عبد الرحمن الأزهري والسنوسي وآلاف غيرهم من أئمة الصوفية، جلهم ينتسبون لآل النبي صلى الله عليه وسلم... ثم أجداد الشيخ ووالده وأسرته كلهم كانوا ينتمون إلى أهل الطريق، وبعضهم كانت لهم مقامات وأحوال...ثم البيئة التي نشأ فيها، بل العصر الذي عاش فيه، كله كان مشبعا بالروح الصوفية وتعظيم الموسومين بالولاية...فرابع أجداده الشيخ محمد - بالفتح - الذي هو أول وافد لعين ماضي من أسلافه يذكر عنه علي حرازم في (جواهر المعاني) أنه كانت له خلوة في دار لا يدخلها غيره ومكث ثلاثة وعشرين سنة يستر وجهه على الناس متبرقعا إلا في مسجده وخلوته بسبب حال يقتضيه مقامه المتميز بمعرفة اثنان وسبعين علما من العلوم المحمدية.

وقد رسخ الشيخ في العلوم الشرعية والأدبية حتى أصبح مؤهلا للتدريس والإفتاء. ومن المعلوم عند الصوفية أن الشرط الأول في سلوك طريقهم هو التمكن من العلم. وغالبية أئمتهم لم يدخلوا الطريق إلا بعد تبحرهم في العلوم النقليه والعقلية والشرعية. يقول الجنيد - إمام الطائفة -: علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة. والغزالي يبدأ موسوعته المشهورة (إحياء علوم الدين) بباب العلم. والشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي مجد العلم في كتبه الكثيرة تمجيدا بلغ الغاية، وقال: إنه معدن الرحمة

التي وسعت كل شيء وهو الحاكم على كل المقامات وميزان جميع الأحوال. كل هذا انطلاقا من تعاليم القرآن العظيم الذي لم يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالزيادة من شيء سوى من العلم فقال: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: 114]. ثم بين الهدف من العلم فقال: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: 19] وقال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: 28] وقال أيضا: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: 11]. وقد عبر الشيخ أبو الحسن الشاذلي عن موقف الصوفية من العلم فقال: (لا كبيرة عندنا أكبر من اثنين:حب الدنيا بالإيثار والمقام على الجهل بالرضا، لأن حب الدنيا أساس كل خطيئة، والمقام على الجهل أصل كل معصية). والشيخ أحمد التجاني يعرف التصوف بقوله: (التصوف هو امتثال الأمر واجتناب النهي في الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى. والولي هو من تولى الله أمره بالخصوصية مع مشاهدة أفعال الحق سبحانه والصفات. ولا ينال الولي شيئا من أحكام الشريعة إلا بالتعلم والسؤال). وتعمق الشيخ في الاطلاع على علوم الدين وأصول الشريعة ومقاصدها أوصله إلى النتيجة التي وصل إليها قبله أكثر أئمة الإسلام [1] من أمثال الحسن البصري والحارث المحاسبي والحكيم الترمذي وأبو يزيد البسطامي والجنيد والسهروردي والهروي وأبو مدين وعز الدين بن عبد السلام وابن عطاء الله السكندري وأحمد زروق والشعراني وعبد الرحمن الثعالبي والأخضري والهواري وإبراهيم التازي وآلاف غيرهم من الشرق والغرب، تلك النتيجة التي عبر عنها حجة الإسلام الغزالي في كتابه « المنقذ من الضلال » حيث يقول:

وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها. والقدر الذي أذكره لينتفع به أنني علمت يقينا أن الصوفية هم السابقون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به، وبالجملة، فماذا يقول القائلون في

(1) بالرجوع إلى كتب طبقات علماء المذاهب الأربعة من فقهاء ومحدثين وأصوليين وأئمة ومجاهدين يجد الباحث أن الكثير منهم كانوا صوفية من رجال الطريق.

طريق طهارتها وهي أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة، استغراق القلب بالكلية بذكر الله، وآخرها الفناء بالكلية في الله. وهذا آخرها بالإضافة إلى ما لا يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائلها، وهي على التحقيق أول الطريقة، وما قبل ذلك كالدهليز للسالك إليه، ومن أول الطريقة تبتدئ المشاهدات والمكاشفات حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق.

وقد قرأ الشيخ العديد من كتب التصوف وتراجم رجاله التي كانت ببلده عين ماضي ونواحيها. وتاقت نفسه إلى أحوال أهل الطريق والوصول إلى مراتبهم. ومن شدة شوقه إلى ذلك، كان يرى في منامه أحيانا مرائي تشجعه على المضي قدما نحو الطريق. ولا شك أنه كان على علم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له) [1] وهو ما أجاب به صلى الله عليه وسلم أبا الدرداء رضي الله عنه حين سأله: ما معنى البشرى في قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [يونس: 62 - 64] وذكر بعض مرائيه، وفيها دلالة على ما كانت خواطره تجول فيه.

بعض مرائي الشيخ:

قال: رأيت وأنا صغير قبل البلوغ بعين ماضي كأنه انتصب لي الكرسي المملكة وأنا جالس عليه ولي عساكر كثيرة وأنا أصرفها في قضاء الحوائج كأني ملك. وقال أيضا: رأيت نفسي في صورة ملك وعقد لي الناس البيعة ومعي خلق كثير ونصبوا لي كرسي الخلافة على سطر مرتفع وعلي لباس الملوك. فلما حانت الصلاة وهي صلاة الظهر أردت أن آمر أحدا من الناس يصلي بنا على عادتي في اليقظة فتفكرت وقلت:

(1) روى الترمذي في حديث حسن صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي) فشق ذلك على الناس فقال: (لكن المبشرات) فقالوا: (يا رسول الله وما المبشرات؟) فقال: (رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة) راجع كتاب (الفتوحات المكية) لابن عربي الباب 188في معرفة مقام الرؤيا – الجزء الثاني ص 375 - والحديث (الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له) ذكره الحكيم الترمذي في الفصل 13 من كتابه (خاتم الأولياء) ص 373.

الخليفة هو الذي يصلي بالناس، فتقدمت وصليت بالناس حتى أتممت الصلاة وسلمت.

وقال أيضا: رأيت سيدي أبا مدين الغوث في النوم في مجمع وهو يقول: من يأتي لنا بشيء نعطيه الحاجة التي طلبها. قلت له: ها أنا أعطيك أربعة مثاقيل واضمن لي القطبانية العظمى. قال لي: نعم وأنا أضمنها لك لا تموت حتى تدركها.

وقال: رأيت سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام. قلت له: إن قارون بلغنا أنه رأى المحل الذي كتبت فيه الاسم الأعظم ورميته في البحر لإظهار قبر سيدنا يوسف عليه السلام فأخذ قارون ذلك المحل المكتوب فيه الاسم الأعظم وصار يرميه على مواضع الكنوز فتظهر له ومنه نال ما نال من كثرة الأموال. قال لي: نعم. قلت له: هل للعارف اختيار في الفعل والترك؟ قال لي: إلا إذا بلغ مقام كذا. ولم يسم الشيخ ذلك المقام.

ومن مرائيه أنه قال: كنت أتحرج وأشدد غاية في الماء المتغير من أثر الوضوء بل ولا أتوضأ منه حتى رأيته صلى الله عليه وسلم يتوضأ في إناء، وكان الماء متغيرا من أثر الوضوء، وقال لي: أنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمن ذلك الوقت تركت التحرج منه..

ومنها أنه قال: رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم، وسألته عن الزكاة التي يأخذها الأمراء والظلام من المسلمين كرها، هل تكفيهم؟ قال صلى الله عليه وسلم: أنا أمرتهم بطاعتهم؟ قلت له: الذي يمكنه إعطائها لغيرهم ولا يلحقه ضرر منهم؟ قال صلى الله عليه وسلم: (إن أعطوها فعليهم لعنة الله).

ومنها أنه قال: رأيته صلى الله عليه وسلم وسألته عن الحديث الوارد في سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، قلت له: وردت عنك روايتان صحيحتان واحدة قلت فيها: يمكث بعد نزوله أربعين، وقلت في الأخرى: يمكث سبعا ما الصحيحة منهما؟

قال صلى الله عليه وسلم: رواية سبع.

ومنها أنه قال: رأيته صلى الله عليه وسلم بتونس قال لي: ادع بالمعرفة أو بمرادك وأنا أؤمن على دعائك فدعوت وأمن صلى الله عليه وسلم ثم قرأ سورة الضحى فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝ ﴾ [الضحى: 5] رمقني ببصره الشريف وكمل السورة صلى الله عليه وسلم.

وقال الشيخ أيضا: رأيت رؤيا تدل على حالي كله: وذلك أني رأيته صلى الله

عليه وسلم راكبا على حصان فقلت وأنا ذاهب نحوه: إن سلمت عليه فوق الحصان لن أدرك مرادي إلا بمشقة، وإن سلمت عليه غير راكب فأدرك مرادي من غير تعب. فلما وصلت إليه صلى الله عليه وسلم نزل من فوق الحصان وسلمت عليه. هكذا وقع في خاطري في ذلك النوم، فلما سلمت عليه دخل إلى بستان رجل من عين ماضي وأحرم يصلي، فلما أردت أن أحرم معه بينما أنا في استحضار النية ولم أحرم ركع وسجد صلى الله عليه وسلم فأحرمت معه في الثانية فكملتها معه إلى أن سلم. فأولتها وأنا في ذلك الحال بأن نصف عمري يضيع ولا أدرك فيه شيئا، ونصفه الآخر أدرك فيه مرادي.فكان الأمر كذلك فله الحمد والمنة [1].

ضرورة الشيخ المربي لكل سالك:

كيف السبيل إلى سلوك طريق القوم وهم أهل بصيرة ونور ولهام لا أصحاب أضغاث أحلام، وهم أرباب أذواق لا أصحاب أوراق، وهم أهل عمل لا أهل جدل؟والشيخ نفسه يقول: من تعلق بمطالعة كتب التصوف وسار إلى الله بالنقل منها والأخذ عنها بالرجوع إليها والتعويل عليها ليس له من سيره إلا التعب، ولا يحصل له من الله شيء، أعني من الوصول إلى حضرة المعارف والاختصاص، وأما الثواب فيحصل له بقدر إخلاصه.

ثم يصف حال المريد الصادق فيقول ما ملخصه:

المريد الصادق هو الذي عرف جلال الربوبية وما يجب القيام به من حقوق الألوهية، وعرف ما عليه نفسه من العجز والكسل والإخلاد إلى الراحة والتقاعد عن صالح العمل، وأنه إن قام مع نفسه على تلك الحالة لحقه في الدارين ما لا غاية له من الوبال. فلما عرف ذلك رجع بصدق وعزم وجد واجتهاد طالبا من ينقذه من وحلته، ويحل وثاقه من أسر شهوته، ويدله على طريق الوصول إلى حضرة الله تعالى. فهذا هو المريد الصادق. وأما غيره فهو طالب لا غير قد يجد وقد لا يجد.

إذاً فالسبيل إلى طريق الولاية الخاصة هو لزوم صدق الطلب المتمثل في إخلاص الاضطرار إلى الله تعالى الذي هو وحده يكشف سوء النفس بإخراج العبد منها

---

(1) روى البخاري في صحيحه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من رآني في المنام فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكونني) وقوله: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي.) وقوله: (الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان) وقوله: (الرؤيا الحسنة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة).

إلى محض العبودية له - سبحانه - وذلك بأن يوفقه لصحبة داع إلى الله على بصيرة، أي ما يسمى في مصطلح التصوف: الشيخ المربي.

لكن، ماذا على الطالب الصادق أن يفعل ما دام لم يجد هذا الشيخ المربي؟ يجيب الشيخ فيقول ما ملخصه:

يجب على المريد الصادق قبل لقاء الشيخ أن يلازم الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بشدة حضور القلب في تأمل المعاني حسب الطاقة، مع اعتقاد أنه جالس بين يديه صلى الله عليه وسلم مع دوام الإعراض عن كل ما يقدر عليه من هوى النفس وأغراضها والسعي في كل ما يحب الله تعالى من نوافل الخيرات... والحذر الحذر من كثرة التخليط في الأذكار وكثرة تشغيب الفكر بين أقاويل المتصوفة، فإنه ما اتبع ذلك أحد فأفلح قط... ثم يسعى في طلب الشيخ المربي.

وأين يوجد هذا الشيخ المربي، والأدعياء والدجالون كثيرون؟ يجيب الشيخ بما ملخصه:

إن شيوخ التربية أغلبهم في المدن الكبار.. لكن معرفتهم عسيرة لأنهم اختلطوا في الظاهر بالعامة. والسبب الداعي لهذا هو أن الصحبة في الله الخالصة لوجهه الكريم أصبحت نادرة حتى أن أكثر الناس لا يصحبون الأولياء إلا لنيل أغراض نفوسهم المنهمكة على الدنيا. وإذا وصل العبد إلى الولي وأقبل على أغراضه وشهواته ولم ينل من الولي إلا ما طابق حظوظه فإنه لا يصل إلى الله تعالى. وغاية الولي في هذا أن يديم معاشرته من باب الإحسان للخلق الذي أمره الله به ومعاشرتهم بالمعروف، ويقبض عنه أسراره. فهذا لو بقي مع الولي ألف عام لم ينل منه شيئا، لأن حال لسان الولي يقول له: ما وصلتنا لله ولا وصلتنا لأجلنا، إنما وصلتنا لغرضك الذي كنت تناله، لا نسبة بيننا وبينك... وقد اختلط الصادقون والكاذبون في هذا الميدان، ولا يعرف هذا من هذا، ولا حيلة لأحد في معرفة العارف الواصل أصلا، إلا في مسألة نادرة، وهي أن بعض الكمل ظهروا في مظاهر الصور الشرعية الكاملة. فمن ظهر بهذا المظهر وادعى المشيخة، وعرف بالدلالة على الله والرجوع إليه والتزهيد في الدنيا وأهلها، مع ظهور صورة الفتح في تلاميذه، فليتوجه الطالب إلى الله بصدق لازم وانحياش إليه بقلب دائم، بدوام التضرع والابتهال إليه في الكشف له عن هذا الشيخ الواصل الذي يخرجه من غمة نفسه، عندئذ سيوصله الحق عز وجل إلى من يأخذ بيده إلى حضرة ربه القائل:

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: 62]...

فإن قيل: هل طلب الشيخ المربي واجب شرعا؟

يجيب الشيخ عن هذا السؤال فيقول:

ليس في نصوص المصحف إلا وجوب توفية القيام بحقوق الله تعالى ظاهرا وباطنا على كل فرد من جميع العباد، ولا عذر لأحد في ذلك من طريق الشرع، ولا عذر لأحد في غلبة الهوى عليه وعجزه عن مقاومة نفسه. فليس في الشرع إلا وجوب ذلك وتحريم غيره لوجوب العقاب عليه. ولا شيخ يجب طلبه إلا شيخ التعليم الذي يعلم كيفية الأمور الشرعية التي يطلب فعلها من العبد أمرا ونهيا وفعلا وتركا. فهذا الشيخ يجب طلبه على كل جاهل لا يسع أحدا تركه. وما وراء ذلك من المشايخ لا يجب طلبه من جهة الشرع، لكن يجب طلبه من طريق النظر، بمنزلة المريض الذي أعضلته العلة وعجز عن الدواء من كل جهة، وانعدمت الصحة في حقه فنقول له إن شاء البقاء على هذا المرض بقي كذلك. وإن طلب الخروج إلى كمال الصحة قلنا له: يجب عليك طلب الطبيب الماهر الذي له معرفة بالعلة وأصلها والدواء المزيل له وكيفية تناوله كما وكيفا ووقتا وحالا.

وبالفعل، فقد رحل الشيخ إلى فاس سنة 1170هـ بحثا على هذا الطبيب الماهر، وكان له من العمر عشرون سنة. وبهذه الرحلة تبتدئ المرحلة الثانية من مراحل تصوف الشيخ وستدوم إلى سنة 1187هـ عند لقائه بشيخ تربيته وهو في طريقه إلى الحج: الشيخ محمود الكردي المصري. وهذه المرحلة الثانية تنقسم إلى قسمين: الأول منهما هو صحبته للعلماء والصلحاء، وهو ما سنتكلم عنه في الفصل الثاني التالي. وثانيهما قيامه بالتدريس ونشر العلم، وهو ما سنذكره في الفصل الثالث من هذا الباب.

الفصل الثاني: صحبة الرجال

رحل الشيخ أحمد التجاني من بلده عين ماضي، متوكلا على الله في طلبه للأستاذ المربي، أو الطبيب الماهر على حد تعبيره، الذي يأخذ بيده في طريق الله، وليوسع آفاق معارفه الشرعية، فتوجه إلى فاس بالمغرب. وكانت فاس في ذلك العهد من أكبر مدن إفريقيا الشمالية، وكان معهد القرويين بها كالجامع الأزهر بالقاهرة، وجامع الزيتونة بتونس، قبلة لطلاب العلم. ولم تزل فاس، ومنذ أسسها السيد إدريس سنة 192هـ تعج بالعلماء في جميع العلوم وبأكابر الصوفية والأولياء.هناك حضر الشيخ مجالس العلم وتخصص في الحديث [1]. وكان يرتاد حلقات الأساتذة في القرويين ومساجد فاس وزواياها.

وخلال إقامته هناك ارتحل إلى جبل العلم في شمال المغرب لأخذ علم القراءات بالتجويد على بعض المتقنين لذلك. وفي طريقه حبسه المطر نحو عشرين يوما في بيت رجل اسمه (محمد المشرف الغربوي) فآواه وأكرمه.وقد عرف الشيخ لهذا الرجل جميله، فإنه لما استوطن فاس بعد ذلك بثلاث وأربعين سنة بحث عن الرجل، فوجده واستدعاه لبيته فوصله وأكرمه وعهد إليه أن يأتي لأخذ صلة على رأس كل سنة.فكان الرجل يأتي ويجد الصلة مهيأة له دراهم معدودة ثلاثين ريالا إلى أن توفي.وقام ابنه مقامه فيها، إلى أن حضرت وفاة الشيخ، فوافق مجيئه الوفاة فوجد الصلة كالعادة مهيأة، فلما أخبر الشيخ بمجيء الرجل نادى ابنه (محمد الكبير) وقال له: (قل لأمك تعطك دراهم ابن المشرف وأدخله باب الدار وأعطها ولا تنظر إليها).

ولا شك أن الشيخ قد اطلع بفاس على الكثير من كتب التصوف. ويبدو من

(1) قال الشيخ محمد الحافظ المصري في مقدمة كتاب (الإفادة الأحمدية) وفي سنة 1306هـ: عندما كنت في زيارتي الأولى للمغرب زار الزاوية التجانية بفاس العلامة المحدث سيدي محمد عبد الحي بن سيدي عبد الكبير الكتاني، وألقى درسا في الحديث من صحيح البخاري وساق سنده في الصحيح، وفي الكتاب والسنة والعلوم الشرعية من طريق الشيخ سيدي أحمد التجاني فقال:أجازنا العلامة الشيخ الطيب النيفر عن الشيخ الماحي الدار فوري- وقد سافر ماشيا على قدميه من دارفور- بالسودان - إلى فاس ليأخذ عن الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه عن الشيخ محمود الكردي عن الشيخ الحفني شيخ الأزهر وشيخ الإسلام وعلامة الدنيا، بسنده إلى الإمام البخاري وغيره من الأئمة العلماء والسلف الصالح إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وسند الشيخ الحفني معروف).

كلام الشيخ وأجوبته أن له اطلاعا واسعا ودقيقا على التراث الصوفي نثرا ونظما وعلى تراجم رجاله. وأهم الكتب التي نجد لها أصداء في كلامه هي التالية:

1- كتاب (خاتم الأولياء) الذي ألفه الحكيم الترمذي حوالي سنة 280هـ. وموضوعه يدور حول كيفية قطع مراحل السلوك الصوفي ومراتب الولاية، ومفهوم ختم الولاية الذي نجد له أثرا كبيرا في عقائد التجانية [1].

2- كتب: (الفتوحات المكية) و(فصوص الحكم) و(عنقاء مغرب في خاتم الأولياء وشمس المغرب) وغيرها من تآليف الشيخ ابن العربي (560 - 638هـ)، وكذلك تآليف عبد الكريم الجيلي(ت: 832هـ) مثل (الإنسان الكامل). ففي كلام الشيخ، نجد الكثير من النظريات المبثوثة في تلك الكتب خصوصا حول قضايا:التوحيد، التشبيه والتنزيه، الحقيقة المحمدية، الإنسان الكامل أو القطب، الأعيان الثابتة، شمولية الرحمة الربانية والحب الإلهي، مراتب الوجود، مفهوم ختم الولاية.

3- الكتب المعروفة الخاصة بتبيين المقامات والأحوال والأخلاق والقواعد الصوفية، كتآليف المحاسبي والسراج الطوسي وعبد الرحمن السلمي والقشيري

(1) أورد الترمذي في كتابه هذا 157 سؤالا طرحها اختبار لمن ادعى الولاية.ولم يجب على هذه الأسئلة فيما نعلم سوى ثلاثة رجال أولهم الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي(المتوفى سنة 638هـ بدمشق) حيث أفرد كتابا خاصا للأجوبة سماه: (الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذي الحكيم) ثم فصل تلك الأجوبة تفصيلا وافيا في الباب 73 في الجزء 2من كتابه (الفتوحات المكية). والرجل الثاني الذي حاول الإجابة عن الأسئلة هو أحد كبار شيوخ الطريقة التجانية بالمغرب الأقصى وهو الشيخ القاضي أحمد سكيرج (المتوفى سنة 1363 هـ بمراكش) وجمع أجوبته على 35 سؤالا في كتاب سماه: (قرة العين في الجواب عن الأسئلة المودعة في خبيئة الكون). والرجل الثالث هو أحد مشايخ مصر في القرن الرابع عشر وهو محمد علي سلامة الذي ألف كتابا عنوانه: الجواب الشافي على أسئلة الحكيم الترمذي في كتابه: ختم الأولياء، ختمه سنة 1407هـ وطبع بمصر سنة 1408هـ (1987 م). وأكد في هذا الكتاب على أن خاتم الأولياء هو الشيخ محمد بن عبد الله الملقب بأبي العزائم (ولد سنة 1286هـ وتوفي سنة 1359 هـ) وقبره معروف بشارع مجلس الأمة بالقاهرة. لكن الفرق بين أجوبة الشيخ الأكبر ابن العربي وأجوبة غيره فرق كبير واضح لظهور النفس الأعلى في كلامه وظهور التكلف في كلام غيره. ولقد كان كتاب (ختم الأولياء) مفقودا ثم عثر عليه الأستاذ يحيى فطبعا ببيروت طبعة محققة مع دراسة عن حياة الترمذي وتآليفه، كما ورد فيه أجوبة ابن العربي، وملحقا هاما جامعا لبعض النصوص حول الولاية. وحول الترمذي، يمكن مراجعة كتاب (تذكرة الأولياء) لفريد الدين العطار، وكتاب (المعرفة عند الحكيم الترمذي) لعبد المحسن الحسيني. وكتاب (الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية.) لعبد الفتاح عبد الله بركة في جزأين، القاهرة 1971م.

والهروي والغزالي والشعراني وكتاب (الإبريز) الذي ألفه ابن المبارك عن شيخه عبد العزيز الدباغ، وكتاب (عوارف المعارف) للسهروردي (ت: 632 هـ)، فكلام الشيخ عن أنواع المشايخ الأربعة: سالك أو مجذوب أو سالك متدارك بالجذبة أو مجذوب متدارك بالسلوك، هو نفسه كلام السهروردي. كما نجد في كلامه نقولا من كتاب (الجواهر الخمس) لمحمد غوث الله الهندي[1]،كذلك كتاب (الحكم) لابن عطاء الله السكندري وشروحه الكثيرة، فكثيرا ما كان الشيخ يستشهد بها، ودرسها عدة مرات،وغيرها من كتب شيوخ الطريقتين الخلوتية والشاذلية.

بعد أن وسع الشيخ آفاقه في علوم الشريعة جد في البحث عن شيوخ التربية. فأول من لقيه منهم سنة 1171هـ مولاي الطيب دفين وزان وسليل عبد السلام بن مشيش الحسني نسبا، وإمام الطريقة الطيبية الجزولية الشاذلية [2] فأخذ عنه ورده وأجازه في تلقينه، لكن الشيخ لم يقبل هذه الإجازة وقد توفي مولاي الطيب بعد عشر سنوات من لقائه هذا مع الشيخ.

وحضر الشيخ مجلس أحد أركان الطريقة الخلوتية الشيخ أحمد الصقلي (ت: 1177هـ) دفين زاويته بفاس، وهو تلميذ الشيخ محمد بن سالم الحفناوي المصري،لكنه لم يكلمه.والسبب هو ما يذكره الشيخ حيث يقول [3]:(فلما وصلت إلى مولانا الطيب الشهير بمغربنا أذن لي في ورده والتقدم في إعطائه للناس فلم أفعل لأني كنت لم أفهم أحوال الأولياء، وكذلك مولانا أحمد الصقلي لم أكلمه حتى الكلام لما رأيت عليه من هيئة العامة، وبعد ذلك أخبرت أنه كان قطبا) [4].

يريد الشيخ أن ينبه في كلامه هذا على خطأ كثير الشيوع وناتج عن عدم معرفة العلامات الحقيقية لأولياء الرحمن. وقد بين القرآن هذه العلامات في العديد من الآيات، فمنها الإسلام والإيمان والإحسان والتقوى والحكمة والسكينة والعلم والخشية والبشرى. وفي هذا الموضوع يقول الحكيم الترمذي،المتوفى أواخر سنة 320هـ في كتابه خاتم الأولياء: قال له قائل:فما علامة الأولياء في الظاهر؟

(1) هو من علماء صوفية الهند. وقد شرح كتابه أحمد بن علي بن عبد القدوس الشناوي المترجم له في خلاصة الأثر والمتوفى سنة 1028هـ.
(2) انظر الكلام على طريقته في الباب الأول (الفصل الثاني).
(3) من كتاب (الجامع) لابن المشري الجزء الأول.
(4) في مصطلح الصوفية القطب هو الرجل الذي سلك الطريق إلى نهايته وجمع كل المقامات والأحوال.

قال:أولها ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له:من أولياء الله؟ قال:الذين إذا رؤوا ذكر الله وما روي عن موسى عليه السلام أنه قال:يا رب من أولياؤك؟ قال:الذين إذا ذكرت ذكروا وإذا ذكروا ذكرت. الثانية أن لهم سلطان الحق، لا يقاومهم أحد حتى يقهره سلطان حقهم، والثالثة أن لهم الفراسة، والرابعة أن لهم الإلهام، والخامسة أن من آذاهم صرع وعوقب بسوء الخاتمة، والسادسة اتفاق الألسنة بالثناء عليهم إلا من ابتلي بحسدهم، السابعة استجابة الدعوة وظهور الآيات... وأوضح علاماتهم ما ينطقون به من العلم من أصوله.

قال له قائل: وما ذاك العلم؟ قال:علم البدء، وعلم الميثاق، وعلم المقادير، وعلم الحروف.فهذه أصول الحكمة وهي الحكمة العليا. وإنما يظهر هذا العلم عن كبراء الأولياء ويقبله عنهم من له حظ من الولاية.وأما شمائلهم: فالقصد والهدي والحياء واستعمال الحق فيما دق وجل، وسخاوة النفس،واحتمال الأذى، والرحمة والنصيحة وسلامة الصدر،وحسن الخلق مع الله في تدبيره ومع الخلق في أخلاقهم. قال له قائل: فهذا الذي يصفه بعض الناس: أن الولي لا يرى وأنه في قباء الله تعالى، وأنه مبرقع في برقع الله تعالى، وأنه يأكل الحشيش، ولا يرى من أمر الدنيا إلا ما يستره، وأنه لا يكلم أحدا، ويحسب في نفسه أنه شر على الخلق، ويمقت نفسه؟..قال:إن أولياء الله بينهم تفاوت.فإن الولي الذي يطلب غموضا في الناس ويخفى شأنه إنما يفعل ذلك من أجل أنه لم يصل إلى الله فتحرق أنوار الوصول شهوات نفسه وهذا مكان الضعفاء.

وحق للولي الضعيف أن يفعل ذلك ويكون على حذر من الأدناس.فإنه إن لم يفعل ذلك لم يحل محل القدس.وقد روى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:(مؤمن قوي ومؤمن ضعيف والمؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف وكلاهما يحبه الله عز وجل). وهذا هو الذي ذكرناه. ولو كان كما وصف من شأن الولي لكان له الفضل على الصديق والفاروق... فهل كان أحد منهما غامضا في الناس؟ وحكى الله تعالى في تنزيله فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: 63] إلى آخر الآيات. وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: 74]. فمن سأل ربه عز وجل الإمامة للمتقين، هل يكون غامضا في الناس؟ أليس الله قد أثنى عليهم وقال:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [الفرقان: 75] أي على هذه الخصال، وعلى الكون بين يدي الله تعالى بقلوبهم، فلم تقدر النفس أن تأخذهم... قد قطع لهم من خزائن المنن قطائع، فجاءت تلك الأنوار فطارت بقلوبهم إلى العلاء فجالت بهم في الملكوت، ملكا ملكا إلى ذي العرش، حتى احترقت جميع ما في نفوسهم من نواجم النفس، ثم مالت إلى نفوسهم فأحرقت جميع ما فيها.ثم تتبعت المكامن التي منها النواجم، فصارت نفوسهم كمفازة جرداء، وقلوبهم زهر بمصباح الله تعالى، كما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن فقال:(أجرد أزهر) [1] وكما وصفه في حديث آخر حيث قيل له: أي المؤمنين أفضل فقال:(كل مؤمن محموم القلب) قيل له: وما محموم القلب؟ قال: (التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد)[2] انتهى.

وواصل الشيخ بحثه عن أهل الصلاح، فلقي منهم الشيخ محمد بن حسن الوانجلي، وهو من بني وانجل بجبل الزبيب، وتوفي حدود 1185هـ وقد كاشفه وبشره بأمور تخص مقامه.

ثم اجتمع بقطب الطريقة الشاذلية في فاس الشيخ عبد الله بن العربي من أولاد معن الأندلسي، وقد توفي سنة 1188هـ وغسله وكفنه وجهزه علي حرازم تلميذ الشيخ التجاني فيما بعد، وقد تكلم مع الشيخ أحمد في مسائل ودعا له بخير الدارين، وآخر ما افترقا عليه قوله له:(الله يأخذ بيدك).

ثم أخذ الشيخ أحمد التجاني الطريقة القادرية عمن كان مشتهرا بتلقينها إذ ذاك بفاس، كما أخذ الطريقة الناصرية الشاذلية عن محمد بن عبد الله التازي الشهير بالريفي، وأخذ أيضا طريقة أحمد الحبيب الغماري السجلماسي الصديقي (المتوفى سنة 1165هـ) عمن كان يلقنها بفاس، وقد لقيه في عالم النوم بعد موته فقبض على لسان الشيخ ولقنه اسما ذكره مدة ثم تركه.

ثم التقى في تازة بأبي العباس أحمد الطواش التازي فأخذ عنه علوما وأذكار وبشائر. وقد توفي هذا الشيخ عام 1204هـ.

وخلال هذه المرحلة الثانية من حياته الصوفية، يبدوا أن الشيخ كان حريصا

---

(1) راجع مسند ابن حنبل 3/17، وإحياء، الغزالي 3/12/، والمعجم الصغير للطبراني.
(2) راجع الإحياء 15: 3:، والعراقي يثبت ذكره في مسند ابن ماجة بسند صحيح.

على معرفة أذكار مختلف الطرق وتواقا إلى الحصول على خواص الأوراد والأسماء وتأثيراتها. لكنه بعد ذلك تنزه عن الميل إلى تلك الأمور تحققا بإخلاص العبودية لله وحده.فكان يحذر أصحابه من التعلق بخواص الأدعية المبثوثة في كتب الحكمة والطب الروحاني ويوجههم إلى الالتزام بالأدعية القرآنية والأذكار النبوية لأنها هي الجامعة الكافية التي تغني عن غيرها، وغيرها لا يغني عنها. فمما كتب له إلى أحد تلاميذه بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:

(وبعد، فتعلقك بالخواص في طلب الدنيا وأغراضها وشهواتها وأنت مشغول بإطلاق لسانك في الغيبة والنميمة وفيما لا يرضى الله ومنهمك في البعد عن الله، لا ربح في هذه التجارة إلا التعب، فلا تظفر منها بشيء. وإن الخواص بحر الطمع متعلق به، كالذي يريد الظفر بشراب بقيعة).

ومما كتبه إلى بعض الفقهاء من أحبائه بفاس ما نصه:

(من أفقر العبيد إلى مولاه الغني الحميد أحمد بن محمد التجاني عامله الله بفضله، إلى محبنا في الله تعالى فلان ابن فلان، السلام عليك ورحمة الله وبركاته. أما بعد، فالذي سألت عنه من التصرف بالدائرة الشاذلية وأسمائها وخواصها فالجواب عن ذلك:اعلم أن التمسك بما في كتب أهل الخواص من دائرة الشاذلي، رضي الله عنه، وأسماء الله والحروف والجداول، كله كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا. ما في جميعها إلا التعب والطمع الذي لا يوجد فيه قليل من الفائدة ولا جدوى من العائدة).

ومما كتبه إلى أحد أصحابه:

(والذي أوصيك به ويكون عليه سيرك وعملك هو أن تعلق قلبك بالله ما استطعت، ووطن قلبك على الثبوت لمجاري الأقدار الإلهية، ولا تعود نفسك الجزع من أمر الله فإن ذلك مهلك للعبد دنيا أخرى، وان اشتد بك الكرب وضاق بك الأمر فالجأ إلى الله تعالى وقف موقفك في باب لطفه واسأله من كمال لطفه توسيع ما ضاق وزوال ما اشتد كربه، وأكثر الضراعة والابتهال إلى الله تعالى في ذلك. وليكن ذلك منك على حالة منفردة القلب بالله منفردا عن الشواغل، مثل حالة المرأة الكبيرة السن التي ليس لها إلا ولد واحد، أخذ من بين يديها ليقطع رأسه، فهي تتوسل بالله وبالناس لكشف ما نزل بها، فإنها في هذه الحال ليس لها هم غير ولدها ولا يلتفت قلبها لأمر من أمور الدنيا والآخرة، فإن من كان على هذا الحالة وفزع إلى الله تعالى في نزول

الكرب والشدائد على هذا الحد وناداه باسمه اللطيف ما استطاع، أسرع إليه الفرج في أقرب وقت، وإن لم يكن على هذه الحالة أبطأ به الأمر. وإياك والانهماك في مطالب دنياك حتى تتعدى حدود الله التي حدها في شرعه فتهلك نفسك وما لك ملجأ من الله. وانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح: (ألا إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء شيء أن تطلبوه بمعصية الله فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته وهذا البحر هو الذي ترى فيه جميع الخلق غرقى وهلكى إلا من عصمه الله بفضله. ثم الحذر من تكرر الفزع إلى الله في كل كرب، فإنك بذلك يصير لك الجزع من أمر الله عادة ولا تنتفع بحياتك، بل يكون الأمر مرة ومرة: مرة تثبت لأمر الله ولا تجزع ولا تطلب التفريج، ومرة تسأل من الله التفريج، فمن سار إلى الله على هذا المنوال فتحت له أبواب السعادة الأخروية وتمكن في حياته من الحياة الطيبة الواقعة في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: 97] الآية. وفيما ذكرناه كفاية والسلام عليكم ورحمة الله).

بداية الفتح

بدأ الاستعداد الروحي الذي جبل عليه الشيخ يظهر لأول مرة في فاس خلال إقامته الأولى بها لطلب العلم وعمره واحد وعشرون عاما، يظهر هذا في الرسالة التي كتبها لأحد زملائه وأعز أصدقائه خلال الدراسة وهو محمد بن عبد الله الجيلاني الذي سيأتي ذكره في باب (أصحاب الشيخ) وقد كتبها له وهو ما يزال في مبادئ أمره لما تصدى لإعطاء الأوراد والظهور بالمشيخة. وسبب هذه الرسالة أن الشيخ بلغه أن بعض المنكرين عليه لمزوه بمحضر محمد بن عبد الله الجيلاني، فكتبها إليه، وهذا نصها:

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله.إلى أخي في الله وعدتي ومقيلي من الردى عثرتي الجامع الأكبر المحقق الأشهر السيد محمد بن عبد الله الجيلاني متع الله روحك في الهناء، وأدام بقائك وارتقائك لأحسن الحسنى، وحياك بما حيى به أحباءه وأولياءه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.أما بعد، فإنه بلغني أن القوم استضعفوني ورموني بما الله أعلم به منهم، فوقع في قلبي شيء، وقلت في نفسي:الله الله، ما كنت أظن ولا شك أن تبدى مساوئي بمحضرك وتسكت، فلم تجب عني بما حضر وخطر وتتأنق في الجواب وترتقي فيه رقى العلا. فليت شعري هل

ضربت عما سلف صفحا، أو علمت أن ما قيل فينا حقا، أو قصرت عن الجواب،أو حدثتك نفسك بحديث المفترين، أو طمس الله بصيرتك التي كانت في العلم نائرة وفي اليقين باهرة؟ فناشدتك الله أن تخبرني بما قيل وإن كان لم يفت الكلام عن المسألة فحرك الساكن واجمع ما جمع الله لك وألقه عليهم. واعلم أنهم لو سألوني وقالوا لي من أين لك هذا؟ لقلت: من عند الله.فإن قيل لي: أبوحي أم برؤية أم بهاتف؟ لقلت:دفعت في ابتداء أمري إلى الحضرة الربانية دفعة واحدة منذ أنا يافع، فصار أولي آخري وآخري أولي وبعضي كلي وكلي جزئي، فكنت أنا هو من حيث أنا لا من حيث هو[1] وحينئذ لو سئلت عن ألف ألف مسألة من أهم المسائل لأجبت عنها بجواب واحد إذ صرت كالمصباح، فلو شعلت مني جميع المصابيح ما نقصت من ضوئي شيئا ولله الحمد. وهذا السر أوله الظاهر آخره إنما وقع لي بمحروسة فاس حين كنا نقرأ على الدقاق في السبع، وعلى الشيخ الجمل في تعليم الاسم وسر الحرف، وعلى الشيخ السجلماسي في صغري السنوسي. وكنت ذات يوم وهو يوم الاثنين سألتني ونحن بالجامع تلقاء الاسطوانة التي يجلس إليها الدقاق عن حالي، فقلت لي: مالي أراك تقلبت أحوالك وصرت لا تجالسنا ولا تحسن مذكراتنا؟ فقلت لك: يا أخي، الله أعلم بحالي فوضعت يدك على قلبي فأحسست له خفقانا يشبه ارتعاد الورقة عند عاصف الرياح فقلت لي أتجد لهذا ألما؟ فقلت لك: لا. فقلت لي: هذا شيء ستخشى عواقبه أو ترجى مواهبه. ففي ذلك اليوم، وأنا بذلك المكان قبل مجيئك هتف بي هاتف: أيا أحمد، لقد بلغت المنى. فاستعذت بالله، وقرأت ما يسر الله من قرآن ثم سمعت صوتا وكلاما يتوقع من جميع أعضائي ومن كل ناحية. ثم نظرت إلى السماء فوقع بصري على اسمي مكتوبا في عالم الملكوت العلوي وبإزائه: يا أحمد قد بلغت المنى فحدث ولا حرج. ثم نظرت إلى الأرض يمينا وشمالا وخلفا وأماما فكذلك. ثم فتح الله بصيرتي في الحال، فرأيت بعيني رأسي الرجل الذي لا يحتمل كلامه الكذب[2] فدنا مني وأخذ بعضدي الأيمن وأوقفني ووكزني بيده اليسرى بين ثديي وقال لي: أنت من أمثال الصحابة فحدث ولا حرج[3] فوقع في قلبي ذلك الخفقان وإنه لم يزل

---

(1) يعني الشيخ بهذه العبارة أنه أصبح قائما بربه لا بنفسه تحققا بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أو أقل من ذلك).

(2) يعني به النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى عنه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [النجم: 3].

(3) يعني به معنى أن المرء مع من أحب لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ

إلى الآن. ثم وقع لي أكثر من هذا في زيارة مولانا عبد السلام من مشيش مما يطول ذكره. ثم تحقق لي الأمر لما توطنت وسكنت إلى أهلي. فإن كان في هذا ما يوجب الدرك علينا فإني أقول وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب: وما لهؤلاء القوم لا ينظرون بعين الرضى،أما أولا ففي أنفسهم أفلا يبصرون، وأما ثانيا ففيما ينبني عليه من الشرائع ثم الحقائق. وهؤلاء عكسوا فانعكسوا، ونعوا فتعسوا، وطلبوا فيئسوا، أولا يفقهون أن من حفظ حجة على من لم يحفظ؟ أولا يدرون أن يسر الله في صدق الطلب؟ أولا يعلمون (الله اعلم حيث يجعل رسالته)؟ هذا وإني أرجوا أن يجعل خيره فيما ينتج. والجواب منك في أقرب مدة إن شاء الله. وكتب خادم الطريقة المحمدية أحمد بن سالم التجاني كان الله له وليا ونصيرا) انتهى ونص جواب محمد بن عبد الله الجيلاني على هذه الرسالة سنذكره عند التعرض لترجمته في أصحاب الشيخ.

عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: 69] وقد قال الشيخ في(جواهر المعاني) : إن أعظم أولياء الأمة قدرا لا يصلون إلى مرتبة أقل الصحابة صحبة. وإن سير أكابر الأولياء مع الصحابة كدبيب النملة مع طيران القطاة.

الفصل الثالث: القيام بالتدريس

عملا بإشارة السيد الوانجلي، المذكور في الفصل السابق، توجه الشيخ من فاس إلى بلد الأبيض في وسط غرب الجزائر، حيث زاوية وضريح الشيخ المشهور عبد القادر بن محمد إمام الطريقة الشيخية الشاذلية المعروف بسيدي الشيخ... فمكث هناك خمسة أعوام للقراءة والتدريس والعبادة، زار خلالها بلده عين ماضي.

وعند نهاية هذه السنوات الخمس سافر الشيخ إلى تلمسان واستقر بها عاكفا على مواصلة المجاهدات التعبدية، وتدريس العلوم خصوصا الحديث والتفسير.

وهذه نماذج من تفسيره مع اختصار لتفصيل كلامه:

- سئل عن قوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ ﴾ -[الذاريات: 50] فأجاب: معناه، فروا إليه بعبادته دون غيره عبادة واستنادا واعتمادا والتجاء واختيارا، من جميع خلقه، وفي التعويل عليه والبراءة من جميع غيره مساك وملاحظة واعتبارا، فهذا هو الفرار إلى الله.

- وسئل عن قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ -[الذاريات:56] فأجاب: هذا خطاب منه تعالى في بساط الحكمة. ثم خطابه في بساط المشيئة هو قوله: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ ﴾ [هود: 118 - 119] فهذا هو الواقع، لأن خطاب المشيئة لا يتأتى انتفاؤه، وأما خطاب الحكمة يمكن إنتفاؤه في بعض الموجودات، والحكمة سجاف عن المشيئة ولا علة لمشيئته سبحانه وكل الكون بارز عنها. فقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [النساء: 64] خطاب في عالم الحكمة، فلذلك وقع فيه التخلف وكفر كثير من الخلق بالرسل، ولو كانت طاعة الخلق مقررة في المشيئة ما أمكن أن يعصي الرسل أحد. قال تعالى لأكبر رسله صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ [القصص: 56]. والضلال أو الإسلام بارز عن المشيئة الإلهية. قال ابن العريف [1]: ليس بين الله تعالى وبين العباد نسب إلا الحكم ولا وقت

---

(1) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عطاء الله بن العريف الصنهاجي (481 هـ 536 هـ/1088 – 1143 م) صاحب كتاب (محاسن المجالس) نشره بلاثيوس سنة 1931م، وكان من أكابر علماء

إلا الأزل وما بقي فعمي وتلبيس. ومعنى الأزل هو الذي فيه وجود الحق وحده ليس لشيء فيه نسبة.قال صلى الله عليه وسلم: (كان الله ولا شيء معه). ففي ذلك الوقت أعطى ما أعطى وفضل ما فضل. فلم يبق إلا الرضا والتسليم لمجاري الأقدار.

- وسئل عن قوله تعالى: ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ [هود: 55] فأجاب:

أعلم أن سيدنا هودا عليه السلام يريد بهذا، إنكم وإن فعلتم ما فعلتم ومكرتم ما عسى أن تمكروا، لم تخرجوا في ذلك كله عن قبضة الله سبحانه،ولن تفعلوا إلا ما سبق في مشيئته وعلمه، وحيث كان أمركم هكذا فإني رجعت إلى الله بالتوكل عليه والرضا بقضائه والثبوت لمجاري أحكامه علي، غير ملتفت إليكم في شيء مما تخوفونني به، فإني متحقق أنه تعالى إذا سلطكم علي، لا حيلة لي ولا لكم فيصرف ذلك. وإن لم ينفذ حكمه في مما يجريه على أيديكم، فلا سبيل لكم إليه، وإن ربي في هذا الحد على صراط مستقيم، تجري الأمور كلها على طبق مشيئته وحكمه في سابق علمه، وما سوى ذلك فمحض العدم.

- وسئل عن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: 32] فأجاب: يصح أن يقال: هم جميع الأمة المكلفون بأحكامه الداخلون تحت دائرة الشهادة بالتوحيد والرسالة، لما ورد من الأخبار في فضل الأمة المحمدية، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (ما من نبي إلا أعطي دعوة معجلة. وأنا خبأت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي) فهي نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئا. لكن لا بدّ لطائفة من الأمة أن ينفذ فيهم الوعيد. والاحتمال الثاني في الآية: أنهم حملة القرآن فقط بدليل قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ ﴾ [الأعراف: 169] الآية.وعلى كل حال، فهم مصطفون عند الله تعالى، ظالمهم ومقتصدهم وسابقهم كلهم عمتهم الصفوة الإلهية. قال تعالى في وعدهم:﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [الرعد: 23] إلخ.. الآية وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: 110] الآية يصح أن يقال فيهم: هم الصحابة فقط لاكتمالهم هذا المطلب العظيم من الآية.ويصح أن يقال: هم جميع الأمة، فإن الأمة لا تخلوا ممن هذا وصفه إلى الأبد.

الصوفية. راجع عنه ابن خلكان 87، ونفحات الأنس لجامي 615، وشذرات الذهب 4/112- العبر الذهبي

- وسئل عن قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾ [الأنعام: 74].

فأجاب: إن آزر هو عمه، ولو كان أباه أصليا ما ذكر آزر بعد أبيه يكفيه الأب[1] ويدل على هذا استغفاره لوالديه في آخر عمره بعد ما أخبر الله أنه تبرأ من أبيه بقوله: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [التوبة: 114] وفي آخر عمره قال: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [إبراهيم: 41]ولو كان أباه ما تبرأ منه. وفي عين التحقيق، أن الله قدس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ما أخرج نبيا من نطفة منجسة بالكفر. وفي الحديث، يقول صلى الله عليه وسلم: (لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية) الخ الحديث.وفي الحديث الآخر.قال صلى الله عليه وسلم: (بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا، لم تفترق شعبتان إلا كنت في خيرهما) إلخ الحديث.ولعل قائلا يقول: إن الخيرية هنا تعني مكارم الأخلاق لا الإيمان، قلنا: بل هي خيرية الإيمان إذ لم يكن عصر من عهد آدم ما خلت فيه الدنيا يوما واحدا من ظهور الأولياء في الأرض، وخيرية الكافر على المؤمن مستحيلة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: 6]. فحصل من هذا القطع بأن آباءه عليه الصلاة والسلام كلهم مؤمنون، وآزر ليس من أجداده كما تقدم.

- وسئل عن قوله تعالى: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة: 260]

فأجاب: أراد إبراهيم عليه السلام الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين.

- وسئل عن قوله تعالى: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ الآية [البقرة: 30] وعن الأسماء التي علمها الله لآدم ما هي؟ وعن سبب سجود الملائكة له ما هو؟

فأجاب: إن الملائكة في قولهم: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ إلخ الآية لم يسألوا اعترضا ولا ردا لأنهم لا يتجاسرون على مرتبة جلاله تعالى، وإنما سألوه عن السر الموجب لخلق هذا الخليفة وجعله في الأرض ماذا يريد به، وقد رأوا ما كان عليه أهل الأرض قبله من الفساد وسفك الدماء فحكموا على الباقي بصورة ذلك فقال

(1) قيل: إن آزر هو إبراهيم، وهو الذي رباه، والعرب تطلق اسم (الأب) على العم المربي. ومن مؤيدي راي الشيخ في أجداد النبي صلى الله عليه وسلم جلال السيوطي الذي ألف عدة رسائل في هذا الموضوع (راجع فتاويه).

تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [بقرة : 30]. لم يعلموا ما أودع الله في آدم من أسراره وخزائن علومه وماذا يراد به ومن ذريته من ظهور أحكام كمالاته وألوهيته، وأنه يريد منهم عمارة الدارين بصورة العذاب والنعيم، وما يتبع ذلك من الأحكام واللوازم. وأما الأسماء التي علمها الله لآدم فهي الأسماء التي يطلبها الكون كلها لا يشكل عليه منها شيء، بدليل قوله تعالى للملائكة: ﴿ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [البقرة: 31] وهي صور الأكوان. وأما الأسماء الخارجة عن الكون، فلا تمكن الإحاطة بها ولا نهاية لها قال سبحانه: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾ [طه: 110]. وأما السبب الموجب لسجود الملائكة لآدم فهو غيب لا يدرك إلا بالنص القطعي، ولا نص فلا مجال في هذا الميدان. يقول تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: 33] فإن الله لم يعلمنا سبب ذلك ولا مجال فيه للعقول. لا نقول لأجل الخلافة ولا لغيرها،بل نسكت حيث لم يذكر شيء في سببه.

- وسئل عن قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾ [آل عمران: 28]

فأجاب: أما في بساط الشريعة يعني يحذركم الله نفسه بالخوف منه وعدم الأمن من مكره في جميع عطاياه إليكم من النعم، فإنه لا يأمن من مكر الله إلا من حق عليه عذاب ذي الجلال.وأما في بساط الحقيقة، ويحذركم الله نفسه من البحث والاطلاع والطلب على كنه الذات، فإن ذلك غير لائق بكم لأنكم لا تطيقون وقفوا عندما حد لكم من أمر الشارع صلى الله عليه وسلم.

- وسئل عن قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ إلى قوله: ﴿ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾- الحج: 52 -

فأجاب: الكلام في هذه الآية من طريق التأويل، أن كل رسول يتمنى إسلام المرسول إليهم وهدايتهم حرصا على أمر الله وشفقة عليهم، فإذا تمنى هذا ألقى الشيطان في قلوب المرسول إليهم نقيض ما تمناه ضلالا وكفرا، ثم ينسخ الله ما يلقي الشيطان في قلوب المرسول إليهم من المعاصي والكفر والتكذيب، ثم يحكم الله آياته ومعناه ما تدل عليه الآية المنزلة من الإيمان بالرسول والفيء إلى أمر الله والوقوف عند حدوده وهي الآيات المحكمات. وأما حديث الغرانيق فباطل لا أصل له من وجهين،

وكلاهما يقطع ببطلانه، الأول: قوله سبحانه: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝ ﴾ - الشعراء: 210 - 211- فهذا شاهد في الآية بعصمة الوحي من تطرق الشيطان. والثاني: قوله تعالى في الآية التي زعموا فيها الغرانيق: ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ ﴾ [النجم: 23] فإنها لو كان معها حديث الغرانيق لضحكت منه جميع العرب وسخروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبوحيه وبيان ذلك أنهم يقولون: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝ ﴾- النجم: 19 - إلى آخر الآية، يقولون فيها: سمع المشركون: تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى، ثم يقول بعد ذلك: ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ ﴾- النجم: 23 - فإن الكلام المقدس الجليل ينزه عن مثل هذا التناقض الفاحش، إذ أول الآية يدل على مدح الشيء وآخرها يدل على ذمه [1].

- وسئل عن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ - المائدة: 35 -

فأجاب: معناها خافوا من شدة عقاب الله وابتغوا الأعمال الصالحة التي فيها رضاه.

- وسئل: ما معنى التوبة في قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ﴾- التوبة: 117 -

فأجاب: بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم هي الحماية من مواقعة الذنوب لأنه معصوم. وفي حق من معه، التوبة هي عبارة عن عدم الإصرار على الذنوب ومن كان هذا حاله كان كمثل من لم يصدر منه ذنب لقوله صلى الله عليه وسلم: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له).

- وسئل عن بعض الآيات الواردة في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما قاله بعض أهل التفسير في حقهم مما لا يليق بمناصبهم.

فأجاب: اعلم أن الذنوب في حق الأنبياء التي هي اقتحام المنهي عنه شرعا

(1) هذا التفسير مطابق تماما لما ذكره حول الآية الشيخ عبد العزيز الدباغ في كتاب -الإبريز- لتلميذه ابن المبارك(ت: 1156هـ)

مستحيلة في حقهم لثبوت العصمة لهم. وكما قيل، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين فما نسب إليهم من ذنب هو في نفسه مباح شرعا ولكن طلب منهم تركه لأجل تنزيه المقام لعلو جلالهم. وما ذكر من الغفلة في حقهم فليست هي الإعراض عن مطالعة الحضرة الإلهية، ولكن هي النسيان بسبب الجبلة البشرية أو بسبب قوة التجلي المذهلة للعقل. فما ذكره بعض المفسرين مثلا في حق داود عليه السلام وأنه تمنى كذا بقلبه وأمر الرجل بكذا الخ، فمعاذ الله أن يصدر هذا من المعصوم، وإنما حكى الله عنه أن الخصمين اختصما في نعج من الغنم لا غير كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَنَابَ ﴾ [صٓ: 23 - 24]. ومن المعلوم أن القرآن لا يفسر إلا بالخبر الصحيح ولا يصرف عن ظاهره إلا إذا كان ظاهره يلزم من المحال وكلا الأمرين منتف هنا فلا خبر صحيح مفسر للآية يعتمد عليه ولا قرينة تصرفها عن الظاهر. فالآية على ظاهرها وليس كما قيل من التأويل الذي لا ينبغي أن يذكر حتى في صالح عامة المؤمنين، فكيف يقال في صفوة الله هذا التأويل الشنيع نعوذ بالله من التخليط. وما تاب داود عليه السلام إلا من ظنه أنه أخطأ في الحكم فقط لا غير. وغفر الله تعالى له ظنه لأن الأكابر ليسوا كغيرهم، فإنهم يؤاخذون بمثاقيل الذر.

واعلم أن أحوال الرسل عليهم السلام لا تتبع بالمناقشة والتفتيش، ويجب الاقتداء بهم في كل ما أتوا به، فإن الله تعالى قال فيهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾- الأنعام: 90 -وقال جل وعلا: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ - النساء: 80 - وهذا عام في كل رسول. ومن أراد أن يقيس أفعال النبوة على غيرها فهو جاهل بحقها، والذنوب التي نسبت أو ذكرت في حق الرسل عليهم السلام إنما كانت مباحة في شرعهم أو بسبب النسيان كما ذكرنا. وأطال الشيخ في تفصيل وتوضيح الجواب عن هذا السؤال.

ومن أراد معرفة مدى تمكن الشيخ في علم التفسير فليراجع الباب الخامس من كتاب جواهر المعاني لعلي حرازم....

وخلال إقامة الشيخ بتلمسان للتدريس والإفادة بدأت ثمرات رياضاته الصوفية تلوح عليه. فظهرت عليه أحوال أهل الصلاح وبدأ الناس يلتفون حوله طلبا للأخذ عنه. لكنه امتنع من إقرارهم على ما ينسبون إليه من المشيخة. وقد كان كثيرا ما يحذر من الدعاوي الكاذبة فيقول: أوصيكم بالمحافظة على البعد من أمور كل من وقع في

واحدة منها أماته الله كافرا من غير شك: الأولى: كثرة إذاية المسلمين. والثانية: الكثرة من الزنى من غير توبة. والثالثة: ادعاء الولاية بالكذب. والرابعة: الانتصاب للمشيخة من غير إذن. والخامسة: تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكاية قوله. والسادسة: الانهماك في الغيبة والنميمة بلا توبة. فهذه الأمور مقطوع لصاحبها أن يموت كافرا ولو عمل ما عمل، إلا أن يتوب ولم يصر على ذلك.

قول الشيخ: (الانتساب للمشيخة من غير إذن) يعني به ادعاء التأهيل الكامل للتربية الروحية مع ادعاء الولاية والظهور بهذه الدعوى بين الناس لحظ في النفس.وفي هذا يقول الشيخ أيضا:

الدعوة إلى الله في حق الأولياء هي ملزومة لهم بطريق الشرع الظاهر لقوله صلى الله عليه وسلم: (بلغوا عني ولو آية) الحديث. ولقوله صلى الله عليه وسلم: (مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر). لكن هذه الدعوة المذكورة هنا إنما هي بالإذن الخاص كإذن الرسالة [1] فمن نهض إلى الخلق يدعوهم إلى الله تعالى بالإذن العام ليس له شيء من الإذن الخاص لم ينتفع بكلامه ولم يقع عليه إقبال، فإن لسان الحق يقول له بلسان الحال في بساط الحقائق: ما أمرناك بهذا ولا أنت له بأهل إنما أنت فضولي.

فمن وقف هذا الموقف، ابتلي بحظوظ نفسه من الرياسة والتصنع، وليس من الله في شيء.

وعن حال الشيخ في تلمسان يتحدث تلميذه حرازم فيقول ما ملخصه:

ثم ارتحل إلى تلمسان وقام بها للزهد والعبادة وتدريس لعلم الحديث والتفسير... ثم جرد نفسه من العلائق تجريدا أوائل سنة 1181هـ. فانجمع على الله في حاله، فلاحت عليهم بادئ الفتح وبوارقه، وظهر عليه أثر الفيضان فكان يفتتن به كل من رآه لما يشاهد من طلعته. فلما أحس بظهور ذلك من الإخوان تولى عنهم شريدا وكانت تأتيه الوفود للزيارة والأخذ عنه والإفادة، فكان يمتنع من ذلك كل الامتناع ويقول: كلنا واحد في الانتفاع، فلا فضل لواحد على الآخر في دعوى المشيخة إلا سوء الابتداء.

(1) أي بإلهام رباني قاهر، مع إجازة من مرب كامل ذي بصيرة وفراسة صادقة. راجع مفهوم هذا الإذن في الفصول الأخيرة من كتاب (خاتم الأولياء) للحكيم الترمذي. وفي مواضع متفرقة من (الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية) و(لطائف المنن) لعبد الوهاب الشعراني.

الفصل الرابع: حجه وسلوكه الصوفي

عزم الشيخ على السفر للحج قياما بالفرض وفرارا من نسبته إلى المشيخة فارتحل من تلمسان قاصدا تونس سنة 1186هـ وسنه ست وثلاثون عاما. فلما وصل إلى زواوه بقرب مدينة الجزائر، ذهب لشيخ الطريقة الرحمانية الخلوتية السيد محمد بن عبد الرحمن الأزهري (ت: 1208هـ). وغالب الظن أنه اجتمع به في زاويته بآيت إسماعيل، وأخذ عنه الطريقة الخلوتية. ثم واصل سفره ودخل تونس فأقام بها وبسوسة سنة كاملة، واعتكف فيها - كعادته - على التعبد والتدريس والإفادة والبحث عن أهل الخير والصلاح، فلقي منهم عبد الصمد الرحوي أحد الخاصة من تلاميذ إمام الصوفية في تلك الجهة. قال الشيخ طلبت من سيدي عبد الصمد ملاقاة هذا السيد رضي الله عنه فامتنع متعللا بعدم ملاقاة أحد أصلا، فبعث له محبوبا (أي حليا من ذهب) مع صاحبه فقال له ذلك الإمام: المحبوب بعث محبوبا [1].

وكان الشيخ قد سمع بذكر أحد كبار شيوخ التربية في مصر وهو السيد محمود الكردي المصري دارا وقرارا العراقي أصلا ومنشأ [2]، وهو تلميذ وخليفة

(1) جواهر المعاني ص 39.

(2) هو الشيخ محمود الكردي الكوراني الخلوتي. ترجو له الجبرتي في تاريخه ويوسف النبهاني في كتابه (جامع كرامات الأولياء). فمما قاله الجبرتي: هو شيخنا وأستاذنا الإمام العارف كعبة كل ناسك، عمدة الواصلين وقدوة السالكين صاحب الكرامات الظاهرة والإرشادات الباهرة. أخذ العهد من الأستاذ شمس الدين الحفني، وأفيض على نفسه القدسية، أنواع العلوم اللدنية. وله رسالة في الحكم، ذكر أن سبب تأليفه لها أنه رأى الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله عنه في المنام أعطاه مفتاحا وقال له: افتح الخزانة، فاستيقظ وهي تدور على لسانه ويرد على قلبه أن يكتبها، قال: فكنت كلما صرفت الوارد عني عاد إلي فعلمت أنه أمر إلهي فكتبتها في لمحة يسيرة من غير تكلف كأنما هي تملى على لساني من قلبي. وقد شرحها خليفته شيخ الإسلام الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر، وشرحها أيضا أحد خلفائه الأستاذ العلامة السيد عبد القادر بن عبد اللطيف الرافعي البيساري العمري الحنفي الطرابلسي شكر الله صنيعهما. وكثيرا ما كان يجتمع بالخضر عليه السلام فيراه بمجرد ما ينام فيذكر الله معه حتى يستيقظ. وكان لا يفتر عن ذكر الله تعالى نوما ولا يقظة. وقال مرة: جميع ما في كتب (إحياء العلوم) للغزالي عملت به قبل أن أطالعه، فلما طالعته حمدت الله تعالى على توفيقه إياي وتوليته تعليمي من غير معلم. ولما صار عمره ثمان عشرة سنة رأى في منامه الشيخ محمد الحفناوي فقيل له: هذا شيخك، فتعلق قلبه به، وقصده بالرحلة من بلده ساقس بلاد كوران حتى قدم مصر واجتمع به وأخذ عنه الطريقة الخلوتية وسلك على يديه بعد أن كان على طريقة القصبري رضي الله عنه (...) فلازمه مدة طويلة ولقنه أسماء الطريقة السبعة حتى قطع مقاماتها وكتب له إجازة عظيمة

شيخ الخلوتية السيد الحفني أستاذ الشيخ محمد بن عبد الرحمن الذي لقن أذكار الطريقة الخلوتية للشيخ في آيت إسماعيل. ووقر في قلب الشيخ أن الكردي هو فعلا شيخ تربيته وعلى يديه يكون سلوكه الذي طالما ارتقبه، وبحث عنه. ومن شوقه إليه رأى نفسه في رؤيا وهو يقول له: إن كل ذاتي نحاس، فأجابه الكردي: هو كذلك وأنا أقلب نحاسك ذهبا.

ودرّس الشيخ في تونس كتاب الحكم العطائية المعروف وغيره، حتى سمع به أمير البلد فأرسل إليه راجيا منه المقام عندهم بتونس لتدريس العلم والقيام بأمر الدين، ونفذ له دارا ومسجد الزيتونة للتعليم والإفادة وعين له مرتبا عظيما. فلما قرأ الشيخ كتاب الأمير أمسكه وسكت، ومن الغد تهيأ للسفر في البحر لمصر القاهرة قاصدا الحج وعان ما على الأخذ عن الشيخ محمود الكردي وسلام القياد له والسلوك بطريقته.

وفي طريقه للقاهرة كانت لواعج الشوق تغلي في صدره، هذه اللواعج التي عبر عنها في قصيدة له - ربما نظمها في حاله هذا بالذات - يقول فيها:

ألا ليت شعري هل أفوز بسكرة

وهل لذرى الإحسان ترقى عوالمي ... من الحب تحيي مني كل رميمة

وهل لي بغيب الغيب بالله غيبة ... وهل تتجلى الذات فيها لفكرتي

وهل نفحات القرب فضلا تعمني ... تغيب كلي عن جميع الخليقة

وهل جذبات بالتجلي تؤمني ... وقد هدمت مني رسوم الطبيعة

وهل واردات الوصل مني تزف لي ... فتسلبني عن كل كلي وجملتي

شهد له فيها بالكمال والترقي في مقامات الرجال وأذن له بالإرشاد وتربية المريدين (....) ولما قدم شيخ شيخنا الشيخ مصطفى البكري لازمه وأخذ عنه كثيرا من علم الحقائق (...) وكانت وفاته سنة 1195هـ، وصلى عليه بالأزهر ودفن بالصحراء بجوار شيخنا السيد مصطفى البكري، وتولى غسله الشيخ سليمان الجمل رضي الله عنهم أجمعين.انتهى. أما الشيخ مصطفى البكري فقد خصص له النبهاني في (جامع كرامات الأولياء) ترجمة طويلة ذكر فيها عددا كبيرا من مؤلفاته الكثيرة التي تقارب المائتين وأحزاب وأوراد أكثرمن ستين. وقد ولد بدمشق سنة 1099 هـ.ولازم الشيخ عبد الغني النابلسي وقرأ عليه كتب محي الدين بن العربي، وأخذ الطريقة الخلوتية عن عبد اللطيف الحلبي وساح في كثير من البلدان واستقر بمصر وتوفي عام 1162هـ. ودفن بالقرافة الكبرى خارج القاهرة وقبره ثم مشهور. وخصص النبهاني أيضا ترجمة واسعة للشيخ الحفني الذي هو أعظم خلفاء مصطفى البكري وأستاذ محمود الكردي شيخ أحمد التجاني. وكانت وفاته سنة 1181هـ.

وهل أردن بحر الشهود فيشتفي ... لكي أرتقي العلياء من كل رتبة
وهل تطلعن شمس المعارف جهرة ... غليلي بغوصي فيه في كل لمحة
وهل أرتقي عرش الحقائق واصلا ... بباطن قلبي والهدى لي زفت
وهل حلة التوحيد ألبسها ... وقد إلى الله محفوفا بكل كريمة
وهل لي بجمع الجمع بالله وصلة ... تمكن سري من بساط الحقيقة
تمكن سري من بساط الحقيقة ... وقد طلعت شمس الوصول بقبلتي
وهل وابل العلم اللدني هاطل ... إلي ويبقى دائما كل لحظة
وهل أملي من هذه بالغ المدى ... فيا حبذا أم لا بلوغ لمنيتي
وهل تجمع الأيام شملي ببغيتي ... ونيل مرادي أم أموت بحسرتي[1]

وعند حلول الشيخ بمصر، أسرع لملاقاة الشيخ محمود الكردي فاجتمع به وأخذ عنه الطريقة الخلوتية بنية التربية والسلوك، خلافا لجميع من أخذ عنهم قبل لقائه هذا وبعده. فقد أخذ عن أولئك وانتفع بهم تبركا فقط أو للحصول على إذن في بعض الأمور. وكما ذكرنا، فقد حصلت للشيخ أحوال روحية ومشاهدات ومواني، لكن كان يغلب على جميعها حال الجذب الناتج عن استعداد روحي خاص. أما الشيخ المربي الحقيقي الذي أخذ بيد الشيخ أحمد التجاني وسلك به مدارج الطريق في بدايته فهو السيد محمود الكردي إمام الخلوتية بمصر، وإثر وفاته سنة 1195 هـ ظهر الشيخ التجاني بالمشيخة والاستقلال بطريقته الخاصة. وسلسلة شيوخ طريقته هي التالية:

(1) لقد شرح هذه الأبيات العلامة الشيخ أحمد سكيرج في رسالة سماها (حضرة التداني من شرح أبيات الختم التجاني) تقع هذه الرسالة في أربعة عشر صفحة طبعت بالمطبعة الحجرية وختم الرسالة بخمس عشرة بيتا كإجابة عن استفهامات الشيخ منها قوله:
بلغت المنى يا حبذا من مزية ... بها فقط أهل الله يا خير صفوة
ليهنيك يا مولاي يا أحمد الرضا ... بلوغك للمطلوب قبل المنية

سيدنا محمد ﷺ

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (40)

- ابنه الحسن (50)
- الحسن البصري (110)
- حبيب العجمي (156)
- داود الطائي (165)

- ابنه الحسين (61)
- ابنه علي زين العابدين (94)
- ابنه محمد الباقر (119)
- ابنه جعفر الصادق (148)
- ابنه موسى الكاظم (183)
- ابنه علي الرضا (203)

معروف الكرخي (199)
سري السقطي (253)
أبو القاسم الجنيد البغدادي (298)

- ممشاد الدينوري (309)
- أحمد الأسود الدينوري (380)
- محمد البكري (425)
- عبد الله البكري (475)
- وجيه الدين القاضي عمر البكري (532)

- أبو بكر الشبلي (334)
- أبو الفضل عبد الواحد التميمي
- أبو الفرج الطرسوسي
- أبو الحسن علي بن محمد الهكاري القرشي
- أبو سعد المبارك بن علي المخرمي (513)
- القطب عبد القادر الجيلاني (561)

ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي (563)

ومن الشيخ أبي النجيب السهروردي تفرعت سلاسل منها السلسلة الخلوتية التي منها سند الشيخ أحمد التجاني حسبما هو مذكور في(جواهر المعاني) لعلي حرازم وفي كتاب (الجامع) لمحمد بن المشري، وهو: أخذ الشيخ أحمد التجاني عن محمود الكردي المتوفى سنة (1195) عن الحفني المتوفى سنة (1181) عن مصطفى بن كمال الدين الصديقي المتوفى سنة (1162) عن عبد اللطيف الخلوتي الحلبي المتوفى سنة

(1121) عن مصطفى أفندي الأدنواني المتوفى سنة (1114) عن أبيه علي أفندي قراباشا المتوفى سنة (1097) عن والده مصطفى الطيبي والشيخ إسماعيل الجرمي المتوفى سنة (1070) عن عمر الفؤادي المتوفى سنة (1046) عن محي الدين القسطموني المتوفى سنة (1000) عن شعبان القسطموني المتوفى سنة (976) عن خير الدين التوقادي المتوفى سنة (940) عن الجلبي سلطان المقدس الشهير بجمال الخلوتي المتوفى سنة (912) عن محمد بن بهاء الدين الشيرازي المتوفى سنة (879) عن يحي الباكوي المتوفى سنة (868) عن صدر الدين عمر الحياوي المتوفى سنة (832) عن الحاج عز الدين المتوفى سنة (815) عن محمد أمبوام الخلوتي المتوفى سنة (780) عن عمر الخلوتي المتوفى سنة (730) عن محمد الخلوتي المتوفى سنة (700) عن إبراهيم الزاهد الكيلاني المتوفى سنة (690) عن جمال الدين التبريزي المتوفى سنة (640) عن شهاب الدين محمد الشيرازي المتوفى سنة (629) عن ركن الدين محمد السنجاني المتوفى سنة (615) عن قطب الدين الأبهري المتوفى سنة (590) عن أبي نجيب السهروردي المتوفى سنة (563).

ومنهجية الخلوتية في التربية الروحية تتلخص في ملازمة التقوى وتلاوة القرآن وكثرة الذكر ثم قطع مراحل النفس السبعة بذكر أسماء معينة من أسماء الله الحسنى. فللنفس الأمارة (لا إله إلا الله) وللوامة (الله) وللملهمة (هو) وللمطمئنة (حق) وللراضية (حي) وللمرضية (قيوم) وللصافية (قهار) وللكاملة (الاسم الأعظم). ويأخذ الشيخ عن شيخه محمود الكردي طريقة السلوك والتربية تبتدئ المرحلة الثالثة من مراحل التصوف في حياته التي تبتدئ من سنة 1187هـ إلى سنة 1196هـ. فخلال هذه الفترة، سلك الطريق سلوك معاناة وذوق ومجاهدة وقطع مقامات السير وتحقق بأحواله. ولصحة هذا السلوك، يؤكد الشيخ - ككل الصوفية - على ضرورة الاسترشاد بمرب كامل لقوله تعالى: ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان: 15] وقوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: 119] وفي هذا يقول الشيخ:

قاعدة: اعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل في سابق علمه ونفوذ مشيئته أن المدد واصل إلى خلقه من فيض رحمته هو في كل عصر يجري مع الخاصة العليا من خلقه من النبيين والصديقين. فمن فزع إلى أهل عصره الأحياء من ذوي الخاصة العليا وصحبهم واقتدى بهم واستمد منهم فاز بنيل المدد الفائض من الله، ومن أعرض عن

أهل عصره مستغنيا بكلام من تقدمه من الأولياء الأموات طبع عليه بطابع الحرمان. والدليل على أن الصحبة لا تكون إلا للحي قوله صلى الله عليه وسلم لأبي حجيفة رضي الله عنه: سل العلماء وخالط الحكماء واصحب الكبراء. فالعالم دلالته على الأمر العام أمرا ونهيا بما يوجب المدح عند الله وسقوط اللائمة عن العبد ونهايته الجنة. والحكيم دلالته على التقرب إلى الله تعالى بالطهارة من أهوية النفوس ومتابعة الهوى ونهايته منازل القربة، والكبير دلالته على الله من حيث محو النفس والبراءة من التدبير لها ونهايته الله، يؤخذ من هذا أن الصحبة لا تكون إلا للحي إذ الميت لا يصحب ولا يكلم ولا يخالط. انتهى.

وقد بين الشيخ حقيقة هذه الصحبة فقال:

إن الشيخ لا يصحب إلا لله عز وجل لا لشيء. وهي - أي الصحبة - في أمرين:

فإما أن يواليه لله بأن يقول هذا ولي الله وأنا واليه لله، وسر ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن الله: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب) وفي طيه: (ومن والى لي وليا لأجل أنه ولي اصطفيته واتخذته وليا) وهذا هو السر الأكبر الجاذب للمريد إلى حضرة الله تعالى. والأمر الثاني: يعلم أن الشيخ من عبيد الحضرة ويعلم ما يجب للحضرة من الأدب وما يفسد المرء فيها من الأوطار والأرب. فإذا علم هذا يصحبه ليدله على الله وعلى ما يقربه إليه. والصحبة في هذين الأمرين لا غير. ومن صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة.

وثمرة هذه الصحبة في الله - بعد توفية شروط المجاهدة - هي ما وصفه الشيخ بانفتاح خزائن جواهر القلب السبعة، وهي التي يصفها قائلا:

جواهر القلب سبعة، والقلب فيه سبعة خزائن، كل خزانة محل لجوهرة من الجواهر السبعة. فالجوهرة الأولى: جوهرة الذكر، إذا انفتحت في قلب العبد يكون أبدا منفردا عن وجوده غائبا عن شهوده، ويسمى عند السالكين ذهولا عن الأكوان، وطمأنينة القلب بذكر الله. الجوهرة الثانية: جوهرة الشوق إلى الله وهو أن يكون العبد أبدا في الشوق والاشتياق إلى الله يطلب الموت في كل نفس لحرارة الاشتياق المشتعلة فيه. الجوهرة الثالثة: جوهرة المحبة فإذا انفتحت في القلب يكون العبد أبدا راضيا عن الله وراضيا بحكمه بلذة وإيثار لذلك الرضا على كل ما عاداه، لو وقع به في الوقت أعظم الهلاك لكان أحب إليه من جميع الشهوات. الجوهرة الرابعة: جوهرة السر، وهو غيب من غيوب الله لا تعرف ماهيته ولا تدرك، وحكمه أن يكون العبد في كل حال لا يتحرك إلا لله ولا يسكن إلا لله ولا يقع فيه شيء من مخالفة الشرع أصلا لكمال

طهارته. الجوهرة الخامسة: جوهرة الروح وهو أن يكاشف بحقيقتها، وماهيتها كشفا حقيقيا [1]. الجوهرة السادسة: جوهرة المعرفة وهي تمكين العبد من الفعل بين حقيقة الربوبية والعبودية، ومعرفة كل حقيقة بجميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها وهي حضرة البقاء والصحو. الجوهرة السابعة: وهي جوهرة الفقر لله تعالى إذا انفتحت في العبد يشهد افتقاره لله تعالى واضطراره إليه في كل نفس من أنفاسه فلا يزعجه عن هذا التمكين ورود كل خطب من أضداد فقره. ومن تمكن من هذه الجوهرة صار أغنى الخلق بالله عن كل شيء، بحيث أن لا يبالي بجميع الخلق أحبوه أم أبغضوه أم أقبلوا عليه أم أدبروا عنه لكمال غناه بالله تعالى. انتهى.

وفي حديث أخر، يفصل الشيخ مظاهر الجوهرة الثالثة التي هي المحبة فيقول: محبة الخلق لله سبحانه وتعالى على أربعة أقسام: القسم الأول: محبتهم للثواب، والقسم الثاني: محبتهم لآلائه ونعمائه، والقسم الثالث: محبتهم لما هو عليه من الكمال والجمال، والقسم الرابع: محبتهم للذات العلية. أما محبتهم للثواب فمعلومة، وكذلك محبتهم لآلائه ونعمائه. وهاتان المحبتان لعامة المؤمنين منهما حظ ونصيب، ولكن قد تزول هاتان المحبتان بزوال سببهما. وأما القسم الثالث: فسببهما ثابت وهو ما عليه ربنا من أوصاف الكمال والعظمة والجمال، وهذه لصغار الأولياء، ولكن لا تلحق المرتبة الرابعة لأن المرتبة الرابعة مجردة عن الأسباب والعلل والأوصاف وهذه لا تكون إلا لمن فتح عليه ورفع عنه الحجاب وشاهد أسرار الأسماء والصفات والمواهب والحقائق والكمالات. وفي الحديث دليل المرتبة الأولى والثانية،

(1) ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: 85]. وهذه الآية كانت مثار خلاف بين المفسرين: فمنهم من رأى أن الآية إنما هي نهي عن البحث في الروح بمعنى النفس الإنسانية لأنها من أمر الله فهو وحده العالم بها. ومنهم من رأى في الآية جوابا عن السؤال وهو أن الروح من عالم الأمر المخلوق مباشرة بأمر الله: (كن)، أي أنها ليست من عالم الخلق المترتب على الأسباب والعلل قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: 54]. ومن المفسرين من رأى أن الروح في الآية الكريمة هو القرآن بدليل الآيات السابقة واللاحقة فإنها كلها في القرآن، والقرآن يسمى (روحا) كما أن النازل به جبريل يسمى (روحا). وقد أدلى الشيخ أبو الحسن الشاذلي برأيه في هذا الموضوع في رسالة كتبها لصديقه علي بن مخلوف بتونس، وذكر كلامه حول الروح الشيخ عبد الحليم محمود في كتابه عن أبي الحسن الشاذلي في الفصل الثاني منه. والشاذلي يرى كالتجاني أن تعريف الحق تعالى حقيقة الروح لبعض عباده الصالحين جائز وواقع. فإذا كانت معرفة الخالق الذي ليس كمثله شيء واجبة شرعا، فكيف لا يجوز معرفة من له المثل والنظير من المخلوقات كالروح.

قال صلى الله عليه وسلم: (أحبوا الله لما يغذيكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي). وقالت رابعة العدوية رضي الله عنها:

أحبك حبين حب الهوى ... وحب لأنك أهل لذاكا

إشارة للمرتبة الثالثة والرابعة. انتهى.

ودع الشيخ شيخه محمود الكردي قاصدا الحج بحرا. ثم بلغ مكة المكرمة في شوال سنة 1187هـ. واتصل هناك بالشيخ أحمد بن عبد الله الهندي قاطن مكة المكرمة وأخذ منه حكما وعلوما من غير ملاقاة له، إنما كان يراسله مع خادمه، وقال له: أنت وارث علمي وأسراري ومواهبي وأنواري وأحوالي [1]. وتوفي هذا الشيخ في العشرين من شهر ذي الحجة من ذلك العام بعد أن أحاله عند وصوله إلى المدينة إلى أحد مشاهير الصوفية العلماء فيها وهو محمد بن عبد الكريم السمان [2] الذي أخذ الطريقة الخلوتية عن مصطفى البكري أستاذ الحفني شيخ محمود الكردي وأعجب الشيخ بالسمان إعجابا كبيرا وأخذ عنه علوما وأورادا وحكما، ولكنه بقي روحيا مرتبطا بصحبة شيخه الكردي - وفاء بالعهد معه - ولم يرد الدخول تحت تربية السمان. وبعد

(1) من المحتمل أن يكون الشيخ التجاني قد أخذ عن هذا الشيخ الهندي كتاب (الجواهر الخمس) لغوث الله الشطاري الهندي. وهو كتاب مشهور في بعض الأوساط الصوفية والتجانية وهو يحتوي على أوراد وكيفيات في الذكر كثيرة، من أشهرها الأسماء الإدريسية وهي من الأذكار الخاصة في الطريقة التجانية.

(2) أخذ محمد بن عبد الكريم السمان العلوم الشرعية عن محمد بن الدقاق المغربي ومحمد بن سليمان الكردي فقيه الأقطار الحجازية. وأخذ التصوف بالطريقة الخلوتية عن مصطفى البكري - أي شيخ محمود الكردي شيخ أحمد التجاني - وقد عاش السمان أغلب عمره في المدينة المنورة وتوفي سنة 1189هـ وطريقته تجمع بين الخلوتية والقادرية والشاذلية. من مؤلفاته:
-(الفتوحات الإلهية الروحية للحضرة المحمدية). - (إغاثة اللهفان ومؤانسة الولهان).
- (الإنسان الكامل). - (عنوان الجلوة في شأن الخلوة).
- (كشف الأستار في ما يتعلق باسم القهار). - (القصيدة العينية).
- (الفتوحات المكية) - وهو غير الفتوحات المكية لابن العربي - ومن كبار خلفاء السمان الذين تتلمذوا عنه ونشروا طريقته، الشيخ أحمد الطيب بن البشير(1155- 1239هـ) الذي صحبه في الحجاز مدة سبع سنوات ثم نشر الطريقة في السودان ثم خلفهم ابنه نور الدائم ثم حفيده محمد شريف شيخ المتصوف الثائر محمد أحمد المهدي السوداني (1260 -1302 هـ/ 1835- 1885م) زعيم المهدية المشهور بثورته ضد الاستعمار الإنجليزي. راجع تراجم مصطفى البكري والسمان وأحمد الطيب ونور الدائم في كتاب: (الكؤوس المترعة في مناقب السادة الأربعة) لعبد المحمود بن نور الدائم.

أن أكمل الشيخ الحج والزيارة رجع لمصر القاهرة مع ركب الحجيج، فذهب لزيارة شيخه الكردي الذي أمره بالتردد إليه في كل يوم، فكان يلقي عليه المشكلات العلمية والصوفية ويطلب منه الإجابة عنها، ولم يزل كذلك حتى عرف علماء مصر مرتبة الشيخ التجاني في العلم، وبدأ الناس يلتفون حوله للاستفادة منه، لكنه سارع بالرجوع إلى بلاده بعد أن أجازه شيخه في التربية بالطريقة الخلوتية.

ثم قفل الشيخ نحو تونس وانتقل منها إلى تلمسان حيث وصل إليها عام 1188هـ وأقام في تلمسان مجتهدا في العبادة والدلالة على الله. ولقن بعض من صحبه الطريقة الخلوتية منهم محمد بن المشري الذي لقنها بدوره لعلي حرازم [1]. ومكث الشيخ بتلمسان نحو الثمانية أعوام سافر في أثنائها إلى مدينة فاس سنة 1191هـ والتقى خلال سفره هذا بتلميذه علي حرازم في وجدة فلازم صحبته إلى وفاته.

لكن على - حد تعبير الشيخ - حاله لم يستقم بتلمسان، فإن باي الغرب الجزائري محمد بن عثمان بدأ يتخوف من إقبال الناس على أحمد التجاني والتفافهم حوله بتلمسان، خصوصا بعد الحملة العسكرية التي قادها هو بنفسه لإخضاع أهالي الأغواط وبلد الشيخ عين ماضي سنة 1189هـ [2]. وبعد الاستخارة قصد الشيخ قرية الشلالة بالصحراء في أوائل عام 1196هـ.

(1) انظر ترجمتهما في الباب الرابع (آثار الشيخ).

(2) راجع الفصل الثالث من الباب الأول.

نصّ إجازة الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه للعلاّمة سيدي محمد بن المشري

الفصل الخامس: التصدر للمشيخة

لما رحل الشيخ من تلمسان استوطن أولا بأهله قرية الشلالة عام 1196هـ حيث عكف على الذكر والفكر والمجاهدة. وفي هذه السنة يقول الشيخ أنه قد وقع له الفتح الأكبر عند رجال الطريق وأنه أمر بالتخلي عن الأوراد التي كان يذكرها ويلقنها، ويلقن من الأوراد أذكار الطريقة التي أذن له فيها النبي صلى الله عليه وسلم [1] وهي تشتمل على الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. واستمر على تلقينه هذا إلى رأس القرن الثاني عشر هجري حين أضاف لذلك كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) سنة 1200هـ.

والملاحظ أنه تصدر للمشيخة بعد وفاة شيخه محمود الكردي (ت: 1195) في مصر بنحو سنة. إذاً، ففي سنة 1196هـ بدأت مرحلة أخرى من مراحل تصوف الشيخ وهي تحمله لأعباء الدعوة إلى الله تعالى والتربية الروحية لمن تتلمذ عليه. أما قبل هذه السنة فقد كان يلقن البعض فقط أذكار الطريقة الخلوتية. ومن هذه السنة سميت منهجيته في التربية الروحية بالطريقة التجانية الأحمدية. وفي هذا يقول أبو القاسم سعد الله في (تاريخ الجزائر الثقافي) الجزء الأول منه ص 518: (وهكذا، بدأت صفحة جديدة من حياة التجاني وهي صفحة شبيهة بما كان قد حدث قبله لغيره، فلم يكن التجاني إذاً بدعا في هذا التيار، كان التجاني يقول: إن سنده الحقيقي وأستاذه في طريق التصوف هو الرسول صلى الله عليه وسلم وأن ما تلقاه من المشائخ الآخرين من الأوراد والسلاسل والعهود لم يرو ظمأه، ولم يحقق له المقصود، وأضاف أن الرسول صلى الله عليه وسلم سنده في الورد المعلوم).

(1) انظر الكلام حول الاتصال الروحي المباشر بالنبي صلى الله عليه وسلم في كتاب (بهجة النفوس) لابن أبي جمرة. ورسالة (تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك) لجلال السيوطي وهي مع فتاويه ورسالة (تعريف أهل الإسلام والإيمان بأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخلو منه مكان ولازمان) للإمام نور الدين الحلبي وكتاب (المدخل) لابن الحاج المالكي في فصل (رؤية النبي صلى الله عليه وسلم) وكتاب (اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر) الباب 22- للشعراني. وأوسع بحث في هذا الموضوع هو الباب التاسع من كتاب (سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين) ليوسف النبهاني. وللشيخ محمد الحافظ المصري كتاب ألفه في موضوع (رؤية النبي صلى الله عليه وسلم) في اليقظة وراجع أيضا مقدمته للإفادة الأحمدية والجزء الأول من كتاب (بغية المستفيد) للعربي بن السائح.

ويقول محمد الحافظ المصري في مقدمته لكتاب (الإفادة الأحمدية):

صحب رضي الله عنه في بدايته، شيوخا كثيرين. ولم يكتف ببلوغ ما بلغ في صحبتهم. فعكف على عبادة الله تبارك وتعالى وكثرة الاشتغال بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. ومن المعلوم عند أهل هذا الشأن، أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم موصلة من غير شيخ. ومأخذ ذلك، أنه قد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا) رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص، ونحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وصح أن الملائكة تصلي على من صلى عليه، صلى الله عليه وسلم. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [الأحزاب: 43]. من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة، ومن ظلمات الحجاب إلى نور الفتح. وقد وصل بطريق الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كثيرون من الأولياء رضوان الله عليهم. منهم الشيخ نور الدين الشوني والعارف المتبولي، وسيدي عبد الرحيم القنائي، والشيخ الجزولي وغيرهم. وما زال هذا شأنه رضي الله عنه، حتى تبدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم واصطفاه وتولى تربيته التربية الخاصة، ولقنه ما لقنه. وكان رضي الله عنه، قبل ذلك يصلي بصلاة الفاتح [1]، ثم تركها واشتغل بهذه الصيغة،وهي « اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل صلوات أهل محبتك، وسلم على سيدنا محمد سلاما يعدل سلامهم ». فأمره صلى الله عليه وسلم بالاشتغال بصلاة الفاتح. ثم أمره بتلقين الاستغفار، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان رضي الله عنه إذ ذاك بأبي سمغون والشلالة بالصحراء المعروفة بالجزائر، ثم أتم له صلى الله عليه وسلم الورد بالهيللة.

وقد صرح الشيخ باتصاله الروحي المباشر بالرسول صلى الله عليه وسلم فهو يقول في إحدى رسائله التي كتبها إلى بعض تلاميذه: أما ما ذكرتم من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في النوم نسأل الله أن يمكنكم منها عاجلا، ولكن عليكم إن أردتموها بالمداومة على جوهرة الكمال سبعا [2] عند النوم على وضوء دائم فإنها كفيلة بها وهي: اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية. وأما سند طريقتنا فطريقتنا عنه صلى الله

(1) انظر نصها في الفصل الثالث من الباب الرابع.
(2) انظر نصها في الباب الرابع.

عليه وسلم اتصالا منه إلينا وسندنا أيضا في الورد المعلوم مع السيفي [1] عنه صلى الله عليه وسلم متصلا إلينا. وأما المسبعات العشر[2] فأخذناها مشافهة عن شيخنا الشيخ محمود الكردي المصري رضي الله عنه وهو أخذها عن الخضر مشافهة. وأما أحزاب الشاذلي ووظيفة زروق ودلائل الخيرات والدور الأعلى [3] فكلها أخذنا الإجازة فيها عن شيخنا القطب الكامل سيدي محمد بن عبد الكريم السمان قاطن المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

وقال أيضا: إنا أخذنا عن مشائخ عدة، رضي الله عنهم، فلم يقض الله منهم بتحصيل المقصود. وإنما سندنا واستنادنا في هذا الطريق، هو سيد الوجود صلى الله عليه وسلم. قد قضى الله بفتحنا ووصولنا على يديه، ليس لغيره من الشيوخ فينا تصرف وكفى.

وهكذا تصدر الشيخ إلى الدعوة إلى الله على بصيرة بإذن نبوي روحي، وفي هذا الموضوع يتكلم شيخ الأزهر سابقا عبد الحليم محمود في كتابه عن أبي الحسن الشاذلي فيقول:

من المعلوم – في الأعراف الدينية – أن الدعاة على قسمين:

1- دعاة إلى الله قد أذن الله لهم في نطاق الإذن العام، أو الواجب العام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهؤلاء يتفاوت تأثيرهم بتفاوتهم في صفاء النفس، وفي طلاقة اللسان، وفي العلم بالكتاب الكريم والسنة الشريفة، وبعضهم لا تأثير له قط لأنه لم تصف نفسه أو لأن به لكنة أو لجهله الكتاب والسنة أو لغير ذلك من الأسباب.

2-والقسم الثاني من الدعاة هم الذين يدعون على بصيرة. وهم الذين قد أذنوا بإذن خاص وأمروا بأمر خاص. إنهم هؤلاء الذين سمعوا النداء. وهم لم يسمعوا النداء

(1) هو الحزب السيفي المشتمل على ثناء على الله تعالى ودعاء وابتهالات وهو منسوب للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأدخله كثير من الشيوخ في أورادهم. ونصه موجود في الفصل 35 من كتاب (الرماح) لعمر الفوتي وموجود في آخر كتاب (جامع الثناء على الله) ليوسف بن إسماعيل النبهاني. وفي كتاب (أحزاب وأوراد) الذي حققه وطبعه محمد الحافظ التجاني المصري.

(2) هي الفاتحة والمعوذتان والإخلاص والكافرون وآية الكرسي وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلاة على النبي ودعاء كل سورة وثناء ودعاء سبع مرات.

(3) هو دعاء يتخلله آيات قرآنية لمحي الدين بن العربي.

مصادفة واتفاقا، كلا إنهم جاهدوا أنفسهم حتى أطاعت، وغذوا قلوبهم بالطاعات حتى استنارت، وأصبح سرهم مع الله فأضحوا من أوليائه. وهم ينتظرون الإذن في كل شيء من الأمور حتى المباح منها فضلا عن الإذن الخاص بالدعوة.

يقول أبو الحسن مفسرا معنى الإذن في المباح، ومعنى الإذن في حق الولي: نور ينبسط على القلب يخلقه الله فيه وعليه، فيمتد ذلك النور على الشيء الذي يريد فيدركه نورا مع نور، أو ظلمة تحت نور. فذلك النور ينبئك أن تأخذ إن شئت أو تترك أو تقبل أو تدبر أو تعطي أو تمنع أو تقوم أو تجلس أو تسافر أو تقيم. هذا باب المباح المؤذون فيه بالتخيير. فإذا قارنه القول تأكد الفعل المباح بمراد الله تعالى. فإن قارنته نية صحيحة لفعل، تحول عن حكم المباح وعاد مندوبا. وإن ظهرت الظلمة تحت النور الممتد من القلب فلا يخلو أن يلوح عليها لائح القبض بانقباض القلب: فاحذر ذلك وتجنبه، فإنه المحذور أو يكاد. ولا تقطع ذلك إلا ببينة من كتاب الله عز وجل أو سنة أو إجماع. فإن تلك الظلمة شبه غيم لا ينصدع معه القلب، ولا يتف به الذهن فتباعد عنه فإنه يكاد يكون مكروها. ولا تحكم بعقلك ورأيك فقد ضل من هنا خلق كثير. انتهى.

وأصحاب هذا النور يدعون إلى الله بكيانهم كله. إن صمتهم دعوة إلى الله وسيرهم دعوة إلى الله، وإن جلوسهم دعوة إلى الله، وإن عملهم دعوة إلى الله، وإن حديثهم دعوة إلى الله. ويستجيب لهم الناس سراعا بمقدار ما في قلوبهم من خير، وما في أفئدتهم من إيمان، وينأى عنهم من ليس له في الخير نصيب، ويحاربهم من حقت عليهم كلمة العذاب. انتهى كلام شيخ الأزهر.

وهكذا بدأت منهجية الشيخ في التربية والدعوة إلى الله تنتشر سريعا. وقد بين دور الشيخ في التربية الروحية فقال:

الشيخ هو الدال على الله بأفعاله وأقواله وأحواله وحركاته وسكناته بكليته ظاهرا وباطنا، وهو في الطريق بمنزلة الدليل يعرف الطريق ومخاوفها ومآمنها، ويعد لكل محل منها ما تستحق من التعبئة والزاد، وهو للأرواح والقلوب بمنزلة الطبيب الماهر في الأمراض العارضة، ومن أين مادتها وكيفية معالجتها كما وكيفا، ومعرفة الأدوية التي يلقيها على تلك الأمراض حتى تعود القلوب والأرواح إلى كمال صحتها. فهذا غاية ما عند الشيخ. وأما ما وراء ذلك من الفيوض والتجليات والأنوار والأسرار والأحوال والعلوم والمعارف والتوحيد والتفريد والترقي في المنازل والمقامات فإنما

هو بيد الخلاق سبحانه وتعالى يعطي منه ما يشاء ويمنع منه ما يشاء، والشيخ سبب في ذلك على القانون المذكور أولا فقط.

وانتقل الشيخ من الشلالة إلى قرية أبي سمغون حيث استقر في عام 1199هـ متجردا إلى الدعوة إلى الله عز وجل. وخلال هذه الإقامة سافر إلى توات بقصد زيارة أهل الخير خصوصا العارف محمد بن الفضيل – وهو من أهل تكرارين [1] من توات الغربية – الذي كان يتراسل معه فيستفيد كل واحد منهما من الآخر. وبعد ذلك، أصبح ابن الفضيل من تلاميذ الشيخ الناشرين لطريقته [2].

وسافر مرة أخرى إلى ملاقاة أحد أخص أصحابه وهو محمد بن العربي الدمراوي التازي [3]، كما تردد مرات عديدة على بلده عين ماضي حيث كانت تأتيه الوفود من كل نواحي الصحراء. وفي رسالة الشيخ إلى أهالي عين ماضي المذكور نصها في الباب الأول من هذا الكتاب إشارة إلى كثرة الوافدين عليه في أبي سمغون، فيقول لهم أن حمله ثقيل لا يحمله إلا سبعون أو ثمانون بعيرا.

وفي تلك الفترة، بلغ التوتر بين أهالي عين ماضي وبين الأتراك أوجه رغم حث الشيخ قومه على التصالح مع الباي. وأمسى الترك يتخوفون من الزعامة الدينية للشيخ فكانوا يترصدون كل حركاته، ويضيقون عليه، إلى أن هاجموا عين ماضي بقيادة باي الغرب الجزائري عثمان بن محمد. لكن حين الهجوم كان الشيخ في أبي سمغون، فبعث الباي إلى أهلها بتهديدهم إن لم يخرجوه، ولما بلغ الشيخ ذلك،خرج منها مع بعض تلاميذه وأهله سالكا طريق الصحراء وذلك في السابع عشرة من ربيع الأول النبوي سنة 1213هـ حتى دخل فاس في السادس من ربيع الثاني وله من العمر 63 سنة بعد أن قضى 17سنة داعيا إلى الله تعالى في الجزائر.

وقد وصف علي حرازم حال الشيخ في دعوته إلى الله فقال ما ملخصه:

فأما مواجيده وأحواله فقد كان أول أمره لما نزل به ما نزل لا تفارقه غمرة الحال وهو مع ذلك في غاية الكمال. وقد يتكلم حين يعتريه الحال بأمور لا يعرفها إلا

(1) تكرارين: ويقال أيضا (تقرارين) ومعناه باللهجة المحلية (المخيمات) وتعرف الناحية بقرارة وتوات واحة كبيرة بالجنوب الغربي وتمتد إلى شرق الصحراء وفيها ملتقى طرق الشمال والمحيط وأقصى الجنوب، ومن أشهر مدنها تيميمون، وبها عدة زوايا نشرت العلم والتصوف وشجعت التجارة والفلاحة.

(2) انظر ترجمته في الباب الخامس، الفصل الأول.

(3) انظر ترجمته في الباب الرابع، الفصل الأول.

واجدها، ثم تماسك بعد ذلك وسكن وعادت الأحوال لا تؤثر في ظاهره. وما زال بعد تماسكه فائض النور يقع له كثير من الأحيان فيضان عظيم فتظهر عليه آثاره كتهلل وجهه وامتلاء بدنه فترى عليه حسنا بارعا يأخذ باللب وكثيرا ما يلوح عليه ذلك عند حضور سماع أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم المعنوية، فتبدو على لسانه أسرار ومعارف وعلوم وكان يمليها علينا سماعا من حفظه ولفظه، فلا ترى أفعاله وأقواله وتصريحاته وتلويحاته تحوم إلا على الفناء في الله والغيبة فيه عما سواه، وشهود صفاته وأسمائه وعظمته وكبريائه وجماله وكماله وحسن صنعه وإحسانه، ذلك ديدنه وشعاره، فإذا رأيته ذكرت الله ونسيت ما سواه واستيقظت لأول وهلة فوجدت في قلبك تعظيما. يتحف جليسه بالدواء والعلاج بذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وينزع منها الإشارات واللطائف، يأتيه الإنسان في كرب وأحزان فيعود مسرورا شكورا، وتجده يتكلم مع الرجل كلاما عاديا وهو يفعل في قلبه الأفاعيل؛ ويحضره الحاضرون ما بين متوجه وغافل ودنيوي وغيره فيعمل في الجميع حاله حتى يظن أحدهم أنه لا يبالي بالدنيا أبدا لما يلوح عليه حينئذ من اليقين بالله والفرح بأنعمه. وقد أتاه رجل من الإخوان قد امتحن بأخذ ماله من قبل السلطان فساءت أخلاقه وأحواله فجعل ينصت لكلام الشيخ على عادته في الدلالة على الله ويذكر الناس بأنعم الله الظاهرة والباطنة وأن ما ينزل بالعبد من المحن التي هي في الظاهر نقمة كلها رحمة من الله وفضل منه ونعمة، وأنه لا يفعل ذلك سبحانه إلا لحكمة وجعل يوضح ذلك، فتحول حال الرجل لحينه وظهر عليه أثر السرور والفرح ويقول: الحمد لله، يكررها فرحا منه بنعمة الإسلام التي لم يقدر قدرها قبل ذلك واستخفافا بالدنيا التي رزئها. ووقع مثل ذلك المرة بعد المرة يأتيه الرجل في كرب فينصرف عنه منشرح الصدر والبال، ذلك لما تكيف به من نور الحقيقة واتصف به من الرحمة للخليقة، حضرت من ذلك ما لا أحصيه، فهو يجود عليهم بماله وعلومه ومعارفه، لا يزال حريصا على نفعهم وزجهم إلى الله ودفعهم إليه، يستشهد كثيرا بحديث: (الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله). وإذا اشتكى له أحد سوء حاله جذبه من النظر إلى ذلك، إلى النظر إلى رحمة الله. ويذكر قول الشاذلي: (إن لم نكن لرحمتك أهلا أن ننالها فرحمتك أهل أن تنالنا). وإذا تكلم أحد بما يشير إلى الدعوى وثناء منه على نفسه قابله بالعكس وجعل يتكلم في عيوب النفس ودسائسها من الكبر وغيره ويقول: إذا أراد الله هلاك عبد وكله إليها. وما جاءه أحد مظهرا للرجا غافلا عن اللجا إلا خوفه من سطوة الله وقهره، وما جاءه خائف إلا سلاه ورجاه يريد بذلك جمع العبد في الحالتين على مولاه. وإذا ادعى أحد بين يديه المحبة قال له: من علامات المحبة، السعي في رضا المحبوب والوقوف عند أمره ونهيه،

وينشد قول القائل:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وإذا ذكر له أحد عن نفسه عملا صالحا لامه على ذكره أو عرفه بما جهل من أمره فأخرج له دسائس ذلك العمل حتى لا يركن إلا لفضل الله ورحمته، وكثيرا ما يستشهد بقوله: (ما عندنا إلا فضل الله ورحمته وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم) ويدل على الله بصحبة أهله ويذكر قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ [الكهف: 28] الآية وحديث: (المرء على دين خليله). ويقول: (أصل كل خير الخلطة واللقمة. كل ما شئت فمثله تعمل. وخالط من شئت فمثله تفعل). ويقول: (الوقوف عند كل مقام من المقامات يوجب القطع عن المقصود ثم يتلو قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: 42]..... إلى آخر ما ذكره علي حرازم عن الشيخ وأطنب فيه غاية الإطناب...

لكن الملاحظ أن كثيرا من الأوصاف التي وصف بها علي حرازم الشيخ التجاني، وبعض الكلمات والوصايا وأبيات الشعر التي نسبها له، بل حتى القصيدة التي قال عنها أن أحد الفاسيين مدحها به - وهي تتألف من 15بيتا- كل ذلك منقول حرفيا من كتاب عنوانه: (المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد) لمؤلفه أبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري المتوفى بفاس عام 1110هـ - أي نحو قرن قبل كتابة (جواهر المعاني) - كتبه في مناقب شيخه عبد الله أحمد معن الذي كان من أكبر شيوخ الشاذلية في عصره بالمغرب. وعلي حرازم كان قبل صحبته للشيخ التجاني بدءا من سنة 1191 هـ من أصحاب الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد العربي بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد المدعو بابن عبد الله معن الأندلسي.وكلهم من أقطاب الطريقة الشاذلية بفاس. قال في الباب الأول من (جواهر المعاني) ص 37: عن الشيخ عبد الله معن: (توفي سنة 1188 وغسلته بيدي وكفنته وجهزته رضي الله عنه وكانت له جنازة حفيلة).

لكن قد تكون الأوصاف والأحوال والأقوال التي نقلها علي حرازم حرفيا بأجمعها من كتاب (المقصد الأحمد) مطابقة لما كان عليه مقام أحمد التجاني لمماثلته لمقام الشيخ أحمد معن، حيث أن الأخلاق المحمدية لشيوخ التربية جلها متماثلة. وسنرجع إلى هذا الموضوع في الفصل الأول من الباب الرابع من هذا الكتاب.

الفصل السادس: الشيخ في فاس

في 17ربيع الأول عام 1213 توجه الشيخ مع أهله وبعض تلاميذه - كان منهم محمد بن المشري وعلي حرازم - من أبي سمغون إلى فاس التي دخلها في السادس من ربيع الثاني من نفس السنة. وبعث رسوله إلى السلطان أبي الربيع سليمان[1] يعلمه بأنه هاجر إليه من جور الترك. ورحب السلطان بالشيخ بعد أن امتحن علمه وصلاحه وفضله وأصبح من خاصة أصحابه، وأهداه دارا تسمى(دار المراية)، فامتنع الشيخ من قبولها تورعا لأمر حاك في صدره. ففطن السلطان لذلك وكلمه بما أن أزح عنه وجه الإشكال. فقبل السكنى فيها. ولكن، رغم هذا كان الشيخ يتصدق بمقدار كرائها على المساكين عند انقضاء كل شهر إلى أن توفي. كانت تلك الدار لورثة مولاي الطيب بن محمد دفين وزان وشيخ الطريقة الطيبية، واشتراها الملك سليمان منهم بمال موروث له، وأصلحها في أول إمارته، وأعطاها لبعض أشراف فاس، وأشهد فقهاء الوقت أنها من ماله الخاص له بالإرث، وأن أحب ماله إليه هو ذلك، فلما أتى الوباء عام 1213 هـ توفي الشريف الموهوب له تلك الدار للسكنى، فرأى سليمان أن ثمنها أنفع لورثتها من تلك الدار فاشتراها منهم وبقيت فارغة مدة إلى أن قدم الشيخ فأعطاها له [2].

ويقول تلاميذ الشيخ: أنه في شهر المحرم الحرام فاتح العام الموالي لعام حلول الشيخ بفاس أي عام 1214هـ بلغ مقام القطبية في حال روحي كانت خلاله روحه تجول في عرفة.وبعد شهر وليال في يوم الاثنين لثمان عشر خلت من صفر من عام 1214هـ ارتقى إلى المقام الأحمدي المسمى بمقام (الختم والكتم).وقد تكلم الشيخ عن مقام القطب [3] فوصفه بقوله: (أنه أفضل جماعة المسلمين في عصره) وذكر

---

(1) هو سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل، كان عالما عادلا فاضلا وطد لبلاده الأمن والرخاء وقد تولى الملك سنة 1208هـ وتوفي يوم الخميس 13ربيع الأول سنة 1238هـ.انظر ترجمته في(كشف الحجاب) لسكيرج ص 495 إلى ص 500.

(2) وبعد وفاة الشيخ ورحيل أسرته إلى عين ماضي توارث هذه الدار عدة من عائلات الأشراف إلى أن اشتراها أحد التجانيين الأفارقة وأهداها لشيخ زاوية عين ماضي السابق السيد علي بن محمود حفيد الشيخ.

(3) كثيرا ما تكلم الصوفية على القطب ومن تحته من الأوتاد والأبدال وغيرهم من طبقات الأولياء الذين لهم عدد معين. واختلف علماء الشريعة في هذا الموضوع، فمنهم من أنكر وجودهم كابن

مقام الختم فقال: (إن أكمل العارفين هو القطب الكامل، لا تتجلى له حقيقة الكبرياء، إلا بعد بلوغه للمرتبة العليا من القطبانية وذلك المقام يسمونه ختم المقامات ولم يرتقه من الأقطاب إلا القليل لبعد مرامه، فإذا ارتقاه القطب ووصله، هنالك يتجلى له بالكبرياء الذاتي ولا يزال مرتقيا فيه إلى الأبد. قال علي كرم الله وجهه: المعرفة كشف سبحات الجلال وغايتها الدهش في كبرياء الله. أراد بغايتها مقام الختم في القطبانية فهو غاية الغايات) انتهى[1]. وقد أطنب بعض التجانيين في وصف خصائص هذا المقام

=

تيمية ومن تبعه (انظر مجموعة رسائله) وحكم بأن كل الأحاديث المروية في شأنهم موضوعة أو ضعيفة وكذلك ابن خلدون يرى أن القول بوجود القطب ودولة الباطن مأخوذة من الشيعة. ومن علماء الشريعة وأهل الحديث من أيد الصوفية في هذا الموضوع منهم جلال الدين السيوطي الذي ألف رسالة وهي مطبوعة مع فتاويه عنوانها: (الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال) وكذلك ابن حجر الهيثمي في(الفتاوي الحديثية). ومن أراد التوسع في هذا الموضوع فليرجع إلى المراجع التي سنذكرها في آخر الباب.

(1) نسب مقام الختمية إلى عدة شيوخ منهم الشيخ عبد القادر الجيلاني وأحمد الرفاعي ومحمد بن سليمان الجزولي مؤلف كتاب «دلائل الخيرات»، ومحمد وفا الشاذلي المصري وصفي الدين القشاشي، وأحمد السرهندي النقشبندي، وعبد الغني النابلسي والميرغني مؤسس الطريقة الختمية ومحمد بن عبد الكبير الكتاني المغربي وماضي أبو العزايم المصري وغيرهم، ومن أشهرهم محي الدين بن العربي الذي قال:

بنا ختم الله الولاية فانتهت ... إلينا فلا ختم يكون لها بعدي

وما فاز بالختم الذي لمحمد ... هن أمته والعلم إلا أنا وحدي

وهو الذي ألف في هذا المقام كتاب (عنقاء مغرب في ختم الولاية وشمس المغرب) كما ذكر هذا المقام في عدة مواضع من كتابه (الفتوحات المكية) -ج 1 ص 3 - 60 /-ج 2ص 9- 49 /-ج 3ص 514 / -ج4 ص 195/منها قوله في جوابه عن السؤال الثالث عشر من أسئلة الحكيم الترمذي:« وأما ختم الولاية المحمدية فهي لرجل من العرب من أكرمها أصلا ويدا، وهو في زماننا اليوم هو مجود.عرفت به سنة 595هـ ورأيت العلامة التي له قد أخفاها الحق فيه عن عباده وكشفها لي بمدينة فاس، حتى رأيت خاتم الولاية منه لا يعلمها كثير من الناس.وقد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه فيما يتحقق به من الحق في سره من العلم به، وكما أن الله تعالى ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم نبوة الشرائع كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية التي تحصل من الورث المحمدي لا التي تحصل من سائر الأنبياء، فإن من الأولياء من يرث إبراهيم وموسى وعيسى، فهؤلاء يوجدون بعد هذا الختم المحمدي وبعده فلا يوجد ولي على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، هذا معنى خاتم الولاية المحمدية) انتهى. وأول من ذكر هذا المقام في كتاب هو الحكيم الترمذي الذي ألف (خاتم الأولياء) حوالي سنة 280هـ. ومن أراد التوسع في هذا الموضوع فليرجع إلى المصادر المذكورة في آخر هذا الباب.

الختمي ونسبوا كلاما في ذلك إلى الشيخ[1] مما جر عليهم سيلا من الإنكار اللاذع. والحق أن الاعتقاد في وجود القطب ومزايا الختم من المسائل الهامشية بالنسبة لعقائد الإسلام الأصلية والفرعية، وهي التي من آمن بها وعمل بمقتضاها يعتبر مسلما مؤمنا كيفما كانت آراؤه حول القطب والختم. والقاعدة القرآنية الثابتة هي: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) لا الذي انتسب إلى القطب والختم أو آمن بوجودهما أم لم يؤمن. ولا شرف أعظم من شرف الانتساب للإسلام والقرآن ومتابعة خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم.وهذا نفس ما يؤكد عليه دائما الشيخ التجاني نفسه، حتى أنه قيل له مرة: أنت لك الفضل الفلاني وكذا وكذا، فأجابهم: (آمن صاب نكون مسلمين، ما شممنا رائحة الإسلام)[2] وكثيرا ما ينشد لأصحابه:

وآمن مكر الله بالله جاهل ... وخائف مكر الله بالله عارف

ولا جاهل إلا من الله آمن ... ولا عارف إلا من الله خائف

وذا كان الشيخ نفسه يخشى العاقبة فأصحابه وأتباعه من باب أولى.

وفي سنة 1215هـ كان عدد الوافدين على الشيخ من الآفاق البعيدة قد كثروا، كما تضاعف عدد المريدين الملتفين حوله، فعزم على بناء زاوية، فاشترى خربة منهدمة وما جاورها بحومة الدرداس المعروفة اليوم بالبليدة في فاس[3] وشرع في بناء الزاوية بإعانة أصحابه الذين كان يقول لهم عندما يتوقفون في المصروف في بنائها: (أمرها قائم بالله). ولما سمع السلطان بذلك بعث إليه بصرتين في كل واحدة منهما ألف ريال فرفضهما الشيخ، لكن السلطان ألح عليه في القبول، فقبضهما الشيخ وتصدق بهما على الفقراء. وجاءه رجل يريد أن ينفق مالا في بناء مطهرة الزاوية فشكره قائلا: (الله يوقفك بين يديه وقفة خالصة) ثم جاءه رجل آخر بدراهم للمساهمة في بناء المطهرة وطلب من الشيخ الدعاء مثل ما دعا للأول فأجابه: (سبقك بها عكاشة) ورد دراهمه إليه لعلمه أنه إنما أعطاها لغرض بخلاف الرجل الأول، وكانت عادته إذا أعطاه أحد شيئا وقال له أطلب منك الدعاء يرد عليه عطيته ويقول له: (الله يبلغك مرادك) وكان يقول: (العامة لا يعطون إلا لأغراضهم.) وكان الشيخ شديد العناية بزاويته ونظافتها، وإبعاد كل بدعة

(1) راجع كتاب (الرماح) للفوتي الفصل الرابع - وكتاب (المشاهد) لعلي حرازم وهو مخطوط وغيرهما من كتب التجانية.

(2) من كتاب الإفادة الأحمدية باب الألف ص 75.

(3) انظر تاريخ هذه الزاوية في بداية كتاب (كشف الحجاب) لسكيرج.

عنها حتى أنه أمر أن لا يدفن فيها أحد سواه. وكان ينزل فيها متاعه وأضيافه وأمتعتهم ويضرب فيها الخيمة للمبيت، ويتنزه في النهار فيها مع أحبابه، ومع هذا كله يعظم حرمتها لكونها بيت من بيوت الله التي بنيت لخدمة دينه والمؤمنين. وقد شاوره مرة رجل في شراء بستان فقال له: (إذا كنت تشتريه لله فكل ما فيها من حجر وشجر ونبات يسبح الله تعالى، وثواب ذلك كله يكون في صحيفتك).

وقد كان الشيخ يعقد جلسات في بيته وفي زاويته أو في مسجد الديوان من عدوة فاس القرويين للمذاكرة والإفادة والإفتاء والعلم والذكر. وأكثر مواضيعها كانت تدور حول التفسير والحديث والفقه والتصوف. وكان للشيخ ولع خاص بالسيرة النبوية والحديث الشريف خصوصا خلال الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وكان يأمر تلاميذه بالاحتفال به وقراءة همزية البوصيري في الزاوية ليلة الاحتفال. وللشيخ أجوبة كثيرة عن معاني بعض الأحاديث النبوية نذكر منها النماذج التالية مع اختصار لكلامه من (جواهر المعاني):

سئل عن قوله صلى الله عليه وسلم: يقول الله سبحانه وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه. ومن تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة.

فأجاب بما ملخصه:

إن العندية هنا هي من إطلاقات الكناية الإلهية، لأنها اقتضت الحلول معه في المكان لأن العبد في مكان مستكن وذلك مستحيل على الله تعالى إذ يستحيل عليه الحلول في الأمكنة والخروج عنها، ومعنى العندية هنا إسعافه للعبد بمطلبه فيما ظن به فيه، فمن ظن بربه خيرا وجده لا سيما إذا كان يكثر التضرع من ذنوبه يطلب العفو عنها. وكذلك قوله: (أنا معه إذا ذكرني) فالمعية هنا من إطلاقات الكناية الإلهية إلا أنها غير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: 4] فإن تلك هي له صفة ذاتية، وهذه المعية هنا هي معية العناية والمحبة للذاكر. فالمعية الذاتية التي في قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ لا تقبل الانفصال لأنه تعالى في تلك المرتبة مع كل شيء لا بحلول ولا باتصال ولا بانفصال ولا مسافة. أما معية العناية والمحبة فقد تنعدم إذا انقطع العبد انقطاعا كليا عن الذكر بلا عودة، وأما إذا كان لاستراحة أوقاته بين أذكاره

فمعية المحبة والعناية لا تنقطع عنه فإنه يقول في الحديث القدسي: إذا اطلعت على قلب عبدي فرأيت الغالب عليه ذكري ملأته بحبي. وحب الله هو غاية المطالب ولصاحبه سعادة الأبد. فلا يزال العبد يذكر ويستريح حتى يصب الحق في قلبه أنوارا تجعله مطمئنا بذكر الله وحده ثم ينتقل إلى المراقبة. فإذا تمكن منها ارتقى إلى مشاهدة ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة: 115] التي هي باب المدخل إلى محبة الذات العلية وهي غاية الغايات. فإذا وصل العبد إليها ارتفع الحجاب له عن حضرة القدس وطلعت له شمس المعارف. وقوله: (فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي) من إطلاقات الكناية الإلهية أيضا لأن كل الموجودات مرتسمة في حقيقة العلم الإلهي بالذكر الأصلي، أما الذكر الذي عليه الحديث فهو ذكر خاص جعله تعالى جزاء لذكر العبد لقوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: 152] أو المراد به بسط الثواب على الذاكر. ثم إنه إذا ذكره العبد في نفسه أعطاه من الثواب ما لا يظهر للعبد إلا إذا أدخله الجنة، ولا تطلع عليه حتى الملائكة الحفظة. وقوله: (وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه) أي إذا ذكرني في ملأ من الناس ذكرته بالثناء عليه عند الملائكة والعطاء له لقوله تعالى: (أشهدكم أني أعطيت فلانا بذكره لي كذا وكذا من الخيرات). وأما قوله: (من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا) فمعناه الشرعي أن من تقرب إلي بيسير من أعماله أعطيته ضعفها أضعافا مضاعفة من الثواب كقوله تعالى: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وكذلك قوله: (ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا) ومعنى الباع خطوتان، في كل خطوة ذراع ونصف أي إذا تقرب العبد إلى الله بقليل من العمل يضاعفه له الله كقوله في الإنفاق في الجهاد: ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ﴾ [البقرة: 261] فأخبر أن الحسنة بسبعمائة أمثالها. قوله: (وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) يريد: إذا استغرق أوقاته في ذكري أعطيته ما لا تحيط به العقول من الثواب لقوله تعالى: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 35].

وأما من حيث السلوك فمعنى الحديث أن من تقرب إلى الله فارا من متابعة نفسه وهواه ومنيبا إلى ربه أعطاه الله قسطا من مناسبة الحضرة الإلهية فيغيب عن الخلق بمشاهدة أنوار حضرة الحق وانصباب المعرفة في قلبه فيكون مع الصديقين، فالهرولة كناية عن رفع الحجب وإدخال العبد حضرة القدس.

وسئل عن قوله صلى الله عليه وسلم: « ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم

خلق الله السماوات والأرض»، الحديث.

فأجاب: أعلم أن البساط الذي أثار هذا الحديث منه صلى الله عليه وسلم، أن العرب كانت عادتها اتباع الرؤساء في الحج في كل ما يأمرون به. وسبب ذلك أن بعض أبناء العرب كانت أمه وهبته للكعبة يخدمها لله تعالى فنشأ كذلك إلى أن كبر فعظمت العرب شأنه واعتقدوا أنه من أكبر المقربين إلى الله تعالى، فكانوا يخرجون به في الحج في كل عام يقتدون به، فما زال كذلك إلى أن مات، وكانت العرب في ذلك الوقت شأنها التطير والتفاؤل بالأمور، فرأوا في أنفسهم أنهم أصابوا خيرات كثيرة في دنياهم بسبب متابعتهم له في الحج، فاجتمعت العرب على قبيلته لتقدم لهم واحدا منها يخلفه، ففعلوا وما زالوا كلما مات واحد قدموا مكانه آخر من قبيلته إلى أن قام عليهم الإسلام. فكانت رؤسائهم بعد ذلك الشخص الأول وربما ضاق عليهم الحال من الأشهر الحرم لكونهم لا يقتتلون فيها وتركهم أمورا فطلبوا من رئيس الحج أن يحل لهم الشهر الحرام وهو المحرم بجعله لهم حلالا. ثم يجعل مكانه صفر فيحرمه لهم، ثم تنتقل الشهور على هذا المهيع فكانت السنة عندهم ثلاثة عشر شهرا في كل سنة. فإذا فرغوا من الحج اجتمعوا عليه فأحل لهم المحرم وجعله في مكان صفر من العام السابق، فلا يزال هكذا ينتقل المحرم في الشهور، والشهور تنتقل بانتقاله إلى أن يرجع المحرم إلى محله في الدورة الأولى،ثم يحدث له دورة ثانية وثالثة وهكذا، فما زالت عادة الرؤساء والعرب على هذا المهيع إلى أن كانت الحجة التي قبل حجة الوداع حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس بعثه صلى الله عليه وسلم ليحج بهم فحج بالمسلمين، وحج بالمشركين رئيس النساة - أي قبيلة زعماء الحج - وكانت تلك الحجة في ذي القعدة وهي المسماة بذي الحجة عندهم، وأحل لهم الشهر الذي يليها وهو المحرم في عادتهم والشهر الذي أحله في عادتهم هو شهر ذي الحجة المقرر عند الله تعالى في الغيب وهو عندهم المحرم عادة، فأحله لهم ونقله إلى شهر صفر وجعله هو المحرم عندهم. وفي هذه السنة حج الناس مختلطين مؤمن ومشرك، وبعد أيام من سفر الحجاج من عنده صلى الله عليه وسلم بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسورة براءة ليقرأها على الناس في الموقف وأن لا يحج بعد هذا العام مشرك وأن الله بريء من المشركين ورسوله إلى آخر ما ذكره الله تعالى. وأخبرهم فيها أن النسيء زيادة في الكفر من تبديل الشهور وتصيير الشهر الحرام حلالا، والحلال حراما والسنة ثلاثة عشر شهرا فأنزل الله تعالى في براءة: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾

[التوبة: 36] ثم استمرت الآية إلى أن ذكر ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة: 37]. ولما كان صفر الذي نقل إليه المحرم في تلك السنة هو المحرم الأصلي ووقعت الشهور بعده في أصولها في ذلك العام وعلى سنتها كل شهر في محله المسمى به في الغيب عند الله تعالى وحج النبي صلى الله عليه وسلم في العام الثاني، فطابقت حجته صلى الله عليه وسلم شهر ذي الحجة الأصلي، ولما علم صلى الله عليه وسلم ما اعتادته العرب من نقل الشهور عن أماكنها قال لهم حين فرغ من الحج: ألا وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض يريد بذلك أن الشهور كلها رجعت إلى أصولها الأولى بصيرورة كل شهر في مكانه الذي قرره تعالى فيه يوم خلق الله السماوات والأرض. ونهى صلى الله عليه وسلم عن النسيء في الشهور وأبطله وترك الشهور في أماكنها إلى يومنا هذا. فهذا معنى الحديث.

وسئل: ما معنى المدارسة في قوله صلى الله عليه وسلم: (كان جبريل يدارسني القرآن في كل رمضان مرة) فأجاب: حقيقة المدارسة تطلق على التلاوة وعلى المساءلة والبحث في معاني الأمر المتلو. يقول صلى الله عليه وسلم: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم السكينة) إلخ الحديث. فهذه المدارسة هي البحث في معاني القرآن والتماس غرائبه. قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: 79] فالمدارسة هي البحث في معاني الكتاب، كل من المتدارسين يستفيد من الآخر، وكون ذلك الأمر في رمضان، لأن رمضان محل فيوضات مواهب الحق سبحانه من الرحمات والأسرار والعلوم والأنوار على قلوب الصديقين، فيجدون في رمضان ما لا يجدونه في غيره، فهذا هو المعنى الأول. والمعنى الثاني أن يكون كل منهما يتلو على الآخر القرآن وهو يسمع له، فكل منهما يستفيد ويفيد.

وسئل عن قوله صلى الله عليه وسلم: (حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره)

فأجاب:

اعلم أن الله تعالى من محض فضله يغفر من الذنوب العظام بالكرب والشدائد ما لا يغفر بكثرة الأعمال الصالحات حتى يتمنى العبد يوم القيامة أنه لم يصف له وقت من الأوقات، فإن الله تعالى إذا عرض على العبد أعماله في صحيفته يقرأ ما فيها من

الذنوب، فإذا وجد في صحيفته كربا ألم به يقول له الله سبحانه وتعالى: بهذا الكرب غفرنا لك وأعطيناك عليه كذا وكذا من الثواب وهكذا إلى آخر صحيفته. وهذا هو مظهر الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم: (عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل) وهم أصحاب الكروب والشدائد، وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: (حفت الجنة بالمكاره) الحديث.

الفصل السابع: وفاة الشيخ

بقي الشيخ في فاس 17 سنة داعيا إلى الله تعالى، وهي نفس المدة التي بقيها في الدعوة إلى الله بوطنه الجزائر من سنة 1196 هـ إلى سنة 1213هـ حين هاجر إلى المغرب. وفي هذه الأربع وثلاثين سنة من الدعوة، قصده الناس من كل أنحاء إفريقيا الشمالية ومن موريتانيا ومصر والسودان للأخذ عنه. فتأسست خلال حياته عشرات الزوايا التجانية.

ففي سنة 1224 هـ مثلا، نجده في بلده عين ماضي حيث زارته وفود من وادي سوف وغيرها من واحات الصحراء.

وحوالي سنة 1220هـ - أي سبع سنوات بعد حلول الشيخ بفاس وعشر سنوات قبل وفاته - شاع الخبر في وادي سوف بالواحات الشرقية الجزائرية بأن الشيخ قد مات. فكتب تلاميذه القاطنون بسوف إلى إخوانهم بفاس يسألونهم عن صحة الخبر. فأجابهم أحد خاصة الشيخ وهو محمود التونسي بجواب لا يزال مخطوطا إلى اليوم في خزانة الزاوية التجانية بتاغزوت بسوف. وقد ذكر نص هذه الرسالة الشيخ سكيرج في كتابه (كشف الحجاب) ص 402 عند ترجمته للسيد عبد الله السوفي ونصها:

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. إلى كافة أحبابنا وأصفيائنا كافة أصحاب سيدنا بسوف على جملتكم السلام التام الأشمل المطلق العام. من كاتبه إليكم العبد الفقير إلى الله أسير ذنبه محمود التجاني خديما وبعد فإن سألتم عن قدوتنا وخلاصة الحق من عبيده سيدنا أحمد بن محمد التجاني سقانا الله وإياكم من بحره بأعظم الأواني، فإنه في حال جل وصفه من النعم هو وأولاده وعبيده وسيدي محمد بن المشري. وما بثه سفهاء الوقت وأذلة المقت من موت الروح الفرد والصدر الأوحد فهو كذب وزور وبهتان لا غير، فقد أخبره سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بوعد صادق لا خلاف فيه أنه رضي الله عنه يمكث في القطبانية جميع عمره وهو ثمانون سنة، تربح على يديه ناس ويخسر آخرون ويفيض على الوجود مدده كما هو مذكور. فتبا للمعاند. وحاصله لا تعترضوا على أحد فإن لله ملائكة حفاظا يكتبون ما يصدر قولا وفعلا من كل مخلوق إما خيرا أو شرا، فصاحب الخير يثاب وغيره يعاقب حتى يقول المعترض على هذا السيد: ليتني كنت خنزيرا ولم أكن معترضا. فاحملوا الناس على ما هم عليه والسلام. وها أنا قادم عليكم عزما. والسلام. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم).

فكما تخبر هذه الرسالة، قد سأل الشيخ ربه أن يكون عمره ثمانين سنة، وكأنه اعتقد استجابة دعائه. فقد كتب تلميذه محمد بن المشري - وهو الذي توفي سنة 1244هـ أي ست سنوات قبل وفاة الشيخ - في كتابه (الجامع) أن الشيخ أخبره بأنه رأى رؤيا مفادها أن نصف عمره لا يدرك فيه شيئا مما كان يرومه من مقامات الولاية ونصفه الأخير يدرك فيه مراده [1]. ومن المعلوم في سيرة الشيخ أنه لم يحصل على مراده من سلوك الطريق الصوفي وما تبعه من فتح إلا عند بلوغه من العمر أربعين سنة بعد اتصاله بشيخه محمود الكردي. وفي هذا يقول الشيخ محمد العربي ابن السائح في كتابه (بغية المستفيد،الجزء الأول، ص 269) عند حديثه على وفاة الشيخ ما نصه:

(وقفت على ورقة بخط سيدنا رضي الله عنه مشتملة على بعض مطالبه من الله تعالى، ومن جملة ما طلبه فيها التعمير هذا القدر من السنين – أي ثمانين سنة – وانظر السر في طلبه التعمير هذه المدة فإني لم أقف على شيء في ذلك إلا ما ذكره ابن حجر في الأحاديث الواردة في الخصال المكفرة للذنوب مما أخرجه البيهقي في كتاب الزهد، عن أنس رضي الله عنه، وفيه: إذا بلغ العبد المسلم ثمانين سنة قبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته. والله أعلم بمراد الشيخ) انتهى.

وفي سنة 1230هـ زوج الشيخ ابنيه [2]. وإثر الزواج أزمع على الانتقال من فاس إلى القطر الشامي بجميع من معه من الأهل والعيال بقصد الاستيطان به، لما ورد في فضله من الأحاديث النبوية الشريفة. فبينما هو قد أخذ أهبة السفر ولم يبق له إلا الخروج، إذ عدل عن قراره لما رأى من حزن أصحابه وإلحاحهم الشديد في رجائهم أن يبقى بينهم في فاس.

وبعد كمال العرس، وطرح عصا السفر، أحس الشيخ بازدياد الحرارة في جسده وشعر أن رحيله من الدنيا قد قرب. وقبل وفاته بيوم استدعى أخص أصحابه، وفي مقدمتهم الحاج علي التماسيني ومحمود التونسي مع المقدمين الطاهر بن عبد الصادق القماري السوفي وأحمد بن سليمان التغزوتي السوفي [3] وأفراد أخر. فلما مثلوا بين يديه خاطب الشيخ الحاج علي التماسيني فقال له: إني راحل وهذا الأمر ولا بد يتلقاه حي عن حي وقد أهلك الله له، فتلقاه. فبكى المخاطب واعتذر، فأجابه الشيخ بقوله:

---

(1) انظر تأويل الشيخ لرؤياه المذكورة في الفصل الأول من الباب الثالث.

(2) انظر الفصل الثالث من الباب الثاني.

(3) قمار وتاغزوت قريتان من قرى سوف بالجنوب الشرقي الجزائري على بعد 200كلم من بسكرة.

أبى الله ورسوله إلا أنت. وأوصاه بداره وأهله وأولاده وكلفه بأن يرحلهم إلى بلدهم عين ماضي بالصحراء ليستقروا هناك. ثم أمره بالخروج من فاس هو ومحمود التونسي وقال لهم: لو حضرتما لوفاتي فلا تنتفعان بشيء، فخرجا مسرعين إلى قريتين قرب فاس.

وكان للشيخ خلال حياته أذكار خاصة يقوم بها وحده، وأخرى يقوم بها مع بعض الخاصة من أصحابه، خصوصا عند الأمور الملمة. أما الأذكار التي كان يذكرها مع تسعة من أصحابه فهي التالية:

1- الحزب السيفي [1] كان يذكره محمد بن المشري سبع مرات بين الليل والنهار.

2- (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم) كان يذكره العباس الشرقاوي خمسمائة مرة صباحا ومثلها في المساء.

3- (حسبنا الله ونعم الوكيل) يذكرها عمر الدباغ عشرة آلاف مرة كل صباح ومساء.

4- (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) يذكرها أبو مسعود خمسمائة مرة كل صباح وكل مساء ومعها آية الكرسي مائة مرة صباحا ومثلها في المساء.

5- (بسم الله الرحمن الرحيم يا حفيظ يا منيع يا لطيف حسبنا الله ونعم الوكيل) يذكرها أبو حفص بن عبد الرحمن خمسمائة مرة في الصباح ومثلها في المساء.

6- (يا لطيف) يذكره أبو سماحة ألف مرة في الصباح ومثلها في المساء.

7- مائة من صلاة جوهرة الكمال [2] يذكرها كل يوم مائة مرة عبد الواحد أبو غالب.

8- (آية الكرسي) يذكرها الحاج علي ءاملاس خمسين مرة صباحا ومثلها في المساء ويذكر بعد الخمسين (بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، حسبي الله من كل شيء، الله يغلب كل شيء ولا يقف لأمر الله شيء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، حسبنا الله ونعم الوكيل) يذكرها سبعا.

9- (احتجبت بنور وجه الله القديم الكامل، وتحصنت بحصن الله القوي الشامل، ورميت من بغى علي بسهم الله وسيفه القاتل، اللهم يا غالبا على أمره، ويا

---

(1) هو دعاء طويل فيه ثناء على الله تعالى وابتهالات وأدعية منسوب للإمام علي كرم الله وجهه.

(2) انظر نصها في الباب الرابع الفصل الثالث.

قائما فوق خلقه، ويا حائلا بين المرء وقلبه، حل بيني وبين الشيطان ونزغه، وما لا طاقة لي به من أحد من خلقك، كف ألسنتهم وأغلل أيديهم وأرجلهم واجعل بيني وبينهم سدا من نور عظمتك، وحجابا من قدرتك، وجندا من سلطانك، إنك حي قادر. اللهم اعش عني أبصار الناظرين حتى أرد الموارد واغش عني أبصار النور والظلمات حتى لا أبالي بأبصارهم يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار) يذكرها الحاج عبد الرحمن براده 21 مرة صباحا ومثلها مساء مع سورة الإخلاص 11مرة.

10- أما الشيخ فكان يذكر معهم في التحصين دائما حزب البحر للشاذلي وهو مشهور ثم قصيدة البكري المعروفة التي مطلعها:

(ما أرسل الرحمن أويرسل ... من رحمة تصعد أو تنزل)

وقد ذكر تلميذ الشيخ: الطيب السفياني في كتابه (الإفادة الأحمدية) أن الشيخ كان يأمر أحيانا بعض تلاميذه بأذكار مخصوصة نيابة عنه، ويبقى على ذلك مثلا أربعة أشهر أو أقل أو أزيد ثم يرفع الإذن في ذلك. وعادة ما يكونون عشرة أشخاص هم الذين يقومون بذلك، وغالب هذه الأذكار كانت قرآنا وأدعية وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، حتى أنه بقرب وفاته كان أذن لبعض أصحابه بالتوجه ببعض الأسماء الحسنى نيابة عنه، كعادته أحيانا، ثم تذكر في الحين وبعث إليه مسرعا أن يترك ما أمره به وقال له: بل عليك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال لبعضهم قرب وفاته أيضا: رفعت الإذن في تلاوة الفاتحة بنية الاسم الأعظم معها. أي أنها تتلى بنية القرآن العظيم فقط.

وقبل وفاته بنحو يوم أمر بعض أصحابه فقال له: أنت وفلان وانظروا ثمانية من أصحابنا، وأذن لهم في ألف من صلاة الفاتح لما أغلق الخ. كل يوم مع مائة من فاتحة الكتاب بنية تلاوة الاسم الأعظم معها في كل مرة كل يوم، فقال بعض الأصحاب ممن كان حاضرا: أنا واحد من الثمانية؟ فأجابه الشيخ: أنت واحد منهم. ثم بعد ذلك الوقت زاد ألفا من صلاة الفاتح لما أغلق الخ. وقال: ألف بالنهار وألف بالليل، والفاتحة لا تقرأ إلا بالنهار، نيابة عنه في الذكر بنية التعظيم والإجلال والتعبد لله وابتغاء مرضاة الله والامتثال لأمره تبارك وتعالى، هذا في الفاتحة. أما في صلاة الفاتح لما أغلق فبنية التعظيم والإجلال والتعبد لله تعالى وابتغاء مرضاته، وبنية التعظيم والإجلال لرسول الله

صلى الله عليه وسلم [1]. فهذه الأذكار كان الشيخ يقوم بها وحده، ولما شعر بقرب رحيله أحب أن تبقى بركة تلك الأذكار بعده فكلف بها أولئك العشرة من أصحابه. ثم سئل: إلى متى يذكرون؟ فقال: دائما.

وفي الليلة التي دفن فيها، قال الشيخ لبعض الإخوان: انظر لي خمسة من أصحابنا يبيتون معي الليلة. ثم أمره بترك ذلك وقال: أنا لا أستغني عن الخدم في الليل، والرجال والنساء لا يمكن جمعهم. كل هذا حرصا منه على الآداب الشرعية واتباع السنة إلى آخر رمق في حياته وفي أحرج المواقف. وصبيحة تلك الليلة عند الفجر قبضه الله تعالى إليه، وذلك صبيحة يوم الخميس السابع عشر من شوال عام 1230 هـ وعدد سني عمره ثمانون سنة، وحضر خروج روحه جماعة من أصحابه وذلك بعد أن صلى الصبح على حالة الكمال، ثم اضطجع على جنبه الأيمن ثم دعا بماء فشرب منه. ثم عاد إلى اضطجاعه على حالته، فطلعت روحه من ساعته، وصعدت إلى مقرها عند ربها.

وحضر جنازته الكثير من علماء فاس وصلحائها وفضلائها وأعيانها وأمرائها. وصلى عليه إماما مفتي فاس العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الدكالي - نسبة إلى الإمام الفقيه التونسي الشهير - وازدحم الناس على حمل نعشه إلى أن وضع في ضريحه داخل زاويته.

إعادة دفن الشيخ:

لما أراد الحاج علي التماسيني تنفيذ وصية الشيخ بترحيل أهله وولديه إلى عين ماضي رفض هذان الأخيران ذلك مفضلين البقاء بفاس، حيث نشآ وترعرعا، فتركهما وسافر مع جماعة من الأصحاب في قافلة تضم نحو المائتي نفس، ولما خرجوا من فاس وبلغوا المحل المعروف بعنق الجمل وقف الحاج علي التماسيني ورفع يديه وقال: أطلب من الله تعالى متوسلا بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن يأمر السلطان بحوز دار سيدنا ليحصل القنوط لأولاده فيساعدوننا على سفرهم من هذه البلدة. ثم ختم دعاءه وسار إلى عين ماضي. فكان من قدر الله تعالى أن كان محمد الكبير بن

(1) روى الحاكم الترمذي عن كعب بن عجزة رضي الله عنه قال: (قلت: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ما شئت. قلت: الربع؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك، قلت: النصف؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها. قال: إذاً تكفي همك ويغفر ذنبك) وفي رواية: (إذاً يكفيك الله هم الدنيا والآخرة).

الشيخ مارا بأحد طرق فاس راكبا على أحد بغاله فرآه الأمير إبراهيم بن السلطان سليمان فقال لمحمد الكبير: أريد منك أن تبعث لي هذه البغلة لأركب عليها وأنظرها ثم أردها لك فإنها أعجبتني. فعرف ابن الشيخ مقصوده وأنه أراد أن يأخذها بهذه الحيلة فلم يبعثها له، فضاقت نفس الأمير بذلك، وكتب إلى والده السلطان سليمان، وكان بمراكش، يخبره بأن أولاد الشيخ أرادوا السفر، وعليه فإن سافروا وخرجوا من دار المراية التي هم نازلون بها فماذا يفعل بها بعد ذلك؟ فأمره بأن يدفعها لأحد الشرفاء من الأقارب. فاتفق أن كان ورود جوابه يوم عيد الأضحى فأرسل الأمير إبراهيم إلى أولاد الشيخ آمرا لهم بالرحيل من الدار جبرا في ذلك اليوم فصار أولاد الشيخ ينقلون أمتعتهم للزاوية فلم تسعهم وضاعت لهم أمور، فضجرت نفوسهم من ذلك وصاروا ينتظرون قدوم الحاج علي التماسيني ليسافر بهم إلى عين ماضي وكتبوا له بذلك. فلما قدم عليهم - بعد نحو ستة أشهر من وفاة الشيخ - وأراد أن يذهب بهم، منعه من ذلك بعض أصحاب الشيخ الفاسيين، وبعد محاولات وأخذ ورد سلموا له الأمر، لكن لما عزم أهل الشيخ على الرحيل قرر ولداه ومن معهما حمل جثمان والدهما معهما. وبالفعل، أخرجوه من قبره وجعلوه في تابوت وأخفوه.

ولما علم أصحاب الشيخ بذلك، أجمعوا وذهبوا إليهما وطلبوا منهما رده إلى قبره، واشتعلت خصومة بينهم، ومع ذلك لم يطلعوهم على الموضع الذي جعلوه فيه. فأخذ أحدهم وهو السيد موسى بن معزوز [1] سيفا في يده وكان قويا جسورا، وقصد مقرئ أولاد الشيخ وهو الفقيه محمد الحشاني [2] وأقسم بيمين لا يبرئها إلا البرور إن لم يخبره أين ذهبوا بجثمان الشيخ ليذبحنه عاجلا. فلما رأى الجد منه - وكان معروفا به - أخبره بالموضع الذي جعلوه فيه فأرجعوه إلى الزاوية. واتفق في ذلك الوقت أن حضر أحد كبار أصحاب الشيخ وهو(محمد الغالي) [3] الذي قطن بالمدينة المنورة وسمع بوفاة شيخه، فقدم إلى فاس لزيارته بعد وفاته - وكان الشيخ قد أوصاه من قبل

(1) كان هو وأبوه الكبير بن معزون وعمه الهاشم من أخص أصحاب الشيخ.أما هاشم فكان تاجرا فاضلا وتوفي قيد حياة الشيخ وصلى عليه بباب داره (دار مراية) بزقاق الرواح ودفن بباب الفتوح بفاس.أما ابن أخيه موسى المذكور فقد كان أحد العشرة الذين هم أخص خواص تلاميذ الشيخ -وأصبح من أبرز مقدمي الطريقة ودفن في باب الفتوح.

(2) كان من أصحاب الشيخ ومعلما لأولاده القرآن وغيره وزوجه الشيخ ابنة بعض إمائه، وبعد وفاة الشيخ ارتحل مع أولاده إلى عين ماضي.وقبره بالأغواط.

(3) انظر ترجمته في باب (أصحاب الشيخ) وهو الفصل الخامس، من الباب الخامس.

بالصلاة عليه عند موته - فاغتنم فرصة وجود جثمان الشيخ في التابوت خارج القبر وصلى عليه. ثم أخرج محمد الهاروشي [1] جثمان الشيخ من الصندوق الذي وضعه فيه أولاده وردوه إلى قبره، وجعلوا عليه الحراس حفظا له. ثم رحّل الحاج علي التماسيني أهل الشيخ وولديه إلى عين ماضي، وتم الأمر كما أوصى به الشيخ.

من خاصة تلاميذ الشيخ المشهورين في فاس

1- محمد بن أبي النصر الفاسي الحسني الذي مكث مع الشيخ 16 سنة ما فاتته صلاة واحدة خلفه على ما قيل وتوفي عام 1273هـ وخلفه ابنه الطاهر.

2- أبو يعزى ابن الحاج علي حرازم الذي كان من رسل الشيخ إلى الصحراء وغيرها، وقد تخرج على يديه كثير من أكابر الطريقة وله (الصلاة الجامعة) على النبي صلى الله عليه وسلم، وتلقى التقديم من الحاج علي التماسيني، وتوفي سنة 1290 هـ بفاس.

3- الحاج الكبير الحلو الذي كان يؤم الناس بزاوية الشيخ ويفتح الذكر في حلقات الإخوان، وتوفي سنة 1277هـ.

4- عبد الوهاب بن الأحمر - نسبة إلى مدينة الحمراء الأندلسية - وهو الذي شهد مدفن علي حرازم ببدر، وله تآليف منها: (الصلاة السرية) وعنوانها (إكسير اليواقيت) توفي سنة 1269هـ. وقد تخرج على يده الداعية التجاني الكبير عبد المالك العلوي (المتوفى سنة 1308هـ) والعلامة الجليل عبد الله البدراوي (المتوفى سنة 1310هـ).

5- الناسك الحاج عبد الرحمن براده المتوفى سنة 1234هـ.

6- الحاج عبد الوهاب بنيس الضرير.

7- عباس بن غازي الذي بنى زاوية زقاق الرواح بفاس.

(1) كان من أجلة أصحاب الشيخ المشهورين بالذاكرة القوية والمعرفة التامة. ومن الذين حضروا هذه الواقعة جماعة من تلاميذ الشيخ وأهل داره، منهم مسعود خادم الشيخ وبوابه وأمينه على داره وقد زوجه الشيخ ابنة إحدى إمائه اللاتي تسرى بهن بعدما أعتقها على عادته. وبعد وفاة الشيخ ذهب مع زوجته في رفقة أولاد الشيخ إلى عين ماضي حيث توفيا. وقد ولدت له بنتا تزوجها أحمد العبدلاوي أحد خلفاء الطريقة وولدت له ابنه محمدا. ومنهم أيضا خادم الشيخ الآخر بلال الذي كان لا يفارقه حيثما حل وارتحل ليقوم ببعض مهماته. ومنهم الخادم الثالث الحاج بوجمعه وصيف الشيخ المعروف بصفاء السريرة وصدق الفراسة وتأخرت وفاته عن وفاة الشيخ بنحو العشرين سنة.

8- محمد بن أحمد الجباري قاضي القصر السعيد.

9- محمد بن الغازي وولده السيد المعطي.

10- أحمد بناني الفاسي العالم الفقيه وابناه: الحسن (المتوفى بمراكش سنة 1271هـ)

وأخوه أحمد كلاً العلامة الفقيه المدرس الذي ساهم في نشر الطريقة في الأوساط العلمية بالمغرب، واستدعاه محمد الحبيب ابن الشيخ إلى عين ماضي ولازمه إلى أن توفي محمد الحبيب فغسله صاحب الترجمة، وتوفي بفاس سنة 1306هـ.

11- الإمام الخطيب بالضرير الإدريسي محمد بن أحمد الشهير بالسنوسي المتوفى سنة 1257هـ.

12- الشاهد الوزاني.

13-الحاج عبد الرحمن بنيس وكان شاعرا فقيها.

14- محمد الطيب بنيس.

15- الحاج أحمد بنيس.

16- الحاج عبد الغني التازي مؤذن زاوية الشيخ.

17- عبد الوهاب التازي (توفي سنة 1277هـ) وإخوته السبعة.

18- المقدم الحاج الطيب القباب الذي صحب الشيخ في أوائل القرن 13 ودعا إلى طريقته بفاس ونواحيها هو وولداه محمد وبوزيان.

19- المقدم عبد الواحد بوغالي.

20- التهامي السقاط وأخوه أحمد ومحمد وابن عمه محمد بن العربي، والسيد المعطي وعبد الكريم السقاط وأخوه أحمد وأخوهم مسعود.

21- الحاج أحمد بن عبد الله وابن عمه المكي.

الفصل الثامن: خلاصة ترجمة الشيخ ومراجعها

1- خلاصة لأهم أحداث حياة الشيخ

1150هـ - ولادته في عين ماضي.

1166هـ - وفاة والديه بعد أن حفظ القرآن وتعلم الفقه واللغة وتزوج لمدة سنة ثم طلق زوجته إثر وفاة والده.

1170هـ - 1186هـ - سفره إلى فاس لدراسة مختلف العلوم ولقاؤه مع بعض شيوخ لتصوف.

- رجوعه إلى بلد الأبيض عند زاوية سيدي الشيخ للتدريسي والعبادة مدة خمس سنوات.

- سفره إلى تلمسان واستقراره بها للتعليم والإفادة والتعبد.

1186هـ - 1188هـ - سفره للحج حيث بقي سنة بتونس وسوسة مدرسا ومتعبدا ثم لقاؤه في مصر مع شيخه محمود الكردي الخلوتي

- حجه وزيارته للمدينة ورجوعه للقاهرة فتونس فتلمسان حيث يستقر.

1188 هـ - 1196هـ - استقراره في تلمسان مدرسا ومرشدا ومتعبدا. وفي سنة1189 هـ هاجم الأتراك بلده عين ماضي. وفي سنة 1191هـ سافر إلى فاس لزيارة ضريح المولى إدريس.

- ضيق الترك عليه في تلمسان فسافر إلى قرية الشلالة بالصحراء وتصدر للمشيخة في طريقته التجانية الجديدة.

1199هـ - 1212هـ - استقراره في قرية أبي سمغون حيث تكاثر حوله الأتباع وسفره إلى توات وتازه وغيرها من جهات الغرب الصحراوي مع التردد على بلده عين ماضي.

1213هـ - هجوم الأتراك على عين ماضي وهجرة الشيخ إلى فاس حيث استقر.

1230هـ - وفاته بعد أن خلف ولديه محمد الكبير وعمره 19سنة ومحمد الحبيب وعمره 14سنة.

2- مراحل تصوف الشيخ:

- المرحلة الأولى: 1150- 1171هـ: حفظه للقرآن وتمكنه في العلوم

الشرعية والأدبية.

- المرحلة الثانية: 1171- 1186هـ: لقاؤه مع شيوخ التصوف في فاس ونواحيها وأخذه للطرق الطيبية والناصرية والقادرية وغيرها. وظهور أول أحواله الروحية في جامع القرويين. ثم تركه لتلك الطرق والاعتكاف للتعبد والخلوات في الأبيض سيدي الشيخ وتلمسان حيث فاضت عليه أحوال روحية قاهرة جعلت الناس يلتفون حوله للأخذ عنه وهو يفرمنهم.

- المرحلة الثالثة: 1187هـ: لقاؤه مع شيخه محمود الكردي بمصر خلال سفره للحج، وأخذه عنه الطريقة الخلوتية، ثم لقاؤه في مكة مع أحمد بن عبد الله الهندي وفي المدينة مع محمد. بن عبد الكريم السمان، وأخذ عنهما علوما وأذكارا، ثم رجوعه لشيخه الكردي. بالقاهرة وإجازته في إرشاد الخلق على نهج الطريقة الخلوتية.

- 1187- 1195هـ: قيامه بالدعوة إلى الله كمرشد يلقن أذكار الخلوتية ويلقي دروسا في علوم الشريعة.

- المرحلة الرابعة: 1196هـ: تصدره للمشيخة والتربية على منهج جديد اختص به سمي بالطريقة الأحمدية. أو التجانية. وكان الورد الذي يلقنه لكل الناس يتألف من الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

- 1200 هـ: أضاف إلى ورده العام كلمة (لا إله إلا الله). وبدأت طريقته تنتشر سريعا في الجنوب الجزائري خصوصا.

- 1214هـ: تمكنه ورسوخه في مقام المشيخة والتربية الروحية والدعوة إلى الله تعالى ، بحيث أصبح عند تلاميذه قطبا كبيرا حائزا على مرتبة الختمية في الولاية، واشتهار طريقته في إفريقيا الشمالية، ومصر والسودان.

- 1230هـ: وفاته بعد أن ترك عشرات من الزوايا وآلافا من الأتباع وعددا هاما من الخلفاء.

3- مراجع ترجمة الشيخ وسيرته:

قد ترجم له كثير من العلماء نذكر منهم:

1- الحاج علي حرازم في كتابه (جواهر المعاني) خصوصا الأبواب: الأول والثاني والثالث، والمؤلف من تلاميذ الشيخ، وتوفي قبله سنة 1218هـ.

2- الفقيه محمد بن المشري في كتابه (الجامع لما افترق من العلوم) في بداية الجزء الأول منه والمؤلف من تلاميذ الشيخ، وتوفي قبله سنة 1224هـ.

3- الفقيه الطيب السفياني في كتابه (الإفادة الأحمدية) وفيه كلمات ولمحات عن حياة الشيخ. والمؤلف من تلاميذ الشيخ وتوفي بعده سنة 1259هـ.

4- العلامة الفقيه الأديب محمد العربي بن السايح في كتابه (بغية المستفيد).

5- الحاج عمر بن سعيد الفوتي في كتابه (رماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم) خصوصا الفصل 36.

6- الشيخ محمد الصغير التيشيتي الشنقيطي في كتابه (الجيش).

7- العلامة القاضي أحمد سكيرج في كتابه (كشف الحجاب) ثم في كتابه (رفع النقاب) وهو4 أسفار.

8- الفقيه الحجوجي من فاس، وقد أفرد له تأليفا.

9- الشيخ محمد بن عبد الواحد النظيفي في كتابه (الخريدة).

10- الشيخ الفقيه العلامة إدريس بن العابد العراقي شيخ زاوية فاس وقد أفرد له تأليفا هو من أجمع التراجم.

11- الشيخ محمد علوان في كتابه (النفحة القدسية في السيرة الأحمدية التجانية) الطبعة الأولى مصر 1327هـ .

12- الشيخ الداعية إبراهيم أنياس في كتابه (البيان والتبيين عن التجانية والتجانيين).

13- الشيخ محمد البشير ظافر المدني في كتاب (اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة).

14- الأستاذ محمد بن محمد مخلوف في كتابه (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية).

15- العلامة يوسف النبهاني في كتابه (جامع كرامات الأولياء) - الجزء الأول.

16- الشيخ عبد الرزاق البيطار في كتابه (حلية البشر في أعيان القرن الثالث عشر) الجزء الأول.

17- الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في كتابه (سلوة الأنفاس).

18- الشيخ عباس بن إبراهيم في كتابه (الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام).

19- الشيخ الناصري السلاوي في كتابه (الاستقصاء في أخبار المغرب

الأقصى) الجزء الرابع.

20- الشيخ عبد الرحمن الجيلالي في كتابه (تاريخ الجزائر العام).

21- الشيخ الحفناوي في كتابه: (تعريف الخلف برجال السلف).

22- الشيخ محمد بن عبد الله في كتابه: (الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني).

4- مراجع حول مفهوم القطبانية والختمية

1- الشيخ المحدث الصوفي محمد بن علي الحكيم الترمذي في كتابه (ختام الأولياء) خصوصا الفصول 25/13/8. وفي كتابه (نوادر الأصول) ص: 157- 158 طبعة الأستانة.

2- الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي في كتبه الكثيرة خصوصا: (عنقاء مغرب في ختم الولاية وشمس المغرب) و(مواقع النجوم) و(حلية الأبدال) و(فصوص الحكم) و(منزل القطب والإمامين) و(الفتوحات المكية) خصوصا الجزء الثاني في الصفحات (3/ 574/571/60/49/39) والجزء الثالث (514/140/135/89) والجزء الرابع (74/ 196/195).

3 - عمار البدليسي في كتابه (بهجة الطائفة بالله العارفة).

4 - الفرغاني (في المقدمات).

5 - قيصري في (مقدمة شرح التائية الكبرى).

6 - حيدر بن علي الآملي في كتابه (نص النصوص).

7 - عبد الكريم الجيلي في كتابه (الإنسان الكامل).

8 - عبد الوهاب الشعراني في (اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر).

9 - عبد الله بن المبارك في كتابه (الابريز) عن شيخه عبد العزيز الدباغ.

10 - (مدخل فصوص الحكم) لمصطفى كمال الشريف (في آخر كتاب شروح رسالة أرسلان التي قدمها وحققها ونشرها عزة حصرية).

11 - الشيخ مختار الكنتي في كتاب (الطرائف والتلائد) وذكر فيه أن ختام الأولياء يظهر في القرن الثاني عشر.

12 - علي حرازم في كتابه (جواهر المعاني) في مواضع متفرقة منه خصوصاً الباب الثاني.

13 - محمد بن المشري في كتابه (الجامع) خصوصاً الفصل الخامس من

الجزء الأول.

14 - عمر الفوتي في كتابه (الرماح) خصوصاً الفصل الرابع من الجزء الثاني.

15 - محمد العربي بن السائح في كتابه (بغية المستفيد) في أواخر الجزء الأول وقد أفاض في الموضوع وفصله حسب رأيه تفصيلاً وافياً.

16 - جلال الدين السيوطي في رسالته المطبوعة ضمن فتاويه والتي عنوانها: (الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال).

17 - ابن حجر الهيتمي في فتاويه الحديثية.

- ومن الكتب الأجنبية التي بحثت موضوع القطب وختم الولاية بجدية وتوسع:

18 - كتاب (خاتم الأولياء - النبوة والولاية في مذهب ابن العربي) بالفرنسية: لميشال شودكيفيكز (1986) ترجمة للعربية أحمد الطيب.

19 - ومن أوسع البحوث حول معنى (مقام الختمية) في نظر التجانيين كتاب (نهج الهداية في معنى الختمية التي تظاهر بها الشيخ التجاني) للشيخ أحمد سكيرج، وهو يقع في نحو 120 صفحة.

الباب الرابع

آثار الشيخ التجاني

الفصل الأول

الآثار الكتابية للشيخ

بالرجوع إلى تاريخ التصوف، نجد مدرستان اضطلعتا بنشر علومه نظريا وعمليا. أما المدرسة الأولى فقد اتخذت من المساجد والحلقات والزوايا منابر لدعوتها وجعلت من مجالسها معاهد لتخريج الرجال بعد تكوينهم، فلم تهتم اهتماما كبيرا بوضع الكتب الكبيرة الكثيرة، إذ أن أئمتها كانوا يرون في القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ما فيه غنى، فتوجهوا بالخصوص إلى تجسيد تلك التعاليم القرآنية والنبوية في حياة الأفراد. وكان من أعلام هذه المدرسة الحسن البصري ومعروف الكرخي وجعفر الصادق والجنيد والبسطامي وعبد القادر الجيلاني وأحمد البدوي وأبو مدين شعيب وغيرهم. وقد عبر عن موقف هذه المدرسة الشيخ أبو الحسن الشاذلي(ت: 656 هـ) حين سئل: لم لا تضع الكتب في الدلالة على الله وعلوم القوم؟ فأجاب: كتبي أصحابي.

أما المدرسة الثانية فقد اتخذت من الكتب والرسائل منابر لشرح أهدافها وعلومها. ومن أعلام هذه المدرسة، الحارث المحاسبي والسراج الطوسي وأبو عبد الرحمن السلمي وعبد الكريم القشيري والهروي والسهروردي والغزالي وابن العربي والشعراني ومصطفى البكري وغيرهم.

والشيخ التجاني كان من أصحاب المدرسة الأولى التي لم يؤلف رجالها كتبا كثيرة وإنما ألفوا قلوب الآلاف من العباد على التعاون على البر والتقوى والتحقق بمعاني (لا إله إلا الله). وأكدت المدرسة التجانية بالخصوص على الشطر (محمد رسول الله).

وقد خصص الشيخ سكيرج في كتابه (جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني) فصلا لبيان الكتب المدسوسة كذبا على الشيخ فقال: (من الإخوان من يزعم أنه وقف على بعض مؤلفات لسيدنا رضي الله عنه، ويتقول عليه في ذلك، فمنهم من يقول وقفت على شرحه للآجرومية، ومنهم من يقول وقفت على استغاثته وشرحها في الانتصار على من قتلوا ولده سيدي محمد الكبير(مع أنه توفي بعد والده بسنوات كثيرة) ونحو ذلك من المؤلفات، حتى أنه نسب إليه أحد التآليف الموضوعة في المجون جهلا منه بمقام الشيخ رضي الله عنه، وليست من تآليفه. على أن الشيخ رضي

الله عنه لم يكن صارفا همته لتأليف الكتب وإنما يملي على بعض أصحابه ما لا بد من جواب أسئلة أو درس مسألة. وقد درس في مدينة سوسة من القطر التونسي وفي جامع المالكية من الجزائر وفي الجامع الأعظم من تلمسان فيما بلغنا على أسلوب بديع في نفع العامة والخاصة. ثم تجرد للإرشاد معرضا عن كتب ما يشغله عن كثرة الأذكار والعبادة التي كان لا يجد معها فراغا لمثل ذلك، حتى أنه أعرض عن مطالعة الكتب المؤلفة حتى في الحديث والتفسير لاكتفائه بمعلوماته من ذلك. فهو الحافظ الحجة، المتفنن المتقن للعلوم النافعة في الدين. ولقد تجرد أخيرا عن ملكية كل كتاب كان عنده بأمر من الحضرة النبوية عليه الصلاة والسلام بعد أن أمره بذلك، وأن لا يترك تحت يده إلا نسخة من صحيح البخاري ونسخة من تذكرة الأنطاكي حسبما بلغنا ذلك عمن تلقوا ذلك عن خاصة أصحابه الملازمين له إلى أن توفي رضي الله عنه) انتهى.

وتذكرة الأنطاكي كتاب في علوم الطب كان كثير الشيوع في عصره.

والآثار الكتابية للشيخ هي التالية:

1- الكناش الخاص: [1] وما فيه إلا خط يد الشيخ نفسه وخليفته الحاج علي التماسيني وصاحبه محمد بن العربي الدمراوي. ولا يوجد من هذا الكناش إلا نسختان فقط: الأولى محفوظة في خزانة بزاوية عين ماضي، والثانية بخط الحاج علي التماسيني محفوظة في خزانة بزاوية تماسين. لكن هاتين النسختين لا يطلع عليهما إلا من يتولى المشيخة في كل من الزاويتين فقط لا أحد غيرهما، حسبما قيل والله أعلم.

2- رسائل مخطوطة كثيرة كتبها الشيخ لتلاميذه وأصحابه في المغرب الأقصى وصحراء الجزائر وتونس، وهي لا تزال مبثوثة في الزوايا التجانية خصوصا في فاس وعين ماضي وتماسين وتاغزوت في وادي سوف، وفي خزائن بعض مقدمي الطريقة. ونصوص بعض هذه الرسائل مذكورة في الفصل الرابع من الجزء الثاني من كتاب (جواهر المعاني) المطبوع، وفي الجزء الأول من كتاب (الجامع) لمحمد بن المشري، وفي كتاب (كشف الحجاب) لأحمد سكيرج وهو مطبوع عدة مرات، وفي كتاب (الرسالة الشافية في الطريقة التجانية) للشيخ إدريس العراقي بزاوية فاس، وقد جمع فيه مؤلفه من رسائل الشيخ ما كان مطبوعا وما كان مخطوطا. لكن الباحث النزيه يجب عليه أن يتثبت غاية التثبت من صحة نسبة كل هذه الرسائل – أو بعض ما ورد فيها –

(1) راجع ما ذكره الشيخ سكيرج في كتابه (كشف الحجاب) حول هذا الكناش عند ترجمته لأحمد العبدلاوي ص 203-202. وفي كتابه (جناية المنتسب العاني) الجزء الثاني ص. 56-55.

للشيخ. ومما لا يستبعد أن بعض الرسائل قد كتبت باسمه، وبتقليد لخطه، دون أن يعلم هو بها، أو بما فيها، كما وقع لغيره من العلماء والأئمة [1]. ثم إنه قد وقع في بعض الرسائل المطبوعة المنسوبة للشيخ دس أو تحريف لكلامه بقصد أو بغير قصد،أو بخطأ في النسخ أو في الطبع. من أمثلة ذلك التحريف ما وقع في جملة من الرسالة التي بعث بها الشيخ إلى أهالي عين ماضي ونصها في الفصل الأول من هذا الكتاب [2] ففي النص المخطوط الذي رأيته، وهو نفسه الذي نشره الشيخ سكيرج في كتاب (كشف الحجاب) توجد الجملة: (وأخبركم أنه انكشف من سر الغيب ما لم يكن لنا ولكم به علم) بينما نجد هذه الجملة قد حرفت في كتاب (الشرح المفيد على منية المريد) لمحمد بن أحمد فرج الذي طبعته الشركة التونسية لفنون الرسم سنة 1978 طبعا رديئا، ونصها فيه بصفحة 103هي هكذا: (وأخبركم أنه انكشف لي من سر الغيب ما لم يكن لنا ولا لآدم به علم). فانظر كيف حرف كلام الشيخ الذي لا غبار عليه إلى كلام مستشنع.

3-شرح همزية البوصيري: أملاه الشيخ على تلميذه علي حرازم وأكمل إملاءه عليه يوم 19 ذي الحجة 1214هـ بمسجد الديوان من عدوة فاس القرويين وهو مطبوع تحت عنوان: (كتاب الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية في شرح الهمزية) ونلاحظ أن هذا الكتاب لم يكتبه الشيخ بخط يده، وإنما علي حرازم أو غيره كان يستمع لشرح الشيخ ويكتب هو ما فهمه من ذلك الشرح.

4- أجوبة عن أسئلة في مسائل فقهية وفتاوي علمية ومشكلات صوفية وغيرها جمع بعضها في كتاب (جواهر المعاني) لعلي حرازم وفي كتاب (الجامع) لمحمد بن المشري، كما خلف الشيخ أحزابا وأورادا وابتهالات وأذكارا مبثوثة في كتب الطريقة المطبوعة والمخطوطة.

كتاب (جواهر المعاني) لعلي حرازم

وأهم المراجع في الطريقة التجانية هو كتاب: (جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني) وهو في جزأين كبيرين، ومؤلفه أحد كبار خاصة الشيخ وهو علي حرازم بن العربي برادة المغربي الفاسي. التقى بالشيخ في مدينة وجدة

(1) انظر ما كتبه في هذا الموضوع الشيخ عبد الوهاب الشعراني في مقدمة كتابه (اليواقيت والجواهر).

(2) انظر صفحة 403 من كتاب (كشف الحجاب) لسكيرج.

خلال سفره إلى زيارة ضريح المولى إدريس سنة 1191هـ فرافقه إلى فاس وأخذ عنه الطريقة الخلوتية ولزم صحبته حتى أصبح من أقرب المقربين إليه. ولما رحل الشيخ إلى الصحراء بقي يتردد عليه إلى أن رافقه خلال هجرته من أبي سمغون إلى فاس ولزمه هناك، وبعد مضي نحو الشهرين من استقرارهما شرع في كتابة (جواهر المعاني) أوائل شعبان سنة 1213هـ. وكان قبل ذلك قد بدأ بجمع مسائل الكتاب مع رفيقه محمد بن المشري، لكن الشيخ أمره بتمزيقه، ثم عند حلولهما بفاس سمح بتقييده. وبعد أن فرغ منه في منتصف ذي القعدة الحرام سنة 1214هـ أحضره بين يدي الشيخ في مسجد الديوان وأجازه فيه وكتب له بخط يده أوله وآخره، ثم سافر من فاس متوجها للحج فمر بتلمسان وتونس حيث نزل عند مفتيها وعالمها الأشهر الشيخ إبراهيم الرياحي[1] فعرفه بالشيخ وطريقته ولقنه أورادها. وتزوج في تونس بفتاة ثم طلقها بعد ذلك. ثم رحل إلى مصر فمكة حيث أكمل حجه. وخلال وقوفه على شهداء بدر وهو متوجه إلى المدينة المنورة مع رفقة من أصحابه من تلاميذ الشيخ وغيرهم، كان منهم الحاج عبد الوهاب بن الأحمر[2] حصلت له غيبة وسقطت قواه وظن رفاقه أنه مات فدفنوه ببدر مع الشهداء سنة 1216هـ. وحيثما حل وارتحل كان داعيا إلى طريقة شيخه، فهو يعتبر من أوائل الذين ساهموا في نشرها بالمغرب وتونس ومصر والحجاز. ومن الوقت الذي أمره الشيخ بالسفر، والشيخ ينفق على أهله وأولاده إلى أن توفي الشيخ سنة 1230 هـ. وله تآليف أخرى مخطوطة، فالشيخ سكيرج يقول عند ترجمته له في كتاب (كشف الحجاب) أنه وقف له على كناشين عظيمين فيهما طرف من العلوم التي أخذها عن الشيخ. وله أيضا كتاب (المشاهد) وهو مخطوط، ومختصره (الكنز المطلسم) ذكر فيه بعضا من تجاربه الروحية وخواص الأذكار. وله أيضا رسالة (الفضل والامتنان[3]).

لكن السؤال المطروح هو: هل جميع ما في(جواهر المعاني) المطبوع والمنسوب للشيخ هو حق لا مرية فيه من كلام الشيخ أم لا؟ وهل ثمة فرق بين مختلف

(1) انظر ترجمته في الباب الخامس الفصل الأول.
(2) انظر ذكره في الفصل السابع من الباب الثالث
(3) المعروفة بالرسالة الشافية وهي في نحو كراسة نقلها سكيرج في كتابه (رفع النقاب) وقد اشتملت على ما يتعلق بالطريقة وفضلها وما يتخرج منها من الشيوخ وما يتفرع منها من الطرق، لكن الإثبات الحقيقي لنسبة هذه الرسالة لعلي حرازم يحتاج إلى دليل قاطع؟

النسخ المخطوطة منه أم لا؟ الجواب هو أننا لا نستطيع القطع بأن كل ما هو مكتوب في (جواهر المعاني) هو حقا من كلام الشيخ. واليك هذه العلامات:

أولا: محمد بن المشري صاحب علي حرازم وتلميذ الشيخ، وهو أيضا توفي قبل الشيخ سنة 1224 هـ. يقول في كتابه (الجامع) متكلما على نسخة جواهر المعاني: إنها منسوبة إلى الحاج علي حرازم. فلماذا لم يجزم ولم يقطع بكونها له؟.

ثانيا: يتكلم الشيخ محمد العربي بن السائح (المتوفى سنة 1309هـ) وهو من أكبر شيوخ التجانية في كتابه (بغية المستفيد) عند حديثه حول (جواهر المعاني) على مؤلفه علي حرازم فيقول عنه: (إن مؤلفه رضي الله عنه كان مزجي البضاعة في العلوم الرسمية لا يد له فيما يحتاج إليه في الصناعة التأليفية).

ثالثا: يقول شيخ الإسلام في تونس إبراهيم الرياحي في كتابه (مبرد الصوارم والأسنة في الرد على من أخرج الشيخ التجاني عن أهل دائرة السنة): وممن صحب الشيخ وانتفع به، المرحوم أبو الحسن علي حرازم بن العربي براده الفاسي، صاحب الأحوال العجيبة، عاشرته كثيرا وشاهدت من اتباعه السنة جما غفيرا، وهو الذي جمع التأليف المذكور فيه معارف الشيخ ومناقبه وأظنه هو الذي وصل مصر(يعني جواهر المعاني)، وليس جميع ما فيه عين اللفظ الصادر عن الشيخ، لكن غالب ما فيه مروي بالمعنى، إذ أن الشيخ لم يكتب ذلك بيده، ولا أن الناقل عنه محتاط كل الاحتياط في ضبط عين عبارته، ولكن إذا قال شيئا، نقله عنه إما صاحبه محمد بن المشري أو المرحوم المذكور، بحسب ما فهماه عنه، نظرا إلى جواز الرواية بالمعنى، وفيه من الخلاف بين أهل العلم ما قد علم. ولهذا نجد الكلام المنقول عنه مضطرب اللفظ، وغير جار في بعض المواضع على القانون العربي. وكل ذلك دليل على أن تلك الألفاظ ليست أعيان الألفاظ الصادرة من الشيخ كما ادعاه من أشرب في قلبه حب الاعتراض على أهل الفضل. على أنه سيأتي ما فيه برد الغليل على تقدير أن تكون تلك الألفاظ عين ألفاظه إن شاء الله تعالى[1] انتهى كلام الرياحي.

(1) نشير إلى كتابين موضوعهما حل إشكالات وعبارات وردت في جواهر المعاني أولها:عنوانه:(الحلل الزنجفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية) المطبوع بتونس سنة 1312هـ. ومؤلفه هو الوزير المغربي محمد كنسوس.وثانيهما عنوانه: (الشرب الصافي من الكرم الكافي على جواهر المعاني) اللشيخ حسن البعقيلي السوسي البيضاوي طبعه تلميذه محمد بن سالم الصايغ سنة 1353هـ.أما تخريج أحاديث جواهر المعاني فقد قام بها العديد من علماء الحديث التجانيين مثل ألفا هاشم المجاور بالمدينة ومحمد الحافظ التجاني المصري وغيرهما.

رابعا: إن قيل إن الشيخ أجاز علي حرازم في ما كتبه بجواهر المعاني كما تقدم، فيقال: ليس هناك يقين قاطع بأن الشيخ اطلع بدقة على كل ما كتبه تلميذه وفهمه عنه من كلامه، ثم إن النسخ المخطوطة بينها اختلاف في بعض المواضع، وكذلك النسخة المطبوعة تختلف في بعض المواضع عن النسخة الأصلية التي بهامشها إجازة الشيخ. وحتى هذه النسخة الأصلية التي يقال أن بهامشها إجازة الشيخ لا يبعد أن تكون حرفت في بعض المواضع أو زيد فيها ما ليس منها في الأصل، فصاحب البغية مثلا يذكر في شرحه لبيت:

والـــد الأزواج أيـــضا ذكـــره   عـــن شـيخنا قـــوم ثقـات بـــرره

أن المعنى المتعلق بهذا البيت قد أضافه مؤلف جواهر المعاني بهامش النسخة الأصلية الموجودة بزاوية عين ماضي [1]. فمن الذي يثبت أنه لم تقع زيادات أخرى من طرف أناس آخرين؟ وفي هذا يقول محمد الحافظ المصري: (فإن كان في النسخ المطبوعة من الجواهر ما يخالف الشرع، فهو أي الشيخ - رضي الله عنه - بريء منه لما يقع من التحريف والتصحيف، ويصح أن يكون دخل فيه ما لا يصح عنه رضي الله عنه) (انظر تعليق محمد الحافظ على كتاب الإفادة الأحمدية ص 129: من الطبعة الثانية بمصر عام 1391هـ).

وكتاب جواهر المعاني في الواقع ليس كله من إملاء الشيخ أحمد التجاني أو من تأليف علي حرازم، لأن فقرات كثيرة وطويلة منه، خصوصا تلك التي فيها أوصاف لمناقب الشيخ وأحواله وأخلاقه وكراماته وبعض الأقوال المنسوبة إليه، منقولة حرفا بحرف من كتاب كتب قبل جواهر المعاني بنحو قرن عنوانه: (المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا أبي عبد الله أحمد) الذي ألفه محمد بن عبد السلام القادري في ترجمة شيخه أحمد معن بن عبد الله الأندلسي الذي كان من أكابر شيوخ الشاذلية في المغرب وتوفي سنة 1120هـ (1708م) وقد طبع هذا الكتاب بالمغرب سنة 1351هـ (1917م)، حتى القصيدة الرائية المؤلفة من خمسة عشر بيتا الواردة في الفصل الأول والتي قال حرازم أن بعض الأدباء الفاسيين وصف بها الشيخ أحمد التجاني، منقولة من كتاب

(1) هذه النسخة الأصلية لجواهر المعاني يملكها الآن أبناء الشيخ إبراهيم أنياس صاحب زاوية كولخ بالسنغال، وأهدى هذه النسخة السيد محمود بن محمد البشير بن محمد الحبيب ابن الشيخ أحمد التجاني إلى زعيم التجانيين بالسينغال الحاج عبد الله أنياس والد إبراهيم أنياس وكان ذلك بفاس عام 1329هـ حسبما قيل والله أعلم.

المقصد، وهي في الحقيقة من نظم الشيخ محمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي(1033- 1109هـ) نظمها في مدح الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله معن ومطلعها:

(لقد مدت المداح أعناقها إلى   مديح إمام فائض النور والسر)

وقد كان علي حرازم من أصحاب الشيخ العربي بن أحمد بن عبد الله معن قبل صحبته للشيخ أحمد التجاني، ذكر ذلك هو نفسه في جواهر المعاني.

هذا والكثير من المسائل المذكورة في الجواهر منقولة حرفيا أو بالمعنى من كتب التصوف المشهورة، وأحيانا يذكر مؤلف جواهر المعاني مصدرها، وأحيانا أخرى يسكت عنه، وأهم تلك المصادر الفتوحات المكية للشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي (توفي 638هـ) والإبريز من كلام الشيخ عبد العزيز الدباغ لأحمد بن المبارك الفاسي (توفي 1156هـ) وعوارف المعارف للسهروردي(توفي632 هـ) والجواهر الخمس لغوث الله الهندي(ت 970هـ) وغيرها.

مثال ذلك: خاتمة الفصل السادس من الجزء الثاني في وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم واتباع سنته إلى آخره، منقولة حرفيا من كتاب المواهب اللدنية بالمنح المحمدية) لأحمد شهاب الدين القسطلاني ومثلها بالضبط في مدارج السالكين لابن القيم الجوزية.

ومثال آخر: الجواب عن معنى الآية ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج: 52] إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ ﴾ [الحج: 52] مطابق تماما لما في الإبريز، وكذلك الجواب عن معنى الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن المطابق لمعنى الآية: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴾ [الحجر: 87] منقول من الإبريز.

والكلام عن مخاطبة الحق تعالى لعباده: بماذا وحدتموني إلى آخره من كلام الشيخ الأكبر في الباب 73 من الفتوحات المكية، وكذلك الجواب عن عدد أنفاس الإنسان، وكلامه عن تحاور الأسماء الحسنى المتوجهة على إبراز الوجود في شرح جوهرة الكمال.

وقد أشار الشيخ سكيرج إلى سبب التمزيق الأول لجواهر المعاني الذي أمر به الشيخ أحمد التجاني في كتابه (جناية المنتسب العاني) - الجزء الثاني(ص 52) -

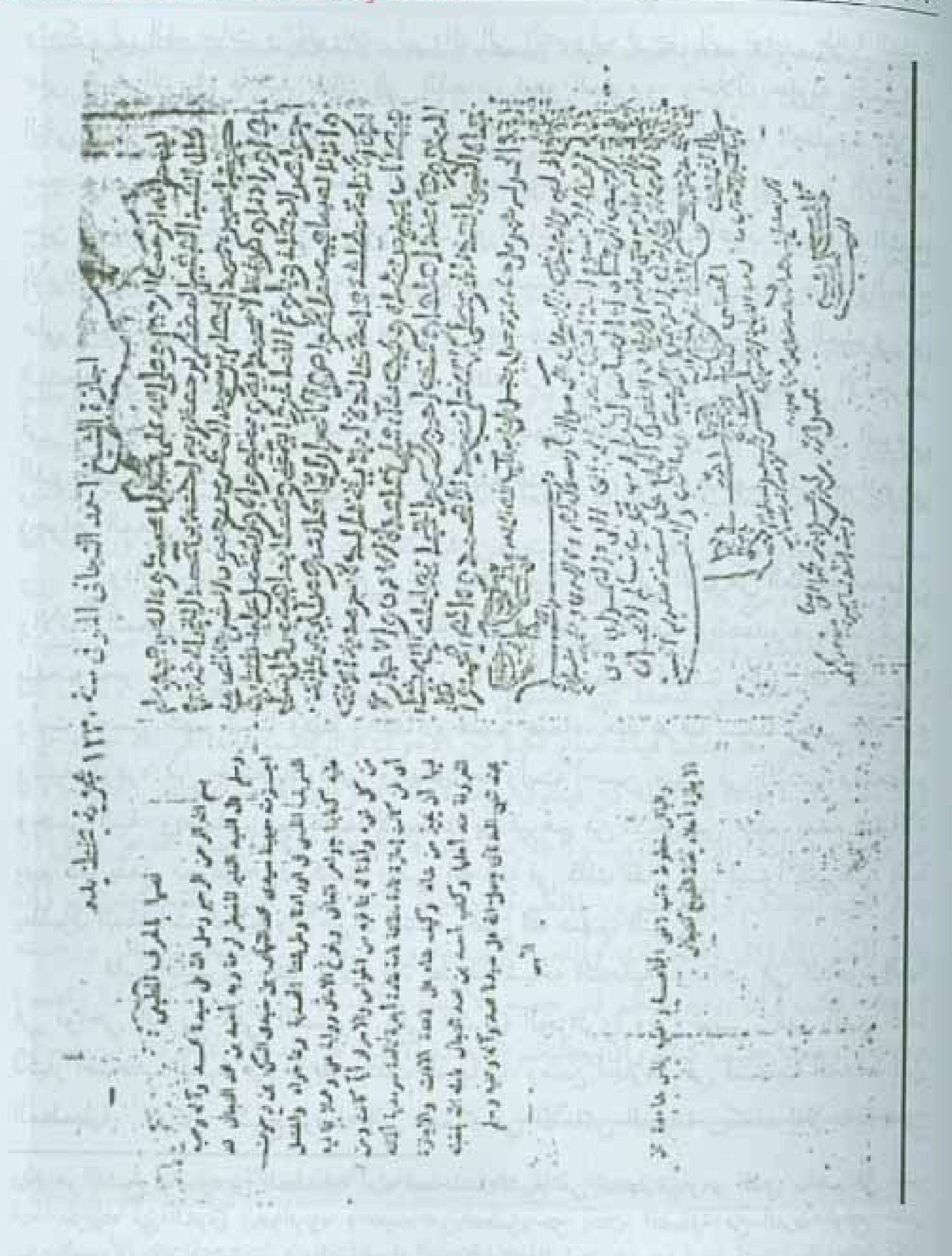
فقال:

قد طعن بعض الناس الذين يبحثون عن العورات في كتاب (جواهر المعاني) الذي ألفه الخليفة المعظم السيد الحاج علي حرازم برادة، بأنه منتحل من كتاب المقصد الأحمد تأليف العلامة أبي الطيب القادري الذي ألفه في الولي الصالح أبي العباس سيدي أحمد بن عبد الله معن. . . ولقد عثرت على ثلاث نسخ من هذا المقصد وقابلته مع جواهر المعاني فوجدت خطبته كخطبته، وجل تراتيب أبوابه على ترتيبه، وأما ما يتعلق بالطريق أو بالمسائل العلمية الحديثية والفقهية ومقالات الشيخ رضي الله عنه ومقاماته وكراماته فليس شيء منه فيه إلا كما كان مماثلا من الموافقات في المشربين في قضية من قضايا اتفقت للشيخين حتى كأنه هذه عين هذه، مما يقع مثله لكثير من الناس فيذكره فيه باللفظ. وليس هذا بمستنكر في حق كل مؤلف رأى ما يناسبه في موضوع تأليفه فنقله، إلا أن عدم نسبته للمنقول عنه هو الذي ظهر لي أنه هو الداعي للشيخ رضي الله عنه لحرقه أولا؟ ثم رأى أنه لا بأس بذلك، فأمره بالعود إلى جمعه كما نبه على ذلك في خطبته. وإذا كان العلماء الكبار ينقلون الكتب من أصلها فتنسب لهم مع مؤلفها الأول، فلا بأس بحمد الله في محاذاة جواهر المعاني بالمقصد الأحمد. انتهى.

ونشير إلى أن القاضي العلامة سكيرج قد كتب تأليفا فيه تأويلات شرعية، وحل لبعض الإشكالات الموجودة في (جواهر المعاني) وعنوانه (تيجان الغواني).

والخلاصة أنه من الواجب القيام بتحقيق علمي جاد وتمحيص شامل لكتاب (جواهر المعاني) ومقارنته الدقيقة بكتاب (المقصد الأحمد) وبغيره من كتب التصوف التي منها اقتباسات في جواهر المعاني، وذلك حتى يتميز ما نسبه علي حرازم للشيخ من غيره، وحتى يتميز كلام الشيخ البارز منه أصالة من الكلام الذي استشهد به أو اقتبسه من الذين سبقوه أو وافق كلامهم.

أما كتاب (المشاهد) الذي ألفه علي حرازم أيضا، ومنه نسخ مخطوطة كثيرة فبعض علماء التجانيين يقولون أن أكثر ما فيه مكذوب عليه ومدسوس دسا. وتوجد لكتاب المشاهد نسخ كثيرة مخطوطة أكثرها يختلف عن بعضها البعض سواء في محتواها أو في أسلوبها وشكلها.



كتاب (الجامع) لمحمد بن المشري

أما مؤلف كتاب (الجامع) فهو محمد بن محمد بن المشري سليل قبيلة أولاد السائح الأشراف القاطنين بنواحي تقرت والطيبات. حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا

وتمكن في الشرعيات واللغويات. ثم مال إلى التصوف فرحل إلى تونس طالبا العثور على شيخ التربية، فأرشد هناك إلى الذهاب نحو المغرب، وخلال حلوله بتلمسان، التقى بالشيخ عند رجوعه من الحج سنة 1188هـ. فأخذ عنه الطريقة الخلوتية ولازم صحبته من ذلك الوقت. واتخذه الشيخ إماما يؤم به في الصلوات إلى سنة 1208هـ حين تصدى الشيخ للإمامة بنفسه. وكان هو الواسطة في جذب أعيان أصحاب الشيخ الأوائل لطريقته، مثل الحاج علي حرازم، ومحمد الساسي القماري وأصحابه والحاج علي التماسيني. ولما ظهر الشيخ بطريقته الخاصة سنة 1196هـ أصبح ابن المشري من المتحمسين للدعوة إليها، فاتصل بأعيان عائلته من أولاد السائح ورغبهم في الانخراط في الطريقة، واستجابوا لذلك، وكان على رأسهم الفقيه الناسك عبد القادر البوطي الذي ذهب إلى الشيخ وأصبح مقدما للطريقة عند قومه. وقد وصفهم علي حرازم في (جواهر المعاني) بقوله:

ودارهم دار علم وصلاح ورشاد وفلاح ولا زالوا إلى الآن من العلماء العاملين والأئمة المجتهدين، وجلهم أخذ طريقة شيخنا رضي الله عنه ويقصدونه بالزيارة في بلدهم نحو عشرين يوما أو أزيد، ويأتون بالأموال العظيمة لسيدنا رضي الله عنه. وما رأيت أحسن منهم سمتا ودينا وعلما، وجلهم علماء. منذ عرفنا سيدنا رضي الله عنه وتأتيه الوفود من جميع النواحي والهدايا ما رأيت أحسن منهم في الأدب والتعظيم وحسن النية، ويعاملهم سيدنا بما لا يعامل به غيرهم من الإعراض عنهم بعدم المبالاة بهم كما يفعل مع غيرهم، فكلمته رضي الله عنه في ذلك فقال لي: ليسوا كغيرهم، إنما يطلبون المقامات العالية والأحوال السنية رضي الله عنهم، انتهى.

فابن المشري يعتبر أول رائد لطريقة شيخه التجانية، وساهم في الدعوة إليها في نواحي الغرب وفي الصحراء وفي الشرق الجزائري وفي تونس. فهو الذي أذن لكبار أصحاب الشيخ في طريقته بتلك الجهات. وممن أجازهم في قسنطينة العلامة ابن المطمطية [1] وكان الشيخ يرسله إلى مهماته في الأماكن البعيدة ويكلفه بالإجابة على

(1) هو الشيخ محمود بن المطمطية أول أصحاب الشيخ من قسنطينة، وهو الذي ساهم في نشر طريقته في الشرق الجزائري. وحفيده هو محمود من أعلام التجانية في القرن الرابع عشر الهجري. كان علامة صوفيا فقيها أديبا، ألف كتبا كثيرة وله رسائل عديدة مع علماء الطريقة، لكن بقيت كل كتبه مخطوطة وهي مفرقة في زاوية تماسين وفي خزانة كتب محمد الطيب التجاني بن شيخ زاوية تماسين السابق أحمد التجاني(1978 م) وفي فزانة كتب أبناء المقدم خميس في تكرت، وعند حفدة المترجم له في قسنطينة. وقد ألف العلامة المغربي الفقيه الحجوجي الذي

بعض رسائله، ولم يعمل طول حياته لنفسه ولا لذويه لأنه كان متجردا متفانيا في خدمة شيخه وطريقته، فلم يترك مالا ولا ولدا ولم يتزوج إلا مدة وجيزة قبيل وفاته. وبأمر من شيخه سافر إلى تلمسان والجزائر وأبي سمغون. وأخيرا استقر بعين ماضي وكان قد أصيب بمرض في يده فتوفي من ذلك المرض ودفن قرب والدي الشيخ في عين ماضي سنة 1224هـ. ولما سمع الشيخ بوفاته، أتى إليه من فاس زائرا قبره. فاغتنم كثير من الناس الساكنين في مختلف مناطق الجزائر فرصة وجود الشيخ في بلده وذهبوا للأخذ عنه. ولما توفي ابن المشري كتب الشيخ إلى أهله معزيا فيه رسالة هذا نصها:

(بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. بعد حمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه، يصل الكتاب إلى يد أحبابنا وأصفيائنا ورفعاء المكانة من قلوبنا كافة، جماعة أولاد سيدي محمد السائح، كل واحد باسمه وعينه من غير تخصيص. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، من كاتبه إليكم العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني، وإلى كافة أولادكم وأهلكم. وبعد، عظم الله أجرنا وأجركم وأحسن عزائنا وعزائكم وجبر مصيبتنا ومصيبتكم في سيدي محمد بن المشري. ومصيبتنا به أكبر من مصيبتكم. ونسأل الله تعالى أن يجبر مصيبتكم فيما ضاع لكم من الأموال والرقاب، فإنه أمر الله عز وجل، وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون. وما لأحد عما قدر الله من محيص. قال مولانا عز وجل: ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾ [الرعد: 11] ونسأل الله عز وجل أن يكثر لكم أموالكم وأولادكم ورجالكم وأن يجعل لكم النصر على جميع أعدائكم وأن يكثر لكم الأرزاق والخيرات والنعم الواسعة، وأن ينظر في جميعكم بنظر ورحمته ومحبته لكم، وأن يدفع عنكم شر جميع الأعداء والحساد وأن يكون لكم وليا ونصيرا وحافظا ومعينا حيثما كنتم وأن يعطيكم السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، وان يلبسكم

كان على صلة به في ترجمته كتابا عنوانه: (رياض المعارف القدسية في ترجمة سيدي محمود بن المطمطية) كما ترجم محمود الحفيد هذا لجده محمود في كتابه الذي عنوانه:(الدرة الخضراء الثمينة في تراجم خواص الغوث التجاني بقسنطينة) وله كتاب: (أشرف الأوصاف في أبناء عين ماضي الأشراف) وكتاب: (المطلع البدري في التعريف بالعارف المشري) وكتاب فيه ترجمة وافية للشيخ الحاج علي التماسيني عنوانه: (غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين) وكتاب في تراجم شيوخ زاوية تماسين عنوانه: (مجالس الأنس في تراجم الخلفاء الخمس.) وله عشرات الكتب غير التي ذكرنا.

لباس الستر والعافية واللطف والحفظ من كل مصيبة وبلية وفتنة ومحنة. إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم).

وقد ساهم ابن المشري في كتابة (جواهر المعاني) فأعان علي حرازم في جمع مسائله، ثم ألف ابن المشري كتابه (الجامع لدور العلوم الفائضة من القطب المكتوم) وهو مخطوط في جزأين. وقد جمع فيه خلاصة ما في الجواهر مع إضافات وملاحظات. يقول في مقدمة كتابه: (إن كلام الشيخ تفرق في نسخ عديدة في بلدان بعيدة بين أصحابه ووقع في بعضها زيادة على غيرها ونقص وتكرار بحسب مفهوم النساخ، فخشيت أن ينسب ما فيها من التخليط لسيدنا رضي الله عنه وحاشاه من ذلك لأنه يغترف من محل الصدق الذي لا يطرقه الريب). فكلامه هذا صريح على أن الكذب على الشيخ ودس أمور في كلامه والتخليط قد شاع في حياة الشيخ نفسه. وكتاب الجامع نفسه وقع فيه التحريف، فصاحب بغية المستفيد [1] يقول: (فظهر أن ما في النسخ الموجودة من الجامع تحريف من النساخ

لا غير، إذ لم يعثر أحد بفاس وما بإزائها على نسخة مصححة من الأصل) [2].

---

(1) هو العربي بن السائح العمري الشرقاوي. ولد ليلة عيد الأضحى سنة 1229هـ.ونشا بمكناس بالمغرب وأخذ الطريقة التجانية سنة 1256هـ.بعد أن تضلع في مختلف العلوم.ثم انتقل إلى زاوية الرباط خلفا لابن عمه العربي بن الحفيان فمكث شيخا لها مدة 35 سنة وعلى يديه انتشرت الطريقة في تلك النواحي وغيرها. صحب عددا كبيرا من خواص تلاميذ الشيخ وأخذ عنهم خصوصا محمد الهاشمي السرغيني دفين عين ماضي الذي أخذ عن محمد بن عبد الواحد بناني المصري وهو عن الشيخ وعن الحاج علي التماسيني، وأخذ أيضا عن سيدي عبيدة الشنقيطي مؤلف (ميزاب الرحمة الربانية) وله أشعار غزيرة وتآليف عديدة منها البغية المذكور، وشرح البردة وشرح الخزرجية وشرح لامية البوصيري وتعليق على الهمزية وتعليق على الشمائل وطرر على النووي وشرحه على الأربعين النووية وغير ذلك من القصائد والتخميسات والرسائل والأجوبة النفيسة. وتوفي ليلة الأحد من رجب سنة 1309هـ والحفيان المذكور هو من جلة أصحاب الشيخ هو ووالده محمد الشرقي العمري، رحل من بلده في طلب العلم إلى مراكش فأخذ القراءات وأحكامها وأخذ الحديث ثم أخذ العلوم الأخرى بفاس حيث صحب الشيخ وانتفع به وخلفه ابنه العربي المذكور الذي بنا الزاوية التجانية بالرباط وقام بشؤونها إلى أن توفي فخلفا صاحب البغية، وقد ألف الفقيه الحجوجي كتابا في ترجمة الشيخ العربي بن السائح يقع في مجلد عنوانه(الأزهار العطرة الروائح في التعريف بمولانا العربي بن السائح).

(2) ويطلق اسم (الكناش) أحيانا عند بعض التجانيين على كتاب (الجامع) هذا. وهو اسم للعديد من المجموعات المنسوبة للشيخ أو تلاميذه.فالشيخ سكيرج يتكلم على أحدها في كتابه (جناية المنتسب العاني) فيقول: أنه يشتمل على أسرار تلقاها جامعه عن الشيخ وفيه تقاييد بخط بعض أصحابه مثل الحاج الطيب السفياني والحاج الكبير الحلو ومحمد المازوني وغيرهم، ثم قال: =

ولابن المشري تأليفان آخران أيضا أولهما: (نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء) وثانيهما: (السراج الوهاج لاقتطاب ثمرة ياقوتة المحتاج) وهو شرح لصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم مرتبة على حروف المعجم عنوانها: (ياقوتة المحتاج في الصلاة على صاحب المعراج صلى الله عليه وسلم) ألفها أحد خاصة الشيخ وهو محمد بن العربي التازي الدمراوي [1]، ولابن المشري تأليف كبير آخر عنوانه: (روض المحب الفاني، أو مواهب المنان) وموضوعاته مشابهة لما في كتابه الجامع [2].

كتاب (الإفادة الأحمدية) للطيب السفياني

ومن المراجع القديمة لكلام الشيخ كتاب: (الإفادة الأحمدية لمريد السعادة

= (وعهدي به عند حفدته بفاس غير أنني سألت عنه مرة من انحاز إليه فأجابني بأن جل أوراقه تفرقت ثم استولى عليه بعض العلماء الجلة فأدخله خزانته. على أن هذا الكناش ربما يكون المراد به إما جواهر المعاني وإما جامع ابن المشري، ولذلك ينصرف إليهما اسم الكناشين في الإطلاق عند أصحاب الشيخ رضي الله عنهم. ولقد وقع البحث عن هذا الكتاب في زاوية الشيخ رضي الله فلم يقع العثور عليه)، وقد نبه سكيرج على المدسوسات والأكاذيب في الكتب المنسوبة للطريقة التجانية وهي منها بريئة ككتاب (الكنز المطلسم) وكتاب (الكنز المدفون) وكتاب (يعسوب السر الرباني) وكتاب (المشاهد) المنسوب لعلي حرازم والمشاهد المنسوبة لغيره. وراجع أيضا كلامه حول كتب ابن المشري و(دور الأنوارللدمراوي) ص: من 58 إلى 69.

(1) هوتازي الدار، دمراوي الأصل. وادمر دشرة بناحية تازة وهو شريف النسب. كان مجبولاً على التوغل في الأمور الروحية، وبالشفافية الروحية العالية. أخذ منذ صباه طريقة بن عزوز المراكشي وصحب رجال التصوف وظهرت عليه أحوال عجيبة. تلاقى وهو يافع مع الشيخ التجاني في تلمسان فصحبه وأصبح أقرب خاصته إليه، وقد سافر إليه الشيخ خلال إقامته بأبي سمغون إلى بلده تازه وكان للشيخ مزيد اعتناء بشأنه وكان يزوره في حياته وبعد مماته في قبره. له كتاب اسمه (المشاهد) فيه ذكر لبعض تجاربه الروحية ويتضمن أذكارا كان يبعثها للشيخ منها (دور الأنوار).وله أيضا صلوات على النبي صلى الله عليه وسلم مرتبة على حروف المعجم عنوانها: (ياقوتة. وقد ساهم في نشرالطريقة عند انطلاقها في الجزائر والمغرب. وتوفي سنة 1214هـ مقتولا بعين ماضي حيث دفن خارج الحصن وقبره مشهور يزار، قتله أحد البغاة. ولم يعقب سوى بنتين (انظر ما كتبه سكيرج حول (دور الأنوار) في كتابه (جناية المنتسب العاني) صفحة 68 – 69).

(2) نشير إلى أن الشيخ أحمد سكيرج قد ألف كتابا في المقارنة بين (جواهر المعاني) و(الجامع) وسماه: (السر الباهر بما انفرد به الجامع عن الجواهر) في نحو30 صفحة وهو غير تام. وكذلك فعل أحد علماء التجانية المعاصرين القاطنين بالمدينة المنورة وهو مصطفى بن محمد بن عبد الله بن العلوي في كتابه الذي عنوانه: (إفادة التجاني بما ليس في كتاب جواهر المعاني من عقيدة وأقوال أحمد التجاني).

الأبدية) للطيب بن محمد بن أحمد السفياني الحسني نسبا الذي سمي بذلك لتربيته في حجر أبي والدته الشيخ الحسن بن إبراهيم السفياني الصوفي المشهور بالمغرب [1].
كان السيد الطيب فقيها عالما له أتم معرفة بالتجويد. وكان في بدايته من أتباع الطريقة الطيبية، ولما ذهب للحج ومر بمصر اجتمع بمقدم الشيخ هناك الحاج محمد بن عبد الواحد بناني المصري [2] فوجد عنده نسخة من (جواهر المعاني)، فقرأها وأعجب بما فيها من مناقب الشيخ. ولما رجع من حجه إلى فاس، سارع للأخذ عن الشيخ ولازمه وأصبح من أحب خاصته إليه، وكان من الذين ساهموا في نشر الطريقة في فاس ونواحيها. وبقي قائما على شؤون الزاوية بعد وفاة الشيخ إلى أن مات سنة 1259 هـ ودفن بجبل زعفران خارج باب عجيسة بفاس. فخلفه ابنه أحمد على الزاوية وهو أيضا ممن رأى الشيخ ودعا له بخير وكان سنه عند وفاة الشيخ ثلاث عشرة سنة، وعاش مجتهدا في العبادة والإفادة وله أشعار وتوفي يوم الاثنين ثاني صفر عام 1285هـ. ودفن بجوار والده، فخلفه على الزاوية الكبرى بفاس ولده الطيب الذي كان من أفاضل المقدمين في الطريقة، ولما توفي خلفه على إدارة الزاوية ابنه الغالي ثم تولى بعده الأستاذ العلامة إدريس بن العابد العراقي المدرس بجامعة القرويين الذي بقي إلى سنة 1408 شيخا للزاوية وإمامها والقائم بالتدريس فيها، وكان والده من قبله إماما بها، وللشيخ إدريس تآليف كثيرة منها (الرسالة الشافية) المذكورة آنفا ومنها (تحفة الناظر فيما يحتاج إليه الحاج والزائر). لكن لم يطبع من كتبه إلا القليل.

وكتاب (الإفادة الأحمدية) يحتوي على كلام منسوب للشيخ أحمد التجاني رتبه على حروف المعجم وجمع فيه 265 جملة مما سمعه من الشيخ مباشرة أو بواسطة [3] وقد قدم هذا الكتاب وعلق عليه تعاليق جيدة هامة، المحدث العلامة محمد الحافظ المصري في طبعته الأولى سنة 1350هـ وفي طبعته الثانية سنة 1391هـ بالقاهرة. لكن أيادي الدس والتزوير والكذب على الشيخ قد امتدت أيضا لهذا الكتاب بحيث أمسى الكثير من الكلام المنسوب للشيخ والمذكور فيه مشكوكا في صحة نسبته.

(1) توفي يوم الثلاثاء منتصف القعدة الحرام عام 1098هـ وكان فاسي الدار والقرار وله طريقة وأتباع مشهورون في تلك البقاع.
(2) انظر ذكره في الفصل الخامس من الباب الخامس.
(3) للشيخ أحمد سكيرج تأليف عنوانه (الجوهر المنظوم من كلام القطب المكتوم) جمع فيه ما بلغه من اللطائف والحكم من كلام الشيخ التجاني ورتبه على حروف المعجم كتبه عام 1328هـ وموضوعه شبيه بموضوع كتاب (الإفادة الأحمدية).

وفي ذلك يقول محمد الحافظ في مقدمته الثانية للكتاب: وقد حدثني سيدي أحمد سكيرج، قدس الله سره، أنه وقع في بعض نسخ الإفادة المخطوطة ما لا يثبت عن الشيخ رضي الله عنه، والأصول المخطوطة مختلفة، وإن سيدي العربي بن السائح كان يحب أن يحذف ما لا يثبت عن الشيخ رضي الله عنه مما وقع في بعض تلك النسخ. ولو عرفت هذا قبل أن تطبع الإفادة لما ذكرت فيها بعض الأشياء التي ذكر لي أنها لا تثبت عن شيخنا رضي الله عنه. ولكننا وجهناها، ولله الحمد، على الوجه المطابق للشريعة، على فرض صحتها متبعين في ذلك ما أصله شيخ الإسلام سيدي إبراهيم الرياحي، في رده على الشيخ الميلي حين زعم أن الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه - وحاشاه - لم يقل بقول أهل السنة في قدم كلام الله عز وجل، مع أنه قال بقول أهل السنة وأن كلام الله قديم. ولم يفهم الشيخ الميلي عبارة الشيخ رضي الله عنه. وقد تجنى المنكرون، وافتروا على شيخنا وتهافتوا تهافتا واضحا جليا فاتهموا شيخنا بأنه قائل بأن كلام الله ليس بقديم؛ بينما قال آخرون: بأنه يقول إن صلاة الفاتح من كلام الله القديم. فكيف يعقل أن يقول عالم عاقل: إن القرآن ليس بقديم، وأن صلاة الفاتح من كلام الله القديم. وهذه التهم واضحة البطلان. ولا يقول هو ولا أصحابه ذلك. ورد شيخ الإسلام سيدي إبراهيم الرياحي مطبوع بتونس في كتاب (تعطير النواحي في ترجمة سيدي إبراهيم الرياحي) لابن حفيده الشيخ عمر الرياحي. فإنه ذكر أنه رد الاعتراضات على فرض ثبوتها عن الشيخ رضي الله عنه. والمقطوع به أن شيخ الطريقة والحقيقة سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه من أئمة الهدى، ولم يعرف عنه إلا أنه من أهل السنة والجماعة، متبعا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا يوجد واحد من أهل الطرق جميعا إلا هو سني الاعتقاد. وهم أعلم خلق الله في مختلف عصورهم بالكتاب والسنة. وما ضرهم - ولله الحمد - إنكار المنكرين عليهم ولا مخالفة المخالفين. . . وقد قال الإمام مالك رضي الله عنه: ما من أحد إلا يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر الشريف صلى الله عليه وسلم.

وقد قام بعض التجار بطبع الإفادة في سنة 1389هـ ولم تعرض علينا ولم نعلم بطبعها ولم نعتمده. وفيها ما لا يثبت عن الشيخ رضي الله عنه مما تجنبناه في هذه الطبعة. ولذلك فنحن غير مسؤولين عما جاء بها من مخالفة وأغلاط فننبه إخواننا إلى هذا. . . سئل الشيخ: أيكذب عليك؟ قال: نعم. إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع فإن وافق فاعملوا به وإن خالف فاتركوه. فهذه قاعدة أصلها رضي الله عنه. فكل

ما خالف الشريعة فهو بريء منه، ونقطع بأنه كذب عليه. إما من أعدائه الذين يريدون تشويه طريقته، أو من جهلة المنتسبين إليه الذين يجهلون حقيقة الطريق، أو أن من روى عنه، لم ينقل كلامه رضي الله عنه كما خرج من شفتيه، بل تصرف فيه [1].

وكثيرا ما يهم الثقة أو يكون قد روي عن غيره ممن لم يضبط كلام الشيخ أو وهم فيه، وكلام الشيخ قرينة يتعين معها تأويل كل ما نقل عنه، مما يخالف ظاهر الشريعة. ومعنى التأويل أن كل فهم لكلامه لا يطابق السنة فهو غير مراد له، فيحمل على المعنى المطابق لها، هذا إن ثبت عنه، وإلا فيرد.

وقد ذكر العلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج في جوابه على بعض أسئلة السيد محمد السعيد علي الاسكندري في كتاب: (طرق المنفعة)، عن بعض المنصفين أن إنكار المنكرين لا يتوجه في الحقيقة إلا على ما نسب للشيخ مما هو منه بريء، مما أنكر عليه، إذ نسبة تلك الأمور إليهم لا إليه. قال:

كما وقع ذلك في بعض الكتب المؤلفة في هذه الطريقة، وقد طبع منها ما اشتمل على ما يتحاشى جانب الشيخ رضي الله عنه، وجانب خواص أصحابه منه، ولقد صدق - أيده الحق - في هذا الأمر. فلو نفى علماء الطريقة [2] ما ينسب للشيخ بالكذب، ما قامت قيامة المنكرين المحرومين من خصوصية الأوراد التي لم تزل منتجة للإمداد. وإني وقفت على ما تقشعر منه الجلود مما طبع منها وما لم يطبع فخشيت على كل من طالع ذلك الفتنة الكبيرة.

فمن ذلك: ما طبع بالجزائر من تأليف سماه طابعه: بـ (الكنز المدفون) وإنه والله لمكذوب على الشيخ رضي الله عنه، بما اشتمل عليه من الهذيان الذي لا طائل تحته مما يقال في حق مثله (أسمع جعجعة ولا أرى طحنا) بل رأيت فيه من الركاكة وتكرار الأعداد التي تخل بالمراد، مما يدل على جهل منشئة الذي نسبه للشيخ، وما أراد بذلك إلا فتنة العباد، حسيبه الله.

ومن ذلك تأليف وقفت على نسختين منه سماه مؤلفه: (يعسوب السر الرباني

(1) وهذا الأمر واقع في (جواهر المعاني) وفي (الجامع) وفي (الإفادة الأحمدية) وغيرها من الكتب المعتمدة في الطريقة التجانية. ومن أحسن التآليف التي وضحت بعض ما دس على الشيخ كتاب (جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني) وهو مطبوع في جزأين لمؤلفه الشيخ سكيرج.

(2) لكن الذي وقع من بعضهم هو مع الأسف العكس فأوردوا في كتبهم ما لم تثبت نسبته للشيخ ودافعوا عن ذلك فزادوا الطين بلة.

في مناقب التجاني) ولم أتمالك نفسي حين اطلعت عليه بما اشتمل عليه من الضلالات التي لا يحل لأحد أن يفوه بها في شأن الشيخ رضي الله عنه، وشأن طريقته. وما ذاك إلا من دس بعض المبغضين في هذا الجناب، ليظل به من اطلع عليه من جهلة الطريق، فيحدثون بذلك الناس، فتقوم قيامة الإنكار على الشيخ البريء من تلك الكرامات وتلك الفضائل التي لا يقول بها فاضل عاقل، وبالبداهة لا يقبلها الغريق في الجهل من هذه الطريق فضلا عن غيره. ولقد بلغني أن ولد الشيخ رضي الله عنه سيدي محمد الحبيب، أو ولده سيدي محمد البشير رحمه الله جيء له بنسخة من هذا التأليف فأنكره وقال: هذه الكرامات وما يضاف لها من الفضائل، لا نقبلها ولا نقول بها وأمر بحرقه وتبرأ من كل من وقف على نسخة منه وصدق ما اشتملت عليه.

ومن ذلك، جل(المشاهد) المنسوبة للخليفة سيدي الحاج علي حرازم برادة فكله مكذوب عليه [1]، نسخ على منوال مشاهده المسماة بـ (الكنز المطلسم) من لم يراقب المولى في أهل الخصوصية، فكتب جملة متفرقة على مقتضى هواه ونسبها إليه.

وقد كنت وقفت على (الكنز المطلسم) بخط يده، فلم أعثر فيه على شيء مما كنت أنكره مما كنت أقف عليه من تلك المشاهد التي يظن من ظفر بواحد منها أنه حصل على طائل، وليس منها خير حاصل. ولهذا يتعين على من يريد السلامة في هذه الطريقة من الإخوان وغيرهم أن لا يعتمد إلا ما حصلت لهم به الرواية الصحيحة عن أهل الخصوصية والمعرفة التامة بما اشتملت عليه الطريقة، مما روي عن الشيخ وعن خاصة أصحابه، خشية الوقوع فيما يقع فيه أهل الوقيعة في جانب أهل الله.

وقد استشعر سيدنا رضي الله عنه بما منح من نور الفراسة والإلهام الحقي أنه سيكذب عليه فقال: إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع. وهكذا قال الأئمة الأربعة وغيرهم من ذوي المناصب العالية، حتى لا يقع أحد في الضلال بما نسب إليهم. ويتعين على العاقل أن لا يعتمد إلا على ما صح لديه بالرواية الصحيحة ولا يرمي ميزان الشريعة من يده. ومما أنشده الشيخ الأكبر ابن العربي قدس سره:

لا تغتر بالذي زالت شريعته ... عنه ولو جاء بالأنباء عن الله

ومن كلامه أيضا في فتوحاته المكية: (من أراد أن لا يضل، فلا يرمي ميزان ظاهر الشريعة من يده طرفة عين، ويعتمد ما عليه الأئمة المجتهدون ومقلدوهم

(1) ومن المؤسف أن علامة عظيما وهو الشيخ سكيرج قد أورد في كتابه (كشف الحجاب) نقولا من هذه (المشاهد).

ويرفض ما عداه) اهـ.

وكيف لا يكذب على الشيخ رضي الله تبارك وتعالى عنه وأمثاله، وقد كذب على الله ورسوله. وكم من أحاديث نسبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم كذبا وزورا، ولقد نسب إلى العلماء كتب لا علم لهم بها، ومنها ما ألفه مزورون في حياتهم أو بعد وفاتهم. ولنذكر لك هنا ما قاله العارف الشعراني في (اليواقيت والجواهر) فيما نسب إلى الشيخ محي الدين بن العربي:

(وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة وما عليه الجمهور فهو مدسوس عليه، كما أخبرني بذلك سيدي الشيخ أبو الطاهر المالكي نزيل مكة المشرفة، ثم أخرج لي نسخة الفتوحات التي قابلها على نسخة الشيخ التي بخطه في مدينة قونية فلم أر فيها شيئا مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت الفتوحات، وقد دس الزنادقة تحت وسادة الإمام أحمد بن حنبل في مرض موته عقائد زائفة، ولولا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد لافتتنوا بما وجدوه تحت وسادته، وكذلك دسوا على شيخ الإسلام مجد الدين الفيروزبادي صاحب القاموس كتابا في الرد على أبي حنيفة وتكفيره ودفعوه إلى أبي بكر الخياط اليمني البغوي، فأرسل يلوم الشيخ مجد الدين على ذلك. فكتب إليه الشيخ مجد الدين: إن كان بلغك هذا الكتاب فأحرقه فإنه افتراء من الأعداء، وأنا من أعظم المعتقدين في الإمام أبي حنيفة، وذكرت مناقبه في مجلد. وكذلك دسوا على الإمام الغزالي عدة مسائل في كتاب الإحياء، وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النسخ فأمر بحرقها. وكذلك دسوا علي أنا في كتابي المسمى بالبحر المورود جملة من العقائد الزائفة وأشاعوا تلك العقائد في مصر ومكة نحو ثلاث سنين وأنا بريء منها)، انتهى نقل الشيخ محمد الحافظ المصري وانتهى كلامه.

وقد خصص الشيخ سكيرج في كتابه (جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني) فصلا لبيان الكتب المدسوسة كذبا على الشيخ.

خلاصة القول: أن هناك شكوكا كبيرة في صحة نسبة كثير من الكلام الذي يعزى للشيخ سواء في الكتب المؤلفة خلال حياة الشيخ أو بعد وفاته، وسواء منها المخطوطة والمطبوعة، ولا يثبت سوى الرسائل المخطوطة الأصلية التي هي بخط يد الشيخ نفسه، والتي بعث بها إلى أصحابه، وبعضها لا يزال محفوظا في زوايا الجزائر والمغرب. أما جميع التآليف الأخرى فتحتاج إلى تنقيح وغربلة حسب القاعدة التي أكد عليها الشيخ قولا وخلقا وعملا وهي: إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع فإن

وافق فاعملوا به، وإن خالف فاتركوه.

وبسبب هذه المدسوسات التي شوهت الوجه الحقيقي النقي للطريقة التجانية، وبسبب الغلو في ذكر فضائل الشيخ وطريقته وأتباعها حتى من طرف بعض العلماء منهم الذين أفرطوا في حسن الظن فيما نقلوه عن غيرهم - مع فضلهم وتقواهم وإخلاصهم وصلاحهم - وبسبب تعصب بعض جهلة الاتباع، وقع إنكار كبير على التجانيين من طرف علماء الوهابية والسلفية والإصلاح، وبالغ بعضهم في ذلك حتى رموا كل من انتسب إلى الطريقة بالبدعة أو الكفر والشرك. ورد علماء التجانية على أولئك في كتب كثيرة نذكر منها: عناوين بعض الكتب المدافعة عن الطريقة:

1- (مبرد الصوارم والأسنة في الرد على من أخرج الشيخ التجاني عن دائرة أهل السنة) لمفتي تونس الشيخ إبراهيم الرياحي.

2- (الجواب المسكت) لمحمد أكنسوس [1] الذي رد فيه على الشيخ البكاي إمام الطريقة الفاضلية بشنقيط [2].

---

(1) هو محمد بن أحمد بن محمد بن يونس بن مسعود الكنسوسي القرشي الهاشمي الجعفري. ولد سنة 1211هـ ورحل لطلب العلم بفاس عام 1229حيث التقى بالشيخ ودعا له بالخير وأحبه وحضر جنازة الشيخ والصلاة عليه إلا أنه لم يأخذ عنه لاشتغاله بالعلم ولكونه كان على الطريقة الناصرية مثل آبائه. وبعد رسوخه في مختلف العلوم أصبح وإن يرأ للملك سليمان وأجل أعوانه ثم أخذ الطريقة التجانية عام 1238هـ على يد محمد الغالي خليفة الشيخ في الحرمين الشريفين كما أخذ بعض أورادها عن محمد بن أبي النصر الفاسي وعن عبد الوهاب بن الاحمر الفاسي وهما من خلفاء الشيخ في فاس. ثم تجرد لنشر الطريقة والدفاع عنها وبنى زاوية في 9 أشهر في مراكش توارثتها ذريته إلى اليوم وله أشعار كثيرة ورسائل نفيسة وتآليف عديدة منها: الحلل الزنحفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية، ومنها: الجيش العرمرم، وله تأليف في أولاد بوعشرين، وله ديوان رتبه على حروف المعجم. وكانت له معرفة تامة بكثيرمن الفنون لا سيما العلوم الرياضية. توفي في آخر المحرم عام 1294هـ بمراكش وضريحه بها يزار. وقد ألف من مناقبه الشيخ الفقيه الحجوجي كتابا عنوانه (بهجة النفوس بذكر بعض مناقب سيدي محمد بن أحمد أكنسوس) في مجلد واحد. وفي سنة 1421هـ نشر جملة من رسائله بتحقيق ممتاز الأستاذ المدقق المغربي محمد الراضي كنون، وأورد ترجمة وافية له ولإجازاته ولعناوين تآليفه التي بلغت 16 تأليفا.

(2) محمد فاضل الشنقيطي هو شيخ الطريقة البكائية أو المختارية أو الكنتية نسبة إلى الشيخ الصوفي مختار الكنتي (1142هـ -1226 هـ) شيخ للطريقة القادرية، وجده الشيخ العلامة عمر بن أحمد البكاي الذي يرتفع نسبه إلى فاتح أفريقيا الشمالية عقبة بن نافع رضي الله عنه، وبعد أن أخذ الشيخ عمر العلم رحل للحج وتأثر بالقادرية والشاذلية ثم أسس طريقته فانتشرت في إفريقيا السوداء وفي توات وموريتانيا وجنوب المغرب ونواحي مراكش والصحراء الغربية، وتوفي سنة

3- (زجر المعتدي على الجناب الأحمدي) لسلطان المغرب المولى عبد الحفيظ.

4- (سرية الفلاح والجيش الكفيل) لمحمد بن الصفير الشنقيطي.

5- (رشق السهام) للشيخ محمد فال العلوي - طبع بالرباط عام 1394هـ.

6- (الإبداء والإعادة في مسلك طريق السعادة) لعمر بن قدور الجزائري طبع جزؤه الأول بالجزائر عام 1344هـ. وهو في جزأين وفيه ردود على الانتقادات التي نشرتها مجلة المنار لرشيد رضا المصري، ضد التجانية.

7- (قمع التعصب لأعداء التجاني في المشرق والمغرب) للشيخ ماشو وهو مدرس في جامع الزيتونة بتونس.

8- (الطريقة التجانية في ضوء الشريعة الإسلامية) للأستاذ طالب عبد الرحمن أستاذ الحديث في جامعة وهران.

9- (إفحام الخصم الملد) لأبي طاهر المغربي وهو المحدث العلامة البشير النيفر التونسي.

10- (أقوى الأدلة والبراهين) لحسين حسن الطمائي.

11- (إفحام المنكر الجاني على الورد التجاني) للحاج مالك منه.

12 - (الإيمان الصحيح) للقاضي العلامة أحمد سكيرج.

13 - الصراط المستقيم لسكيرج.

1553م (958هـ) وواصل خلفاؤه نشرها إلى أن وصلت إلى المترجم له. وقد اشتهر محمد الفاضل هذا بعلمه الواسع وفضله وأعطى الطريقة دفعا قويا جديدا حتى سميت باسمه (فاضلية) وتوفي سنة 1870 م أو نحوها ودفن بسيادة بقرب ولاته مخلفا ابنه ماء العينين الذي ذاع صيته وكان عالما صوفيا عظيما فقيها كاتبا شاعرا ألف كتبا نفيسة في عدة فنون، وعاش في مراكش وفاس وحج مرتين ثم استقر بالساقية الحمراء حيث قام بنشر العلم والطريقة وأعلن الجهاد ضد فرنسا وأصبح مستشارا خاصا لملك المغرب المولى حسن المتوفى سنة 1894 م ثم للملك عبد العزيز الذي أعانه بالسلاح في حربه مع فرنسا لتحرير موريتانيا وأخيرا استقر بتزنيت سنة 1908 م وسافر إلى فاس لملاقاة السلطان المولي عبد الحفيظ ثم رجع إلى تزنيت حيث توفي سنة 1910م مخلفا ابنه أحمد الهيبة الذي واصل نشره للطريقة كما واصل الجهاد المسلح ضد فرنسا وعملائها إلى أن توفي سنة 1915م وقبره بكردوس مخلفا أخوه مربي ربه المكنى بالسلطان الأزرق فحاول توحيد القبائل لمواصلة الحرب والجهاد وبقي كذلك إلى أن توفي. ولا يزال أتباع هذه الطريقة موجودين إلى اليوم في الصحراء الغربية وماجاورها.

14 - (السر الرباني) له أيضا.

15 - زوال الحيرة بقاطع البرهان، له أيضا.

16 - (الحجارة المقتية لكسر مرآة المساوي الوقتية) وهو رد على ابن الموقت وغيرها، له أيضا.

17 - (رد أكاذيب المفترين على أهل اليقين) للحافظ العلامة محمد الحافظ التجاني المصري.

18 - (الانتصاف في رد الإنكار على الطريق)، له أيضا.

19 - تعليقات على كتاب (الإفادة الأحمدية) وغيرها له أيضا.

20 - (رحلة التهاني في حلية الشيخ التجاني) لابن انبوجه.

21 - (الدر المنظوم في نصرة القطب المكتوم) للشيخ قنون محمد.

22 - (بلوغ الأماني في مناقب القطب الشهير أحمد التجاني) للمكي بن عبد الله.

23 - (ديوان في مدح سيدي أحمد التجاني) للطيب بن أحمد بن هشام.

24 - (غاية الأماني في مناقب وكرامات السيد أحمد التجاني) للتجاني محمد السيد.

25 -(كتاب سبل السلام في الدفاع عن طريق السادة الصوفية الكرام) الحاج مكي عبد الله التجاني التشادي.

26 -(الحجة المؤتاة في الرد على صاحب كتاب: إلى التصوف يا عباد الله) لأحمد سالم كريم القحطاني.

27 - (جيش الطلع بالمرهفات القطع) لمحمد أنياس الكولخي وفيه ردود على كتاب (مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني) لمحمد خضر بن مايابي.

28 - (رسالة قوة الدفاع والهجوم) لمحمد الطاهر يوسف.

29 - (الدر المنظوم في نصرة طريق الختم المكتوم) للفقيه الحاج محمد كنون.

30 - (العضب اليماني) لمحتضن بابا الشنقيطي.

31 - (الأجوبة الحسينية) للشيخ القاضي السينغالي المتوفى عام 1973.

32 - (أقوى الأدلة والبراهين على أن سيدي أحمد التجاني خاتم الأقطاب المحمديين) للطماوي حسين حسن.

33 - كتب ورسائل كثيرة لعلماء من الموريتانيين والمغاربة والتونسيين والسنغاليين والمصريين والجزائريين وغيرهم يصعب ضبط عددهم.

34 - دواوين كثيرة جدا من الشعر المنظوم والملحون ألفها العلماء والعامة وهي مبثوثة في كنانيش الزوايا التجانية.

نموذجين من رسائل الشيخ

رسائل الشيخ ونصائحه كثيرة ومتنوعة وقد اخترنا منها رسالتين ونصيحة وثلاثة أدعية.

الرسالة الأولى:

- كتبها لأحد رؤساء الدولة. قال فيها بعد البسملة والدعاء:

[وأما ما أعظك به، فاسمع ما يقوله ربنا في كتابه - وكفى به واعظا - قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴾ - الحشر: 18 - إلى قوله: ﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾- الحشر: 20 - وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾- الأحزاب: 70 - إلى قوله: ﴿ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ - الأحزاب: 70 - وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ - النساء: 131 - وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ إلى قوله: وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾- البقرة: 281 - وقال سبحانه وتعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ إلى قوله: ﴿ يُؤۡمَرُونَ ﴾- التحريم: 6 -. واعلم أنك في مرتبة قد حوت ما لا يحاط به من الخيرات والبرور، وجمعت ما لا ينتهي إلى غايته من البلاء والشرور، وأنت واقف بينهما في هذه المرتبة. فراقب الله في قلبك وانظر إلى خلق الله بعين الشفقة، ولضعيفهم ومسكينهم بعين الرأفة وقضاء حوائجهم، وإياك والاستهزاء والتواني بهم في تبليغ أمورهم إلى مولانا السلطان فإن لله سبحانه وتعالى نظرا في العبد عند كل نظرة ينظرها، فمن رآه نظر في خلقه بعين الرأفة والرحمة وخفض لهم جناحه ونظر إليهم بعين إضافتهم لله تعالى وعظمهم لذلك النظر وسارع في قضاء حوائجهم بما يقدر عليه وكان منه ذلك لله تعالى، نظر فيه ربنا سبحانه وتعالى بعين الرحمة وعين التكريم والتعظيم وسارع له في قضاء حوائجه وكلأه كلاءة الوليد من أبيه، فيا سعادة من ظفر بهذه النظرة من ربه. ومن كان على الأخرى والعياذ بالله من عدم المبالاة بخلق

الله والتباعد عن قضاء حوائجهم والتنائي عن رحمتهم والشفقة عليهم فجزاءه ما هو معلوم في النار. يقول سبحانه وتعالى فيمن اتصف بهذه الصفة: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ﴾ [الحاقة: 30 - 31] إلى قوله: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ ﴾ [الحاقة: 33 - 34] الآية. وهذا يكفيك إن اتعظت. ونسأل الله التوفيق والسداد والغرق في بحر الهدى والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما].

الرسالة الثانية:

كتبها إلى بعض الطلبة، ونصها بعد البسملة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وبعد، فالذي أعظك به وأوصيك به، عليك بتقوى الله عز وجل في سرك وعلانيتك بتصفية قلبك من مخالفة أمره والتعويل على الله بقلبك والرضا بحكمه في جميع أمورك والصبر لمجاري مقاديره في كل أحوالك. واستعن على جميع ذلك بالإكثار من ذكر الله على قدر الاستطاعة بحضور قلبك فهو معين لك على جميع ما أوصيتك به. وأكبر ذكر الله فائدة وأعظمه جدوى وفائدة هي الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع حضور القلب فإنها متكفلة بجميع مطالب الدنيا والآخرة دفعا وجلبا في كل شيء، وان من أكثر استعمالها كان من أكبر أصفياء الله. والأمر الثاني مما أوصيك به ترك المحرمات المالية شرعا أكلا ولباسا ومسكنا فإن الحلال هو القطب الذي تدور عليه أفلاك سائر العبادات، ومن ضيعه ضيع عبادة العبادة. وإياك أن تقول أين تجده؟ فإنه كثير الوجود في كل أرض وفي كل زمان لكن يوجد بالبحث عن توفية أمر الله ظاهرا وباطنا ومراعاة ضرورة الوقت إن لم يوجد الحلال الصريح، وهذا المحل يحتاج إلى فقه دقيق واتساع معرفة بالأحكام الشرعية ومن كان هكذا لم يصعب عليه وجود الحلال. والأمر الذي لا بدّ منه بعد هذا، وهو بداية جميع الأمور ونهايتها هو تعلق القلب بالله تعالى والانحياش إليه والرجوع إليه وترك كل ما سواه عموما وخصوصا، فإن قدر العبد على ارتحال القلب إلى الله بكل وجه وعلى كل حال بحركة القلب حسا فهو الغاية، وإن لم يقدر فليلازم بعد كل صلاة هذا الدعاء ثلاثا أو سبعا ثم يمر به على قلبه في غير الصلوات ويحمل نفسه عليه حتى يصير له ذلك حالا والدعاء هو هذا: (اللهم عليك معولي وبك ملاذي واليك التجائي وعليك توكلي وبك ثقتي

وعلى حولك وقوتك اعتمادي وبجميع مجاري أحكامك رضاي وبإقراري بسريان قيوميتك في كل شيء وعدم احتمال خروج شيء دق أو جل عن علمك وقهرك حتى لحظة سكوني). فإذا داوم عليه كلما رأى من أحوال النفس ما لا يطابق هذا الدعاء ذكر نفسه بمعاني هذا الدعاء وصبر على حمل نفسه سهل عليه تعلق القلب بالله تعالى برفض كل ما سواه. وهذا باب كبير من العلم يعلمه من ذاق أدنى شيء من علوم الرجال ويعلم قدره فلا تهمله. وعليك بإصلاح نفسك قدر الاستطاعة فإن العمر قصير والسفر طويل والعقبة كؤود والحمل ثقيل والحساب بين يدي الله شديد والعمل بأمر الله هو المنجي من جميع هذه الأمور. . . . . . .)

من نصائح الشيخ:

اعلم أرشدنا الله وإياك إلى سبيل هدايته، أن قساوة القلب أعظم البلايا ولم يبتل الله عبدا بأشد منها بعد الكفر. وأسباب القساوة محصورة فيما أذكره الآن، فمن اجتنبها كلها لان قلبه بعون الله ونهض إلى الفلاح، وهي هذه:

الإصرار على أي ذنب كان، وطول الأمل، والغضب لغير الله عز وجل من قول أو عمل ولو قل، وكثرة الضحك وكثرة المزاح والفرح بالحظوظ العاجلة والغم من أجل فقدها، والغفلة عن ذكر الله عز وجل وعن التفكر في أمور الآخرة كأمر القبر وأمر القيامة وضروب أحوالها ومواطنها وأمر النار وسائر أنكالها وأغلالها، وأمر الجنة وضروب نعيمها وسرورها من حورها وقصورها إلى غير ذلك، فالغفلة عن ذلك كله سبب في القسوة، والخوض مع أهل اللهو واللعب فيما هم فيه من قول وعمل وسماع حديثهم ومجالستهم لغير ضرورة شرعية، وصحبة السفهاء كالأحداث والنساء، وأكل الحرام والمتشابه والشبع وكثرة الشرب للماء وكثرة تناول الشهوات وكثرة النوم وكثرة تفكر القلب في غير ذكر الله عز وجل وفي غير أحوال الآخرة من القبر وما وراءه، وقلة ذكر الله عز وجل، والرضا عن النفس باستحسان حالها، فهذه أربع وعشرون خصلة كل منها سبب في قسوة القلب. ومن أراد أن يلين قلبه فعليه بأضدادها مع ترك هذه الخصال. . . . . واعلم أن من يريد الهداية إلى الله والى طريقه فهي في خمسة أشياء: أولها الإيمان الكامل بالله تعالى. قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: 54] وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [تغابن: 11]. ثانيها: الإنابة إلى الله عز وجل بالإقبال عليه دائما والإعراض عن سواه. قال تعالى:

﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾- الشورى: 13 -. ثالثها: مجاهدة النفس على طاعة الله عز وجل باجتناب نواهيه وترويض النفس عن أوصافها حتى تجيب إلى الأوصاف الحميدة وإقامتها لله عز وجل على ما يريد، قال الله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾- العنكبوت: 69 -. رابعها: اتباعه صلى الله عليه وسلم في كل قول وعمل وحركة وسكون قال الله تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ - الأعراف: 158 -. خامسها: الاعتصام بالله عز وجل. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾- آل عمران: 101 -. واعلم أن تقوى الله عز وجل فيها خمسة أمور: يسر في كل صعب، ومخرج من كل ضيق، ومعية الله عز وجل بالإعانة في كل مطلب، والفرقان وهو نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل، والعلم بما لم يعلم قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾- الطلاق: 2 - وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾- النحل: 128 - وقال تعالى: ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾- الأنفال: 29 - وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾- البقرة: 282 -. ومن أراد أن لا يكون للشيطان عليه سبيل فعليه بتصحيح العبودية لله عز وجل والإخلاص والاستعاذة بالله عز وجل عند الإحساس بشر، وتصحيح الإيمان والتوكل على الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ - النحل: 99 - وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾- الإسراء: 65 - وقال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ - فصلت: 36 - وقال تعالى: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾- الحجر: 40 -. ومن أراد المحبة من الله عز وجل فهي في ثلاثة: أولها: محبته سبحانه وتعالى قال عز وجل: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ - المائدة: 54 - ثانيها: إتباعه صلى الله عليه وسلم في كل حركة وسكون وقول وعمل قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ - آل عمران: 31 - ثالثها: الطهارة الكاملة وهي من كل ما سوى الله عز وجل ظاهرا وباطنا، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾- التوبة: 108 -. ومن أراد إصلاح أعماله

واستقامته مع الله عز وجل فعليه بتقوى الله عز وجل وإصلاح أفعاله بأن لا يتكلم إلا في ضروراته ولا يتكلم إلا فيما يعنيه. قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ - الأحزاب: 70 - . . . . . وليكن الأمر في ذلك جاريا على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أعطي فشكر، وابتلي فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر) ثم سكت صلى الله عليه وسلم حتى قال بعض الجالسين: ماذا له يا رسول الله؟ قال: قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾- الأنعام: 82 - يعني لهم الأمن من عذاب الله في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا. وليكن جميع ما ذكرنا خالصا لله عز وجل لا يخالطه شيء من غير الله. . . انتهى.

وهكذا فمدار جل نصائح الشيخ وتوجيهاته حول الحث على التقوى ظاهرا وباطنا، فهو يشدد في النهي عن المنهيات الشرعية ويرهب من إهمال الواجبات ويرغب في القيام بالمأمورات على الوجه الأكمل، وهو كثير الحث على المسارعة إلى البر ومكارم الأخلاق والنوافل. وكان يرغب في قيام الليل ويشدد في ذلك بقوله لمن أراد الرخصة في عدم قيام الليل: أنت رجل لا تصلح لطريقتنا فاطرح سبحتنا عنك.

وكان أيضا يحض على صلاة التسابيح التي أوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم عمه العباس رضي الله عنه. وأكثر ترغيبه مركز حول ملازمة الأذكار مع الأنفاس وأفضلها كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وتلاوة القرآن وتدبره وجولان الفكر في أسراره.

وقد جمع الأستاذ عبد الرحمن طالب مقدم التجانيين بوهران - وأستاذ الحديث النبوي بجامعة وهران - في كتابه: (الشيخ سيدي أحمد التجاني ومنهجياته في التفسير والفتوى والتربية) جملة من وصايا الشيخ وهي:

1- أوصيك وإياي بتقوى الله.

2- أوصيكم في معاملة الأسواق على محافظة قواعد الشرع وأصوله.

3- إياكم - والعياذ بالله - من لباس حلة الأمان من مكر الله في مقارفة الذنوب باعتقاد العبد أنه آمن من مؤاخذة الله في ذلك.

4- إياكم وإياكم أن يهمل أحدكم حقوق إخوانه مما هو جلب مودة أو دفع مضرة أو إعانة على كربة، فإن من ابتلي بتضييع حقوق الإخوان ابتلي بتضييع الحقوق الإلهية.

5- إياك والانهماك في مطالب دنياك حتى تتعدى حدود الله التي حدها في

شرعه، فتهلك نفسك، وما لك ملجأ من الله.

6- عليكم بالصبر في أمر الله فيما وقع من البلايا والمحن، فإن الدنيا دار الفتن، وبلاياها كأمواج البحر.

7- عليكم بالمحافظة على ذكر الله، والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم ليلا ونهارا على حسب الاستطاعة.

8- عليكم بالمحافظة على الصدقات في كل يوم وليلة إن استطعتم ولو فلس نحاس، أو لقمة، بعد المحافظة على أداء المفروضات المالية.

9- عليكم بصلة الأرحام من كل ما يطيب القلب، ويوجب المحبة، ولو بتفقد الحال، وإلقاء السلام.

10- عليكم بعدم الاعتراض على الناس فيما أقامهم الله فيه مما ليس بمحمود شرعا ولا طبعا، فإن أمورهم تجري على المشيئة الإلهية. . . . . إلا ما أوجب الشرع القيام به عليهم أمرا وزجرا بحسب العوارض والمناسبات.

11- عليكم بكثرة التضرع والابتهال، لمن له كمال العز والجلال.

12- عليكم بشكر النعم الواردة من الله تعالى بسبب أو بلا سبب، والشكر يكون في مقابلتها بطاعة الله تعالى. . . . . وأقل ذلك شكر اللسان، وليكن بالوجوه الجامعة للشكر: فأعلى ذلك في شكر اللسان تلاوة الفاتحة في مقابلة ما أنعم الله عليه، ولينو عند تلاوتها أنه يستغرق شكر جميع ما أحاط به علم الله، ويتلو بهذه النية ما قدر عليه من مرة إلى مائة.

13- عليك بإصلاح نفسك قدر الاستطاعة، إن العمر قصير، والسفر طويل والعقبة كؤود، والحمل ثقيل، والحساب بين يدي الله شديد، والعمل بأمر الله هو المنجي من جميع هذه الأمور.

14- الحذر الحذر من مخالفة أمر الله، وإن وقعت مخالفة والعبد غير معصوم فالمبادرة بالتوبة والرجوع إلى الله.

15- أديموا الصلوات المفروضة في الجماعات بالمحافظة، فإنها متكلفة بالعصمة من جميع المهلكات. . .

16- تجنبوا معاداة الأرحام، وعقوق الوالدين،وكل ما يوجب الضغينة في قلوب الإخوان.

17- تجنبوا البحث عن عورات المسلمين، فإن من تتبع ذلك فضح الله عورته،

وهتك عورة بنيه من بعده.

18- أكثروا العفو عن الزلل، والصفح عن الخلل لكل مؤمن.

19- وليكن ملازمتكم الأمر المنجي لما ذكرنا (أي التخفيف من حساب الله الشديد) أو مطفيء لأكثر نيرانه، وهو كثرة الاستغفار، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر لا إله إلا الله مجردة، وذكر لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، وقول: حسبنا الله ونعم الوكيل.

20- عظموا حرمة الأولياء الأحياء والأموات، فإن من عظم حرمتهم عظم الله حرمته. ومن أهانهم أذله الله وغضب عليه، فلا تستهينوا بحرمة الأولياء.

21- زوروا في الله، وأطعموا في الله ما استطعتم في غير تعسير ولا كد.

22- صونوا قلوبكم عمن فعل باطلا، أو هدم حقا يطابق هواكم أن تحبوه، أو تثنوا عليه، فإنه أيضا معدود من الشرك عند الله تعالى، فإن المؤمن يحب الحق ويحب أهله، ويحب أن يقال الحق ويعمل به، ويبغض الباطل ويبغض أهله، ويبغض أن يقام الباطل ويعمل به.

23- وأحذركم أن تتهافتوا في المعاملات المحرمات شرعا تهافت الجهلة من العامة محتجين بعدم وجود الحلال المعين، يريد أن يسقطوا عنهم الشريعة في المعاملات، فقد صاروا في ذلك كأنهم لا تكليف عليهم، هو كذب على الله وزورا فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ - البقرة: 168 -.

24- أوصيك في الضعفاء مد الخلق، فإنهم محل نظر الله مد خلقه، فعلى قدر اعتنائك بهم ترتفع رتبتك عند الله.

نماذج من أدعية الشيخ

أدعية الشيخ التجاني عديدة وهي مقتبسة من القرآن والأذكار النبوية نذكر منها:

الدعاء الأول المسمى:

(حزب التضرع والابتهال وقرع باب الملك المتعال):

تقرأ الفاتحة سبعا بعد البسملة والتعوذ مرة ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم تقول:

إلهي وسيدي ومولاي، هذا مقام المعترف بكثرة ذنوبه وعصيانه وسوء فعله وعدم مراعاة أدبه، حالي لا يخفى عليك وهذا ذلي ظاهر بين يديك ولا عذر لي فأبديه

لديك ولا حجة لي في دفع ما ارتكبته من معاصيك وعدم طاعتك، وقد ارتكبت ما ارتكبته غير جاهل لعظمتك وجلالك وسطوة كبريائك ولا غافل عن شدة عقابك وعذابك، ولقد علمت أني متعرض بذلك لسخطك وغضبك ولست في ذلك مضادا لك ولا معاندا ولا متصاغرا بعظمتك وجلالك ولا متهاونا بعزك وكبريائك، ولكن غلبت علي شقوتي وأحدقت بي شهوتي فارتكبت ما ارتكبته عجزا عن مدافعة شهوتي، فحجتك علي ظاهرة وحكمك في نافذ وليس لضعفي من ينصرني منه غيرك وأنت العفو الكريم والبر الرحيم الذي لا تخيب سائلا ولا ترد قاصدا وأنا متذلل لك متضرع لجلالك مستمطر جودك ونوالك، مستعطف لعفوك ورحمتك، فأسألك بما أحاط به علمك من عظمتك وجلالك وكرمك، وبجدك وبمرتبة ألوهيتك الجامعة لجميع صفاتك وأسمائك، أن ترحم ذلي وفقري وتبسط رداء عفوك وحلمك وكرمك ومجدك على كل ما أحاط به علمك مما أنا متصف به من المساويء والمخالفات وعلى كل ما فرطت فيه من حقوقك فإنك أكرم من وقف ببابه السائلون وأنت أوسع مجدا وفضلا من جميع من مدت إليه أيدي الفقراء المحتاجين وكرمك أوسع ومجدك أكبر وأعظم من أن يمد إليك فقير يده يستمطر عفوك وحلمك عن ذنوبه ومعاصيه فترده خائبا، فاغفر لي وارحمني واعف عني فإنما سألتك من حيث أنت لاتصافك بعلو الكرم والمجد وعلو العفو والحلم الحمد.

إلهي، لو كان سؤالي من حيث أنا لم أتوجه إليك ولم أقف ببابك لعلمي بما أنا عليه من كثرة المساوئ والمخالفات فلم يكن جزائي في ذلك إلا الطرد واللعن والبعد ولكن سألتك من حيث أنا معتمدا على ما أنت عليه من صفة المجد والكرم والعفو والحلم ولما وسعت به نفسك من الحياء على لسان رسولك صلى الله تعالى عليه وسلم أن تمد إليك يد فقير فتردها صفرا، وأن عظمت وأربت عن الحصر والعد فلا نسبة لها في سعا كرمك وعفوك ولا تكون نسبتها في كرمك مقدار ما تبلغ هبأة من عظمة كرة العالم، فبحق كرمك ومجدك وعفوك وحلمك اللهتي جعلتهن وسيلة في استمطاري لعفوك وغفرانك، اعف عني واغفر لي بفضلك وعفوك وإن كنت لست أهلا لذلك فإنك أهل أن تعفو عمن ليس أهلا لعفوك وكرمك فأنت أهل أن تمحو في كل طرفة عين جميع ما لمخلوقاتك من جميع المعاصي والذنوب يا مجيد يا كريم يا عفو يا رحيم يا ذا الفضل العظيم والطور الجسيم. انتهى.

ثم تصلي مرة على النبي صلى الله عليه وسلم وأكد التوجه بهذا الابتهال الثلث

الأخير من الليل.

الدعاء الثاني:

اللهم اجذبني إليك قلبا وقالبا بجواذب عنايتك، وألبسني خلعة استغراق أوقاتي بالاشتغال بك، واملأ قلبي وجوارحي بذكرك وحبك والشوق إليك امتلاء لا يبقى في متسعا لغيرك، واسقني كأس انقطاعي إليك بتكميل البراءة من غيرك وعدم التفات قلبي لسواك، واجعلني لديك قائما وعنك آخذا ومنك مستمعا وإليك ناظرا وراجعا وعليك معولا وفيك متحركا وساكنا مطهرا بفيوض تجلياتك من جميع الحظوظ والبقايا ومن جميع المساكنات والملاحظات لغيرك، وحل بيني وبين غي النفس وهواها والشيطان بسرادقات عظمتك لي منهم، وأدم لي صفاء الوقوف بين يديك وحفني بوجود نصرك لي وتأييدك لي وعونك لي بكمال توليك لي بعنايتك واصطفائك لي، وحل بيني وبين غيرك من أول الأمر إلى آخره حتى تميتني على ذلك، واجعلني في الدنيا والآخرة من أهل ولايتك الخاصة الكاملة الصرفة التي لا شائبة فيها لغيرك، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين.

الدعاء الثالث:

وهو الجزء الأخير من صلاته التي عنوانها: (ياقوتة الحقائق في التعريف بحقيقة سيد الخلائق):

اللهم صل وسلم على أشرف الخلائق الإنسانية والجانية صاحب الأنوار الفاخرة. اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وعلى أولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته وإخوانه من النبيين والصديقين وعلى من آمن به واتبعه من الأولين والآخرين، اللهم اجعل صلاتنا عليه مقبولة لا مردودة. اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وآله. اللهم واجعله لنا روحا ولعبادتنا سرا، واجعل اللهم محبته لنا قوة أستعين بها على تعظيمه. اللهم واجعل تعظيمه في قلوبنا حياة أقوم بها وأستعين بها على ذكره وذكر ربه. اللهم واجعل صلاتنا عليه مفتاحا وافتح لنا بها يا رب حجاب الإقبال، وتقبل مني ببركات حبيبي وحبيب عبادك المؤمنين ما أنا أؤديه من الأوراد والأذكار والمحبة والتعظيم لذاتك الله الله أه آمين هوهو هو آمين وصلى الله على سيدنا محمد آمين.

الفصل الثاني: طريقة الشيخ أحمد التجاني

الانخراط في الطريقة التجانية يعني الالتزام ببعض النوافل بعد إتمام الفرائض الشرعية تقربا إلى الله تعالى بالعبودية له وحده، ومحبة في ذاته تعالى، وتطبيقا لما ورد في الحديث القدسي: (. . . ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وقلبه الذي يعقل به. بي يسمع وبي يبطش وبي يعقل وإن سألني أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه) [1]. وأهم شروط الدخول في الطريقة هي:

1 - دوام المحافظة على الصلوات الخمس في الجماعات والقيام بالأمور الشرعية.

2- عدم وقوع المقاطعة بينه وبين جميع الخلق لاسيما بينه وبين إخوانه.

3- احترام العلماء والصالحين والشيوخ ومن انتسب إليهم.

4- اعتقاد عقائد أهل السنة والحديث النبوي والالتزام بمذاهبهم الفقهية.

5- عدم الأمن من مكر الله تعالى إلى الممات.

6- مداومة الالتزام بالورد إلى الممات بعد أخذه عن قدوة في الطريق.

والأوراد اللهزمة في الطريقة التجانية ثلاثة: الورد المعلوم والوظيفة والهيللة:

أما الورد المعلوم فيقرأ مرتين كل يوم بعد الصبح مرة وبعد العصر مرة أخرى. وأركانه ثلاثة:

بعد الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب مرة واحدة، يذكر (أستغفر الله) مائة مرة. ثم الصلاة على النبي وآله صلى الله عليه وسلم مائة مرة، ثم (لا إله إلا الله) مائة مرة ويختم بالدعاء.

وأما الوظيفة فتقرأ مرة أو مرتين - جماعة أو فرادى - ليلا أو نهارا وأذكارها هي:

(1) أخرج هذا الحديث القدسي الإمام البخاري عن أبي هريرة، وأخرجه بروايات آخر أحمد وابن أبي الدنيا وأبو نعيم والبيهقي عن عائشة، والطبراني والبيهقي عن أبي أمامة، والطبراني عن ابن عباس وأنس وحذيفة وأبو يعلى والبزار عن أنس، وابن ماجه وأبو نعيم عن معاذ، وأحمد وأبو نعيم عن وهب بن منبه. وقد شرح هذا الحديث ابن القيم في الجواب الكافي ص: 249- 253 (ط. 1346هـ) وهو الحديث 38 من شرح خمسين حديثا لابن رجب الحنبلي وشرحه أحمد التجاني في جواهر المعاني.

بعد الاستعاذة والبسملة والفاتحة مرة واحدة يذكر (أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم) ثلاثين مرة، ثم الصلاة على النبي بصيغة صلاة الفاتح خمسين مرة ثم (لا إله إلا الله) مائة مرة ثم جوهرة الكمال [1] اثني عشر مرة ثم يختم بالدعاء.

ولهذه الأوراد آداب مبسوطة في كتب الطريقة. وهناك الكثير من الأذكار والابتهالات والسور القرآنية الأخرى يذكرها كل من أراد الزيادة من نوافل الخمر، وبعضها مجموع في كتاب (أحزاب وأوراد) الذي حققه واعتنى بطبعه وتفسير كلماته الحافظ العلامة محمد الحافظ التجاني المصري، ومنها ما هو موجود أيضا في كتاب (الرماح) لعمر الفوتي في الفصلين 33 و34.

وقد ألفت كتب عديدة في كيفية التربية الروحية وقطع مدارج السلوك في الطريقة التجانية. ففي فصول من محاب (الرماح) المذكور سابقا، توجد تعليمات هامة، وكذلك في مواضع من كتاب (بغية المستفيد). ومن أحسن وأوفى التأليف في هذا الموضوع:

ا-كتاب (الدرة الخريدة) للحاج محمد النظيفي السوسي [2]، وهو كاف في التربية والأخلاق والتصوف وفقه الطريقة.

2- كتاب (إراءة عرائس شموس فلك الحقائق العرفانية بأصابع حق ماهية التربية بالطريقة التجانية) وهو يقع في مجلدين ومؤلفه هو العلامة الحاج الأحسن بن محمد بن أبي جماعة الأبعقيلي السوسي أصلا البيضاوي وطنا من المغرب الأقصى. وهو مقدم تجاني كبير وفقيه مرشد واعظ، له أتباع في الطريقة التجانية كثيرون في المغرب وخارجه وزواياه في المغرب مفتوحة، أتم كتابته سنة 1341هـ، وله مؤلفات أخرى منها (محاسن المجالس) و(سوق الأسرار). وقد توفي وخلفه على زاويته بالدار البيضاء أحد أولاده. ومن تآليفه المعروفة التي بلغت بضعة عشر كتابا شرحه لبعض نصوص كتاب (جواهر المعاني) وعنوانه: (الشرب الصافي من الكرم الكافي على جواهر المعاني).

3- كتاب (ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية) للشيخ عبيدة بن محمد الصغير بن أنبوجة التيشيتي الشنقيطي [3]، أكمل تأليفه سنة 1268هـ وهو كتاب

(1) انظر نصها في هذا الفصل.

(2) راجع ترجمته في الباب الخامس الفصل الثامن.

(3) هو من أعلام التجانية في موريتانيا الذين ساهموا في نشرها والدفاع عنها وله تآليف منها: (رحلة

-

جيد في موضوعه ذكر فيه نبذة من سيرة الشيخ وأوراده وفضلها. ثم تكلم عن أهمية الآداب ومفهوم الظاهر والباطن ثم أفاض في بيان كون الطريقة التجانية تعتمد على الذكر والشكر والفكر والتعرض لنفحات المنن الربانية، وأن تربيتها الروحية تدور حول ثلاثة محاور:

المحور الأول: التحقق بمقام الإسلام من حيث التوبة والاستقامة والتقوى، ثم مقام الإيمان من حيث الصدق والإخلاص والطمأنينة، ثم مقام الإحسان من حيث المراقبة والمشاهدة والمعرفة. المحور الثاني: السلوك بالصلوات الخمس للمحافظ عليها بالمعنى والحس.

المحور الثالث: السلوك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتعلق به صوريا ومعنويا. والقارئ لهذا الكتاب يلمس تأثير وصدى لتعاليم محي الدين بن العربي التي بسطها في موسوعته الفتوحات المكية.

4- كتب أخرى متعددة فيها فصول حول منهجية التربية في الطريقة التجانية نذكر منها:

- (الفتح الرباني فيما يحتاجه المريد التجاني) لمحمد بن عبد الله الصطفاوي المصري وفيه رسائل أخرى للجوسقي.

- (مفتاح السعادة الأبدية في مطالب الأحمدية) للحاج أبو بكر زيد الفوتي الحلوي من غينيا.

التهاني في حلية الشيخ التجاني) و(ميدان الفضل والإفضال في شم رائحة جوهرة الكمال) و(راية البشر والبشارة في وجه منع المريد من الزيارة) و(منجية السالك من ورود المهالك) و(المدد الباهر في التمييز بين الخواطر) وهو الذي أجاز العربي بن السائح صاحب (بغية المستفيد) في الطريقة. وهو تخرج على يد أخيه العلامة محمد بن الصغير بن أنبوجا الذي كان من أكبار العلماء وله تأليف في فنون مختلفة منها: (النفحات القدسية) و(المصباح في علم العربية) و(البحر المحيط) وتعليق لم يكمله على مختصر خليل، ونظما لتبصرة ابن فرحون وكتاب في الرد على المنكرين على الشيخ خليل المالكي ورسالة (نور القلب والعين في جواز بيع الغائب بالدين) وكتاب (مقمعة المتعصبين) وكتاب في الدفاع عن التجانية عنوانه (الجيش الكفيل) وله فتاوي كثيرة وأراجيز على مواضع من كتاب إحياء علوم الدين وغير ذلك ، وقد توفي سنة 1274 هـ فخلف ابنه أبو زيد عبد الرحمان وهو من المؤلفين في الطريقة وله تأليف في فقه الطريقة سماه (شهدة الجاني في اختصار أحكام طريقة شيخنا التجاني) شرحه الفقيه الحجوجي. أما المترجم له الشيخ عبيدة صاحب ميزاب الرحمة الربانية المشهور فقد توفى في جمادى الأخير سنة 1284هـ.

-(الهداية المحمدية في طريقة الختم التجانية) لبدر عبد الهادي سلامة الدر دابي.

- (الخلاصة الوافية في شرح الأوراد التجانية) للتجاني محمد سعد الرباطي.

وله أيضا كتاب:

- (الدرة السنية في شروط وأحكام وأوراد الطريقة التجانية).

- (الهداية الربانية في فقه الطريقة التجانية) للتجاني محمد السيد المصري.

وقد كان الشيخ - خصوصا في مبادئ ظهور طريقته - يربي خواص أصحابه بالخلوة [1] ثم اكتفى بالصحبة والمحبة ودوام الذكر وملازمة التقوى حتى قال شاعرهم في الشيخ:

بـلا خلـوة ربـي وربـوا بخلـوة ... فـشتان مـا بـين اليـزيدين مـنهلا

وعندما كان الشيخ في بدايته يربي تلاميذه باستعمال الخلوات، سأله أحد خاصته وهو الحاج بوغرارة عن كيفية الخلوة - وكان هذا الصاحب كثيرا ما يكاتب الشيخ في مهمات طريق السير إلى الله تعالى - فأجابه بما ملخصه:

أما ما ذكرت من طريق الخلوة فهي خمس أربعينات، تأكل في الليلة الأولى ما اعتدته من الطعام، وخذ قدره بالميزان، ثم من تلك الليلة انقص كل يوم مقدار

---

(1) كانت للشيخ عدة خلوات يدخلها بنفسه ويدخلها أصحابه، منها: خلوته بأبي سمغون المعروفة بدار السر وخلوته بداره في فاس، ومنها خلوة تلميذه محمد بن العربي الدمراوي وهي تحت شجرة قرب مصب واد شلف في البحر من ولاية مستغانم، ومنها خلوة محمد بن المشري هناك أيضا، وخلوة محمود التونسي الذي استقر فيها متعبدا مدة أربعة عشر عاماً بأمر من الشيخ. وقد كان هذا الأخير وزيرا لبعض بايات تونس وصاحب ثروة وعلم، ثم طلب صحبة الصالحين إلى أن التقى بالشيخ فطلب منه علم الكيمياء فزجره الشيخ ووعظه موعظة قلبت حياته إلى زاهد عابد ورع يدعو إلى الله حيثما حل وارتحل. وأصبح من أكبر خاصة الشيخ الذين شهد لهم بالأمانة والولاية وكان هو المتصرف في أموال الشيخ بالصحراء وكثيرا ما يرسله الشيخ لمهماته ويكلفه بالجواب على رسائله. وكان من أوائل الناشرين للطريقة في الجزائر وتونس. وإثر وفاة شيخه أصابه حال قاهر فمات منتصف ليلة الثلاثاء الخامس من ذ ي الحجة سنة 1230هـ، أي بعد وفاة الشيخ بنحو شهر و 18يوما، ودفن بمقبرة باب الفتوح بفاس وقبره معروف يزار ودفن بإزائه المقدم عبد الواحد أبو غالب وابن الأحمر الفاسي وهما من خلفاء الشيخ. ومحمود التونسي هو الذي أسس سور عين ماضي المتبقى للبناء كما أسس زاويتي قمار وتغزوت بالجنوب الشرقي الجزائري. راجع ترجمته في (بغية المستفيد) للعربي بن السائح وفي (كشف الحجاب) لسكيرج، ولكن أوفى وأدق ترجمة له توجد في (تاريخ علي بن القاسم التونسي) المخطوط بتماسين.

درهمين؛ واجعل ستة أوقات للذكر في آخر النهار وبعد صلاة الصبح ووقت الضحى وقبل الظهر وبعد العصر وبعد المغرب ذكرا لا يشق على النفس من أي الأذكار كان. وحين تكمل الأربعين الأولى، أخرج وأعط حق الزوجة من المرة إلى المرتين، وكذلك بعد تمام كل أربعين. وفي هذه الأربعين تذهب عنك التعلقات الدنيوية. وفي الأربعين الثانية تظهر لك الخوارق. وفي الأربعين الثالثة تسمع قلبك يقول بلسان فصيح: (الله الله). وفي الرابعة ترى حين شروعك في ذكر يخرج النور من فيك ويحوم على رأسك كالطائر وربما ترى الروحانيين العلويين والسفليين. وفي الأربعين الخامسة تطلع لك ناصية التوحيد الفعلي أفعال الله السارية في الوجود، وترى العالم جامدا لا حركة له ويد القدرة تحركه عيانا لا اعتقادا، فحين تعثر على هذا المقام، فإننا نخلصك منه لأنك لا تطيقه بنفسك لما فيه من الغلط والسباسب. وإذا أراد الله بك المعرفة فأتني لأنك لا تقدر على سلوك هذا إلا على يد شيخ كامل) وبالفعل ذهب الحاج بوغرارة إلى الشيخ وسلك على يديه.

وقد ذكر عمر الفوتي في كتابه الرماح في الفصلين 44 و45 بعض الخلوات المستعملة في الطريقة التجانية وشروطها المعتبرة عند الصوفية. وبين الأذكار المعتمدة في خمسة أنواع من الخلوات وهي تدور حول البسملة وفاتحة الكتاب والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن قال: (ولكل واحد منها ثمرات لا يمكن حصرها).

وبعض القلة من المجتهدين في الطريقة التجانية لا يزالون يستعملون الخلوات، وقد وقفت على مراسلات بين ابن الشيخ محمد الحبيب وأستاذه ومربيه الحاج علي التماسيني خليفة الشيخ، فيها إرشادات من هذا الأخير لتلميذه في كيفية السلوك في الخلوة. وقد بسط الكلام على ما يتعلق بالخلوات التجانية الشيخ سكيرج في كتابه المسمى: (نيل الأماني في الطب الروحاني والجثماني المروى عن شيخنا التجاني وعن أصحابه ذوي القرب والتداني).

والملاحظ أن السلوك في الطريقة التجانية يعتمد خصوصا على تلاوة فاتحة الكتاب بنية ذكر الاسم الأعظم وعلى الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مع الحضور. وللشيخ عدة صيغ في صلواته على النبي صلى الله وعليه وسلم أهمها صلاة ياقوتة الحقائق، وأخرى اسمها الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية.

والصيغة التي اختارها لورده العام هي صيغة (جوهرة الكمال) و(صلاة الفاتح) [1].

أما صلاة الفاتح فنصها: (اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراط المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم).

وأصل هذه الصلاة يرجع إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. فقد ذكر القاضي عياض (المتوفي سنة 504هـ) في كتابه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) كما نقل غيره من العلماء عن سلامة الكندي قال: كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق. . . به هديت القلوب. . .) إلى آخر الصلاة. ثم لما جاء الشيخ شمس الدين البكري الصديقي (المتوفي سنة 930هـ) ألهم تلك الصلاة بصيغة مختصرة على الكيفية المعروفة المذكورة أعلاه، ونوه بفضلها، كما ذكر فضلها شيخ الإسلام عبد القادر الفاسي (المتوفى سنة 1011هـ)، والإمام الفقيه الحجة أحمد الدردير المتوفى قبل الشيخ التجاني بنحو 38سنة. ثم أدخلها التجاني في أوراد طريقته لأنها كانت من أسباب فتحه، وجعلها عمدة السلوك لتلاميذه. ومعناها الإجمالي أن المصلي بها يسأل الله أن يصلي صلاة عظيمة بمقدار عظمة الرسول الذي فتح قلوبا كانت مغلقة بالكفر، والذي كان خاتما للأنبياء، وناصر دين الله بوحيه، وهاديا الناس إلى الصراط المستقيم. ومعاني هذه الصلاة مقتبسة من القرآن، فقوله: اللهم (سبحانك اللهم) صل على ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: 56] سيدنا ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ [آل عمران: 39] محمد محمد رسول الله الفاتح لما أغلق (رسولا يبين لكم على فترة من الرسل) ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ ﴾ [الفتح: 1] والخاتم لما سبق ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: 40] ناصر الحق بالحق ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد: 7] ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: 17] ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ [التوبة: 88] والهادي إلى صراطك المستقيم ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

(1) ينظر شرح الشيخ لهذه الصلوات في آخر الباب السادس من (جواهر المعاني).

مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: 52] وعلى آله ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: 23] حق قدره ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الأنعام: 91] ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح: 9] ومقداره العظيم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [القلم: 4].

أما جوهرة الكمال فنصها:

(اللهم [1] صل وسلم [2] على عين الرحمة الربانية [3] والياقوتة [4] المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني [5] ونور الأكوان المتكونة [6] الآدمي [7] صاحب الحق الرباني [8] البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني [9] ونورك اللهمع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكان [10] اللهم صل وسلم على عين الحق [11] التي تتجلى منها عروش

(1) لقوله تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ [يونس: 10].

(2) ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ - الأحزاب: 56.

(3) ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝ ﴾ - الأنبياء: 107.

(4) هو صلى الله عليه وسلم أشرف من الياقوت الحقيقي لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾، القلم: 4.

(5) أي العليم بجميع علوم الإنسان الخليفة التي منها الأسماء المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ - البقرة: 31. وقد منحها الله لنبينا صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ - النساء: 113.

(6) هو صلى الله عليه وسلم شمس الوجود لأن الله تعالى سماه سراجا منيرا. وفي آية أخرى وصف الشمس بالسراج قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝ ﴾ - الأحزاب: 45- 46.

(7) لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ - الكهف: 110.

(8) ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ ﴾ - الفتح: 28.

(9) لقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ ﴾ الطلاق - 10- 11.

(10) هو صلى الله عليه وسلم نور لقوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ المائدة 15.

(11) أي العين التي لا يصب الله فيها إلا الحق وهو الوحي. قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ ﴾ - الأنبياء: 18.

الحقائق [1] عين المعارف الأقوم [2] صراطك التام الأسقم [3] اللهم صل وسلم على طلعة الحق بالحق [4] الكنز الأعظم [5] إفاضتك منك إليك [6] إحاطة النور المطلسم [7] صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه [8]).

وقد ذكر صاحب الإفادة الأحمدية أن الشيخ قال:

(الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم توصل صاحبها، ولكن إذا عثر لا يجد من يأخذ بيده بخلاف الشيخ فإنه كلما عثر المريد يأخذ بيده).

ولقد جرى نقاش وجدال طويل بين علماء اللغة والنحو من التجانيين وغيرهم حول كلمة (الأسقم) الواردة في الصلاة الأخيرة، وهل يصح اشتقاقها من الاستقامة أو من السقم، أو هي كلمة لا تستقيم مع اللغة العربية؟ وأحسن من ألف في هذا الموضوع هو الأديب اللغوي أحمد بن الأمين الشنقيطي صاحب كتاب (الرد المحكم على منكر الأسقم). كما ألف حول هذه الصلاة العلامة عبيدة بن محمد الصغير الشنقيطي كتابا سماه (ميدان الفضل والإفضال في شم رائحة جوهرة الكمال).

وشرح الشيخ أحمد التجاني لها موجود في آخر(جواهر المعاني) كما شرحها أحمد سكيرج في تأليف خاص عنوانه: (مورد الوصول لإدراك السؤل).

أما أهم الأذكار التي يعطى بعضها بالإذن والتلقين للخواص من أهل الطريقة فأهمها:

(1) العروش هي السقوف العليا ويعني هنا خاتمة العلوم فلا أحد وصل إلى ما وصل إليه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن والتزكية والعلم والحكمة كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾ الجمعة: 2- 3.

(2) أي الأشد استقامة لكمال عبوديته لربه. قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ الجن: 19 وقال: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ۝ ﴾ الشعراء: 218- 219.

(3) أي الأعدل. لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى: 52.

(4،5،6) أي متخلقا الله بأخلاق الكمال الإنساني القائم بالله تعالى لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴾ الفتح: 10.

(7) أي المخفي أي الرسول الذي بلغ مرتبة خفيت عن غيره لقوله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ ﴾ النجم: 9.

(8) لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴾ آل عمران: 31.

1- ياقوتة الحقائق في التعريف بحقيقة سيد الخلائق وهي صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ أحمد التجاني وشرحها في آخر جواهر المعاني.

2- الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية وهي أيضا صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ التجاني وشرحها في آخر جواهر المعاني.

3- الحزب السيفي وهو الحرز اليماني وهو دعاء وابتهال طويل منسوب إلى الإمام علي كرم الله وجهه.

4- الحزب المغني يشتمل على مناجات وتضرع ودعاء.

5- سورة القدر والإخلاص وآخر الحشر وتبارك الملك ويس.

6- حزب البحر للشيخ أبي الحسن الشاذلي (توفي عام 656هـ) وهو دعاء وآيات قرآنية وابتهال وتحصين.

7- الدور الأعلى أو حزب الوقاية للشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي وهو دعاء تتخلله آيات طلبا للوقاية والصون.

8- الأسماء الحسنى بكيفيات مختلفة، خصوصا الاسم (اللطيف)، والأسماء الإدريسية.

9-صيغ من الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم كصلاة رفع الأعمال والأذكار المأثورة من تسبيح وتهليل واستغفار الخضر، والمسبعات العشر وهي الفاتحة والمعوذتان ثم الإخلاص ثم الكافرون ثم آية الكرسي كل ذلك بالبسملة سبعا سبعا ثم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ملأ ما علم وزنة ما علم وعدد ما علم سبعا ثم صلاة ودعاء سبعا.

10- أدعية أخرى كحزب التضرع والابتهال، كلها مفصلة في كتب أوراد الطريقة وفي الباب 34 من كتاب الرماح لعمر الفوتي، وقد ختمها بقوله: وله - أي للشيخ أحمد التجاني - رضي الله عنه وأرضاه أدعية وأذكار تحوى أسرارا وأنوارا وتوجيهات تكتب بنور الأحداق لا تكتب في الأوراق وإنما تذكر مشافهة لمن حسن أدبه وفاق.

وأما أعلى الأذكار الخاصة التي لا يؤذن فيها إلا للخاصة المتجردين. فزيادة على ما سبق ذكره، أهمها:

1- الأذكار الخاصة برؤية النبي صلى الله عليه وسلم.

2- أذكار سر النظرة الخاصة بيومي الاثنين والجمعة.

3- دور الأنوار وما له من الأذكار والخواص والأسرار.

4- مفتاح القطبانية.

5- دائرة الإحاطة.

6- سر الجبروت.

7- سر الوصول.

8- فاتحة الكتاب بنية الاسم الأعظم الكبير.

9- الاسم الأعظم الكبير نفسه بمختلف صيغه وكيفياته.

10- اسم الجلالة المفرد (الله) في الخلوة والجلوة.

لكن لكل هذه الأذكار شروط عديدة ويتشدد فيها الخلفاء المقدمون فلا يعطونها إلا لمن علموا منه الإخلاص في العبادة وحسن الإتقان في الالتزام بالأوراد.

الفصل الثالث:

خلاف التجانيين مع غيرهم من المتصوفة والعلماء

يختلف غالبية التجانيين مع باقي الصوفية في عدة مسائل منها:

1) - الصوفية يقولون: إنه من الجائز لكل مسلم أن يأخذ في نفس الوقت أوراد عدة طرق - التجانية وغيرها - إذا استطاع الالتزام بها جميعا، إذ ليس المراد من ذلك سوى الإكثار من ذكر الله تعالى المأمور به شرعا. أما التجانيون فيقولون لا بدّ لكل من اعتنق الطريقة التجانية أن يتجرد من كل أوراد المشائخ الآخرين ولا يلتزم إلا بالأوراد المختارة عند التجانيين فقط. لأن فيها ما يغني عن غيرها وزيادة، ولأن كثرة تشعيب الفكر في الأوراد المختلفة له سلبياته أكثر من إيجابياته.

2) - الصوفية يقولون: إنه يمكن لكل من التزم وردا معينا أن ينتقل منه إلى أوراد أخرى إذا رأى أن ذلك أنسب له، لأن كل هذه الأوراد منبثقة من الأذكار النبوية الشرعية. أما التجانيون فيقولون: لا يجوز لمن التزم بالأوراد التجانية أن ينتقل منها لغيرها أصلا بتاتا، ويستحب العكس لأن الأوراد التجانية قد اختيرت من زبدة الأذكار الشرعية، فكيف يصح الانتقال منها إلى التي هي أقل منها حسنا وكمالا؟ ويرد عليهم آخرون بأن أوراد الطرق الأخرى هي أيضا مقتبسة من لباب الأذكار النبوية، ثم إن جل الأذكار التجانية هي نفسها التي نجدها في غيرها من الطرق، وجميعها دائرة حول الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر لا إله إلا الله والثناء على الله تعالى وتلاوة القرآن العظيم والدعاء. فلا معنى إذن لتفضيل الأذكار التجانية على غيرها. وإنما التفاضل متعلق بالإخلاص والصدق وكمال الحضور ولا يتعلق باسم الطريقة الفلانية أو غيرها أو اسم شيخها.

3) - الصوفية يقولون: بضرورة صحبة الشيخ المربي المأذون الحي لكل من أراد التربية الروحية والسلوك في معارج الترقي، وهذا ما أكده الشيخ التجاني نفسه عملا وقولا، والعبرة ليست في اسم الطريقة أو مؤسسها الميت مهما كان مقامه، وإنما هي في كفاءة من يصحب من الدالين على الله حتى يساعد السالك ويرشده في طريقه إلى ربه كيفما كان اسم الطريقة التي ينتسب إليها. ولو كانت صحبة الولي الميت كافية لاكتفى جميع الناس برسول صلى الله عليه وسلم وكفى به مربيا وهاديا. أما غالبية التجانيين فيقولون: إنه بمجرد دخول العبد الطريقة التجانية، فإن روحانية الشيخ أحمد

التجاني وهي في البرزخ تتكفل بتربيته، خاصة إن أكثر من نوافل الخير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويقيض له الله أخا من طريقته يعينه ويرشده. لكن بعض شيوخهم يرون ضرورة السلوك عند المربي الحي.

4) - غالبية التجانيين يقولون: إن كل من دخل الطريقة التجانية والتزم بشروطها وآدابها مع عدم الأمن من مكر الله تعالى وداوم على ذلك إلى الممات يكون له من الفضل عند الله ما يغبطه عليه أكابر أولياء الأمة المحمدية، ويدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب، لأن الطريقة التجانية التي أظهرها خاتم الأولياء أحمد التجاني هي أفضل الطرق [1]. والصوفية يقولون: لا يوجد تفاضل بين الطرق، بل لا وجود في أصل الشرع للطرق كما يفهمها بعض العامة لأن الدين واحد. والتصوف هو مقام الإحسان من الدين، والتفاضل بين الأشخاص والأولياء أمر غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى [2]. والقاعدة هي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحُجُرات: 13]. فالأفضل عند الله هو الأتقى لربه سواء انتسب إلى الطريقة التجانية أو إلى طريقة أخرى أو لم ينتسب إلى أي طريقة إلا ما عليه جمهور المسلمين، حيث أن أشرف وأعظم نسبة هي الانتساب إلى النبي الخاتم صلوات الله عليه وسلم لا إلى غيره من الأولياء مهما علا مقامهم.

5) - الصوفية يجيزون زيارة الصالحين الأحياء والأموات. والتجانيون يمنعون ذلك بتاتا، ويجعلون هذا المنع من شروط الطريقة. لكن بعضهم يقول أن الزيارة الممنوعة هي زيارة الاستمداد وأما زيارة الدعاء للميت أو الحي وزيارة الأخوة الإيمانية فجائزة، وهذا ما عليه العمل عند جميع الصوفية.

6) - الصوفية يقولون: إن بعض أتباع التجانية خصوصا المتأخرين منهم لم يفهموا كلام شيخهم الذي قاله في ظروف معينة خلال حياته، فعمموه وبالغوا فيه إلى ما بعد مماته، كما زادوا في شروط الطريقة وغلوا في فضائلها مما يتبرأ منه الشيخ والعلماء الصادقون من تلاميذه، كما كتبوا في تآليفهم أمورا ذوقية مخصوصة بأرباب

---

(1) لا يعنون بعبارة (خاتم الأولياء) أنه آخر الأولياء، وإنما يعنون به مقاما مخصوصا من أعلى مدارج الولاية.

(2) يقول ابن العربي في كتاب (رسالة: لا يعول عليه) وهي مطبوعة في جملة رسائله: (احتقار العوام في جناب الخواص بتفضيل فلان على فلان كتفضيل الحسن البصري على الحسن بن هانئ لا يعول عليه).

القلوب، فافتتن العامة بذلك، والتجانيون يعارضون كل هذه الاتهامات. وقد بقيت آثار كتابية لهذه الاختلافات بين التجانية وغيرهم من المتصوفة منها:

- كتابان في الرد على شيخ الطريقة البكائية الكنتية في موريتانيا وهو أبو العباس البكاي (المتوفي في منتصف رمضان سنة 1281هـ). أولهما كتاب (الجيش الكفيل والسرية) لمحمد بن الصغير الشنقيطي. والثاني رسالة (الجواب المسكت) لمحمد أكنسوس المغربي. وقد تعرض سكيرج لهذا الخلاف عند ترجمته لهذا الأخير في كتابه (كشف الحجاب) ص: 228- 342.

- كتاب في الرد على الشيخ الصوفي محمد بن سليمان المستغانمي (ت: 1927) ألفه القاضي الشيخ أحمد سكيرج وسماه (عقد المرجان الموجه إلى الشيخ محمد بن سليمان) وقد طبع في مطبعة النهضة التونسية سنة 1339هـ. وقد رد على رده الشيخ محمد المستغانمي المذكور في رسالة مستقلة.

- بحث كتبه سكيرج أيضا في كتابه (كشف الحجاب) عند ترجمته عن محمد بن الغازي وفيه رد على من أنكر وجود التربية في الطريقة التجانية بعد وفاة الشيخ (من ص: 299- إلى ص: 300).

- كتاب (العضب اليماني في الرد عن الشيخ التجاني) لمحمد بن القاضي.

- كتاب (مبلغ الأماني في بيان أمور الأولياء وأحمد التجاني) لعمر بن أحمد الفلاني.

ونشير إلى أن أبرز النقاط التي انتقدها العلماء على التجانيين تتلخص فيما يلي:

- ذكر في بعض كتب التجانيين أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بصيغة صلاة الفاتح هي من كلام الله القديم وأن ثواب المرة الواحدة منها يعدل ثواب ستة آلاف ختمة من القرآن. وهذا مناقض لكلام الشيخ المذكور في الباب الثاني، الفصل الأول.

- الغلو في تقديس شيخ الطريقة إذ تقول بعض كتب التجانية أنه هو أفضل الأولياء إطلاقا بعد الصحابة، وأنه هو الممد لهم جميعا من عهد آدم عليه السلام إلى النفخ في الصور، إلى غير ذلك من خصائصه التي تميز بها هو وأتباعه عن جميع الأولياء.

- الغلو المفرط في فضائل أولاد الشيخ وأتباع طريقته وثواب أذكارها.

وللتجانيين تجاه هذه المسائل ثلاثة مواقف:

- فمنهم من يخرجها عن ظاهرها المتبادر إلى الذهن في أول وهلة، ويؤولها ليوجهها إلى صيغة مقبولة شرعا.

- ومنهم من ينفي نسبتها إلى الشيخ ويرى أنها من الشوائب الدخيلة على الطريقة.

- ومنهم من يأخذها على ظاهرها ويعتقدها بلا نفي ولا تأويل، وذلك من حيث أنه لا حد لفضل الله تعالى الذي يختص بفضله واصطفائه من يشاء بغير حساب.

وقد تصدى جماعة من علماء التجانية أنفسهم إلى مقاومة تيار الغلو عند بعض أتباع الطريقة، من بينهم العلامة الحافظ محمد الحافظ التجاني المصري الذي يقول في مقدمته لكتاب (الإفادة الأحمدية):

(إن الشيخ أحمد التجاني قال جوابا لمن سأله: أيكذب عليك؟ قال: نعم، إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع فما وافق فاعملوا به وما خالف فاتركوه. . . . فلا يصح أن نأخذ إلا بما نعتقد أنه من الشرع لا بما يفهم بعضهم فيما ينسب للشيخ، ويزعمون أننا نعتقده فيما نحن من اعتقاده برآء وربما لم يخطر على بالنا).

وألف الشيخ سكيرج كتابا عنوانه كاف للتعريف بموضوعه وهو: (جناية المنتسب فيما نسب للشيخ سيدي أحمد التجاني بالكذب).

أشهر خلفاء الشيخ من تلاميذه المباشرين وإليهم ترجع جل السلاسل في الطريقة التجانية

(سنة الوفاة بين قوسين)

في الجزائر:

بنواحي الجنوب -: محمد بن المشري السائحي (1224) وأعيان قبيلته من أولاد السايح الأشراف: عبد القادر بن عبد المالك، وعلي بن الغزال، وسليمان.

- الحاج علي التماسيني (1260) وهو أكبر خلفاء الشيخ.
- محمد الحبيب بن الشيخ أحمد التجاني (1269) بعين ماضي.
- محمد بن الساسي لقماري - بقمار وادي سوف - أحمد بن سليمان التاغزوتي بتاغزوت وادي سوف.
- محمد بن قويدر العبدلاوي (1236) ومحمد بن الفضيل التواتي في الجنوب الجزائري.

بالغرب الجزائري: الطاهر أبو طيبة التلمساني (1292) بتلمسان -. محمد المازوني بمازونة.

بقسنطينة: أبو حفص عمر بن الكشكاش - مصطفى بن أودينه - محمد بن المطمطيه.

بالوسط الجزائري: عبد القادر المشرفي - المختار بن الطالب وأخواه أبو مدين وأبو عبد الله زعنون - الحاج عبد الرحمن بن الحاج ناجي - أحمد بن عساكر الجزائري.

في المغرب الأقصى:

- علي حرازم (1217) وابنه أبو يعزى (1290) / محمد الغالي (1244) /الطيب السفياني (1259) / وابنه أحمد (1285) / عبد الوهاب بن الأحمر (1269) / محمد بن أبي نصر الفاسي (1273) / الحاج الكبير لحلو (1277) / عبد الواحد بوغالب / الحاج عبد الوهاب بنيس / ابن معزوز وابنه موسى / عباس بن غازي / محمد بن أحمد الجابري/ أحمد بناني الفاسي وأخوه أحمد كلا (1306) / محمد بن أحمد الكنسوسي المراكشي (1294) / محمد بلقاسم بصري المكناسي(1294).

في تونس:

- محمود التونسي (1230) / الطاهر بن عبد الصادق لقماري بتوزر(1266) / الشيخ إبراهيم الرياحي / محمد الزيتوني.

في مصر واليمن والسودان:

- محمد بن عبد الواحد البناني بالقاهرة / الحاج مفضل السقاط (1280) بقنا.

- محمد السقاف شيخ محمد بن المختار الشنقيطي (1299) / الحاج حمو أبو مدين العقباني التلمساني (1335) خليفة الطاهر أبو طيبة التلمساني (1292) / الشيخ البشير بن محمد الزيتوني التونسي(1323) / أبو محمد هاشم العلوي(1315) بالقاهرة / عبد المنعم بن أحمد بن سلامه السودان المصري(1354) وهو أحد من أخذ عنهم الشيخ محمد الحافظ التجاني المصري(1398) / عثمان الفلاني الأكناري السوداني/ محمد السالك الوداني السوداني.

موريتانيا وإفريقيا الغربية:

- محمد الحافظ العلوي الشنقيطي (1254) ومن أشهر خلفائه مولود فال (1267) ومحمد بن عبد الله العلوي (1269) / محمد الغالي المغربي (1244) بواسطة خليفته عمر بن سعيد الفوتي مؤلف كتاب الرماح (1282) / الطاهر بوطيبة التلمساني (1265) بواسطة خليفته الشريف محمد الأخضرشيخ الشيخ حماه الله مؤسس فرع الحمالية التجانية بمالي وما جاورها.

الباب الخامس

أصحاب الشيخ وخلفاؤهم

الناشرون للطريقة

الفصل الأول

أصحاب الشيخ الأوائل في الجزائر

عدد الذين أخذوا عن الشيخ أحمد التجاني أو تلاميذه خلال حياته واتبعوا طريقته، يقيمه البعض بالآلاف، ويصل به آخرون إلى عشرات الآلاف، ويبالغ بعض المتحمسين فيرفعه إلى مئات الآلاف. وكان من بين هؤلاء علماء وحكام وسلاطين وتجار ساهموا مساهمة فعالة في نشر الطريقة في العديد من الأقطار.

ولعل أول من ذكر أسماء كبار أصحاب الشيخ هو التجاني بن بابا بن أحمد [1]

---

(1) كان شاعرا فقيها قرأ العلم في شنقيط ثم سافر إلى المغرب وحل بمكناس سنة (1257هـ،حيث مكث ثلاثة أشهر وأخذ عنه محمد العربي بن السائح شارح قصيدته، وزار فاس مرارا متعددة ثم سافر إلى جبل الزيبب ونواحي الجنوب التونسي وتماسين ومكث يتردد مدة بين الحاج علي التماسيني ومحمد الحبيب بن الشيخ في عين ماضي حيث نظم قصيدته المذكورة. ثم سافر إلى تونس واتصل بمفتيها إبراهيم الرياحي وتزوج بابنة قاضيها إلى أن مر به السيد الزاوي بن الحاج علي التلمساني قاصدا الحج فركبا معا في البحرضحوة الاثنين في 20ربيع الأول عام 1261هـ فحجا معا.وتوفي الزاوي بعد حجه بثلاثة أيام في مكة ودفن بمقبرة المعلا.أما المترجم له فذهب إلى المدينة مجاورا وتزوج أنصارية. وكان معه صديقه العالم المختار بن محمد بن تكورور ابن أخت مولود فال وتوفيا في ليلة واحدة بسبب الجدري سنة 1262هـ ودفنا بالبقيع. وللمترجم له تآليف منها نظم ذكر فيه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبنيهن وما لبناته من ذرية وعليه شرح نفيس. وله أرجوزة نظم فيها ورقات أبي المعالي إمام الحرمين. وله رحلة التزم فيها ذكر من لقيه من الأعلام في سفر حجه كما تعرض لأشياخه في بلده كوالده ووالدته وغيرهما. وقد أخذ الطريقة عن العلامة محمد الخليفة، خليفة الشيخ محمد الحافظ الشنقيطي، أما والده فاسمه (باب) وكان عالما ناسكا أخذ الطريقة عن محمد الحافظ أيضا وهو ابن نحوعشرة أعوام وله شرح على التحفة العاصمية وتكملة التكملة للديباج. وخلف أبناءه الثلاثة التجاني المترجم له وأخوه الشيخ وأخوه أحمد. وقد توفي بعد وفاة ابنه التجاني بنحو عشرة أعوام، ونسبه ينتهي إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.أما شيخ التجاني محمد الخليفة فله خمسة جدود كل واحد منهم أعلم أهل وطنه في زمانه وهم:أبوه عبد الله بن أحمد الفغ بن محمد بن عبد الله القاضي الذي قرأ على الأجهوري - ابن علامة شنقيط الأكبر سيدي الطالب -أما مولود فال ابن عمه قال اليعقوبي المذكور سابقا فقد سافر إلى الشيخ أحمد التجاني بفاس فوجده قد توفي قبل قدومه بمدة يسيرة واجتمع بأكابر أصحابه كمحمد الغالي وعبد الواحد وغيرهما وتلقى منهم علوما ثم رجع إلى شنقيط ومكث فيها ثم سافر ثانية إلى فاس وتفقه في أحوال الطريقة على أصحاب الشيخ ثم ذهب إلى الحج والزيارة ورجع إلى بلاده داعيا إلى الله فأصبح هو الخليفة الأكبر لمحمد الحافظ الشنقيطي في نشر الطريقة إلى أن توفي في ربيع النبوي سنة 1267هـ.وخلفه ابنه.

في قصيدته المشهورة عند التجانيين (منية المريد). ولما شرح هذه القصيدة العربي بن السائح (المتوفى عام 1309هـ) في كتابه (بغية المستفيد على منية المريد) ذكر ترجمة موجزة لكل واحد من الأحد عشر رجلا المذكورين في المنية.

ثم جاء أحمد بن محمد بن العباس العلوي الشنقيطي فألف في سنة 1285 هـ كتاب: (روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة) ترجم فيه لأربعين رجلا، عشرون منهم أخذوا عن الشيخ مباشرة، وعشرون أخذوا عنه بالواسطة.

ثم ألف العلامة أحمد سكيرج المغربي سنة 1325 هـ كتابه المعروف (كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ أحمد التجاني من الأصحاب) وهو مطبوع عدة طبعات ويقع في مجلد ترجم فيه لعشرات من مشاهير تلاميذ الشيخ. ثم ألف كتابا ثانيا في أربع مجلدات وعنوانه (رفع النقاب) ذكر فيه مئات من العلماء والفضلاء والصلحاء والشعراء من رجال الطريقة التجانية.

ثم ألف الفقيه الحجوجي المغربي كتابا في تسع مجلدات سماه: (إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية). ولنفس المؤلف أيضا كتابان آخران في هذه التراجم أولهما عنوانه (نخبة الإتحاف في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف) ونظمه في أجزاء ثلاثة وهو مرتب على ترتيب البلدان، والثاني عنوانه: (فتح الملك العلام في تراجم علماء الطريقة التجانية الأعلام) في مجلدين.

كما ألف محمد السيد التجاني المصري كتاب(غاية الأماني في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ التجاني)،وألف عتيق الكاشاني في تراجمهم أيضا: (الفيض الهامع في تراجم أهل السر الجامع) انتهى من كتابته في 07 رجب 1375هـ.

وبالرجوع إلى هذه الكتب يتبين أن الكثير من الذين أخذوا طريقة الشيخ أحمد التجاني كانوا من جلة العلماء أومن أعيان أقوامهم وأفاضلهم، فمنهم الكثير من رجال الإفتاء، وعدد من قادة الجهاد، وعدد من الرؤساء والبايات والحكام،وكثير جدا من أهل العلم والفقه والأدب. ولنشرع الآن في ذكر بعض مشاهير الرجال من تلاميذ الشيخ الذين ساهموا في نشر طريقته في الجزائر.

أصحاب الشيخ الرواد الأوائل

في عام 1188 هـ عند رجوع الشيخ أحمد التجاني من الحج وحلوله بتلمسان صحبه محمد بن المشري(انظر ترجمته في الفصل الأول من الباب الرابع) فكان من

أكبر الناشرين للطريقة في الغرب الجزائري حيث بقي مدة متعبدا في نواحي مستغانم، وفي الصحراء حيث كان ينتقل من نواحي عين ماضي إلى بلده في نواحي تقرت ووادي سوف [1]، وفي الشرق الجزائري حيث اتصل ببعض الأعيان، منهم العلامة محمد بن المطمطية ناشر الطريقة في قسنطينة ونواحيها، وفي القطر التونسي حيث كانت له رحلات متعددة، وحتى في المغرب حيث مكث مدة مع شيخه في فاس. وفي عام 1191 هـ خلال سفر الشيخ إلى فاس التقى في وجدة بعلي حرازم الذي أصبح من خاصة تلاميذه والناشرين لتعاليمه حيثما حل وارتحل في المغرب والمشرق. ثم اجتمع الشيخ في تلمسان بالشاب محمد بن العربي الدمراوي(انظر ترجمته في الفصل الأول من الباب الرابع) فأصبح داعية لشيخه في نواحي الغرب الجزائري حيث كان يختلي للتعبد في نواحي بلده تازة والجنوب الغربي من الصحراء ثم في عين ماضي ونواحيها حيث استقر إلى وفاته.

ومن هؤلاء الرواد أبو حفص عمر بن الكشكاش التركي القسنطيني الذي كان من أوائل أصحاب الشيخ في الشرق الجزائري، وقد ترجم له محمود بن محمد بن محمود بن المطمطية القسنطيني في كتاب له مخطوط عنوانه: (الدرة الخضراء الثمينة في تراجم خواص الغوث التجاني)، وله كتاب في ترجمة محمد بن المشري عنوانه: (المطلع البدري في التعريف بالعارف المشري).

محمد بن الفضيل التواتي والتواتيين الأوائل

هو من أهل تكرارين من توات الغربية، كان من أوائل أصحاب الشيخ وكانا يتبادلان الاستفادة، حتى أن الشيخ سافر إليه خلال إقامته بأبي سمغون واجتمع به في توات، وأخذ عنه علوما. وبعد وفاة الشيخ أصبح مقدما في الطريقة التجانية، فانتشرت على يده في توات الشرقية. ولما توفي، خلفه بعض إخوانه ممن قدمه فزاد انتشار الطريقة على يديه وبني هنالك زاوية ببلدة (عين صالح) بالصحراء، ودخل في الطريقة خلق لا يحصون كثرة من التوارق وغيرهم.

وهؤلاء التوارق هم الأوائل الذين بدأوا يدعون إلى الطريقة في البلدان المتاخمة أرضهم مثل مالي والنيجر. ثم ازداد انتشارها في تلك النواحي بفضل القوافل

(1) حيث أخذ عنه الطريقة أول رجل من سوف بالجنوب الشرقي الجزائري وهو عالم قرية كوينين وقاضيها وخطيب مسجدها الحاج أحمد بن خالد وقبره يزار بمقبرة كوينين.

المنطلقة من عين ماضي وتماسين والتي تذهب إلى إفريقيا السوداء للتجارة.

ومن مشاهير أصحاب الشيخ في توات السيد الفقيه أحمد بن محمد التواتي، والسيد الطاهر بن عبد القادر القندوسي الذي أخذ الطريقة عن المقدم العربي بن إدريس التواتي ثم تلاقى مع الشيخ بعد سنة 1220هـ. ومنهم أيضا زيان بن عبد الكبير. والحسين بن عبد الرحمن البلبالي.

رجال أبي سمغون وسيدي الشيخ وعين ماضي والأغواط

خلال إقامة الشيخ بأبي سمغون، أخذ عنه رجال كثيرون من تلك النواحي، وأشهر السمغونيين الذين صحبوه ودعوا إلى طريقته هم المقدم محمد بن عباس[1] وأحمد بن عبد الرحمن، وأبو القاسم بن يحي، وأحمد داودوس الموساوي، ومحمود بودواية - وهو من أولاد سيدي الشيخ - والشيخ النجار السمغوني، وخالد بن عمر المولاتي، وخليفة بن كميت، ودحو بن سليمان الريادي، وقائد عين ماضي ريان بن المشري، والجيلاني بن عبد الرحمن الأرباوي، والحاج بن الراجع، والطيب بن قدور النبالي، والطيب بن محمد بن سليمان، والشاعر الحاج النبابلي، وأحمد بن عاشور. وهذا الأخير كان عالما فقيها شاعرا له قصائد وأشعار غزيرة وهو الذي نظم القصيدة المعروفة عند التجانيين وتقرأ بعد حلقة الذكر عندهم ومطلعها:

بسم الإله أبتدي دعائي ... ومهربي إليه والتجائي
حمدا له به عليه منه ... ولا يفيض الخير إلا منه[2]

وعند دخول فرنسا إلى الجزائر، أمره حاكم العاصمة بالقدوم لها ليدرس العلم بها، وقصده بذلك حبسه، فامتنع وارتحل فارا بنفسه إلى فقيق وتوفي بعد ذلك بزمن يسير.

ومن مشاهير أصحاب الشيخ من قبيلة أولاد سيدي الشيخ الحاج محمد بن المسقم الذي كان رسولا بين محمد بن العربي الدمراوي والشيخ. وأبو الحسن بوحفص بن عبد الرحمن وهو أحد التسعة الذين كان الشيخ يأمرهم بقراءة التحاصين عند الأمور الملمة، ومحمد الذهب، والطيب بن قدور بن إبراهيم وغيرهم كثير.

---

(1) هذا الشخص هو أول رجل أخذ الطريقة التجانية عن الشيخ أحمد التجاني حسب ما أخبرني بذلك العلامة الحاج عبد الرحمن بودية المقدم التجاني بالمشرية رحمه الله تعالى (ع.طالب)

(2) من تاليف أحمد بن عاشور السمغوني كتاب مخطوط هام فيه معلومات هامة حول الطريقة التجانية في بداياتها وهو يقع في 146 ورقة ومحفوظ في زاوية عين ماضي.

أما غالب أعيان القبائل القاطنة بنواحي عين ماضي، فقد اعتنقوا الطريقة عند بداية تصدر الشيخ أواخر القرن الثاني عشر. ومن أشهرهم محمد بوحسونا المضاوي، وكان هو المقدم في تلقين الأوراد في تلك الجهات وهو الذي بنى للشيخ دوره وخلواته بعين ماضي وأبي سمغون وقبره مشهور هناك، ومنهم النوي بن عطا الله وهو من الذين حضروا لوفاة الشيخ وسافر بعدها مع الحاج علي التماسيني لعين ماضي، ومنهم محمد الهاشمي السرغيني وهو مدفون بزاوية عين ماضي ضجيعا لمحمد بن العربي التازي الدمراوي، ومنهم محمد بن سلامة الذي خرج عن كل ما يملكه لخدمة الطريقة وهو مدفون قرب محمد بن المشري بعين ماضي.

ومن عين ماضي أيضا الحبيب بن أحمد بن علي، وحمادي التجاني، وكنيدار بن فكيرين، والطاهر بن الزفراوي، وزروق بن مشبتخ، والمقدم داود بن الطاهر بن الميلود، وحميدو التجاني وبنته فاطمة تزوجها محمد الكبير بن الشيخ بعد وفاة زوجته الأولى ابنة عمه بنعمر.

أما مشاهير الأغواطيين الذين ساهموا في الدعاية للطريقة وصحبوا الشيخ فمنهم سليمان بن سعد وكان كاتبا بعد وفاة الشيخ لابنه محمد الحبيب، ومنهم العلامة سحنون بن الحاج وكان كثير المراسلة للشيخ، وأحمد بن معمر، وأحمد الأخضر بن محمد شيبة، وعيسى بن خراز، والفقيه أحمد بن إسماعيل الذي كان آية في التجويد وحسن الصوت، ومحمد بن محمد بن جغنون أخو أحمد المذكور، ومحمد وأحمد ابني سحنون بن الحاج، وأولاد سرغين، والحاج بن بودرة، وزعنون بن محمد، والطاهر بن بزله.

ومن تاجموت الحسين بن دحمان، ومن شلالة خليفة بن هبور، وخليفة بن كربوب الظهراني.

ومن القصر العلامة الكبير حسونة القصري.

ومن الصحراء الجيلاني بن التومي، وسليمان العكون، وعبد الله بن سعد، والطيب بن سليمان البوشيخي والطاهربن عبد القادر الغندوسي.

أصحاب الشيخ الأوائل في الجنوب الشرقي من الصحراء وتونس وليبيا

ذكرنا أن أول داعية للتجانية في نواحي تقرت هو الفقيه محمد بن المشري الذي صحب الشيخ في تلمسان منذ سنة 1188هـ ثم اتصل بأعيان قبيلته من أولاد

السائح الأشراف فاعتنقوا كلهم طريقة الشيخ، فكان منهم ابن عمه عبد القادر وابنه الأخضر ومعمر بن المشري. واشتهرت الطريقة في تلك النواحي فكان من روادها محمد بن قويدر العبدلاوي الشريف الحسني الذي كان من خاصة الشيخ والدعاة إليه[1]، والمقدم سليمان وعبد القادر بن عبد المالك وعلي بن الغزال. وهؤلاء الأربعة هم أول من بنى قرية (العلية) القريبة من تقرت وقطنوها إلى أن توفوا بها. ومن هؤلاء الرواد اشتهر أيضا علي بن الشتيوي والمقدم محمد بن عثمان.

زاوية قمار أول زاوية تجانية في العالم

أما رائد الطريقة بوادي سوف (أي المنطقة الجنوبية الشرقية من القطر الجزائري المحاذية لمنطقة الجريد بالجنوب التونسي) فهو السيد محمد الساسي لقماري السوفي. نشأ هذا الأخير في قمار بسوف وحفظ القرآن وتعلم اللغة والفقه، ثم رحل إلى الأغواط حيث استقر لتعليم القرآن، كان فقيرا زاهدا ورعا. وفي سنة 1198هـ سمع بالشيخ أحمد التجاني فذهب إليه في عين ماضي وأعجب به وأخذ عنه الطريقة، وحثه الشيخ على الرجوع إلى بلده قمار لينشر الطريقة، فامتثل ورجع إلى قمار واتصل ببعض الفضلاء وأعيان البلدة ورغبهم في الانخراط في الطريقة فاستجاب له بعضهم، وذهبت جماعة منهم إلى الشيخ وهو بعين ماضي سنة 1201هـ وكانوا عشرة رجال وهم:

1- محمد الساسي المذكور -2- الطاهر بن عبد الصادق -3- عبد الله بن بده -4- أحمد بن داس -5- أحمد بن منصور -6- أحمد بن سعد -7- علي بن حنيش -8- محمد بن أبي القاسم -9- محمد باسه. وهؤلاء التسعة قماريون. أما العاشر فهو من بلدة تاغزوت - التي تبعد عن قمار بنحو كيلومتر جنوبا - وهو المقدم أحمد بن سليمان. وخلال سفرهم كانت بلدة تماسين في طريقتهم فحطوا رحالهم بها فرآهم الحاج علي التماسيني - وعمره آنذاك 21 سنة - واستدعاهم للعشاء وذبح لهم عنزا

(1) ابنه هو أحمد العبدلاوي الذي ولد قبل وفاة الشيخ بنحو شهرين ونشأ في عين ماضي حيث رسخ في العلوم ولازم صحبة محمد الحبيب بن الشيخ كما صحب الحاج علي التماسيني ومحمد أكنسوس والعربي بن السائح. وقد ساهم مساهمة فعالة في نشر الطريقة، ومن أكبر وأشهر من تتلمذ عليه القاضي العلامة أحمد سكيرج المغربي. وقد توفي أبوه محمد بن قويدر العبدلاوي سنة 1236هـ. وهو من جلة أصحاب الشيخ الذين ساهموا في الدعوة إلى طريقته في الصحراء. وقد توفي أحمد العبدلاوي صبيحة الخميس 24رمضان 1328هـ.

كانت عنده. ولم تكن له حينذاك معرفة بالشيخ، فدعا له محمد الساسي قائلا: جعل الله دارك بابا للغادي والرائح للشيخ. ولما وصلوا للشيخ بعين ماضي أخذوا عنه أوراد الطريقة وأمرهم ببناء زاوية بقمار ثم قفلوا راجعين. وبعد حوار مع أحمد بن سليمان التاغزوتي بنوا الزاوية بتاغزوت. ورجعوا إلى الشيخ في العام الثاني فسألهم: هل بنيتم الزاوية؟ فأجابوه: نعم. وقال لهم: في أي مكان؟ قالوا: بتاغزوت. فألح الشيخ بأن تكون بقمار. فقالوا: إن تاغزوت وقمار كبلد واحد. فقال لهم: أبى الله ورسوله إلا أن تكون في شرقي قمار. فرجعوا وبنوها في المكان الذي أراده الشيخ سنة 1204هـ بعد أن حدد مكانها السيد محمود التونسي (انظر ترجمته في الفصل الثاني من الباب الرابع).

وزاوية قمار هذه، هي أول زاوية تجانية بنيت على وجه الأرض. وقد توسعت بعد ذلك توسعا كبيرا بفضل أبناء الحاج علي التماسيني وذريتهم الذين كانوا يأتون إليها من تماسين خصوصا في فصل الصيف[1]. ومنذ تأسيسها سنة 1204هـ إلى هذا اليوم من سنة 1428 هـ لم تنقطع فيها حلق الذكر وتلاوة القرآن كل يوم مرتين الأولى بعد صلاة الصبح والأخرى بعد صلاة العصر مع إحياء الليالي الفاضلة والمناسبات الدينية. وقد انتشرت الطريقة في قرى سوف ونواحيها انتشارا واسعا، وذهبت عدة وفود للأخذ عن الشيخ. فحين حل الشيخ بعين ماضي قادما من فاس سنة 1224 هـ رحلت إليه جماعة من تاغزوت وقمار وغيرها[2].

(1) خلال توسيع الزاوية استدعى أحد البنائين من فاس وكان ماهرا في النقش فنقشها نقشا بديعا لا تزال آثاره واضحة إلى اليوم، وتعلم عنده فن النقش بعض القماريين، كان من أنجبهم المسمى: عمر قاقة وهو الذي ساهم في بناء ونقش البريد المركزي بالعاصمة، وقبة قصر الشعب الكبيرة. وهو بدوره أخذ عنه هذا الفن جماعة منهم ابنه البناء الماهر التجاني قاقة -الذي بنى العديد من المساجد والزوايا - وهذا الأخير تخرج على يديه جيل النقاشين القماريين في هذا الوقت الذين كان منهم صديقي وجاري حني عبد الفتاح وهو أحد الذين ساهموا في إعادة نقش البريد المركزي بالجزائر العاصمة في السنوات الأخيرة، وفي نقش وبناء مقام ضريح محمد الحبيب بن الشيخ في عين ماضي وقد توفي رحمه الله مخلفا في فن النقش أبناءه.

(2) الرجال الذين سافروا إلى الشيخ والأخذ عنه من تاغزوت هم: أحمد بن سليمان المذكور أنه ذهب مع القماريين الأوائل لعين ماضي سنة 1201 هـ وزوجته فاطمة بنت حنيش، ومحمد بن الدشري، وأحمد بن عمارة، وسعد بن عبد الله، وأخوه محمد، والحاج سعد الشارف، ومحمد بن عمار، وابنه أبو القاسم، وأحمد بن سالم بن عبد القادر بن جاري، ومحمد بن بلقاسم بن سليمان، وعمار بن بوترعه، وابنه فليفة، وبناته حليمة ومسعودة وربيبته حدة، وأحمد بن عمار بن مسعود، وبلقاسم بسي، فهؤلاء مقطوع باجتماعهم ورؤيتهم للشيخ. وأما من ترجح زيارتهم له ترجيحا قويا حسب قول المقدم التاغزوتي محمد الأخضر بن محمد بن

ثم إن الاتصالات بين سوف والقطر التونسي جعلت التونسيين يتعرفون على الطريقة وشيخها. وقد رحل الطاهر بن عبد الصادق القماري- المذكور سابقا - إلى توزر بالجنوب التونسي بأمر من الحاج علي التماسيني خليفة الشيخ، فانتشرت على يديه الطريقة انتشارا واسعا. وكان عالما فاضلا شاعرا بعث إليه إبراهيم الرياحي عام 1260 هـ رسالته التي مطلعها:

ألا قـل لـسكان وادي العقـيق ... هنيـئا لكـم فـي الجـنان الخلود

أفـيضوا علينـا مـن المـاء فيـضا ... فـنحن عطـاش وأنـتم ورود

توفي عام 1266هـ وقبره في توزر مشهور يزار، وقد ترجم له سكيرج في (كشف الحجاب) كما ترجم للمقدمين محمد الساسي بن عبد الوهاب - الرائد الأول للطريقة في سوف - وعبد الله السوفي وأحمد بن مبروك وغيرهم من أعلام الطريقة في الجنوب الشرقي أمثال: بلقاسم بدري ومحمد بن أحمد بن منصور والمسعود بن الزين السوفي ومحمد الزين الصحراوي وغيرهم.

وهكذا بدأت تظهر الطريقة التجانية شيئا فشيئا في القطر التونسي في أول القرن الثالث عشر الهجري. وأولهم كان السيد محمود التونسي، ثم توالى الرجال من تونس لاعتناق الطريقة، فكان من أشهرهم الشيخ المناعي التونسي، الذي قدم إلى الشيخ بفاس فأخذ عنه وأجازه في نشر الطريقة وهو مدفون بتونس. ومنهم الشاعر يوسف بن ذنون الذي نظم قصائد كثيرة في مدح الشيخ وطريقته. ومن أشهر الشعراء التونسيين التجانيين الأوائل الكبارالسيد محمود قباد المتوفى صبيحة يوم الأربعاء ثالث رجب عام 1288هـ، لكن أشهرهم على الإطلاق هو مفتي الديار التونسية العلامة إبراهيم الرياحي[1].

سليمان فهم: الغويلي وعمار بن محمد، وأحمد بن الحمروني وهم من أولاد رابح. وأما الصيايدة فعلي بن حمو، وسعد ابن الحاج حمد، وعمر بن عائشة، والشداني، وبلقاسم لحبيري. وأما العرش فسعد بن سليمان وابنه بلقاسم وابن أخيه علي بن باسه، وعلي بن سعد. وأما أهل البلاد: فعاشورة بلقاسم بن مبروك، وبلقاسم بن نصر، وشعبان بن فيرة، واسماعيل بن عباس، ومحمد بن سعد بن عباس، فهؤلاء الأنفار التاغزوتيين هم الذين أخذوا عن الشيخ، بعضهم بفاس وبعضهم بعين ماضي حين حل بها في عام 1224هـ.

(1) انظر ترجمته الكاملة في الكتاب الذي خصه لها حفيده عمر بن محمد بن علي بن إبراهيم الرياحي في كتابه (تعطير النواحي بترجمة الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي) الذي طبع للمرة الأولى بتونس عام 1320كما ترجم له ابنه محمد بن علي في كتابه (السحر الحلال في تراجم

الشيخ إبراهيم الرياحي التونسي

هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر بن الفقيه إبراهيم الطرابلسي الذي يرتفع نسبه إلى آل البيت النبوي الشريف. نزل جده بعمل رياح واشتغل بتعليم القرآن ثم انتقل ابنه عبد القادر إلى تستور وبها ولد صاحب الترجمة عام 1180هـ وحفظ القرآن ثم قدم تونس فأخذ عن أكابر علمائها ورسخ في جميع علوم عصره. ثم تصدر للتدريس. وأخذ الطريقة الشاذلية عن شيخه البشير الذي ينتهي نسبه إلى عبد السلام بن مشيش شيخ الشاذلي. وفي سنة 1216هـ قدم علي حرازم إلى تونس ونزل عند المترجم له ورغبه في الانخراط في طريقة شيخه التجاني فاستجاب لذلك ومدحه بقصيدة طالعها:

كـرم الـزمان ولـم يكـن بكـريم ... وصـفا فكـان علـى الـصفاء نديمي

وفي سنة 1218هـ حدثت المسغبة بالبلاد التونسية فاختار حاكمها الشيخ صالح الكواش كسفير إلى سلطان المغرب المولى سليمان لامتيار الميرة فامتنع الشيخ وأشار إليه بإرسال تلميذه صاحب الترجمة. وحاكم تونس حينذاك هو (حموده باشا). فتوجه الرياحي إلى فاس أولا حيث اجتمع بشيخه أحمد التجاني يوم الاثنين17شوال عام 1218هـ ثم ذهب إلى السلطان.

ورجع الشيخ من سفارته بالغا غاية الأرب، بعد أن التقى هناك بأكابر العلماء وأصحاب الإفتاء مثل: مفتي بلد سلا محمد الطاهر بن الأمير السلاوي الذي أجازه. وفي سنة 1248هـ قدمه الباشا حسين باي لرئاسة الفتوى. وفي سنة 1252هـ أنابه الباشا مصطفى باي لأداء فريضة الحج. وفي سنة 1255هـ قدمه المشير الأول أحمد باي للإمامة الكبرى بالجامع الأعظم بتونس. وقبل ذلك في سنة 1238هـ، أقدم إلى تونس المقدم التجاني الكبير الطاهر بن عبد الصادق القماري فصحبه صاحب الترجمة في رجوعه إلى تماسين لزيارة الحاج علي التماسيني. ومن جملة ما خاطبه به قوله:

إذا ما وضعت الأرض في فلك العلا ... ونـزلت سـكان الـسما بحـبال

وسـقت شـمال الـدار نحـو يمينـها ... وأهـل يمـين فـي مكـان شـمال

وطـوعت مـن أقطارهـا كـل جانـب ... وبيـنت مـنها مـا بـدى بجمـال

أعيان الرجال) وأبوراس محمد المعسكري في رحلته، وغيرهم ممن كتب في طبقات علماء المالكية أو علماء التجانية.

فأنت حكيم الوقت صاحب سره ... فدونك أقفال بلغز مقال [1]

وفي سنة 1241هـ حج وأسر اليونانيون المركب الذي فيه الشيخ ومن معه من المسلمين، لكن لحسن الحظ جاءت ريح عاصفة وحال الموج بين المركبين ونجا المركب الذي فيه الشيخ، واجتمع خلال سفره هذا بعلماء مصر. وقد اعترف علماء المغرب العربي بمكانة صاحب الترجمة، حتى لقب بسلطان العلماء تشبيها له بالعز بن عبد السلام. وكان الناس يستفتونه من كل أنحاء القطر التونسي وجنوب الصحراء والشرق الجزائري، وله من الأشعار الكثيرة ما يجمع في مجلدات. وبفضل نشاطه في الدعوة إلى الطريقة، انتشرت التجانية في الأوساط العلمية وأوساط الحكام بتونس خصوصا في الشمال، كما انتشرت في جنوبها بفضل نشاط الطاهر بن عبد الصادق القماري، حتى بلغ عدد الزوايا فيها أكثر من عشرين زاوية، من أولها زاوية السبخا أو الدرايب بتونس التي أسست على يد الحاج سالم الجبالي ومقدمها حينذاك الحاج عمر بن سليمان الزواوي؛ وزاوية أخرى قرب حوانيت عاشور، وزاوية الشيخ إبراهيم الرياحي.

وحسب إحصائيات أتباع الطرق الصوفية في تونس سنة (1925 - الأرشيف الوطني- السلسلة 3- الصندوق رقم 97 ملف رقم 3) فإن عدد أتباع التجانية في القطر التونسي في ذلك العهد بلغ 16094مريدا، ينتسبون إلى 24 زاوية حسب التوزيع التالي: بنزرت (2) تونس (6) قرنبالية (1) مجاز الباب (1) سوق الأربعاء (1) الكاف (1) سوسة (3) القيروان (2) توزر(3) قابس (3) مدنين (1).

وأكثر تواجدهم كان في تالة وتطاوين والقيروان والكاف. لكن هذه الأعداد تقلصت كثيرا بعد الاستقلال ، وأما في الجزائر فإحصائيات ديبون وكوبولاني في سنة 1897 تذكر أن العدد الإجمالي لكل أتباع الطرق الصوفية في القطر الجزائري كان 165214 من بينهم 25323 من أتباع التجانية ينتسبون إلى 32 زاوية. وفي ذلك يقول أحد علماء الزيتونة الشيخ مناشو في رده على انتقادات مجلة المنار لرشيد رضا ضد التجانية:

(هذه نسخة مكتوب لصاحب المنار في الرد على ما جاء في خاتمة المجلد السادس والعشرين من هجاء الطريقة التجانية زادها الله نورا وانتشارا، أرسل إليه في 9 ذي القعدة الحرام سنة 1344هـ. . . . . . إلى أن قال: إن طريقته - أي الشيخ أحمد

(1) شرح سكيرج هذه الأبيات عند ترجمته للطاهر بن عبد الصادق القماري في الجزء الثاني من كتابه (رفع النقاب).

التجاني - لم تنتشر بواسطة الملوك بل بواسطة العلماء. فقد كان أول ناشر لها بيننا رأس الفتوى، والإمام الأكبر بالجامع الأعظم وشيخ شيوخ القطر مولانا الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي مجيز علماء المشرق والمغرب. وتداول سنده من بعده من شيوخ الفتوى والقضاء بالمذهبين الحنفي والمالكي ما يزيد على الأربعين من آل بيرم وآل النيفر وآل الخوجة وآل الشاهد وآل الشريف وآل حسين وآل جعيط وسواهم جمهور عظيم من أئمة ومدرسين وأمراء ووزراء وسراة وفضلاء. ومن لم يدخل زمرتهم لم يتوقف عن الاعتراف بالفضل لهذا الإمام، والكل شحيح بدينه غير مخدوع في يقينه. أفلا يصعب عليك وأنت تنتسب إلى الرؤوف الرحيم ذي الخلق العظيم أن ترى قبل التثبت جمعا كهذا الجمع من العلماء بالابتداع والأمراء بالتأييد والمعاشرين بالمصانعة، والدهماء بضعف العقول. لست أسرد لك العلماء والملوك لأحملك على تقليدهم، فما أنا بالذي يحتج بمثل هذا ولا أنت ممن يدعي بمثل ذاك ولكن لأحملك على الاعتدال فإن عدم المبالاة بالناس ثمرة الاعتداد بالنفس. إلخ). انتهى. نقل هذا النص من كتاب (قمع التعصب لأعداء التجاني في المشرق والمغرب) ومؤلفه محمد مناشو كان مدرسا للعلوم من الطبقة العليا بجامع الزيتونة وبالخلدونية، ومدير المدرسة القرآنية الأهلية بتونس.

وقد تتلمذ على الشيخ إبراهيم الرياحي العديد من علماء الجزائر وتونس، منهم نقيب أشراف الجزائر الحاج أحمد الشريف الزهار.

ونشير إلى أن أوفى المراجع وأغزرها معلومات وأدقها فيما يتعلق بالتجانية ورجالها في تونس وصحراء الجزائر هو: (تاريخ أبي الحسن علي بن أبي القاسم الرزكي مقدم التجانيين بتونس العاصمة)، وقد اعتنى بجمعه نجله محمد الطاهر في أوائل القرن الرابع عشر الهجري وهو يقع في عدة مجلدات ولا يزال مخطوطا، وتوجد منه نسخة في خزانة زاوية تماسين. وفي هذا الكتاب تفاصيل كثيرة لا توجد في غيره.

ومنذ عهد الشيخ أحمد التجاني بدأت طريقته تنتشر في ليبيا ، ثم واصل نشرها فيها خلفاء ومقدمون من الجزائر وتونس ومصر وأشهر زواياها هناك الآن زاوية طرابلس.

مشاهير أصحاب الشيخ في الشمال الجزائري

مكث الشيخ قبل تصدره للمشيخة سنين عديدة في تلمسان وتعرف هناك على شخصيات علمية وغيرها. ولما ظهر بالطريقة أخذ عنه جماعات من تلمسان ومعسكر ومازونة وغيرها من مدن وقرى الغرب الجزائري.

الشيخ الطاهر بوطيبة التلمساني

وأشهر التلمسانيين الذين كانوا من خاصة أصحاب الشيخ هو السيد الطاهر بوطيبة الذي قيل أنه حج مع الشيخ وصاهره ومكث معه نحو50 سنة، وأجازه الشيخ إجازة مطلقة في نشر الطريقة وتوفي سنة 1292 هـ (1875م)، وقبره بجبل البعل عليه قبة تزار. وخلال عمره الطويل نفي إلى جزيرة سانت مرغريت حيث مكث سجينا مدة ثماني سنوات (1863-1871). وكان معه تجانيون آخرون بالمنفى منهم كاتبه عبد القادر بن مصطفى المعسكري، وذلك إثر انتفاضة أحد أتباعه ضد الاحتلال الفرنسي، فعاد إلى تلمسان وتزوجت بنته فاطمة بشيخ زاوية عين ماضي الشيخ البشير (1911-1852) بن الشيخ محمد الصغير بن الشيخ أحمد التجاني.

أما تلميذه الثائر فهو بوعزة البكوش أصله من منطقة هبرة من قبيلة سويد الهلالية بالغرب الجزائري. ساح ما بين الحدود المغربية الجزائرية ما بين 1855 و1860 داعيا للطريقة ، ثم بدأ يدعو إلى الثورة ضد الاحتلال الفرنسي منذ عام 1863. ثم دعا للثورة ضد ملوك المغرب أيضا، وذلك سنة 1864(1281هـ)، لكن الفلول التي تبعته انكسرت ، فضل مختفيا إلى سنة (1291/1875) حين ثار على السلطان حسين الأول (1894-1873) مستعينا ببعض القبائل القاطنة في الحدود المغربية الجزائرية، لكنه انكسر مرة أخرى واعتقل بناحية تازة فأرسل إلى فاس ثم إلى مراكش فتوفي مهانا وهو في الطريق إلى سجنه ومحاكمته في سنة 1875.

وإثر وفاته ظهر بتلمسان تلميذ آخر للطاهر بوطيبة اسمه يعقوب بن العربي، ولد حوالي سنة 1840 ودعا بدوره إلى مقاومة الاحتلال الفرنسي. . . وقد فصل تلك الوقائع الباحث المغربي جيلالي العدناني في أطروحته للدكتراه حول الأصول الأولى للطريقة التجانية، وهي بالفرنسية وقدمها في جامعة بروفونس سنة 1998م.

الفرع الحمالي التجاني بمالي:

ومن خلفاء الطاهر بوطيبة الذين نشروا التجانية في الجنوب الغربي الجزائري وفي مالي رجل من توات اسمه محمد بن أحمد بن عبد الله ويدعى بالشريف محمد الأخضر. واستوطن بلدة نيورو في مالي، فكان من أخلص تلاميذه فيها الشيخ حماه الله ولد محمد ولد سيد عمر (1883-1943)، وإثر وفاة الشريف الأخضر أصبح الشيخ حماه الله إماما لإخوانه في الطريقة وأسس حركة دينية ذات طابع إصلاحي سياسي واجتماعي وتتميز بمقاومة للاحتلال الفرنسي.

وانتشرت حركته وامتدت دعوته إلى مناطق في السينغال وموريتانيا ونيجيريا وغينيا وعرفت باسم الحمالية التجانية. ولمواقفه المعادية للاحتلال نفته فرنسا إلى منطقة جرجول بموريتانيا ثم نقلته إلى ساحل العاج حتى سنة 1936 ثم أعادته إلى نيورو. لكن لم يزد نفيه واعتقاله دعوته إلا انتشارا، فنفته مرة أخرى واعتقلته في فرنسا حيث فقد أثره في أواخر الحرب العالمية الثانية. لكن منهاجه في الطريقة استمر عند خلفائه وأتباعهم إلى اليوم. وهم لا يتميزون عن غيرهم من التجانيين إلا في قراءة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بصيغة (جوهرة الكمال) إحدى عشرة مرة في الوظيفة عوض اثنتي عشرة مرة، والعددان جائزان حسبما هو مذكور في بعض أمهات كتب الطريقة ككتاب (الجامع) لابن المشري.

ومن تلاميذ الشيخ حماه الله الشيخ يعقوب يلا من قبيلة سركولي في بلدة كايدي وقد انشق على شيخه متطرفا فطرده الحماليون من فرقتهم، فأسس الفرقة اليعقوبية وانتشر أتباعه في إفريقيا الغربية.

محمد بن عبد الله الجيلالي

هو العلامة الجليل محمد بن عبد الله بن الموفق بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد المشهور بأبي جلال، تكلم عليه المهدي البوعبدلي في مقدمته لكتاب (الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني) فقال عند حديثه على مؤلفه أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي أنه أجيز من طرف المترجم له ثم قال:

والشيخ محمد بن عبد الله الجيلالي صاحب الإجازة هو من أكابر علماء البلاد، وقد اختاره الباي محمد بن عثمان الكبير لإدارة مدرسته المحمدية التي بناها قرب مسجده الذي أسسه على أنقاض الجامع الأعظم العتيق. . . كما أن الباي محمد بن عثمان لما عزم على غزو وهران وطرد الإسبانيين منها فكر في إحياء الرباط ووقع اختياره على مدير المدرسة المحمدية محمد بن عبد الله الجيلالي، فعينه رئيسا للرباط وعين له مساعدين هما: القاضي الطاهر بن حواء، وكاتبه الخاص - كاتب الباي - محمد المصطفى بن زرقة الدحاوي. . . لم يحظ الشيخ محمد بن عبد الله هو أيضا ممن ترجم له من معاصريه مع توافر عددهم، اللهم إلا ما ذكره تلميذه أحمد بن سحنون أو ما عثرنا عليه من إجازة أخرى أجاز بها بعض تلاميذه تعرض فيها لرحلته العلمية ومشائخه بتلمسان وفاس والمشرق، أو من رسالة قيمة في موضوعها كان رد فيها على زميله الشيخ أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية بواسطة بعض تلاميذه.

كاتب الشيخ التجاني محمد بن عبد الله الجيلالي يخبره بأنه عزم على التصدي

للتربية، وأنه فتح عليه بما لم يفتح به على كثير من السلف فأجابه محمد بن عبد الله مظهرا في كتابه عمق النظر واستقلال الفكر وانتصاره للسلفية الصحيحة، كل ذلك في قالب حكمة ونصيحة. . . إلخ.

وقد عرفه تلميذه أحمد بن سحنون فقال: نشأ رضي الله عنه بين علم يقتبسه وأدب يلتمسه، ثم رحل إلى حضرة فاس، وحل بهاتيك الساحة الطيبة الأنفاس، فالتقى بعلمائها الأكابر، واستفاد عنهم ما يقصر عن جمعه أهل المحابر، ثم رجع وقد ظهر وبهر وحل فرقده في دارة القمر، فدرس في بلدنا فيما درس من العلوم، وجد إلى أن وجد مسلكا لإحياء تلك الرسوم. ثم ارتحل إلى الحجاز، فالتقى بعلماء الأمصار وجادلهم وباحثهم في غوامض المسائل، ثم رجع وقد أدى الفريضة، وعطر الآفاق بأزهار روضة علومة الأريضة. وهو الآن كهف الله الملاذ، وجبل به المعاذ، تفك بجاهه الشاء من فك الأسد، وترتاح في مراح دروسه الروح كما يرتاح بلقائه الجسد، ألا وانه من أكبر شيوخنا الذين انتجعنا رياض دروسهم، وانتفعنا كل النفع بما اجتنينا من غروسهم. . . انتهى.

فيبدو من كلام البوعبدلي حول علاقة المترجم له مع الشيخ يكونا على أتم الوفاق فيما يخص تصدر التجاني للمشيخة، وفي هذا يختلف تماما مع ما ذكره القاضي سكيرج عند ترجمته لمحمد بن عبد الله في(كشف الحجاب) فهو يقول أن من أصحاب الشيخ التيجاني:

(الشيخ الدراكة الفهامة غواص البحور العرفانية وجامع شتات الفضائل الامتنانية أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله الجيلاني. هذا السيد الفاضل من خاصة أصحاب سيدنا رضي الله عنه الذين كانت لهم المعرفة التامة به قبل تصدره للإرشاد ولازموه بصدق المودة وصفاء الفؤاد وحضر معه في بعض المجالس العلمية للأخذ عن بعض خواص شيوخ سيدنا رضي الله عنه في العلوم الخصوصية [1]. وقد تلقى صاحب الترجمة عن سيدنا رضي الله عنه من الأسرار العرفانية واللطائف الربانية ما يبهر العقول الراجحة. واعلم أن صاحب الترجمة كان سيدنا رضي الله عنه يحبه المحبة التامة لما كان بينهما من الوداد الصحيح والمحبة القديمة. وكان صاحب الترجمة يختبر أحوال سيدنا رضي الله عنه، حتى علم علما يقينا برسوخ قدمه في الولاية والإذن الخاص في الإرشاد لسبيل الرشاد، فتشبث بأذياله وتعلق به لينقذه من أوحاله مع كونه

(1) راجع في الفصل الثاني من الباب الثالث رسالة الشيخ إلى محمد بن عبد الله الجيلاني وفيها بيان لصداقتهما وهما يافعان وكانا يدرسان معا في جامع القرويين بفاس.

كان من ذوي القدم الراسخ والمجد الشامخ. وكان يذب عن سيدنا رضي الله عنه لما تصدر لإعطاء الأوراد ويدافع عنه أصحاب الأهواء والعناد. وقد وقفت على رسالة بعثها سيدنا رضي الله عنه في مبادئ أمره إليه لما بلغه خوض المتهورين في بحره وأشاروا بالنقصان إلى علي قدره ولمزوه بما فيهم فأرادوا إطفاء نور الله ببغيهم كما وقفت على جواب صاحب الترجمة إليه رضي الله عنه، وذلك كله يدل على جلالة صاحب الترجمة ورفعة مقامه بين الأئمة. ثم ذكر سكيرج نص الرسالة الموجودة في آخر الفصل الثاني من الباب الثالث من هذا الكتاب. ونص جواب المترجم له هو:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله. أخانا العارف بالله ورسوله الجامع في العلم بين فروعه وأصوله الشيخ أحمد بن سالم التجاني، عليك السلام ممتزج بالشوق والغرام، مرتبط بأسباب المحبة على الدوام، بلا انقضاء لحدوده، ولا انقطاع لمدده، يهديه من سالت مدامعه حتى سجم فيها وعام، وطالت عليه أزمنة الهجر حتى أن أقل لحظاتها ما بين شهر وعام، وكيف لا وشمس جمالكم قد توارت عليه بالحجاب، وطلعة كمالكم قد سترت بحجاب البين موج فوقه سحاب. وبعد، فما أعرضه من الجواب الداعي إليه ذلك العتاب أنني أجبت بما يليق بذلك الجناب ويبرزه حجة القوم دون ارتياب. اعلم أخي أنهم اجتمعوا في نحو من عشرين شخصا وخاضوا فيما خاضوا إلى أن بلغوا إلى قولك: لم يكن مثلك من عهد الصحابة إلى هلم جرا. وكنت أنا عبد الله ساكتا عنهم حتى نجز خوضهم إلى ما ينبني على ذلك، فمنهم من قال يزندق قائله، ومنهم من قال كلاما آخر إلى أن تم كلامهم واحدا واحدا. فخاطبني أكثرهم ورؤساؤهم عما لي في ذلك. فقلت: الجواب غدا بهذا المحل. وفي الغد، اجتمع الكل وأعادوا كلامهم، واجتمع رؤساء العوام وبعض المتآمرين، فقلت مستعينا بالله: ماذا تقولون في علم الغيب، هل هو معقول المعنى أو محسوسها أو منقولها، وما كيفية الوصول إليه؟ هل هي ممنوحة أو مكتسبة؟ وما ينبغي على مدعيه قبل الاطلاع على حاله؟ وهل كرامة الأولياء توجد في كلهم أو في بعضهم؟ وهل يتفاوت ذلك بحسب الجد والاجتهاد أو بحسب فضل الله على بعض أوليائه؟ فسكت الكل ثم قال أحدهم: وما ألجأنا إلى هذا البحث؟ فقلت: وما ألجأكم إلى الحكم على الشيء قبل تصوره؟ فقالوا: إنك لتريد أن تشهر علمك. فقلت: نعم، من كان برهانه من نفسه فلا يحتاج إلى برهان، والمعروف لا يعرف والعرب بالباب، ها أنا وأنتم ، فقالوا: لا نتعرض لهذا كله، وتلاشت وجوههم واشمأزت قلوبهم وقام بعضهم، فقلت: ليس هذا من أدب البحث، ولا أنتم من الذين يألون وإنما هذا من فعل العوام بتحويل العبارة ، فجلس من قام، وتكلم الأمراء معهم فسلموا الجواب وكلفوني أن نحقق لهم أمرك وما ينبني على

قولك هذا، فقلت وبالله استعنت:

أما الشيخ أحمد فإنه أخي في الطلب كان يراقبني في أحوالي وأراقبه في أحواله، عالم بأمور الدين والدنيا، جامع بين علمي الشريعة والحقيقة له يد طولى في علم المعقول والمنقول، تقي نقي عارف بالله لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يحوم حول الحمى، يشار إليه بالصلاح في ابتداء أمره، ذاكرا مجدا عازما مجتهدا، اجتمع بمشايخ عظماء القدر، مجازا مأذونا له في التأليف، مقتدى به، والغالب على ظني أنه من أهل الكشف، وقوله هذا لا يوجب شيئا ولا فيه بحث إذ هو كلام محتمل من وجوه، وما كان كذلك فالقرائن تقيده: أولهما: أنه وان قال هذا الكلام حقا فيحتمل أنه لم يكن مثله في معرفة شيء مخصوص حدثته نفسه به وحملته أنه لا يعرفه غيره من عهد الصحابة إلى هلم، نعم، لو قال لو لم يكن مثله في العلم مثلا لكان للبحث وجه من حيث أن العلم لا منتهى له. وثانيها: أنه يحمل على أن يكون قال ذلك زجرا لنفسه وقهرا لها. ثالثها: أنه قال في حد ذاته، لا ليسأل أجرا ولا لزيادة مزية عند الناس بل يكفيه ما معه من العلم والمعرفة. وحاله ليس فيه خوض ولا معارضة، ولا يخفى عليكم ذلك، فغايته أنه تكلم بكلمة كسائر أولياء الله. وتعلمون يقينا أن الشيخ محي الدين ابن العربي كلامه مبني على خرق العوائد وأنه ادعى في زمانه الاجتهاد وما سلم له، وكذا غيره من أكابر الأولياء، مع أن أحمد التجاني لم يتكلم بشيء خارق يدعي صدقه أو كذبه، ولا ادعى اجتهادا، وإن كان لكم كلام في المسألة فأتوا به ونسلم لكم. وإن أردتم البحث مني عن أحواله، فزائد عما ما ذكرت ووصفت. والحاصل أقول لكم والله شهيد ووكيل: أني أتمنى على الله، بل أطلب منه لي ولكم أن يجعلنا في حماه وأن يرزقنا رضاه بمنه وكرمه. فعند ذلك فما ترى إلا وكلهم جاث على ركبتيه مقبلا الأرض بين يدي مستغفرا الله طالبا المسامحة مني. فأوصيك أخي بجانب العلم فإنه أولى من العمل، ومما أنت بصدده، وقد أوصانا مشايخنا بأمر بعضنا بعضا ونهيه، والأخ مرآة أخيه، والوقت كما ترى، والأشياء مرهونة لأوقاتها، والأسباب متوقفة على مسبباتها، والتروية بحسب النظر وهذا هو الجامع المانع. وقد تشوقت إلى أرض الحجاز وزيارة خير البرية صلى الله عليه وسلم، فادع الله لي في تسهيل السبيل، كما نحن لكم وإننا على العهد والوفاء، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه. والسلام. و كتب العبد الجاني بالعضو الفاني محمد بن عبد الله الموفق الجيلاني أمنه الله يوم الفزع الأكبر. آمين) انتهى.

أصحاب الشيخ الأوائل في الغرب والوسط الجزائري

ومن أصحاب الشيخ الأوائل أيضا المختار بن الطالب، وصفه علي حرازم في جواهر المعاني بقوله:

(العالم العلامة الدراكة الفهامة وهو من أجل أصحاب سيدنا رضي الله عنه وأكبرهم علما وأوسعهم حلما). ومنهم المختار الدباغ بن عبد الله والسيد محمد بن عبد الله الشاعر الكبير والمختار السقال والسيد والي ومحمد الوجدي والحاج الداودي الذي ترجم له محمد الكتاني في(سلوة الأنفاس) وحمادي بن رحو الفنطازي وقرينه الحاج حسين الفنطازي وحمادي بوشناق وابن عمر أحمد بوشناق ودودي بن بارو والحاج رجب والحاج زروق والطيب الذهب والطيب بن الهاشمي بن عبد الجليل والطيب بن محمد بن عودة.

وأشهر أصحاب الشيخ من مازونة هم أحمد المازوني المتوفى قيد حياة الشيخ ودفن بفاس، ومحمد المازوني الذي توفي في الفتنة التي وقعت بين أهل عين ماضي وبين الأمير عبد القادر الجزائري، وأحمد المازوني المتوفى قيد حياة الشيخ ودفن بفاس.

وامتدت الطريقة إلى نواحي الجزائر العاصمة فكان من روادها هناك محمد بن حرز الله هو ووالده والمقدم عبد القادر بن عبد الله المشرفي ومحمود بن القبطان والمختاربن الطالب وأخوه بومدين والمقدم أبوعبد لله زعنون والحاج عبد الرحمن ابن الحاج ناجي الذي أجازه الشيخ في نشر تعاليم الطريقة فقام بذلك بكل حماس، والسيد أحمد بن عساكر الجزائري الذي رحل إلى فاس للأخذ عن الشيخ وتوفي في بستان داره بالجزائر، قتله الترك عدوانا.

وفي قسنطينة كان للشيخ أصحاب منهم مقدم اسمه مصطفى بن أودينة ، ولما توفي خلفه المقدم عيده بن أحمد بن محجوبة، ومنهم حمو بن عبد الله بن قادة العباسي.

ومن أشهر العلماء التجانيين الجزائريين في ذلك الوقت العلامة الشهير محمد بوراس الناصري المعسكري(المولود عام 1165هـ والمتوفى عام 1238هـ) [1]. وقد ولد بنواحي جبل كرسروط بالمغرب الجزائري ورحل به والده إلى نواحي متيجة قرب مدينة الجزائر، وهناك فقد والدته زولة التي تشبه رابعة العدوية علما وورعا. وأما أبوه فكان معلما للقرآن ومات وابنه محمد لا يزال صبيا فتكفل أخوه عبد القادر به ورحل به إلى المغرب حيث حفظ القرآن وشب، وعاد إلى معسكر فلازم العلامة عبد القادر

(1) ورد في كتاب (معسكر رجال وتاريخ) الذي وزع في ملتقى الذكر الإسلامي الواحد والعشرين بولاية معسكر سنة 1408 هـ: (وذكر سيدي الحاج بن علي المقدم التجاني بمدينة معسكر رحمه الله في رسالة أن كلا من السيد أبوراس المعسكري والسيد أبوراس المازوني كان حاملا لواء الطريقة التجانية يذكر أن كارها وينتفع بأنوارها وأسرارها) انتهى. لكن أبو راس نفسه لم يذكر نسبته للتجانية في كتابه (نحلتي ورحلتي) الذي ترجم فيه لنفسه.

المشرفي [1]. ثم قرأ على علماء كثيرين داخل الوطن وخارجه منهم المحدث المعروف الشيخ محمد مرتضى الزبيدي، وتلاقى بفحول العلماء في مصر والحرمين حين توجه للحج مرتين وزار القدس والشام وغزة.

واتصل ببايات الغرب فأكرموه، وبنى له بعضهم قبة سماها: قبة المذاهب الأربعة لأن الشيخ أباراس كان مفتيا في هذه المذاهب، كما أن بعض البايات بنى له مكتبة وجمع فيها أكثر من 3000 مجلد. وكان يحضر مجالسه العلمية مئات الطلبة وقد بلغت تآليفه 137 حسبما سجلها هو بنفسه في كتاب سماه: (شمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من التآليف) وقد ألف في مختلف الفنون من تفسير وحديث وآداب وتاريخ ورحلات إلى أن توفي عن عمر يجاوز التسعين وقبره يزار بمعسكر. وقد تولى القضاء بمعسكر وتزوج بأخت عميد علماء غريس الشيخ محمد بن فريحة، ولما دعا داعي الجهاد لفتح وهران سنة 1206هـ وطرد الإسبانيين منها شارك بنفسه في الجيش محاربا إلى جانب الباي محمد بن عثمان. ومن أشهر تلاميذه السيد محمد بن علي السنوسي [2] والأمير عبد القادر الجزائري ، وابن بنته هو فقيه مازونة العالم المشهور أبوراس المازوني وهو مدفون بمازونة. وكان محمد أبو راس على صلة بمفتي تونس وزميله في الطريقة التجانية العلامة إبراهيم الريحاني. وذكر في رحلته أنه اجتمع به في تونس، ولما رأى تآليفه استحسنها غاية الاستحسان وأنشد عليها قصائد منها قصيدة بديعة طويلة مطلعها:

يا هل ترى جيرة بالسفح قطان	إني بهم بين فيح البيد ولهان
أشتاقهم وسواد القلب مسكنهم	وأسود العين إذ لم يخط سيحان

وذكر باقي القصيدة، كما ذكرها عمر الرياحي في مقدمة كتابه (تعطير النواحي بترجمة الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي).

(1) هو من أكبر علماء معسكر توفي سنة 1192هـ بعد حياة حافلة بالعلم والتدريس.
(2) انظر ترجمته في الفصل الثاني من الباب الأول.

الفصل الثاني

الحاج علي التماسيني مع ابني الشيخ

من المتفق عليه عند التجانيين أن الخليفة الأعظم للشيخ أحمد التجاني هو أبو الحسن الحاج علي ابن الحاج عيسى التماسيني الشريف الحسني [1]. وأسلافه من آل البيت كانوا قاطنين بلد ينبع بالحجاز، مثل أسلاف الملوك السعديين الذين ملكوا المغرب الأقصى من أوائل القرن العاشر إلى قرب منتصف القرن الحادي عشر، وكذلك أسلاف الأشراف السجلماسيين من آل السيد علي الشريف ومنهم ملوك السلاطين العلويين المغاربة الحاليين، فكلهم من ينبع.

وأول من انتقل من أجداده من ينبع إلى المغرب الأوسط هو السيد موسى بن يحيى وهو الجد الرابع للحاج علي، فنزل أولا ببجاية ثم انتقل إلى تونس وبلاد الجريد بالجنوب التونسي ثم توغل في الصحراء إلى أن وصل قرية (المقارين) التي تبعد 12 كيلومتر عن تقرت بالجنوب الشرقي الجزائري ، فاستقر بها نهائيا حتى توفي ودفن بها. وخلف ابنه السيد محمد وعاش في نفس القرية حتى مات وقبر حذو والده، وترك ابنه السيد الحاج محمد - بفتح الميم الأول - الذي انتقل إلى قرية (تماسين)، الواقعة على بعد 12 كيلومتر جنوب تقرت فاستقربها إلى وفاته ودفن بها. وخلف ابنه السيد الحاج عيسى وكان مشهورا عند قومه بالصلاح والتقوى والورع وكان من أصحاب رجل مشهور بالولاية في تلك الجهة وهو السيد التواتي أحمد بن الصوفي المعروف السيد محمد السائح، جد قبيلة أولاد السائح الأشراف، وهو الأب الثالث للفقيه محمد بن المشري. وولد للحاج عيسى ابنه صاحب الترجمة سنة 1180 هـ فنشأ الحاج علي في تلك البيئة المشبعة بالورع والتصوف وحفظ القرآن. وعرف منذ صغره بالأدب الجم وكمال التقوى ومكارم الأخلاق والميل إلى العزلة والعبادة. وصحب في بلده تماسين

(1) انظر ترجمته في(بغية المستفيد) للعربي بن السائح وفي(تعريف الخلف برجال السلف) للحفناوي وفي(كشف الحجاب) لسكيرج. وفي(تاريخ علي بن بلقاسم التونسي) المخطوط بتماسين. ونسبه هو الحاج علي بن عيسى بن محمد بن موسى بن يحيى بن إسماعيل بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن حسن بن قاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أحد الرجال الصالحين وخدمه وهو السيد أحمد بو درهم الحشاني. وتوفي الحاج عيسى وقبر بالمقبرة الواقعة في منتصف الطريق بين تماسين وقرية تملاحت الواقعة حذوها. وقد مر في الفصل السابق ذكر جماعة القماريين العشرة الذين سافروا سنة 1204هـ إلى عين ماضي قاصدين الأخذ عن الشيخ ومروا بتماسين فرآهم الحاج علي واستدعاهم للعشاء وذبح لهم العنزة الوحيدة التي كان يملكها ودعوا له بالخير وعرفوه بالشيخ وطريقته. وخلال رجوعهم من عين ماضي أتوا له بزاد ومتاع مكافأة له على صنيعه معهم رغم فقره.

واشتد شوق الحاج علي للشيخ أحمد التجاني، واستأذن شيخه الأول أحمد بودرهم في السفر إليه فأذن له.

ثم في السنة التي بعدها، اجتمع ركب أهل قمار كعادتهم زيارة شيخهم سنة بعد أخرى لبعد بلادهم سوف عن عين ماضي. وكان من عادتهم في سنة زيارتهم حضور عيد الأضحى مع الشيخ. وعند مرورهم بتماسين، وجدوا الحاج علي على أهبة السفر معهم. وهكذا التقى الحاج علي بالشيخ سنة 1204هـ وفرح كل منهما بالآخر فرحا كبيرا. ومن شدة تعلق الحاج علي بشيخه رفض الرجوع مع الركب القماري، ومكث عنده عدة أشهر. ثم رجع إلى تماسين داعيا للطريقة. وكرس حياته وأمواله كلها في خدمة الدعوة إلى الله، كما كان فانيا في محبة شيخه بحيث سافر إليه مع القوافل أربعة عشرة مرة وكل مرة يمكث فيها ذهابا وايابا نحو ستة أشهر، وكان إذا قدم إلى فاس يقدمه الشيخ للإمامة في الزاوية مع كثرة من بها إذ ذاك من أكابر العلماء الفضلاء.

ولما تكاثر عدد التجانيين في تماسين [1] ونواحيها، بنى الحاج علي زاويته بتملاحت - موضع قرب تماسين -سنة 1220هـ وسبب خروجه إلى هذا الموضع هو غضبه على ملكة تماسين في ذلك الحين لما أرادت إجبار إمام البلدة على فتوى ترضيها، فرفض، فجاءته إلى المسجد وهو على المنبر وقتلته. فاستشنع الحاج علي هذه الجريمة وقال: لا أعيش وسط قوم لا ينهون عن المنكر.

وقبيل وفاة الشيخ بفاس أخبر الحاج علي بمحضر أصحابه أنه هو خليفته

(1) من مشاهير رجال تماسين الذين صحبوا الشيخ أحمد التجاني السيد أحمد الأخضر الإدريسي التماسيني وتوفي قبل بناء الحاج علي لزاويته، والسيد علي حاكم التماسين.

الأكبر، وأمره بترحيل أولاده وأهله إلى عين ماضي [1]. وبعد نحو ستة أشهر من وفاة الشيخ ونزاع مع أصحابه الفاسيين الذين لم يرضوا بذهاب أبناء شيخهم إلى الصحراء حتى وصل الأمر إلى تحكيم السلطان سليمان، تمكن الحاج علي من تنفيذ الوصية ، ورحل محمد الكبير وأخاه محمد الحبيب وأهلهما إلى الصحراء، وأثناء عودتهم نزلوا عند أهل غريس في نواحي معسكر عدة أيام وشهدوا تبرم الأهالي من الحكم التركي. وبعد استقرار أهل الشيخ في عين ماضي رجعت إلى الحكام الأتراك بالغرب الجزائري مخاوفهم من الزعامة الدينية التي يتمتع بها أبناء الشيخ، خصوصا وأن علاقة أهالي عين ماضي والأغواط بالترك كانت في توتر دائم [2]. وجاءت من حاكم الترك إلى ابني الشيخ رسائل يطلب منهما أن يأتيا إليه ليتبرك بهما، وكان قصده قتلهما أو احتجازهما عنده، كما فعل باي وهران حين احتجز عنده الشيخ محي الدين إمام الطريقة القادرية وابنه الأمير عبد القادر. فتم اجتماع بين الحاج علي وأبناء الشيخ وأصحابه من أهل الصحراء وتفاوضوا في القضية وقرروا أن يذهب محمد الكبير مع الحاج علي التماسيني ، ومحمد الحبيب إلى أبي سمغون، وباقي الأسرة تمكث في عين ماضي. ثم جاءت جيوش الترك إلى عين ماضي للبطش بأهلها، لكن كان من قدر الله أن حصلت زلزلة شديدة في نواحي الغرب، فدمرت الجيوش ورجعوا منكسرين كما خربت عين ماضي. ولما انجلى ظلام تلك الفتنة رجع أولاد الشيخ إلى بلدهم فوجدوا أهلهم محفوظين لكن بلدتهم هدمت تماما حتى أنهم عزموا على هجرها، لكن الحاج علي بعث إليهم آمرا بإعادة بنائها والسكنى بها، ونفذ أمره وأرسل محمد الحبيب إليه رسالة جاء فيها قوله [3]:

(فالذي أعلم به سيدنا رضي الله عنه وأرضاه أنه لما وصلنا كتابك صحبة الحاملين فلان وفلان، وأمرتنا فيه ببناء عين ماضي فخرجنا صبيحة اليوم الذي وصلنا

(1) انظر الفصل السابع من الباب الثالث.
(2) انظر الفصل الثالث من الباب الأول.
(3) نشر هذه الرسالة الشيخ سكيرج في(كشف الحجاب) عند ترجمته للسيد أحمد بن معمر الأغواطي المعروف بابن سالم ص 471.
قائد هذه الحملة هو الباي حسن باي الغرب، وشنها عام 1820م فحاصر عين ماضي وبعد قصف دام 14ساعة استسلم أهلها مقدمين مبلغا من المال قدره مائة ألف بوجو(أي ما يعادل نحو مائة وخمسين ألف فرنك) واغتصب الباي أموالا أخرى منها ثمانية أحمال من المخطوطات النفيسة ولم يفلت سوى مخطوط واحد ما زال إلى الآن بعين ماضي.

فيه كتابك قاصدين عين ماضي، وبوصولنا إليها شرعنا في بنائها بحول الله وقوته. ولقد وجدناها خربة لا فائدة فيها، حتى هم كثير من الناس بالرجوع عن بنائها لما رأوه من خرابها، ودهشت الناس من ذلك، فاستعنا بالله، ثم في البناء رأينا العجب العجاب من خرق العادة فكملناها بأجمعها وأبراجها وأسوارها في عشرة أيام فقط، نخدم كل يوم من الصبح إلى القيلولة ونقيل إلى صلاة الظهر ونبقى في الخدمة حتى تبقى نصف ساعة على الغروب، نفترق لعشائنا، ومع هذا فالراحة التي وجدناها والسرعة في بناء السور لم نرها قط والحمد لله. ولكن يا سيدي، الظاهر الذي عندنا لولا الشيخ أحمد بن سالم [1] لم نجد في كافة الناس من يرفع معنا حتى حجرة واحدة، ولقد نصح في هذا الأمر غاية النصح وقدم معنا بأولاده وزاده ومكث معنا حتى كملت بجميع أسوارها. وقصة الزرع للدار فلم نجده بوجه ولا بمال وعز علينا الكيل من كل جانب، فلما رأيت ذلك بعثت لأحمد بن سالم وقلت له كذا وكذا فقال: علي ما يخصكم وكل ما تطلبونه موجود جزاه الله عنا خيرا. وأيضا لم نجد من يسكن معنا في عين ماضي لا بعيدا ولا قريبا لما كملت. فقلنا لأحمد بن سالم - رضي الله عنه - سيدي الحاج - رضي الله عنه - قال لنا كذا وكذا. فقال لنا: نعم، ذلك هو الصواب. فجمع بني الأغواط كلهم بين أيدينا وقال لهم: تذهبون لعين ماضي وتعمرونها بعيالكم وها أنا ذاهب إليها بنفسي أسكنها لله ولرسوله، فلما وجدوا الجد منه امتثلوا لأمره طوعا وكرها وعينوا أربعة وخمسين عيالا يسكنون في عين ماضي، ها هي وصلتنا والحمد لله وسكن هو بنفسه معنا وأتى بأولاده وعياله لعين ماضي وجميع أثاثه، وصل وهو قادم في هذين اليومين علينا جزاه الله عنا خيرا) انتهى [2].

وبعد حلول أسرة الشيخ في عين ماضي واستقرار الحاج علي في تماسين، توسع انتشار الطريقة وأصبحت القريتان قبلة للزوار من كل ناحية، حتى أن أحد الرحالة قال: لما نزلت بتماسين وجدت أكثر من مائتي رجل جاءوا من الآفاق البعيدة لزيارة الحاج طالبين منه التقديم في الطريقة نظرا لكثرة طلاب الانخراط فيها بنواحي

(1) كان من أفاضل خاصة الشيخ أحمد التجاني وقد اعتنق طريقته وهو صغير وبقي طول عمره مدافعا عنها وخادما مخلصا لأسرة الشيخ وتوفي في رجب عام 1268 هـ.

(2) الأسوار التي أعاد بناءها محمد الحبيب منعت جيوش الباي من دخول عين ماضي عام 1822م كما هاجمها مرة أخرى الباي حسن عام 1241هـ /1825م وحاصرها مدة شهر حتى اضطر أهلها للتصالح بتوسط كاتب الباي الحاج محمد بلخروبي القلعي ففرض عليهم ضريبة سنوية قدرها خمسمائة ريال وأن يدفعوا عشرين مائة ريال حينا.

بلادهم [1]. وهذا مما جعل مخاوف الترك تزداد، ومعها تتفاقم مواقفهم التعسفية من التجانيين خصوصا، ومن قبائل الصحراء عموما. فعزم السيد محمد الكبير بن الشيخ على القيام بالثورة ضد الحكام الأتراك في الغرب الجزائري. وجرت بينه وبين الحاج علي مناقشات ومراسلات عديدة في هذا الشأن لأن الحاج علي لم يوافقه على القيام بالثورة وحاول أن يمنعه عنها ولكن محمد الكبير أصر على القيام بالثورة [2].

وقد ذكر الحاج أحمد الشريف الزهار في مذكراته ثورة محمد الكبير هذه في الفصل الذي عنوانه (ذكر ولاية حسين باشا) وقال أنها وقعت سنة 1242هـ - أي أن عمر محمد الكبير كان إذ ذاك حوالي 30 سنة - وقال:

(فذهب السيد محمد للحج، على طريق الصحراء، وكان ملوك الترك يخافون منهم أن يثوروا عليهم لكثرة أتباعهم من العرب، فعندما سمعوا بذهابه للحج، أمر الأمير حسين باشا، باي قسنطينة، أن يعترض طريقه عند قدومه ويوقفه، فلم يمكنه الله منهم في ذلك الوقت. فعندما رجع من الحج إلى بلاده، ظهر له أن ينزع الملك من أيدي الأتراك، فجمع عرب الصحراء، وجيش جيشا، وجعل يدا مع حشم غريس [3] لأنهم أصحاب فتن ومهما قام ثائر إلا وكانوا أنصاره [4] هذا وطن غريس مجاور لبلدة أم العساكر [5]. . . . فقد قدم إلى حشم غريس وبايعوه سرا. وكان خبره قد بلغ باي وهران، فكتب للأمير يخبره، وتحيروا كثيرا وانتظر الباي قدومه. فلما وصل إلى غريس، وأخذ يقاتل أهل معسكر، واستولى على أهل بعض الجهات بعث الباي المال لكبراء الحشم لكي يتخلوا عنه، وخرج إليه من وهران بالقوم وأمر المحلة أن تردفه، فأصبح الباي مقاتلا، وفر الحشم عن التيجيني وفر الكثير من جيوشه التي أتت معه، ولم يبق

(1) انظر (بغية المستفيد) للعربي بن السائح عند ترجمته للحاج علي التماسيني.

(2) لا تزال هذه الرسائل موجودة في خزائن زاوية تماسين وتاغزوت وعين ماضي.

(3) كان موقعهم بين معسكر وسعيدة، وقد عرفهم الشيخ الطيب بن المختار في تأليفه (القول الأعم في بيان ونسب الحشم) وهو الذي قال عنه سكيرج في(جناية المنتسب العاني): (أن مؤلفه تعرض فيه لشتم محمد الكبير وأطال فيه لسان القدح بما لا يصدر إلا من سفهاء الأحلام بما تقوله من التقولات التي لم تصدر إلا من جاهل أعمى البصر والبصيرة عياذا بالله منه ومن أمثاله) انتهى.

(4) تأمل هذه الجملة التي تظهر أن كاتبها كان من الموالين للأتراك وبالفعل فقد كان موظفا لبشوات الجزائر وتولى نقابة الأشراف بها.ولد سنة 1196هـ وتوفي سنة 1289هـ.

(5) أي مدينة معسكر بشمال الغرب الجزائري.

معه إلا نحو الثلاثمائة من أعراب زكور [1]، فثبت هو وثبت من معه من الأعراب ثباتا لم يثبته أحد. وكان من عادة هؤلاء الأعراب في وقت القتال أن يعقلوا أنفسهم مثل الإبل، وهكذا عقلوا أنفسهم وهو معهم، وقاتلوه قتالا شديدا، إلى أن قتلوا عن آخرهم. فقطعوا رؤوسهم وفرقوها على المدن لكي يعتبر الناس، وبعثوا برأس الحاج محمد ولد التيجيني ومعه بعض الرؤوس الأخرى للجزائر، وأتوا بسيفه وبعض الحجابات [2]، التي كانت عليه وفيها جداول من كل نوع، حتى أني رأيت جدولا منها على صفة السيف مكتوبا بالزعفران. وكان الباي قد بعث البشائر للأمير قبل قدوم الرؤوس، فعندما وصلت جعلوا رأس ولد التيجيني في عمود وصلبوه قبالة الباب الجديد، وعلقوا الرؤوس الأخرى حوله. ولكثرة ما كان الأتراك يخافونه، بعثوا للسلطان محمود [3] يبشرونه بقتله. وبعثوا له سيفه والحجب التي كانت معه، واحتوى الباي على أثقال التيجيني وأمواله، ورجع لوهران) انتهى.

ولم يعقب محمد الكبير سوى بنت صغيرة تسمى رقية، تزوجها بعدما كبرت ابن عمها أحمد بن محمد الحبيب فولدت بنتا تسمى فاطمة تزوجت بدورها محمد الكبير بن محمد البشير بن محمد الحبيب، ولم تعقب ذرية [4].

ونشير إلى أن خيانة أهل غريس لمحمد الكبير ربما كانت من أسباب توتر العلاقة بين الأمير عبد القادر ومحمد الحبيب فيما بعد، باعتبار أن جند الأمير كان جل أفراده من نواحي غريس. وقد بقي الباي حسن يتربص بالتجانيين ويحاول محاصرتهم في عقر ديارهم، غير أنه فشل أمام مقاومة محمد الحبيب له.

---

(1) كان أكثرهم من أبي سمغون ونواحيها.

(2) أي التمائم والتعاويذ.

(3) هو السلطان الخليفة العثماني محمود الثاني وكانت مدة حكمه طويلة كئيبة مضطربة تخللتها حروب خاسرة مع دول أوروبا وفوضى في الجيش.

(4) فجميع ذرية الشيخ أحمد التجاني هم أبناء ابنه الثاني محمد الحبيب - أو محمد الصغير - وقد ألف فيهم محمود بن المطمطية كتابا مخطوطا عنوانه: (أشرف الأوصاف في أبناء عين ماضي الأشراف).وراجع أسماءهم في(الشجرة التجانية) التي طبعت بفاس بأمر أولاد الشيخ الموجودين هناك.

الفصل الثالث

ـ الفتنة بين الشيخ محمد الحبيب والأمير عبد القادر الجزائري ـ

ولد محمد الحبيب سنة 1217هـ بفاس بعد حلول والده بها من أمه مباركة. تعلم القرآن والفقه في بيت والده وزاويته. ونشأ ميالا إلى العبادة والفروسية متخلقا بأخلاق رجال الفتوة. ولما استقر بعين ماضي بعد وفاة الشيخ بقي على صلة مستمرة مع الحاج علي التماسيني الذي قام بتربيته الروحية بالتوجيه والإرشاد والخلوات إلى أن رسخ في المعارف والأذواق الصوفية. واتصل به أصحاب الشيخ وأتباعهم من المغاربة والجزائريين والموريتانيين وغيرهم فأصبح أكبر زعيم ديني وقومي في الجنوب الغربي الجزائري.

ولما دخلت الجيوش الفرنسية للوطن وتزعم الأمير عبد القادر المقاومة في الغرب الجزائري أعانه بالأموال والأنعام [1] إلى أن وقعت معاهدة التافنا المعروفة بين الأمير وفرنسا في 30ماي1837م. وبعدها حاول الأمير توحيد كل مناطق البلاد التي لم يصل إليها النفوذ الفرنسي تحت قيادته.

---

(1) عندما تحاورت مع الأستاذ طالب عبد الرحمن مقدم التجانيين بوهران حول هذه النقطة قال لي: (عندي فقرة في هذا الموضوع أرسل بها إلى أحد السادة في عين ماضي، ولكن لم يذكر المرجع وإنما نسب ذلك إلى إحدى الوثائق ولم يفصح عنها وإنما قال: ومما عثرت عليه في إحدى الوثائق نص هذا ما جاء فيه:

« ما أعطاه سيدي محمد ابن سيدي أحمد التجاني إلى الحاج العربي ابن سيدي الحاج عيسى الأغواطي الذي بعثه الأمير عبد القادر بن محي الدين إلى سيدي محمد بن أحمد التجاني لمواجهة الفرنسيين. وقد أعطاها سيدي محمد بن أحمد عن رضا وهي خمسين ناقة وأمتين وخمسين شاة وألفين وعشرين دورو وعشرين أحمل من القمح وحصان أدهم. وقد أخرجوا هذا أولاد زيان وذلك سنة 1253هـ ».

لقد نقلت النص كما وجدته بالرغم مما فيه من الأخطاء النحوية).

وجاء في مخطوط كتبه أحمد بن عاشور السمغوني - وهو أحد أصحاب الشيخ التجاني - لا يزال موجودا في زاوية عين ماضي ويقع في 146ورقة أن: محمد الحبيب أمد الأمير في عام 1253هـ بمائة وإحدى وثلاثين ناقة وألف دورو ومائتي حمل من الخروف وحصان وخادم من عند عائلة الأرباع. كما ساهم أولاد زيان وهم العائلة الثانية في عين ماضي بمائة ناقة وألف دورو ورأسين من الغنم ومائة حمل من الخروف في دفع أولاد سيدي إبراهيم - وكلهم من عين ماضي - ستين ناقة. ويؤثر على محمد الحبيب أنه أخرج على أهل عين ماضي اثني عشر ألف زيال وفرس وخادمين سنة 1254هـ /1838م راجع الصفحتين 8 و 9 من المخطوط المذكور.

وهنا بدأ الخلاف بينه وبين محمد الحبيب الذي كان يرى أنه غير ملزم بالدخول تحت حكمه خصوصا وأن جهاده قد توقف. فعزم الأمير حينئذ على محاربته حتى يذعن له. ولنترك الكلمة الآن إلى صاحب كتاب (حياة الأمير عبد القادر) [1] وهو يقول في الفصل التاسع متحدثا على حوادث سنة 1938م (1254هـ):

(إن عين ماضي طالما حاصرها الأتراك في السابق، ولكنهم كانوا في كل مرة يفشلون. بل هاجم أخو التيجيني سنة 1826م الأتراك أنفسهم وهدد مدينة معسكر. وحينما جاء حسن باي وهران لنجدة معسكر، كان أخو التيجيني قد استولى على جزء منها ولكن التيجيني انسحب بقواته إلى سهل غريس ودخل مع خصمه في معركة، غير أنه انهزم وقتل. وتقدم الباي حسن إلى عين ماضي ولكن الحاج محمد، الذي خلف أخاه في رئاسة القبائل، اضطره إلى التقهقر. ومنذئذ أصبح الحاج محمد التيجيني نوعا من الحاكم المستقل صاحب السيادة، وقد كانت عين ماضي تحتوي على ثلاثمائة منزل فقط. ومع ذلك فقد كانت لها قصبتها - والسراي - وكانت محوطة بجدران كثيفة وأبراج وانتشرت من حولها البساتين التي كانت قادرة بدورها على الدفاع. والعين التي أعطت اسمها للمدينة (عين ماضي) كانت تدفع ماءها الرائق نحو القصبة بواسطة قناة خاصة. وكانت الآبار التي تجمع ماء المطر تكفي حاجة السكان. وقد كان عبد القادر ما يزال في المدينة عندما قدم عليه رجل من الأغواط [2] يسمى الحاج عيسى مصحوبا بعدد من رؤساء بني عراش لكي يقدم إليه الهدايا وخيول الطاعة وأعلن الحاج عيسى أنه، نظرا للتأثير الذي يملكه على معظم تلك القبائل فإن أغلبهم يرغبون في الاعتراف بعبد القادر سلطانا عليهم وأن عليه فقط أن يظهر نفسه بينهم لكي يستقبلوه بحفاوة. ولم يسع عبد القادر إلا أن يفتخر بهذا الاعتراف الذي اعتبره شهادة على ما بلغ إليه اسمه من تأثير في منطقة الأغواط. لذلك عين الحاج عيسى المذكور خليفة له على الأغواط وأعطاه منشورات لتوزيعها على بني عراش ودعاهم فيها إلى طاعة نوابه ثم ودعه مطمئنا له بأنه سيأتي شخصيا لقبول عروض الطاعة. لقد حان الوقت الآن لأن يضرب عبد القادر ضربته القاضية ضد التيجيني. ففي 12جوان 1838 م توجه إلى عين

(1) مؤلفه هو شارل هنري تشرشل الذي كان صديقا للأمير.وترجم الكتاب للعربية، وقدم له وعلق عليه أبو القاسم سعد الله. ومن ترجمته في الطبعة الثانية (الجزائر1982) نقلنا هذا النص.

(2) هو الحاج العربي بن الحاج عيسى الأغواطي شيخ قبيلته الشراكة التي كانت في صراع دائم مع قبيلة الغرابة الموالية للتجانيين.

ماضي على رأس جيش قوامه6000 فارس و3000 راجل وستة مدافع هاون وثلاثة مدافع ميدان. وقد وصل الجيش إلى عين ماضي بعد عشرة أيام من السير الشاق عبر رمال واسعة. وكان حضور عبد القادر فجأة قد أدهش التجيني الذي لم يكن مستعدا لمواجهة الحصار، والذي لم يكن لديه الوقت حتى لغلق أبواب المدينة وتنظيم السبعمائة عربي الذين كانوا في تلك اللحظة داخل السور. حاول التجيني بعض الوقت أن يدافع عن البساتين بمناوشات أثناء الليل واستطاع لمعرفته بالمواقع أن يعرقل تقدم العدو. ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل. فقد طوقهم جيش عبد القادر وجعلهم محصورين داخل الأسوار. ذلك أن السلطان قد أمر بقطع جميع الأشجار ونصب المدافع في الأمكنة التي خلت من الأشجار. وهكذا بدأ إطلاق النار. وفي اليوم الرابع أعلن المهندس الأوروبي [1] الذي كان يقود هذه العملية أنه يمكن الاجتياز إلى الداخل من الثغرات التي أحدثت في السور. وأجريت عملية إحصاء لمجموعة من المهاجمين استعدادا للاجتياز. ولكن الثغرات وجدت مسدودة في صباح اليوم التالي. واستمرت عملية فتح الثغرات وسدها دواليك. وفي اليوم الخامس عشر تحدى عبد القادر خصمه التجيني أن يخرج لمبارزته أمام الجيشين اللذين يشهدان هذا اللقاء. واقترح عليه بأن مصير عين ماضي يتوقف على نتيجة المبارزة ، ولكن التيجيني بالرغم من فتوته وشجاعته فضل الحذر ورفض اللقاء. ولم يسع عبد القادر إذاً سوى أن يبدأ الحفر. وفي الوقت المناسب وصل الحفر إلى السور. ولكن التجيني رد بحفر من جانبه، وخلال ذلك وقعت عدة اشتباكات هامة. وبهذه الطريقة، استمر الحصار عدة شهور. فالمدافعون الشجعان كانوا خلال ذلك يقترون أقواتهم من مخازن القمح والشعير الصغيرة التي لا تكاد الآن تحفظهم من الموت جوعا. أما المحاصرون فقد كانوا متوقفين في تموينهم على القوافل التي تصلهم من الشمال. ولكن حتى هذه القوافل كانت معرضة لهجومات المغيرين. ولذلك كان أكثر من 2000 فارس يحمونها باستمرار أثناء مرورها في الصحراء، ولم يفد الحاج عيسى بأي شيء وتبين أنه لم يكن أكثر من محتال. وأخيرا كاد الجانبان يموتان إعياء ونفذت جميع ذخيرتهما. وكان قلق عبد القادر شديدا. لقد سبق له في كثير من المناسبات أن واجه الصعوبات والمشاكل

(1) لاحظ كيف كان الأمير يستعين بالخبرة الأجنبية. والظاهر أن هذا الأوروبي هو الجاسوس الخائن ليون روش إذ هو الذي قسم جيش الأمير إلى أربعة أقسام وتولى بنفسه قيادة فرقة الكراغلة ووضع خطة الحصار.

ولكن لم يسبق له أبدا أن دخل في صراع له عواقب هامة كهذا الصراع [1] إنه يعلم أنه إن اعترف بفشله برفع الحصار فإن جميع الصحراء ستبقى خارجة عنه لذلك أعلن أنه يفضل الموت حيث هو على الاستسلام.

وفي هذه اللحظات الحرجة،اتصل عبد القادر دون انتظار ببعض إمدادات جديدة من الذخيرة وثلاث مدافع حصار من حلفائه الفرنسيين [2] وظهرت صعوبة دبلوماسية حول التفسير الحقيقي لبعض مواد معاهدة التافنه. وكان الحاكم العام يأمل أن يحصل على موافقة السلطان على تفسيره للبند المختلف عليه، لذلك تكرم عليه بهذه المساعدة في وقت ضيقه [3]. وقد حولت هذه المساعدة التي جاءت في الوقت المناسب ميزان القوة الذي كان ما زال يتأرجح [4]. لقد استسلم التيجيني، وفي السابع من نوفمبر 1838م، وقعت معاهدة بينه وبين مصطفى بن التهامي صهر السلطان، وبمقتضى هذه المعاهدة، تعهد التيجيني بالجلاء عن عين ماضي خلال ثمانية أيام وأن يذهب مع عائلته وأتباعه المقربين إلى الأغواط. أما ابنه الأكبر فقد ظل رهينة في يد السلطان، وعندما انتهت المدة المحددة دمر عبد القادر المدينة كلها وسواها أرضا. وقد أرسلت قبيلتان من بني عراش كانتا بالقرب من المدينة العشور والزكاة في الحال إلى عبد القادر ، ولكن بقية القبائل ظلت على رفضها. لذلك كان عليها أن تواجه مصيرا رهيبا) وهجم عليهم جيش الأمير بعد ذلك بعنف وهزمهم وأجبرهم على دفع مؤخر خمس سنوات حالا وفي عين المكان من العشور والزكاة، وعلى تقديم مساعدة تقدر 4000 بعير و30. 000 رأس من الغنم. وقد كان هذا إنذارا لبني عراش فأصبحوا منذئذ أكثر أتباع عبد القادر إخلاصا له وظلوا كذلك إلى آخر لحظة) انتهى.

(1) وفي هذا الوقت بعث الأمير برسالة إلى محمد الحبيب – لا تزال إلى الآن محفوظة في زاوية عين ماضي – يرجوه فيها أن يبعث له ابنه أحمد كرهينة ويرفع الحصار ولا يمس الرهينة سوء، وذلك حتى لا يقول الناس أن الأمير قد فشل وغلب على أمره.

(2) أمر بذلك الحاكم العام الجديد الجنرال فالي الذي خلف دامريمون.

(3) لم تساعد فرنسا الأمير في حربه ضد محمد إلا ليقينها بعداوته لها. الاتصال. تشهد بهذا عدة رسائل جرت بين محمد الحبيب والحاج علي التماسيني.

(4) طلب الأمير من محمد الحبيب مقابلته والسماح له بدخول عين ماضي. فرد محمد الحبيب على مبعوثي الأمير قائلا: (ليعلم سيدكم أنني لست ثائرا ولا عدوا ولكن صاحب طريقة لا تهتم إلا بالأمور الأخروية وأريد تفادي كل علاقة مع أمراء الأرض. وأؤكد من جديد نوايانا السليمة لكن إن ما أراد السلطان مقابلتي، عليه أن يخترق جدران مدينتي ويشق صدور خدمي).

وقد أعطى محمد ابن الأمير في كتابه (تحفة الزائر) تفصيلا أدق للمعاهدة، فقال:

إن الأمير سار إلى عين ماضي في 18ربيع الأول 1254 (12يونيو1838م) ثم كتب:

(وفي 19 نوفمبر بعث التيجيني إلى السيد الحاج مصطفى بن التهامي خليفة الأمير يستأمن على نفسه وأهله وسائر أهل الحصن ومن حضره من الحشود، وطلب مهلة أربعين يوما يتأهب فيها للانتقال والجلاء عن الحصن. فعرض الخليفة ذلك على الأمير فأجابه على شروط أولها: أن يدفع التيجيني مصاريف الحصار. الثاني: أن يكون مجبورا على إخلاء المدينة في برهة أربعين يوما. الثالث: أن يكون له حق يأخذ جميع أمواله المنقولة بلا استثناء الرابع: لأهل المدينة حق بمرافقة التيجيني بأموالهم وأسلحتهم. الخامس: أن يرفع الأمير الحصار عنهم ويرجع ثمانية أميال عن المدينة حتى تخلى. السادس: أن يكون ابن التيجيني عند الأمير رهينة إلى تمام المعاهدة. فقبل التيجيني الشروط المذكورة وأمضى عليها).

وخلال تنفيذ المعاهدة، تبينت للأمير حقيقة محمد الحبيب وعرف فضله وندم على نزاعه معه فرد إليه ابنه أحمد الذي بعثه إليه كرهينة وأرسل معه هدايا ورسالة لا تزال نسختها الأصلية محفوظة بزاوية عين ماضي. وها هي صورة منها وهي مكتوبة بخط يد الأمير وعليها خاتمه، وهي غنية عن التعليق ونصها:

(الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. وبعد، إلى السيد محمد الحبيب ابن العلامة السيد أحمد التجاني لقد وصلني جوابك الذي لا إيماء بعده، وبعد أن عجزت عن الولوج داخل حصنكم، وبعد أن أدركت حقيقتكم وعلمت أن ما دار بيننا إنما هو وشاية فقط وتدخل الفتانين بيننا، ولهذا فإني أرجو عفوكم عنا وهذه هدية متواضعة تصلكم مع ابنكم أحمد عساها تجدد الروابط الأخوية بيننا. من الفقير إلى مولاه، الفاني كثير الذنوب والأماني عبد القادر بن محي الدين المصطفى بن المختار عامله الله بلطفه في الدنيا ودار القرار. ثلاث وعشرون من ذي القعدة عام أربعة وخمسين ومائتي وألف. والسلام).

ومن ضمن الهدية التي بعثها الأمير لمحمد الحبيب علمين وسيف مذهب.

وأما الفتانون الذين ذكرهم الأمير في رسالته، والذين أفسدوا علاقته مع محمد الحبيب، فكان على رأسهم الحاج العربي ابن الحاج عيسى المذكور سابقا وخصوصا الجاسوس

الفرنسي الخائن ليون روش الذي أرسله الأمير إلى محمد الحبيب ليتفاوض معه.

رسالة الأمير عبد القادر الجزائري إلى الشيخ محمد الحبيب بن الشيخ أحمد التجاني

وفاة الشيخ محمد الحبيب

ذكر أحمد سكيرج في كتابه (كشف الحجاب) عند ترجمته لشيخه أحمد عبد اللاوي (1230 -1328 هـ) [1] وفاة الشيخ محمد الحبيب فقال:

(ولد – أي أحمد عبد اللاوي – رضي الله عنه وأطال حياته قبل وفاة سيدنا رضي الله عنه – أي قبل وفاة الشيخ أحمد التجاني سنة 1230هـ – بنحو شهرين. . . ثم أنه تربى في حجر الولاية ملحوظا بالعناية معظما عند الأقارب والأباعد منذ كان صبيا ملازما لدار سيدنا رضي الله عنه بعين ماضي، لا سيما سيدي محمد الحبيب ابن سيدنا رضي الله عنه، فإنه اتخذه أخا وصديقا وحبيبا ورفيقا، فهو خزانة أسراره وجليسه في المذاكرة والمسامرة في ليله ونهاره، إلى أن توفي سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه وهو عنه راض. وقد حدثني- أطال الله بقاءه – مما وقع له مع ابن سيدنا رضي الله عنه أخبارا كثيرة مما يدل على خصوصيته معه، قال: كنت في بعض الأيام مشتغلا بحفظ بعض المصنفات في النحو فرآني سيدي الحبيب رضي الله عنه فقال لي: اترك عنك هذا واقرأ ما يعود نفعه عليك. قال: فتركت ذلك امتثالا لأمره. قال: فبينما أنا معه في بعض الأيام جالس إذ قال لي: يا فلان – وسماه – إن عندي بعض أذكار الشيخ رضي الله عنه المكتومة التي لا ينبغي أن يطلع عليها الغير، وأريد أن أذكرها ولكني خفت من أن ألحن فيها، والآن أردت قراءة النحو. فلا بد أن نقرأ معا الألفية، قال: فصرت أكتب عشرة أبيات في اليوم وأحفظها، وهو يكتب أربعة أبيات فقط. فلما بلغت لباب حروف الجر نظرت إلى لوحه فوجدت فيها آخر الألفية، فتعجبت من ذلك، وقلت له: يا سيدي ما هذا؟ فقال لي: أنا لست مثلك أنام الليل كله، وإنما أنام ساعة واحدة فقط وأشتغل بما أنا بصدده. قال: ثم اشتغلنا بقراءتها تدريسا على العلامة سيدي أحمد بن عاشور رحمه الله إلى أن توفى رحمه الله.

وحدثني أيضا أن العدو – أي حكام فرنسا – كتب إلى ابن سيدنا رضي الله عنه من الجزائر رسالة مضمونها: نطلب منك أن تقدم للجزائر لنتبرك بك قال: فلما حلت بيده الرسالة، دخل لبستانه وأمرني بالدخول معه ثم قال لأحد خدامه: سد الباب ولا تترك أحدا يدخل علينا. فلما اطمأن بنا الجلوس التفت إلي وقال لي: يا فلان إن البغلة ولدت. فقلت له: وما ذاك؟ فقال لي: قد وقع كذا كذا ، وقد عرفت مقصوده ، جاوبه

---

[1] انظر صفحات 178 – 200 – 201 – 202 - (من كشف الحجاب) لسكيرج.

وقل له: إني لا آتي إليه أبدا وإن ضيقت علي في هذا الوطن فأرض الله واسعة. قال: ثم افترقت تلك الساعة معه. وكنت في الغالب أتعشى معه إلا في ذلك اليوم فإني لم أملك نفسي من شدة الهول الذي داخلني من أجله. وبقيت متحيرا في هذا الأمر. وفي غير ذلك اليوم بعث إلي، فلما جئت إليه، قال لي بعض الخدام: ما لك لم تأت البارحة في العشاء فإن ابن سيدنا إلى الآن لم يأكل شيئا ولم يدر أحد ما سبب ذلك. فلم تمض أربعة أيام عليه حتى قبضه الله إليه). انتهى من (كشف الحجاب) الذي طبع لأول مرة عام 1325هـ.

خلفاء الشيخ محمد الحبيب في زاوية عين ماضي

عاش الشيخ محمد الحبيب بعد والده الشيخ أحمد التجاني نحو 40 سنة ذهب خلالها إلى الحج ، وتوفي بعين ماضي سنة 1269هـ ودفن حذو ابنه المتوفى في حياته، وضريحه مشهور يزار. وقد خلف ابنين صغيرين أكبرهما أحمد عمار واسم أمه العافية، والثاني البشير واسم أمه أفريحة[1].

ولما شب أحمد عمار تولى مشيخة زاوية عين ماضي ، واتهمته فرنسا بمساندة ثورة قبيلة أولاد سيدي الشيخ ضدها ففي أواخر شهر جانفي1869م، اتجه زعماء الثورة إلى زاويته بعين ماضي فأحسن استقبالهم وأمدهم بالمعونة. وفي أم دبدب غير بعيد من عين ماضي، وقعت معركة بين قائد الثوار(سي الأعلى) والضابط الفرنسي(صوني) يوم 1 فيفري من نفس السنة ، وأوقف أحمد عمار لاتهامه بالتواطئ مع الثوار [2]. واحتجزته الحكومة وذهبت به إلى المنفى في فرنسا. وهناك تعرف بفتاة فرنسية فتزوجها حفظا لدينه وصونا لنفسه ، ونسخة عقد الزواج لا تزال محفوظة بزاوية عين ماضي، وقد تم بمحضر شهود مسلمين أمام المفتي الحنفي في شهر غشت عام 1871 م، وبقيت زوجة له مع زوجاته إلى أن توفي سنة 1314هـ بزاوية قمار ودفن بها. ثم نقلت زوجته تلك جثمانه من قمار إلى قصره بكوردان في ناحية عين ماضي. وقيل أن هذه الزوجة الفرنسية قد أسلمت وأعلنت ذلك أمام الجميع وأوصت أن تدفن مع

(1) كما خلف أربعة عشر بنتا تزوجن بأولاد الحاج علي التماسيني. راجع أسماء ذرية محمد الحبيب في آخر مذكرة ماجستير بن يوسف التلمساني التي عنوانها: (الطريقة التجانية وعلاقتها ببايلك الغرب والأمير عبد القادر) معهد التاريخ بجامعة الجزائر. 1986- 1987.

(2) انظر كتاب (ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين) ليحي بوعزيز الطبعة الأولى 1400 هـ - بالجزائر- ص 164.

المسلمين.

وبعد وفاة أحمد عمار خلفه في مشيخة الزاوية أخوه محمد البشير الذي ولد في سنة 1266هـ، وسلك الطريق الصوفي على يد الشيخ محمد الصفير بن الحاج علي التماسيني. وتوفي في فاتح جمادى الثاني ليلة السبت سنة 1329هـ. فخلفه ابن أخيه علال بن أحمد عمار. ولما توفي خلفه محمد الكبير بن محمد البشير المذكور، وبعد وفاته خلفه أخوه محمود، وبعده تولى المشيخة الطيب بن علال بن أحمد عمار سنة 1935م وأعانه في إدارة الزاوية ونشر الطريقة ابن عمه الحاج ابن عمر بن محمد الكبير. وقد قام الطيب في سنة 1947م برحلة دامت ستة أشهر إلى السينغال وموريتانيا وغينيا وكامبيا. كما قام الحاج بن عمرو سنة 1948م برحلة جال فيها في إفريقيا السوداء ومصر. وقيل إن خلال هذه السياحات أسلم على يد الطيب وابن عمر أعداد كبيرة من الأفارقة.

ولما اندلعت ثورة التحرير الجزائرية سنة 1954م اتصل زعماء الثورة بشيوخ زاوية عين ماضي وزاوية تماسين، وتم الاتفاق بينهم على التعاون الخفي وتعميته بنوع من التسامح الظاهري مع السلطة المستعمرة. لكن، رغم ذلك، ألقي القبض على الحاج ابن عمر وزج به في السجن، كما سجن أبناء الشيخ أحمد بن حمه رئيس زاوية تماسين ، واستشهد بعض مقدميهم وكثير من أتباعهم.

وفي عام 1976م وبعد وفاة الشيخ الطيب، خلفه على مشيخة زاوية عين ماضي السيد علي بن محمود بن محمد البشير المذكور سابقا. وقد قام هو أيضا برحلات، منها رحلته التي زار فيها سبعة دول أفريقية. والأخرى زار خلالها مصر والسودان ، وتوفي السيد علي عام 1410 هـ ودفن مع أسلافه بعين ماضي، فخلفه الشيخ عبد الجبار حفيد علال بن أحمد عمار على رئاسة الزاوية إلى أن توفي في شوال 1426 هـ وخلفه محمد بن محمود بن محمد البشير المذكور.

ونختم هذا الفصل برسالتين يظهر منهما مدى وسع الولاء الروحي عبر أصقاع العالم لبعض شيوخ التجانية خصوصا أبناء الشيخ أحمد التجاني بزاوية عين ماضي. وهما موجهتان لشيخها السابق علي بن محمود بمناسبة توليه المشيخة سنة 1394هـ وقد توفي سنة 1410هـ. الرسالة الأولى من الشيخ محمد التجاني المصري بعثها باسمه واسم أتباعه في 15 قطرا. والرسالة الثانية من الشيخ عبد العزيز سه السنغالي باسمه واسم أتباعه في 16 قطرا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

[illegible]

وخليفة الحضرة النورانية سيدنا [illegible] سيدنا الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه [illegible]

[illegible] سيدي أحمد التجاني رضي الله عنهم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

[illegible]

[illegible] وغيرهم.

[illegible]

ومن أحب التوسع في الاطلاع على علاقات التجانيين في عين ماضي مع الترك ومع الأمير عبد القادر فلينظر المراجع التالية:

1- (الطريقة التجانية وعلاقاتها بابلك الغرب والأمير عبد القادر 1782-1839) وهي مذكرة ماجستير أعدها يوسف التلمساني تحت إشراف الأستاذ ناصر الدين سعيدوني. وهي من منشورات معهد التاريخ بجامعة الجزائر. (86-1981).

2- (وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، ويليه ديوان المعسكر المحمدي الملياني) لقدور بن رويلة. تحقيق وتقديم ابن عبد الكريم محمد، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1986.

3- (أنيس الغريب والمسافر) لمسلم بن عبد القادر الوهراني. تحقيق وتقديم بونار رابح، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1394هـ /1974م.

4- (دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران) تعليق وتقديم المهدي بوعبدلي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1398هـ /1978م.

5- (رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي) تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، القاهرة، عالم الكتب 1969م.

6- (المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر) للعربي إسماعيل، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ،1982.

7- (مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب) ليوسف مناصرية، مذكرة ماجستير ، معهد التاريخ الجزائر، 1981.

8 - (Trente deux ans à travers l'Islam) par Léon ROCH Paris 1884 - 1885.

9 - (Aurélie Tidjani: princesse des sables) par Mathé Bassène - les petits fils de Plon 1925.

- (L'Algérie à l'époque d'Abdelkader) collectivité de documents inédits Paris 1951. Par Marcel Emerit.

10 - (L'Emir magnanime Abdelkader le croyant) par Philippe d'Estailleur librairie Artheme Fayard 1959.

11 - (Un été dans le Sahara) par Eugène Fromentin librairie - Plon Paris 1856.

12 - (Les confréries islamique en Algérie Rahmaniya - Tidjania) par Marcel Simian - Jourdan 1910.

13 - Revue Africaine N° 47 Mars 1864, PP 354 - 371 Siège d'Ain Madi par l'Emir.

- Revue Africaine N° 48 Nov. 1864, PP 434 - 453 Siège d'Ain Madi par l'Emir. (Arnaud).

14 - Algérie actualité N° 1121 (9 - 15) Avril 1987 PP 20 - 22; Tidjani (Abed et Stambouli).

الفصل الرابع

الحاج علي التماسيني و خلفاؤه من ذريته بزاوية تماسي

وفي الوقت الذي كان فيه محمد الحبيب محاصرا، وبعد ذلك بعدة سنوات، كان شيخه الحاج علي التماسيني هو أيضا في حرب ساخنة مع حكام تقرت من بني جلاب [1] الذين اشتهر المتأخرون منهم بالظلم الفاحش والطغيان. وسبب تلك الحرب، أن أحد أفراد الأسرة الحاكمة بتماسين قتل رجلا من أسرة الجلالبة ، فعزم حاكم تقرت الجلابي على الانتقام من عائلة القاتل وذلك بقتل جميع أفرادها. فاستجار هؤلاء بالشيخ الحاج علي بزاويته بتملاحت، فاتصل بحاكم تقرت قائلا له: (الشريعة لا

---

(1) هم من بني مرين. وسموا بذلك لأن أوائلهم كانوا يأتون بالجلب - أي قطعان الأغنام - إلى تقرت ويبيعونه لأهلها حتى تمكنوا منهم فاستولوا على الحكم وازدهرت دولتهم ، وكانت مستقلة عن الحكام الأتراك، وتولى أمرها في البداية أمراء صالحون، وامتد نفوذهم إلى وادي ريغ ووادي إيغاغار ونواحي الجريد.ثم أخذت دولتهم تتضاءل حتى أصبحت لا تشمل إلا مدينة تقرت وضواحيها. فالجلالبة حكموا تقرت ونواحيها من القرن 15إلى القرن 19. ومؤسس هذه الإمارة هو الحاج سليمان المريني الجلابي الذي حكم من 1414م إلى 1431م، مخلفا ابنه علي ثم حفيده أحمد. وقد غزا صالح رايس تقرت سنة 1552م أيام أحمد بن سليمان. وفي عهد صالح بن مصطفى باي قسنطينة (المولود سنة1725 م)، الذي حاول توحيد مختلف المناطق الجزائرية باحتلال الأغواط ونواحيها تاجموت وعين ماضي في سنة 1785 م، ثم انضمام بلاد ميزاب للسلطة التركية المركزية بالعاصمة، رأى ضم سلطنة بني جلاب إليها فهاجمها، لكنه ارتد عن أسوار تقرت أول مرة إذ كان دفاع أهلها تحت إمرة الشيخ فرحات بن جلاب قويا عنيفا.ثم عاد إليها سنة 1789 م، واستدعى رؤساءها إلى قرية زريبة الوادي للتفاوض معهم.وانتهى الأمر بدخول ناحية تقرت ضمن السلطة التركية ، وبقيت محافظة على نظامها الداخلي تحت قيادة عائلة بني جلاب إلى سنة (1853م / 1271 هـ) حين وصلت الجيوش الفرنسية إلى نواحي تقرت. وكان صاحب أمرها في ذلك الوقت الشيخ سليمان آخر الجلالبية الذي استنجد بأهل سوف لمقاومة الفرنسيين ، وذهب إليه منهم جمع غفير. ووقعت المعركة بين المحتلين ورجال الوطن انتهت بانهزام جيش سليمان الذي فر إلى تماسين فاختفى فيها أياما ثم انتقل إلى الوادي بسوف ومكث فيه مدة ثم رحل إلى تونس ولم يعد منها. ثم قدمت قوات الاحتلال إلى سوف واحتلتها وولت علي باي بن فرحات قائدا على تقرت ووركلة ووادي سوف ونواحيها. فعاث فسادا وطغيانا..وحكمت تقرت أميرات أيضا منهن عيشوش أرملة عامر وذلك ما بين 1833 و1840 م.

تجوز لك أن تقتل أحدا سوى القاتل عمدا وظلما) فرفض الحاكم الجلابي ذلك وقر قراره على محاربتهم جميعا. واندلعت الحرب بين الفريقين، واستنجد الحاج علي برجال وادي سوف فأعانوه. وبقيت المعارك بين كروفر إلى أن انهزمت جيوش بني جلاب

ثم واصل الحاج علي مسيرته في الدعوة إلى الله وقصده الناس من الافاق البعيدة للأخذ عنه، وانتشرت على أيدي مقدميه الطريقة انتشارا واسعا. وعاش الحاج علي طول حياته فلاحا، فكان شديد الاهتمام باستصلاح الأراضي في ضواحي تماسين، فجلب لها المياه وشجرها بالنخيل حتى قيل أنه غرس بنفسه خلال حياته أربعة عشر ألف نخلة. وبفضله ازدهرت الفلاحة والحياة الاقتصادية في تلك المنطقة خصوصا بعد أن أصبحت تماسين محطة واصلة بين تجار الشرق الجزائري وأقصى الجنوب الصحراوي. ويحكى أن أحد سكان بلاد الجريد التونسي جاء يوما للحاج علي طالبا منه علم الكيمياء الذي كان يزعم أنه يحول النحاس إلى ذهب. فقال له الشيخ: نعم، انتظرني بكرة يوم غد، وعند الموعد انطلقا معا إلى أحد البساتين التي شجرها الشيخ بنفسه ثم تسلق إلى عدة نخلات مختلفة الأنواع وأتى بحفنة منها ورماها في حجر التونسي قائلا له: هذه هي الكيمياء يا مسكين. خذ ما يلزمك من البستان وانطلق إلى بلادك وافلح أرضك. وفهم الرجل مقصود الحاج علي ونفذ وصيته وبارك الله له في عمله فأصبح من أكبر فلاحي الجريد وخلف لأبنائه بساتين وارفة الظلال لا تزال باقية إلى اليوم.

وكان شعار الحاج علي في حياته، وهو الذي كان يوصي به أتباعه هو: (عليك باللويحه والمسيحه والسبيحه حتى تخرج الرويحه) أي عليك بالعلم والعمل والعبادة حتى تموت.

ونشير إلى أن شيخ الطريقة العزوزية الرحمانية الشهير الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز البرجي(1220-1282 هـ) برغم أنه كان من زعماء الرحمانية الخلوتية فقد ذهب إلى الحاج علي بتوجيه من شيخه خليفة والده الشيخ علي بن عمر (1166-1258هـ) مؤسس الزاوية العزوزية بطولقه، وبقي بصحبته في تماسين، حتى أمره الحاج علي بالذهاب إلى نفطة بالجنوب التونسي حيث أسس زاوية رحمانية أصبحت مركزا علميا كبيرا وملجأ للثوار الجزائريين واللاجئين.

وبعث الحاج علي أيضا المقدم الطاهر بن عبد الصادق القماري إلى توزر

حيث أسس زاوية تجانية ونشر الطريق في تلك النواحي. وأرسل كثيرا من المقدمين الآخرين إلى آفاق مختلفة لتأسيس زوايا ومدارس قرآنية. وعندما سمع بدخول الجيوش الفرنسية للجزائر وتوغلها نحو الجنوب دعا الله أن لا يريه وجه نصراني. وحقق الله أمله فتوفي يوم الثلاثاء 24 صفر سنة 1260هـ الموافق 28 فبراير سنة 1844م وله من العمر ثمانون سنة مثل عمر شيخه أحمد التجاني.

وجاء محمد الحبيب ابن الشيخ أحمد التجاني من عين ماضي إلى تماسين لتعزية أسرة الحاج علي، وأصبح هو أكبر خليفة له في الشمال الإفريقي.

خلفاء الحاج علي على زاويته بتماسين

بعد وفاة الحاج علي التماسيني سنة 1260هـ أصبح محمد الحبيب ابن الشيخ أحمد التجاني أكبر خليفة للطريقة في إفريقيا الشمالية، إلى أن توفى سنة 1269هـ وقد خلف الحاج علي اثنين وعشرين ولدا [1] كان أوسطهم محمد العيد الذي ولد سنة 1230هـ وهو الذي تولى مشيخة زاوية تماسين. وعند وفاة محمد الحبيب أصبح هو بدوره أعظم شيوخ التجانية في الجزائر، وتوسعت في عهده الطريقة خصوصا في القطرين الجزائري والتونسي وفي إفريقيا السوداء. وبنى العديد من الزوايا والمساجد وازدهرت زاويته بتماسين وتوسعت وامتد نفوذها الروحي ونشاطها الاقتصادي، وذهب محمد العيد إلى الحج من طريق تونس واجتمع في حجه بشيخ الأزهر إمام المالكية

(1) منهم:أربعة عشر ولدا ذكرا تزوج بعضهم ببنات محمد الحبيب ابن الشيخ احمد التجاني، وثماني بنات تزوجن برجال من أولاد السائح، وهم أشراف النسب أيضا. ومن أراد التوسع في معرفة تراجم وتاريخ الحاج علي وأبنائه وخلفائه فليراجع كتاب: (غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين) وكتاب: (مجالس الأنس في تراجم الخلفاء الخمس) وهما مخطوطان، ومؤلفهما محمود بن المطمطية القسنطيني، وكتاب (تاريخ علي بلكاسم التونسي) وهومخطوط في عدة مجلدات بزاوية تماسين. وللمقدم محمدي العروسي السوفي كتاب مخطوط أيضا في تراجم شيوخ الطريقة بتماسين ولعله يكون موجودا في فزانة المخطوطات بزاويتها. وأولاد الحاج علي التماسيني الذكور هم: 1- أحميده (1198-1277) - 2 - الطاهر(1204-1280) - 3 - الزاوي(1212-1262) - 4 - خليفته الأول الشيخ محمد العيد (1230-1292) - 5 - الخليفة الثاني محمد الصغير (1232-1309) - 6 - علي الأول (1238-1300) -7 - محمد الحبيب (1239-1280) - 8 - ابن سالم (1239-1273) - 9 - الأخضر (1239- 1292) - 10 - خليفته الثالث معمر (1241-1310) -11- خضاري(1243-1295) - 12- محمد نوارة (1248-1291) - 13 - محمد الصولي (1259-1314) - 14 - أحمد (1259-1260) - 15 - علي الثاني (1259-1260) وللتعريف بهم كتب مقدم تقرت الحاج خميس رسالة مفصلة إلى الشيخ محمد الحافظ التجاني المصري.

الشيخ عليش، وأخذ عنه في رحلته هذه بعض الرجال الطريقة. وبعد أن قضى نحو 33 سنة في المشيخة توفي سنة 1292هجرية (1875م) بتماسين ودفن حذو والده. وخلفه أخوه محمد الصغير إلى أن توفي سنة 1309 (1892م) بعد أن مكث في خلافته 16سنة، فخلفه أخوه معمر الذي بقي شيخا مدة عامين حيث توفي سنة 1310 (1893م). فخلفه السيد حمه بن محمد العيد المذكور فبقي في الخلافة التجانية 21 عاما وتوفي سنة 1331هـ 1912م. فخلفه ابنه البشير وتولى المشيخة مدة 6 سنين وتوفي سنة 1336هـ 1918 م. فخلفه ابنه محمد العيد الذي مكث في إدارته للزاوية والطريقة مدة 9 سنوات وتوفي سنة 1345هـ1927م. فخلفه عمه السيد أحمد بن حمه فمكث في خلافته على الطريقة وزواياها 53 سنة وتوفي سنة 1398هـ 1978م. فخلفه البشير بن محمد العيد السابق وهو سابع الخلفاء وتوفي ليلة السبت الثاني من شوال 1420 (8 جانفي2000 م) وخلفه ابنه محمد العيد الشيخ الحالي لزاوية تماسين وفروعها، وقبل أن يتولى المشيخة كان أستاذ العلوم الفيزيائية بجامعة قسنطينة.

ونواب هؤلاء الشيوخ في زاوية قمار هم بالتسلسل: الشيخ حمة العروسي (توفي سنة 1919) ابن الشيخ محمد الصغير بن الحاج علي التماسيني، ثم ابنه محمد السائح (1945) ثم أخوه الأخضر (1956) ثم ابن أخيه غزالي بن البخاري بن حمه العروسي (1958) ثم أخوه معمر (1986) ثم ابنه محمود (1993) ثم ابن عمه علال بن محمد الصغير.

وبفضل نشاط هؤلاء الخلفاء ومقدميهم، دخل كثير من الناس إلى التجانية حتى بلغ عدد معتنقي الطريقة في الجزائر وحدها في بداية منتصف القرن العشرين الميلادي نحو المائة ألف شخص [1] منهم عدد معتبر من العلماء والأئمة والأدباء والشعراء والفقهاء والمفتين سنذكر بعضا منهم في فصل آخر.

ولنذكر الآن نص إجازة الشيخ أحمد بن حمه التجاني للسيد محمد الحافظ التجاني المصري، وقد تلقاها هذا الأخير من الشيخ المذكور لما زاره في زاويته بتماسين سنة 1356هـ وهي نموذج للإجازات التي يأخذها شيوخ التجانية عن بعضهم البعض، ونصها [2]:

(1) انظر الأعداد التي ذكرناها في هذا الموضوع في الكتاب المطبوع سنة 1956بالجزائرتحت عنوان:
(Les Confreries religieuses Musulmanes par P.J André - P: 297 - 290.

(2) نقلته من الرحلة المخطوطة التي كتبها المقدم محمدي العروسي الذي كان ساكنا بالوادي وفيها

(بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله المحمود بنعمه المتقرب إليه بكرمه، المتودد إليه بتوفيقه بإمداده، المتعبد إليه بهدايته وإسناده، رب العالمين، الله الوجود المطلق، وسيد الكون وباريه، المفيض عليه بوابل كرمه المغدق، أبرزه من العدم إلى الوجود برحمته ومشيئته، وسيره كيفما شاء بحكمته، الرحمن بجلائل النعم عليه بلطفه، الرحيم بخصائص الكرامة بعطفه ملك يوم الدين يوم لا ملك ولا مالك إلا جلاله وجماله، ولا كرم إلا كرمه وإفضاله، يوم الجزاء العدل، والاختصاص والفضل، يوم ظهور الحقائق، وصدق الوعد والوعيد، يوم تتجلى فيه الربوبية بكل أسمائها، يسود فيه الحق الصادق، إياك نعبد ونخضع ونخنع ونخشع، وأنى لنا كنه ذلك إلا بنور من حنانك وعطفة من قبولك، وإياك نستعين طالبين من باب فضلك أفضليتك أن تمدنا بإعانة ونور من مشكاة هديك حتى نتبع من نبراس مصباحها الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، فلا نلتفت إلا بنيات منه، وهو صراط الذين أنعمت عليهم بالأفضلية والاختصاص، وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وثبتنا فيه حتى تخلص وجهتنا إليك يوم ترضى علينا رضا لا سخط بعده. وجنبنا بسابق سعادتك صراط المغضوب عليهم لجهلهم بسلطان جبروتك بحكم الشقاء السابق عليهم، ولا الضالين في مجاهل الغواية لانقطاع أنوار الملة عليهم ، ولتوقف عنان التفكير الصادق الذي يميز النتائج الصحيحة من السقيمة، ويحجب تجلي شموس المعارف عليهم بسحب الأغراض لتصعد أبخرة الشهوات النفسية، وتحكم الظواهر الحسية وندرة البواعث العلمية. اللهم صدق رجاءنا فيك، وحقق آمالنا وتقبل منا إنك أرحم من أن ترد السائلين آمين. اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم. وبعد، فإن سيدنا ومولانا ونعمة الله علينا التي أسدى إلينا وأولانا، الشيخ سيدي أحمد بن محمد بن محمد العيد التجاني شيخ الطريقة التجانية بزاوية تماسين والمتلقي سند أسلافه بالحقيقة والتمكين المجاز بأعلى سند معنعنا مسلسلا صحيحا، قد أذن وأجاز وأطلق بكله الأستاذ الأكبر والشيخ الأشهر حامل لواء الطريقة وناصر كتيبة

-

وصف لزيارة محمد الحافظ المصري لقطر الجزائر سنة 1356هـ.وهي محفوظة في كناش بزاوية تاغزوت. ونشير إلى أن المقدم المذكور وكذلك مقدم زاوية البياضة (قرية قرب الوادي) السابق العيد بن يمينة لهما تقاييد وتآليف جمعها في خزانته بتماسين الخليفة السابق أحمد بن حمه المتوفى في1978 م.

الحقيقة، سيدي محمد الحافظ بدر الديار المصرية، ومظهر بها الأنوار الأحمدية، إجازة مطلقة في التقديم، وفي الأوراد اللازمة والاختيارية ذكرا وتلقينا، ويقدم لمثلها تنزلا أبديا بكل ما في جواهر المعاني، وما ثبت عن الشيخ صحته، ما عدا أوراد السلوك من الفاتحة بنية كذا[1]، وهو ومتلواته، والخلوات والأسماء الإدريسية بالخصوصية العليا، فإن ذلك منوط بالتربية والاستسلام، فلا تكتبه الأقلام، ولا يؤخذ بالأحلام ولا ينقل من الأوراق، بل يؤخذ من الأحداق، ويؤخذ من الأرواح بالأذواق، بالصريح، لا بالإشارة والتلويح. ولقد عن لنا أن نذكر نبذة وجملا تناسب المقام:

اعلم - وفق الله الجميع - وأمدنا بمحض فضله بسابقية السعادة - أن هذه الطريقة الأحمدية التجانية بروزها من الحقيقة المحمدية، ومن الحقيقة الأحمدية، والجذبة الأحدية، من الدائرة الأفضلية بمنته سبحانه وبمحض كرمه لا بعمل ولا استحقاق، وأنى لعامل أن يدرك كنه هذه الدرجات. فكل من ثابر على هذا الورد المحمدي المعلوم، بسند صحيح مفهوم وصدق وعده، ووقف عند أوامره ولم يتجاوز حده، مراعيا حرمة الشيخ فيه وفي أصحابه، موفيا حق المرتبة في جميع أحبابه، لا بد أن يفتح الله عليه ويجذبه بجذبة الاصطفاء إليه، وعدا صادقا من سيد الوجود صلوات الله وسلامه عليه ولا سيما إذا ألزم نفسه بصلاة الفاتح وردا معينا في أوقات ثلاث، الصبح والمساء وجوف الليل، متبعا وصايا الشيخ في جواهر المعاني، فتلك درج الترقيات، فيبعث الله له أخا ناصحا من أهل طريقته، فيأخذ بمجامع قلبه، فتضمحل البشرية من تفكيره، فلا يرى منه إلا خصوصية محضة، فيأخذ بيده ويوصله إلى مأمنه. ومهما مريد تعلق بالبشرية، أقعدته بأرض الشبهات واستحلت النفس مرعى الشهوات، وعسر عليها الفطام فشبت في رضاع الهوى، ورتعت في رياض الغرور الزائلة، فظنت السراب ماء والأرض سماء فخسرت حالها ومآلها، ومهما مريد عاتب نفسه ونسب إليها القصور، وعلم أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وأنه لا يصل إلى مولاه إلا بواسطة ممن قربه واجتباه، فتجرد من كل مخيط ومحيط واغتسل بماء التوبة والاستغفار، وأحرم بالتلبية أمام الواحد القهار، قيض الله له مطوفا يدعوه ويدعو له، ويريه المناسك، فيدخل بيت ربه بدليل، ويصلي في مقام من دخله كان آمنا، ويبلغ المنى، ويتم حجه الأسنى، فينادي: أرضيتموني ورضيت عنكم وذلك آخر ما يتمنى، قد علم كل أناس

(1) أي بنية تلاوة وذكر الاسم الأعظم.

مشربهم، ولكل مشرقهم ومغربهم، وحصول ذلك بالإذن الذي نادى الأرواح قبل وجود الأشباح بقوله: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ [الحج: 27].

هذا وإن الإمام الأكبر، والملاذ الأفخر، والعلم الأشهر، ختم الأولياء، وممد الخاصة العليا أبا العباس أحمد بن محمد التجاني - أمدنا الله من فيضه وسقانا من بحره بأعظم الأواني - لما شد لعالم الروح الرحال، وأذن بدر وجوده بالترحال، أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنصيب خليفة على كرسي منصته الشريفة، على خصوص الطريقة وعمومها، ولتوضيح معالمها ورسومها، أرسل بالليل إلى الخليفتين الكبيرين أحدهما سيدي محمود التونسي وثانيهما سيدي الحاج علي ابن الحاج عيسى التماسيني الشريف الحسني ثم الينبعي، يصحبهما المقدمين الكبيرين وهما: سيدي الطاهر بن عبد الصادق القماري وسيدي أحمد بن سليمان التاغزوتي وأفراد أخر، فلما مثلوا بين يديه تكلم الشيخ إلى سيدي الحاج علي المذكور وقال له: إني راحل، وهذا الأمر ولا بد يتلقاه حي عن حي وقد أهلك الله له فتلقه. فبكى المخاطب واعتذر فأجابه الشيخ بقوله: أبى الله ورسوله إلا أنت. فأوصاه بداره وأهله وأولاده وصية مطلقة أبدية وبرفعهم إلى الصحراء، وأطلق له الإطلاق العام التام الذي لا تقييد يعقبه، وقد كان في حياته مقيدا. ثم أمره بالخروج من البلد هو وصاحبه وقال لهما: لو حضرتما لوفاتي فلا تنتفعا بشيء. فخرجا مسرعين إلى قريتين ورجعا بعد دفنه كما هو مذكور. ثم انتصب للتربية بالسلوك وانتفع به المليك والمملوك، فظهرت كراماته، وترقت في المعالي مقاماته، فكان سنده في الطريقة هو الخصيص وهو السالم من العلة والتنقيص، وهو المنهل لكل وارد، وأعذب من الماء السلسبيل البارد، فتخرج عليه جماعة أقطاب، فهم أعلام في كل قطر، والدعاء عندهم مستجاب. فتلميذه الأكبر هو أستاذنا وقدوتنا وسيدنا وابن سيدنا المولى محمد الحبيب ابن القطب المكتوم، رباه بالهمة والحال، وبالخلوة والسلوك فتبحر منه، وذلك مذكور في كتابنا (نزهة الناظر). وسند داره: أسنده إطلاقا وعموما بكل ما تقتضي المرتبة من التصريف إلى أوسط أولاده وإمامهم في حياته الأستاذ الأكبر سيدنا محمد العيد، فكان يقدمه للصلاة على العموم، وإمامه بالخصوص ابنه الذي يليه سيدي محمد الصغير. فلقن كلاهما خلافة عامة بتربية تامة تصريحا، وأمرهما بكتم ذلك حال حياة ابن سيدنا المذكور أدبا معه. ولما جاء سيدنا المذكور للتعزية في شيخه المذكور ولترتيب الزاوية، وجد تنظيما فوق الرضا، فتمم للأستاذ التتميم في المجموع العمومي، وحضر ذلك وجوه الأحباب وخواص الطريقة

من الأباعد والأقارب. . . فتبحر الأستاذ الخليفة وسمت رتبته المنيفة فمكث ثلاثا وثلاثين سنة وانتفع به كل قصره وعصره فانتصب بعده أخوه المذكور معه فكان علما أشهرا وأستاذا أظهرا. فتبحر وسلك ولبث سبع عشرة سنة ثم لحق سلفه. فخلف أخاه الأستاذ معمر ذي المزايا الجمة، فما برح أن لحق بسلفه بعد سنة ونصف، فتخلف المجدد الأكبر، والمربي الأشهر سيدنا محمد حمه ابن الخليفة الأول سيدنا محمد العيد بسند أبيه العام، فكان المعبر عنه بسيدي الحاج علي مربي السالكين وحجة المهتدين، انتفعت به الطريقة انتفاع الأرض بالأمطار، فتخلف عليه كثير من الناس من الحاضر والبادي، فتلقى مكانته الشماء نجله الغطريف سيدنا محمد البشير ذو المكانة القعساء، فعم وابله الروابي والبطاح وهمر سيله كل منهج وساح، ففيضه لم يقف عند حد، ولا يتقيد بنقد، منحة الله على عباده وعطفه إليهم إلى بلوغ مراده، غنيمة بغير قتال، وعطية بغير سؤال، فلله الحمد والشكر وله المنة وجميل الذكر، فبصر الأعمى، وأورق اليابس من غرس الحمى، ففاضت الأسرار وارتوت الأرواح من وابل الأنوار، وخص وعم قبالة أسرته ومن حوته حجرته، ومن صحبه ربح، ومن تبعه نجح، فلقن جماعة، ولحق سلفه مرضيا عند الجمهور. فتخلف نجله السديد، الأستاذ محمد العيد بالفيض الإلهي الذي لا يحصره التقييد، فمكث على مشرب سميه جده الأعلى، فسكن تحت الخمول والحكمة التي هي غاية المأمول، حتى دعاه داعي الالتحاق بمن تقدمه، فلقن وأطلق، وأجاز صاحب هذه الكلمات بما لقن من. بابه السادات.

فهو سند معنعن مسلسل: روى أحمد بن محمد بن محمد العيد بن علي التماسيني عن ابن أخيه الأستاذ محمد العيد عن أبيه الأستاذ محمد البشير، رواية أهل البيت، يروي الابن عن أبيه عن جده.

الإسناد: روى الأستاذ محمد البشير ابن الأستاذ محمد حمه عن خاله الأستاذ الأكبر سيدنا محمد البشير ابن سيدنا محمد الحبيب بن القطب المكتوم. وسيدنا محمد البشير المذكور عن سيدنا محمد الصغير ابن سيدنا الحاج علي التماسيني أخذ ذلك بالخلوة والسلوك سنة كاملة في 1301هـ، وسيدنا محمد الصغير المذكور عن أبيه وشيخه سيدنا الحاج علي وذلك من خط يده وإجازة لبعض خاصته.

التلقي لسندنا لمن أهله الله له أن الآخذ تموت نفسه أمام المأخوذ عنه حتى لا يرى أن أحدا في الوجود بأسره عنده نبذة معه، وأن معطيه هو كعبة الأسرار وممد الأنوار، فبذلك تتنزل عاطفة المعطي ويخصصه بما أمده الله به. والسند عندنا غير

معتنى بكتابته قبل، كما قدمنا، بل يؤخذ بالأحداق. ولقد سئل الشيخ سيدي الحاج علي التماسيني قرب وفاته: من خليفتك من بعدك؟ فأجاب: لا يسأل عنه، بل هو كالبطيخ يفوح في البحيرة، رائحته تدل عليه. وفي الآخر صار السند كتابة حتى يكون حجة في دعواه لما كثرت الأعلام وصار على المورد ازدحام) انتهى.

الحركة العلمية والثقافية في زاوية تماسين:

منذ خلافة الشيخ الحاج علي التماسيني واستقراره بتماسين عرفت الزاوية برفع لواء العلم وجلب كبار العلماء إليها للتدريس والتعليم ومن بين هؤلاء:

في عهد الشيخ الحاج علي التماسيني:

- الشيخ العيد الذي كان عالما في الفقه واللغة والقراءات السبع وتخرج على يديه جل أبناء الشيخ.
- الشيخ محمد بن عمار التغزوتي، وقيل إنه من تلاميذ الشيخ خليفة بن حسن القماري ناظم متن خليل.
- الشيخ الأخضر بن حمانه القماري وتولى القضاء بها.
- الشيخ المختار السوداني درس سنة 1259هـ.
- الشيخ التجاني بن بابا الشنقيطي صاحب قصيدة المنية، الذي سافر مع سيدي المختار إلى الحج.
- الشيخ علي السوداني دفين تماسين الذي درس الفقه والحديث واللغة.

وقد تخرج على يد هؤلاء العلماء الكثير من الطلبة الذين تولوا التدريس فيما بعد.

في عهد الشيخ محمد العيد التماسيني:

- العلامة الأخضر نجل الشيخ الحاج علي التماسيني والذي تصدر بدوره للتدريس على عهد أخيه الشيخ محمد العيد الخليفة الأول.
- الشيخ محمود ابن سيدي الطاهر الذي كان نابغة في شتى العلوم ، وكان يقرأ القرآن بالروايات السبع ، وكان خطاطا ماهرا ، ترك مصنفات كثيرة من مصاحف وكتب في مختلف العلوم ، ودرس في عهد الخليفة الأول.
- ومن المدرسين أيضا الشيخ أحمد دغمان القماري.

في عهد الشيخ محمد الصغير والشيخ محمد حمه:

الشيخ الأخضر بن حمانة القماري الذي درس سابقا في حياة الشيخ الحاج

علي. وكذلك الشيخ النفطي والشيخ النجاري القبي، والشيخ إبراهيم بالي المدني، والشيخ سعيد الدكالي (الرحالة المغربي) وتخرج على يد هؤلاء الكثير من أهل القرآن والعلم.

وكان الشيخ حمه مدرسا في الزاوية مع غيره من العلماء كالشيخ مصطفى بن عزوز والشيخ المبارك المازق التغزوتي أصلا الجريدي التوزري منشأ ودارا، الذي درس سنوات عديدة ونبغ على يديه أعلام، منهم الخليفة السادس الشيخ محمد العيد الثاني ، والشيخ السائح حقي التجاني. ومن المدرسين الحاج علي بن القيم القماري ، والشيخ السوسي التونسي ، والشيخ عبد الرؤوف المهري ، والشيخ محمد بن البرية القماري.

ملاحظة: الشيخ محمد حمه لما حج مع والده سنة 1283هـ التقى بالشيخ عليش مفتي الديار المصرية آنذاك وتدارس معه فأجازه في متن خليل والموطأ.

في عهد الشيخ البشير الأول والشيخ العيد الثاني:

الخليفة الشيخ البشير نفسه كان مدرسا كما درس الشيخ محمد بن البرية القماري وآخرون معه.

ومن الذين درسوا في عهدهما:

الشيخ محمد بن عماره شوشان الجريدي التوزري ، وعنه أخذ الشيخ الصادق ابن الشيخ أحمد العروسي مبادئ علم الفرائض، والعلامة الشيخ اللقاني لمدة حوالي سبع سنوات جدد فيها خطة التعليم بأسلوب متميز لم يسبق له نظير، ودرس في هذه المدة اللغة والأدب والتوحيد والفقه والتأريخ والحديث والتفسير والمنطق وتخرج على يديه الكثيرون ونخص بالذكرالخليفة الشيخ أحمد التجاني التماسيني. وممن درس أيضا الشيخ مناشو أحد كبار علماء الزيتونة المبرزين، والعلامة محمد بن جديدي السوفي من الوادي.

في عهد الشيخ أحمد بن حمه:

درس في عهده الشيخ محمد بن جديدي الآنف الذكر، والشيخ محمد الطاهر بن عمارة، والشيخ عبد الله اليحياوي التبسي سنة 1928، والشيخ عثمان النفطي، وكلف الخليفة الشيخ الصادق التجاني بمواصلة التدريس بمنهجية الشيخ اللقاني. كما بعث الشيخ أحمد التجاني إخوانه الثلاثة إلى المعهد الزيتوني بتونس وهم الشيخ الصغير والشيخ العرابي والشيخ محمود ، غير أن المنية وافت هذا الأخير ، بينما

تحصل أخويه على شهادة التطويع. ومن الذين التحقوا بالزيتونة الشيخ عبد الحميد، والشيخ العيد ابن الشيخ علي، ثم بعث الشيخ نجليه الشيخ محمد الحبيب والشيخ محمد الطيب وكثير من أبناء الزاوية. وتتابعت البعثات إلى المعهد الزيتوني بتونس وفروعه بتوزر عاصمة الجريد.

وفي بداية الثورة التحريرية الكبرى سنة 1954 وبمشاركة شيخي الطريقة في النضال بدأت الحركة العلمية في الخمول. ولما وضعت الحرب أوزارها عام 1962 حيث استردت الجزائر سيادتها قام الشيخ الصادق التجاني باعتباره مديرا لمدرسة الزاوية آنذاك بنشاط كبير في تحريك همة الطلاب إلى مواصلة مسيرة العلم من جديد بصدق وعزم.

وفي هذا الموضوع يقول الجيلالى بن إبراهيم بن محمد الساسي العوامر في كتاب (الصروف في تاريخ الصحراء وسوف) المطبوع بالدار التونسية للنشر سنة 1977 م /1397هـ ص. 32:

(وببلدة تماسين أيضا الزاوية التجانية الشهيرة. وإخلاصا للحقيقة التاريخية:

إن رجال الزاوية التجانية المذكورة قاموا بدور عظيم في سبيل حفظ القيم الإسلامية والروح العربية في هذه الربوع، ومتنوا الصلة الثقافية بين علماء تونس وأهل واحات تقرت. كانت الصلة بين الزاوية التجانية المذكورة وتونس متمثلة في انتشار المبدأ التصوفي للولي الصالح الشيخ أحمد التجاني بتونس بواسطة الولي الصالح الشيخ الحاج علي التماسيني وخلفه، وفي الجامع الزيتونية التي تعتبر عند أهالي واحات تقرت المثل الأعلى لطلاب الثقافة الإسلامية العربية. كما نبغ كثير من أسرة التجاني في الثقافة الإسلامية والآداب العربية منهم الشيخ التجاني محمد الصغير الذي امتاز بسمة العلماء من تواضع وبساطة ودماثة أخلاق. وكان يدرس الفقه والتفسير والحديث والنحو والصرف في مكان ضريح الشيخ الحاج علي التماسيني. ومنهم الشيخ محمد السائح الذي عرف برقة شاعريته، فكان شعره على غرار البحتري وابن زيدون. وهو مع ذلك ناثر على غرار الجاحظ وابن قتيبة. ويعتبر هذا الأديب من أكبر أصدقاء الشاعر التونسي الشيخ العربي الكبادي، كما كانت له صلة بكثير من علماء تونس وأدبائها[1]. وقد نبغ من أسرة التجانية غير ما ذكر من العلماء والأدباء، يطول

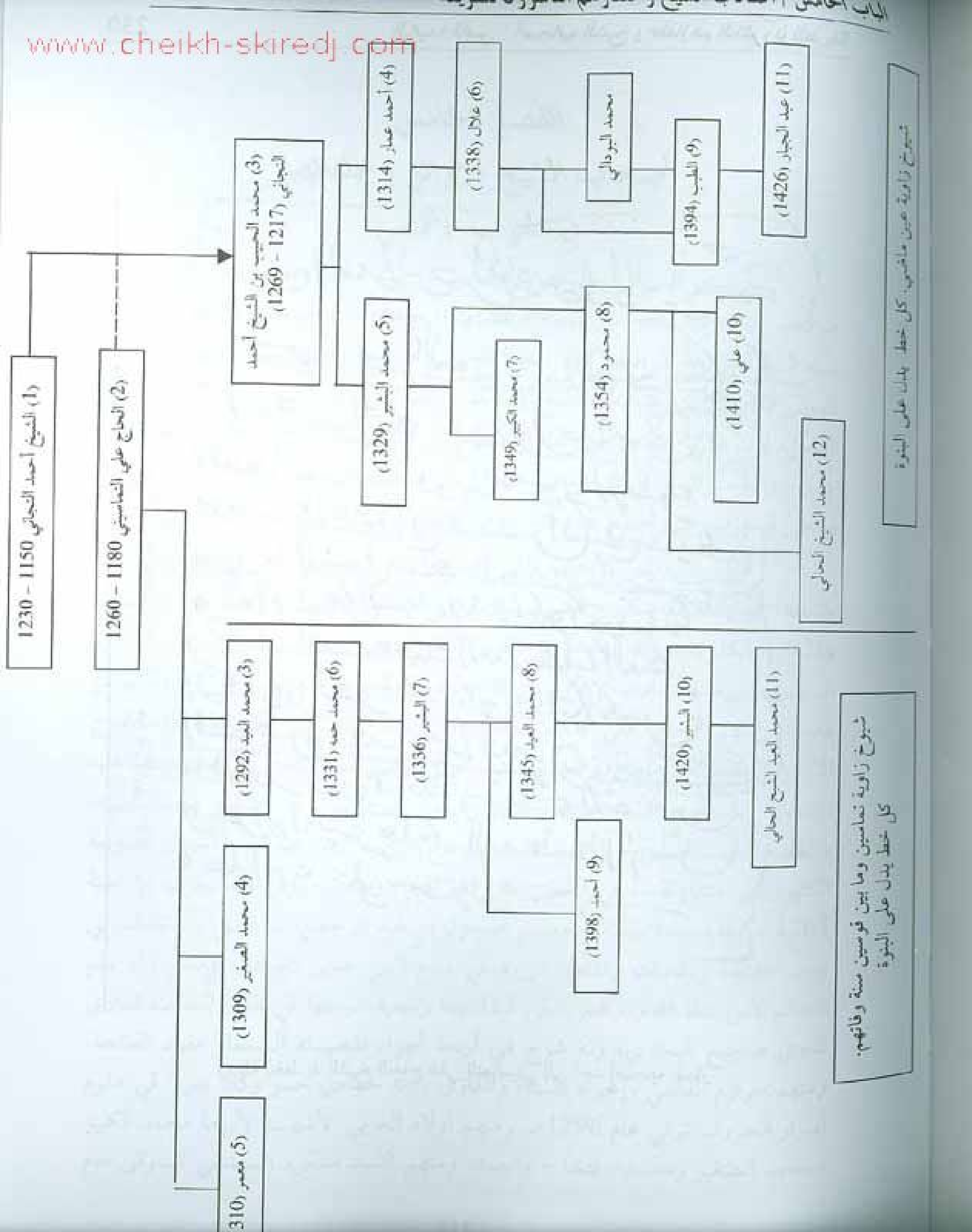
(1) نشير إلى أن للشيخ محمد السائح تأليفا هاما في تاريخ زاوية تماسين وشيوخها والطريقة التجانية في جنوب شرق الجزائر، وهو مخطوط لكن أوراقه مفرقة بين أبنائه، وعنوانه (التبر المسبوك) ولهذا الأديب أراجيز وأشعار كثيرة في علوم شتى.وتوفي في تاغزوت في أواسط الستينات ودفن بزاويتها.وقيل لي أن أحد أبنائه قد باع مخطوطات والده وتأليفا إلى بعض سكان غرداية الأباضيين وهي محفوظة عندهم. والله أعلم.

الحديث عنهم. وإليهم يرجع الفضل في تمسك منطقة تقرت بعروبتها وإسلامها). انتهى.

وفي عهد الشيخ محمد العيد ابن الشيخ البشير - وهو الشيخ الحالي - جدد بناء زاويتي تماسين وقمار تجديدا كاملا بهندسة معمارية رائعة واستعاد التعليم القرآني والشرعي نشاطه بزخم ونجاح كبير وفتحت بهما مكتبتان زاخرتان بأنفس الكتب والموسوعات في شتى العلوم.

ونختم هذا الفصل بقصيدة للسيد محمد بن صابر الرياحي التجاني، وهو شاعر تونسي تجاني نظمها إثر وفاة الشيخ البشير عام 1420هـ ومبايعة ابنه الشيخ العيد على رئاسة الطريقة بزاوية تماسين:

الله أكبر جل الخطب فاصطبروا ... وصابروا يا ذوي الأبصار واعتبروا
ما مات أهل صلاح بل لهم ... عن أعين لم تكن فيها لهم نظر
إن البشير لقاء الله غايته ... ومن أحب لقاء الله منتصر
قطب له في مدى الدارين مكرمة ... فروحه معنا والجسم مستتر
كالشمس إن غربت عن أعين بقيت ... مضيئة أعيننا فيها لها بصر
فسره عن رسول الله مقتبس ... عن أحمد عن علي فهو منهمر
يا نور مقلتنا يا صوت مسمعنا ... من حبه في الحنايا بات يستعر
يا روح إيماننا يا سر إيقاننا ... ومن فؤادي به للوجد منفطر
منه سرى لابنه العيد الذي ... كملت فيه الصفات هصورا وهو مقتدر
يا لمحة ومضت من عين ماضي لها ... سر الخلافة تاج حوله الدرر
أما علمت بأن الفيض منبعه ... ختمية الختم دفاق ومنفجر
فكيف لليل أن يغشى جوانحنا ... وليلنا يستوي في جنحه القمر
فعش أبا العيد تياها أخا ظفر ... فإن حبك فيه النصر والظفر
هذي مبايعة لله خالصة ... زكى شذاها الأريج الأزهر العطر
تسقى مبايعها كأس الوصال طلى ... فيها الرحيق بماء الغيب مختمر
فاجعل خريدة شعري ذمة حفظت ... عهدا متينا به الآثام تغتفر



وأوثقن بابن عيسى الود فهولنا ... زاد الحياة ولولا الزاد نندثر

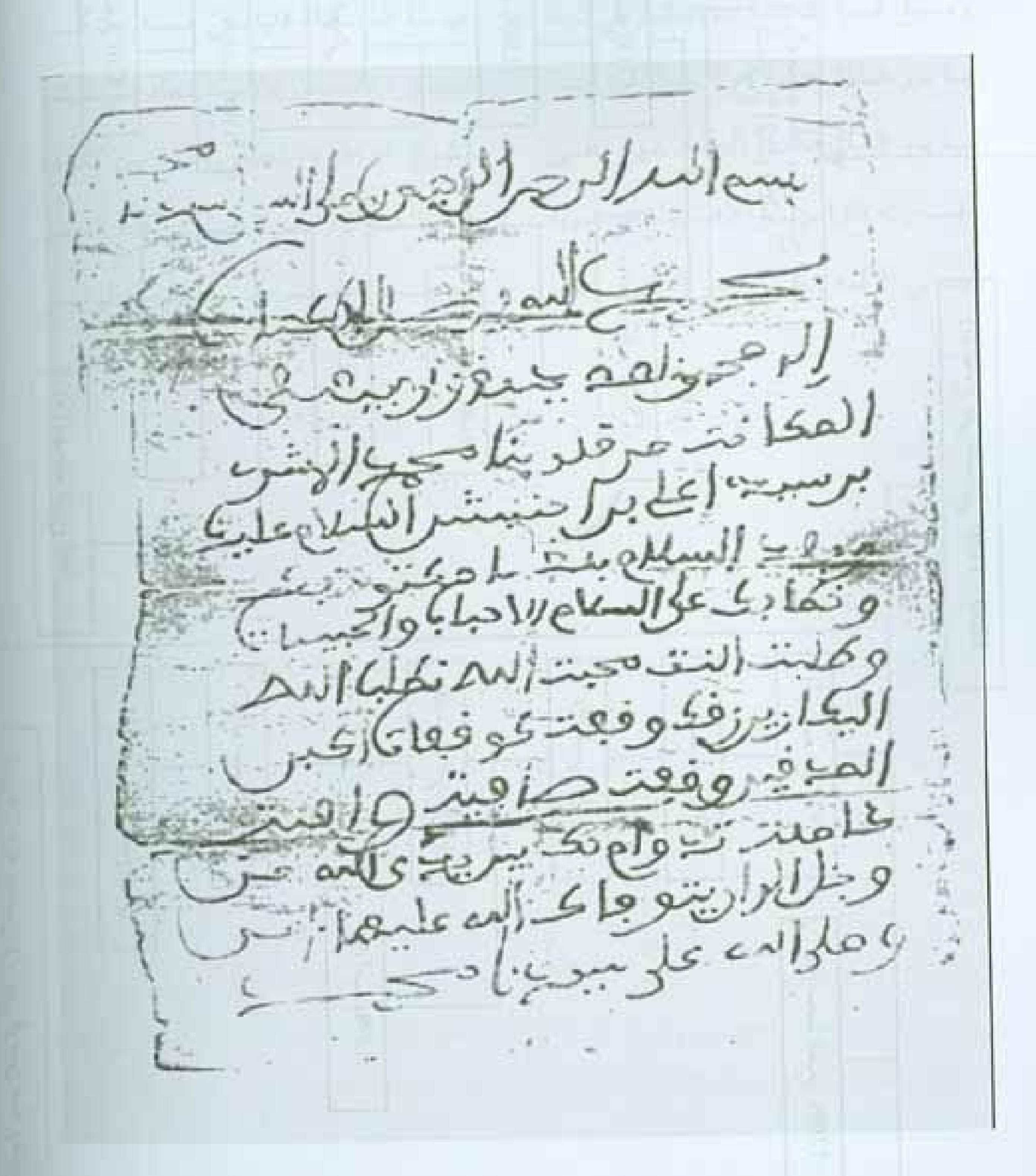
وسل لنا نفحة منه تزيل لنا ... هذا الغشاء فليلي منه معتكر

يا دار منك صلاح الصالحين بدا ... نورا تألق بالإسعاد ينتشر

يا دار فيك لكل الجاحدين لظى ... تشوي الوجوه وتصلي النار من كفروا

أفديك دارا بها الإمداد سارية ... في الكون زاخرة يجري بها القدر

صلى الإله على خير الورى أبدا ... محمد أحمد ما شنف الوتر



بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة بخط يد الشيخ الحاج علي التماسيني إلى أحد أصحابه بقمار

الفصل الخامس

أصحاب الشيخ الأوائل وخلفائهم في المغرب الأقصى

لما استقر الشيخ أحمد التجاني بفاس من سنة 1213 هـ إلى سنة وفاته 1230 هـ،التف حوله عدد كبير من المغاربة عامتهم وخاصتهم، وأصبحت زاويته التي بناها سنة 1215هـ قبلة للوافدين من جميع أنحاء المغرب. وأصبح ملك المغرب آنذاك المولى سليمان من أصحاب الشيخ، وكذلك بعض الأمراء، والعديد من العلماء وأهل الفضل. وقد ذكرنا بعضهم في الفصل السابع من الباب الثالث ، كما ذكرنا الحاج علي حرازم والطيب السفياني في الفصل الأول من الباب الرابع. وانتشرت التجانية في كل نواحي المغرب حتى أصبح عدد أتباعها في بداية القرن الماضي نحو الخمسين ألفا.

ومن رجال فاس الآخرين الذين صحبوا الشيخ وأخذوا عنه وساهموا في نشر طريقته: جد العلامة سكيرج قاضي سطات ورافع راية الطريق بتآليفه الغزيرة ورسائله وأشعاره الكثيرة، وعبد الواحد بوغالب المقدم وهو مدفون حذو صديقه محمود التونسي، وزميلهما عبد الوهاب بن الأحمر، وموسى بن معزوز، ووالده الكبير بن معمر. ومنهم الحاج علي آملاس الذي كان يباشر العقاقير الكيمياوية واستخراج الأدوية النافعة تحت إشراف الشيخ وفي زاويته، وعبد الحق الجابري المسمع صاحب الألحان البديعة، والفقيه العلامة الزكي المدغري، والمحدث الشهير أحمد دبيزه، والمقدم الطيب القبابي، والأديب الشاعر الحاج الطالب اللبار صاحب الأشعار الصوفية الكثيرة التي منها الفائية في 420 بيت وكان تاجرا رحالة، وتوفي فيما يقرب من سنة 1265 هـ ببلدة جنوة بإيطاليا. ومنهم حمدون بن عبد الرحمن المرداسي وله تآليف في فنون مختلفة ومقامات وأشعار غزيرة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وله نظم الحكم لابن عطا الله وله همزية في 313 بيتا وميمية شرحها في نفحة المسك الداري لقاري صحيح البخاري، وله شرح في أربعة أجزاء لقصيدته المسماة عقود الفاتحة. ومنهم حرازم الفاسي وإخوته الستة، والغازي وابنه حمادي حمو وكان مبرزا في علوم أسرار الحروف توفي عام 1296هـ. ومنهم أولاد العربي الأشهب الأربعة محمد الكبير ومحمد الصغير ومحمد- فتحا - وأحمد، ومنهم السيد مسعود السعداني المتوفى عام

1251 هـ. والشريف العلامة العربي العراقي والد المحدث المجتهد الوليد العراقي (المتوفى عام 1265هـ) وابن عمه عمر، والعالم الفقيه التهامي بن رحمون صاحب التآليف المفيدة، والصوفي المدني الشرايبي، والمسمع التاجر عمر الشرايبي. ومنهم علامة زمانه الشيخ الجليل والفقيه الشهير حمدون بن الحاج وهو صاحب تآليف عديدة وتوفي عام 1232هـ، والقاضي العباس بن كيران، والناسك الزاهد محمد بن فقيره، والحاج الكبير لحلو ووالدته وأولاده الستة، والشاعر عبد السلام الزموري (المتوفى سنة 1279هـ) والشريف أبوعزه البربري، والعلامة الفقيه إبراهيم السباعي، والفقيه الأديب علال بن جلون (توفي عام 1272هـ) والد العلامة المدني بن جلون (المتوفى عام 1298هـ)، ومحمد بن جلون، والحاج أحمد بن عبد الله بائع الحرير، والمكي بن عبد الله، والشيخ محمد الدلائي، والثري الزاهد أحمد بنونة، وعبد الله القهوجي المراكشي، والسيد محمد بن العربي المدغري، ومحمد بن عيسى الريفي المتوفى بناحية عين ماضي حين سافر مع أسرة الشيخ بعد وفاته، والأخوان الفاضلان عبد المجيد بن هلال والحاج المعطي، والفقيه الناسك عبد القادر الزرهوني، والفقيه أحمد بن عامر الزرهوني، ومحمد الزهني الزرهوني، ومحمد بن زاكور وأخوه قاسم، وعبد الخالق بوزويع، ومحمد بن الحاج الشراط، ومحمد بن عبد اللطيف جسوس (المتوفى عام 1273هـ) ومحمد بن عبد الله البوكيلي وأخوه الحسن المقدم في الطريق، ومولاي أحمد البوكيلي.

ومن مشاهير رجال مكناس الذين أخذوا عن الشيخ ونشروا طريقته: السيد محمد بلقاسم بصري المكناسي وكان من أكابر علماء المغرب، وقد ولد في ذي الحجة عام 1202 هـ وأصبح إمام الجامع العتيق بمكناس وهو من جلة خواص أصحاب الشيخ. وبنى الزاوية التجانية بمكناس وتولى أمرها وله رسائل ومقالات نفيسة، وتوفي ضحوة الاثنين ثاني عشر ذي الحجة سنة 1294هـ ومنهم ابن عمه المفضل بصري. ومن رجال مكناس أيضا الطاهر بن بوطالب الجوطي ووالده المقدم محمد الغالي ونجله إبراهيم.

كما أخذ عن الشيخ من مشاهير تازه الحاج عبد الغني التازي وعبد الوهاب التازي مع أولاده السبعة.

ومن سلا الفقيه عبد القادر بن محمد السلاوي.

لكن أشهر أصحاب الشيخ من المغاربة هو خليفته السيد محمد الغالي بن

محمد أبي طالب الحسني وهو من أركان الطريقة الذين انتشرت على أيديهم بالمغرب والمشرق، ومنه انتقلت إلى السودان وإفريقيا الغربية. وهو مكناسي الأصل فاسي الدار والقرار، وأذن له الشيخ في الرحيل بعياله إلى الحرمين حيث نشر الطريقة هناك في الحجاز وخارجه خصوصا في موسم الحج. وبعد رحيله، زار فاس عدة مرات وتوفي بمكة سنة 1244 هـ ودفن بجانب أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها. ومن أشهر تلاميذه، العالم المجاهد عمر بن سعيد الفوتي مؤلف كتاب (الرماح) الذي هو من أهم مراجع التيجانية. كما أخذ عن الشيخ أخوا محمد الغالي: عبد السلام بوطالب وهو أكبر سنا من محمد الغالي وتوفي قيد حياة شيخه، وترك في بطن زوجته ابنه الذي سمي باسمه فرباه عمه الغالي وتوفي عام 1285هـ.

ومن الرباط محمد الشرفي العمري وعنه أخذ ابنه العلامة محمد العربي وابن عمه مؤسس زاوية الرباط الشهيرة إلى اليوم العلامة محمد بن العربي بن السائح مؤلف كتاب (البغية) وهو أحد أقطاب التجانية في المغرب. ومن السوس الطاهر بن أبيه ومن دمنات الحسن بن الحاج بلقاسم الريحاني.

ومن أراد التوسع في الاطلاع على أصحاب الشيخ الأوائل في المغرب فليراجع كتابا طبع أخيرا بالمغرب (سنة 1401 هـ - 2000م) في ثلاثة أجزاء عنوانه: (الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي) للأستاذ أحمد الأزمي.

رواد التجانية في مصر والسودان والشرق الأوسط والشرق الأقصى

بدأت الطريقة التجانية تنتشر بمصر خلال حياة الشيخ بفعل عاملين: الأول: هو انتقال بعض المقدمين التجانيين إليها والسكنى بها أو المرور بها. والثاني: اللقاء آت بين المصريين والتجانيين خصوصا في موسم الحج. وقد خصص الشيخ محمد الحافظ التجاني الرسالة السادسة من رسائل جماعة الوحدة الإسلامية التجانية المطبوعة سنة 1355هـ بمصر للتعريف برجال الطريقة الذين نشروها بمصر والشرق الأوسط نوجزها فيما يلي:

أول أكابر أصحاب الشيخ هو محمد بن عبد الواحد البناني. وكانت ولادة والده عبد الواحد بفاس عام 1113، ثم هاجر إلى مصر وتوفي سنة 1194هـ، ودفن بزاويته في إحدى قرى الجيزة بجوار سقاره، ويعرف بسيدي المغربي، ومن تلامذته المحدث الشهير مرتضى الزبيدي وقد ترجم له في معجم شيوخه الكبير ترجمة وافية،

وأما ابنه محمد فقد عرفه سكيرج في(كشف الحجاب) بقوله: (هذا السيد رحمه الله من خاصة الخاصة من أفاضل المقدمين في هذه الطريقة المحمدية قيد حياة سيدنا رضي الله عنه. . ولقد طارت بفضائله الركبان، وشاعت مآثره في أغلب البلدان وكم من عالم فاضل وعارف واصل اقتبس من نور مشكاته الوهاج، واكتفى به عن غيره كل محتاج لا سيما في هذه الطريقة المحمدية. وسبب أخذه للطريقة هو اجتماعه بمؤلف الإفادة الأحمدية صاحب الشيخ المقدم الطيب السفياني الذي اجتمع به في مصر عند مروره بها قاصد الحج فأطلعه على كتاب (جواهر المعاني) وعرفه بالشيخ. فشد الرحال إليه وأخذ عنه الطريقة، وقدمه فيها تقديما مطلقا. وعلى يديه بدأ انتشارها بمصر حيث كان بيته محط رحال الوافدين إلى الحج من المغاربة وغيرهم من طلبة العلم. ودفن بقرافة المجاورين.

ومن أصحاب الشيخ الفاسيين الذين هاجروا لمصر الحاج المفضل السقاط الذي أذن له في نشر الطريق إذنا مطلقا، واستقر في قنا، وكان مقصودا من المشرق والمغرب، وله عند الكبراء كلمة نافذة، وكذلك ابنته خديجة من بعده التي عرفت بالعلم والفقه والأدب، وتوفي قريبا من سنة 1280هـ.

ومنهم أيضا السقاف الذي صحب الشيخ أكثر من عشرين عاما، وتوفي بمصر بعد أن مكث بها مدة، وعنه أخذ الشيخ محمد بن المختار الشنقيطي حسبما ذكره تلميذه الفقيه الحسن بن عبد القادر في كتابه في ترجمة شيخه المسمى: (الفيض الداني في نزر من أطوار وارث التجاني). وممن صحبه الحاج محمد أبوقرعة المتوفى بأسوان. ويبدو أن أول من انتشرت التجانية على يديه انتشارا سريعا واسعا في مصر هو محمد بن المختار الشنقيطي المذكور الذي ولد في مدينة تشيت بموريتانيا وفيها تربى وحفظ القرآن وتمكن في العلوم الشرعية واللغوية، وتربى أبوه وأمه عند إمام الطريقة الكنتية الشيخ مختار الكنتي، وكانت أمه عالمة فقيهة أخذ عنها الحديث والعلم. وصحب نحو أربعين شيخا ممن أخذوا عن الشيخ أحمد التجاني، ولكن أكثر انتمائه إلى محمد السقاف المذكور سابقا، وأجازه فيها أيضا الشيخ صالح بن أحمد المدني بالمدينة المنورة سنة 1262هـ كما اجتمع بالشيخ التجاني بن باب الشنقيطي ناظم قصيدة(منية المريد) في الطريقة التجانية، وصاحبه المختار بن تكرور في المدينة وأقاموا بها سنة حتى ماتا ودفنهما. وساح في بلدان عديدة مع أهله وحاشيته ومعهم الخيام الفاخرة فيدعو الناس إلى كرمه ويعلمهم العلم ويعطيهم الطريق. وقام بالسفارة بين

السلطان دارفور وبين الباب العالي بالأستانة، ولقي سعيد باشا الخديوي بمصر ولقنه الطريقة، وكذلك العديد من أعيان القطر المصري كرجال عائلة خشبة المعروفة بأسيوط. وأباح له سعيد باشا أن يأخذ من مكتبته ما شاء من الكتب ففعل، فكان لديه مكتبة عظيمة يضرب بها المثل، وأتقن لغات كثيرة، وكان يغلب عليه أحيانا الحال، ويفر من الدنيا وهي تتبعه، وتصدق بجميع ما يملك مرارا، وتوطن مدة ببربر ، وقد ألف ديوان مدح بالعربية وآخر بلسان السودان، وله كتاب (الواردات) في التصوف، و(مولد إنسان الكمال صلى الله عليه وسلم) وأقام بجزيرة قرب القوز التابعة لشندي بالسودان المصري وتوفي بها ظهر الأحد 17 شوال 1299 ودفن شرقي النيل. وترك عشرة أولاد وأربع بنات. وتخرج على يديه من أعيان العلماء والأولياء جمع كثير منهم: العارف طاهر الحيمادي الذي سلك الطريقة الخلوتية والشاذلية وصحب الشيخ محمد عثمان الميرغني وشيخه الإمام أحمد بن إدريس الفاسي في صبيا باليمن ودخل خلوات كثيرة، ثم أكمل سلوكه عند محمد بن المختار وتوفي في زمن الخليفة التعايشي وقبره بأم درمان معروف تؤمه الزوار.

ومنهم العارف الشيخ أحمد الهدى الذي حصل له في بداياته جذب شديد حتى صحب السيد ابن المختار فأكمل تربيته، وتوفي عام 1301 بدنقلة مخلفا ولدين: العباس والشريف محمد. ومنهم العلامة القاضي أحمد عبد الرحمن الذي تزوج بنت شيخه وكان ينوه بشأنه فيقول: جلت المشرق والمغرب فما رأيت للقاضي أحمد نظيرا في العلم والعمل. وابنه الشيخ المدثر من أعلام شيوخ التجانية.

ومنهم كاتبه الخاص الفقيه عبد الرحيم المتوفى يوم الاثنين 17 ربيع الأول عام 1300هـ أي نحو نصف سنة بعد وفاة شيخه. ومنهم الشيخ علي ولد أحمد عثمان، والشيخ أحمد هاشم وأولاده: محمد هاشم صاحب المقدمة لمولد ابن المختار، والطيب هاشم مفتي السودان ومؤلف ديوان (الفيض الرباني في مدح الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه)، وأبو القاسم شيخ العلماء بالسودان ومؤسس المعهد العلمي بأم درمان. ومنهم خليفته الفكي الحسن جامع ديوان شيخه وارداته وعلومه والمتوفى سنة 1913م. ومنهم العلامة العارف الأمير الشيخ محمد الخير الذي خلفه ابنه الشيخ عثمان القاضي.

ومنهم الشيخ محمد خير الدوش، وشيخ الإسلام الشيخ أحمد البدوي، والشيخ أحمد الأنصاري وكان من جلة العلماء، والقاضي طاهر شريف، والشيخ عبد

العاطي بن الحسن، والشيخ حامد الكناني، وعائلة خليفة العبادي، وبعضهم بنواحي أسوان، وعائلة أبي قصيصة ومنهم الشيخ ود مليح والشيخ العلامة الصالح محمد أحمد الريح والشيخ حسين عوض والسيد النفيعاني والشيخ عباس أحمد عبد الماجد والشيخ عبد الماجد الغبشاوي وصيه على أولاده وصهره، والشيخ الحسن سعد العبادي. ومنهم الشريف حسين المدفون في أبي زيد.

ومن أعلام الطبقة الثانية للتجانيين المصريين:

الحاج حمو أبو مدين العقباني التلمساني الذي أخذ عن الطاهر أبو طيبة التلمساني صاحب الشيخ أحمد التجاني. كانت له تجارة في الفحامين، وهو الذي رتب الوظيفة بالزاوية التجانية بالجودرية في أواخر القرن الثالث عشر ولم يزل قائما بالمغرب ما بشؤون الطريق إلى أن توفي بالقاهرة يوم السبت 27 شعبان 1335هـ عن سبعين أو خمس وسبعين سنة.

ومنهم العلامة الشيخ أحمد كلا بناني الذي وصفه سكيرج بالفقيه حامل لواء المعقول والمنقول ومن إليه المرجع في الفروع والأصول. لما توفي الشيخ أحمد التجاني عام 1230 كان عمره نحو الاثنتي عشرة سنة. أخذ الطريقة عن جملة من مقدميها من أصحاب الشيخ منهم عبد الوهاب بن الأحمر ومحمد بن أبي النصر. وذهب لزيارة محمد الحبيب ابن الشيخ أحمد التجاني بعين ماضي فلازمه شهورا إلى أن توفي محمد الحبيب وغسله صاحب الترجمة ووقف عل دفنه. ولما قدم إلى الحجاز عام 1294هـ من مصر أخذ عنه مشايخ الإسلام وفحول العلماء بمصر والحجاز والمشرق من بين آخذ عنه الحديث أو الطريق أو التقديم فيها. وممن أخذ عنه الطريق العلامة الشيخ سالم البولاقي أحد أفاضل علماء الأزهر، والشيخ أحمد السباعي، والشيخ عبد الشكور باشا وهو من علماء السودان الذين أمرتهم الحكومة المصرية بالإقامة بمصر وتوفي بأسيوط وانتفع به علماء عصره، وروايته مشهورة. . . .
. وبعد الرجوع من الحج، لم يزل الشيخ أحمد كلا بناني مجتهدا في العبادة ونفع العباد إلى أن توفي يوم الجمعة ثامن جمادى الأولى سنة 1306 وصلى عليه بجامع القرويين ودفن بباب الفتوح.

ومنهم الشيخ البشير بن محمد الزيتوني. ولد بتونس حوالي سنة 1235هـ وكان والده من أكابر العلماء وخاصة أصحاب الشيخ أحمد التجاني في فاس حيث كان من رجال الحكومة هناك ثم انتقل إلى تونس فقربه حاكم تونس وولاه رتبة سامية.

ولما بلغ الشيخ البشير من العمر خمسة عشرة سنة أخذ الطريقة عن والده محمد وعن شيخ الإسلام في تونس العلامة إبراهيم الرياحي الذي تولى تربيته وقدمه لإعطاء الطريق. ثم سافر إلى مصر حيث صحب إمام المذهب المالكي شيخ الشاذلية الشيخ عليش مدة تسع سنوات. ثم ذهب للحرمين فنزل عند شيخ المالكية بمكة وأقام بالحجاز أربع سنوات. واجتمع في المدينة المنورة بالعلامة المجاهد عمر بن سعيد الفوتي وتوثقت عرى المودة بينهما. ثم سافر إلى اليمن ونشر الطريق وبنى بها زاوية وخلف بها خليفة. ثم عاد إلى مصر وساح إلى أن وصل إلى بلاد عمر الفوتي بالسودان الغربي فوجده قد تولى الملك فأقام معه مدة، ثم عاد إلى السودان المصري سائحا تاجرا. ووقعت له في سياحاته مغامرات وغرائب ، وأسلم على يديه في السودان كثير من الوثنيين وبنى عندهم مسجدا. وأعطى الطريقة التجانية في الخرطوم وقدم بها أربعة. ثم رجع إلى مصر متعاطيا التجارة متحريا الحلال بورع شديد. ثم سافر للحرم وأقام بمكة ثلاث سنوات. ثم رجع إلى تلبانة بمصر حيث انتشرت الطريق على يديه وارتفع ذكره فكان ممن أخذ عنه الأخوان عبد الحميد ومحمد سلامة والشيخ محمد مذكور من طصفا دقهلية والسعيد محمد البغال الكبير والشيخ عبد الجليل فخر من بلبيس والشيخ محمد العتيق من العدلية وغيرهم كثير. وقد أفردت ترجمته بالتأليف، وتوفي بتلبانة شرقية يوم الأحد 28 جمادى الأولى عام 1323هـ.

ومنهم أبو محمد السيد هاشم العلوي. أخذ الطريق عن عبد الوهاب بن الأحمر الفاسي صاحب الشيخ أحمد التجاني. وأخذ التقديم عن ابنه محمد الصغير. جاء إلى مصر فلازم زاوية الحاج حمو العقباني بالجودرية. وتوفي بالقاهرة حوالي عام 1315 هـ ودفن بها.

ومنهم الحاج محمد أبو قرعة، أصله من صليح تبع واداي. أخذ الطريقة عن الشيخ حامد عبد الله من برنو، ثم عن الشيخ محمد السقاف المتقدم ذكره. حج عدة مرات ، واستوطن أسنا ثم أسوان حيث مكث خمسين سنة وبها توفي يوم الثلاثاء 18 شعبان عام 1350هـ وسنه 137سنة وهو في صحة جيدة.

ومنهم الشيخ عبد المنعم بن أحمد بن سلامة. أصله من نواحي قنا. أخذ التجانية في المدينة المنورة عن خليفة الشيخ هناك السيد محمد الغالي. سافر أقطارا كثيرة ثم انتهى إلى سكنى السودان المصري. وعمر طويلا ولقن أوراد الطريقة خلائقا وأجاز فيها أعلاما منهم الشيخ محمد الحافظ التجاني الذي زاره في شوال سنة

1353هـ فقال عنه: وقد أذن لنا في الطريق والتقديم وأنابنا عنه فبيننا وبين الشيخ رضي الله عنه من طريقه رجلان هو وسيدي محمد الغالي رضي الله عنهما. وقد توفي في شعبان سنة 1354هـ. ودفن بحلة أم سعدون. وترك ولدين سيدي إبراهيم وسيدي أحمد. وترك من البنات ثلاثا.

ومن أعلام الطبقة التجانية الثالثة بمصر:

الشيخ بناني آدم الفلاتي أصله من نيجيريا. أخذ عن الشيخ حبيب الماجد عن الشيخ موسى المجاهد عن الشيخ عمر بن سعيد الفوتي. قدم أسيوط مع الحاج تميم البكري التجاني في القرن الثالث عشر. واجتمع به الشريف العلامة الشيخ عبد العاطي أحمد الشريف عالم أسيوط، وأعطاه سر الجبروت وسر الوصول وقد أخذهما عن روحانية الشيخ رضي الله عنه. وتوفي حوالي أواخر القرن الثالث عشر. وتوفي الشريف عبد العاطي أحمد في شوال سنة 1343هـ وهو الذي أعطى الطريقة في سنة 1316هـ للشيخ حسين حسن الطماوي ، وفي سنة 1322 للشيخ مكي محمد وغيرهما.

ومنهم السيد محمد بك الفكاك الشاوي كان طبيبا حاذقا يجيد جراحة العيون، صديقا لتوفيق باشا خديوي مصر وولده عباس باشا الثاني الخديوي. وكان ذا جاه وثروة يؤوي إليه الفقراء والمساكين، ملازما للصلوات الخمس بالمسجد الحسيني، ويسكن المغربلين. تولى مشيخة الزاوية بالقاهرة بعد وفاة الحاج حمو العقباني، وأخذ عنه الطريق الكثيرون. قام بطبع (جواهر المعاني) لأول مرة بمصر، وكذلك مجموع الأوراد التجانية، وأهدى كتب الطريقة لصديقه توفيق باشا، وكانت له الوجاهة عند حاكم تونس. وأخذ الطريقة عن الشيخ سيدي حم بن محمد العيد بن الحاج علي التماسيني بصحراء الجزائر. وتوفي بمصر قرب عام 1330هـ.

ومنهم المغربي الحاج الهاشمي الدمناتي. أخذ عن الشيخ البشير حفيد الشيخ أحمد التجاني. قدم مصر ناشرا الطريقة آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر حيثما حل وارتحل. وعلى يده توسعت الطريقة في انتشاها بالإسكندرية ، وكان قد مر بها بعض الشناقطة وأهل السودان فتعرف بهم الشيخ سيدي أحمد عبد المؤمن.

ثم قدم الشيخ السباعي فأعطى بسند أحمد التجاني الشنقيطي، فأخذ عنه الحاج علي الفيلالي وأولاده والشيخ سيدي أحمد وخليل أفندي وغيرهم ، كما أخذوا عن الشيخ الحاج الهاشمي الذي توفي في 28 وبيع الثاني عام 1332 بالإسكندرية. ومنهم

العلامة الشريف عبد العزيز السملالي البوعمراني. كان يقرئ أولاد الشيخ بعين ماضي. وطلب محمد الصغير بن العلمي الساتحي منه أن يقيم بمدينة العلية بالجنوب الشرقي الجزائري للتعليم فأقام بها مدة. وصحب الشيخ البشير حفيد الشيخ أحمد التجاني. وكان ورده في اليوم عشرة آلاف من صلاة الفاتح أو نصف القرآن. استقر في مصر فكان يدرس بالأزهر. وأخذ عنه الشيخ مكي محمد مكيوالشيخ حسين الطماوي وغيرهم. وهو الذي وقف على طبع (الخريدة) للشيخ النطيفي الطبعة الأولى. وتوفي بعد 1330هـ ودفن بقرافة المجاورين بمصر.

ومنهم أحمد الأمين الشنقيطي. كان علامة حجة في اللغة والأدب. استوطن الحجاز مدة ورحل إلى الأستانة وأقام ببروسة سنة ، وألف كتابه في الأمومة عند العرب. وأقام بسوريا زمنا ، وقدم مصر سنة 1318هـ وبها انتشر صيته. له تآليف منها كتاب الوسيط في ترجمة أدباء شنقيط، والدرر اللوامع في شرح همع الهوامع في النحو للسيوطي في جزأين، وله رسالة الدور في صرف عمر، وصحح الأنحاني ومعجم البلدان لياقوت، وشرح المعلقات العشر وترجم لرجالها، وشرح ديوان الشماخ، وشرح أمالي الزجاج الصغرى ونصف أمالي السيد المرتضى وكثيرا من كتب الأدب، وله رسالة في الرد على من أنكر لفظة (الأسقم) الواردة في صلاة جوهرة الكمال للشيخ أحمد التجاني. وهو من أعلام التجانية زهدا وتواضعا وغزارة علم. ومن أخص أصحابه تيمور باشا وأحمد زكي باشا والشيخ محمود زناتي والشيخ طاهر الجزائري، وعهد إليه التصحيح بدار الكتب المصرية. ثم توفي في آخر سنة1337هـ ولم يجاوز الثالثة والأربعون من عمره ودفن بقرافة المجاورين بمصر.

ومنهم أحمد التجاني بن محمد بن إبراهيم الشنقيطي. ولد بشنقيط سنة 1291هـ وأخذ العلم والطريق عن والده الذي أذن له بالتقديم المطلق، وكذلك أذن له الشيخ محمد بن أحمد والصغير. وسافر من بلده في منتصف رمضان عام 1319هـ قاصدا الحج فمر بمدن المغرب حيث اجتمع مع كثير من رجال الطريقة كالحاج حسين الأفراني وأقرانه، ولقي في فاس الطيب السفياني وأحمد العبدلاوي والفقيه محمد كنون وغيرهم. ثم توجه إلى مصر فنزل بدار المقدم أحمد السباعي بالكتامية. ثم سافر إلى الحج وتزوج بالمدينة. ثم سافر إلى السودان حيث أخذ عليه الطريقة كثيرون. وعاد إلى مصر فانضوى تحت لوائه جميع المقدمين والمديرين في مصر، واتخذوه شيخا أكبر للتجانية وأقام بالفيوم ، وجال في القطر ونشر تلاميذه وتلاميذهم الطريقة في

نواحيها، فمن أصحابه:

- الشيخ أحمد السباعي. أصله من مراكش حيث ولد سنة 1260هـ وخرج منها وعمره سبعة عشرة سنة بقصد الحج. فحج واجتمع في المدينة بالشيخ إبراهيم البالي فتلقى عنه الطريقة التجانية، ولم يكن بينه وبين الشيخ أحمد التجاني إلا رجل واحد، وبقي سائحا بين الحجاز ومصر إلى أن استقر بالقاهرة عام 1299 هـ فأقام بها نحو خمس سنوات. ثم حج للمرة الثالثة وعاد إلى مصر وكان مشتغلا بطب العيون. ولما قدم الشيخ أحمد الشنقيطي سنة 1322 هـ أسلم إليه قياده، وبدأ في نشر الطريقة في مختلف النواحي هو وأصحابه إلى أن توفي في ليلة الاثنين 12ذي القعدة سنة1352هـ وترك من الأولاد عبد الحفيظ وإبراهيم وفاطمة ونعيمة. وممن أخذ عنه الحاج عبد القادر مكي الفيلالي المتوفى بفاقوس شرقية، والحاج عبد الوهاب الغماري بن الميمون مقدم زاوية طنجة.

- ومنهم الحاج البشير الزموري وهو الذي تولى شؤون الزاوية بعد وفاة الفكاك. وقد أخذ التقديم عن الشيخ محمد الكبير ابن الشيخ البشيرحفيد الشيخ أحمد التجاني. وقد ساح في بلاد كثيرة في المشرق والمغرب وطبع (النفحة القدسية) للشيخ محمد السيد التجاني على نفقته. وتوفي بمصر سنة 1333هـ مخلفا ولده منير على تجارته بالفحامين ومخلفا على الزاوية الحاج الجيلاني ثم مولاي علي الحسيني.

- ومنهم الشيخ بدر بن عبد الهادي مؤلف(النفحة الفضلية) وغيرها. ولد سنة1282هـ بتلبانة وصحب الشنقيطي أكثر من عشرين سنة بدأ من سنة 1323هـ. ثم أذنه مكاتبة الشيخ الشريف الدردابي سنة 1342هـ وله أسانيد أخرى وفضل عظيم في نشر الطريق.

- ومنهم الشيخ حسين حسن الطماوي. ولد سنة 1262هـ، وألف في الطريق ودافع عنها وتوفي في شعبان 1354هـ.

- ومنهم العلامة الفقيه محمود عبد المجيد من سلامون طما، والقارئ الفقيه محمود محمد مخيمر والشيخ عبد الفتاح سليمان بطما.

- ومنهم عبد الله حسنين الطصفاوي مؤلف (الفتح الرباني) وكذا والده، وممن أجازهم محمد عبد الله والشيخ عبد أحمد العابد من الكتامية.

- ومنهم الحاج الجيلالي بن الطاهر الزرهوني الذي أعطى الطريق في جهة جرجا وبرديس. والحاج علي الفيلالي المغربي وأولاده ، وعلى أكتافهم أقيمت الطريقة بالإسكندرية. وكذلك الشيخ سيد أحمد عبد المؤمن وخليل أفندي محمد حسن

المتوفى سنة 1342 هـ وهو الذي تبرع بالزاوية التجانية بالإسكندرية وتزوج الشيخ عبد المالك السائحي الجزائري بأخته، وستأتي ترجمته.

- ومنهم الشيخ حسين سيد أحمد المأذون الشرعي بالبلشون وولده عبد الحليم وصهره العلامة سليمان داود من علماء الأزهر. والسيد محمد الرفاعي من العدلية والشيخ العتيق والشيخ أحمد أبوعلي بليطة، والشيخ محمد سلامة من تلبانة.

- ومنهم محمد السيد التجاني مؤلف (غاية الأماني في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ التجاني).

- وأصحاب الشيخ الشنقيطي كثيرون. وأعظم خلفائه الحاج عبد القادر السيد الحواط الذي طبع (الفتوحات الربانية) للشنقيطي، والشيخ علي أفندي سعيد، والشيخ شافعي الزهوي.

- وتوفي الشيخ الشنقيطي في بلبيس يوم السبت 28 شوال عام 1345هـ.

ومن ناشري الطريقة بمصر:

العلامة الحبر الحاج عبد السلام بن الحسن بن أحمد بن محمد بناني صاحب الشيخ التجاني. تلقى الطريقة من موسى بن معزوز أحد خلفاء الشيخ في المغرب. وخلال مروره بمصر قاصدا الحج أخذ عنه جماعة وتوفي بمراكش عام 1271هـ.

- ومنهم محمد الأخضر التونسي الذي جال في مصر وأعطى بها الطريق والتقديم ثم سافر إلى المغرب.

- ومنهم الشيخ عمر بن عبد القادر. ولد بغربي السودان وأخذ الطريقة من الشيخ محمد بن أحمد العباسي التونسي في غامبيا ثم اجتمع بالشيخ أحمد الأكواري الشنقيطي في كوكوا عاصمة برنو سنة 1296هـ وهو أخذ عن عمر بن سعيد الفوتي. ساح في الحجاز واليمن ثم استوطن أم درمان سنة 1307، وقدم إلى أسيوط لزيارة صاحبه في الطريقة الشيخ مكي محمد مكي المتوفى سنة 1354هـ. وأخذ عنه جماعة منهم أحمد التجاني الأسيوطي وأبوه والشيخ عبد الفتاح سليمان وغيرهم.

- ومنهم الحاج محمد العربي ابن الحاج علي آملاس. والده كان من أصحاب الشيخ بفاس وولد سنة 1272هـ ونشأ بالزاوية التجانية بفاس وأخذ التقديم عن والده وغيره من خاصة أصحاب الشيخ. حج سنة 1290 و1302وجاء إلى مصر سنة 1305 ومكث بها إلى أن حج سنة 1309هـ وأقام بمكة ثلاث سنوات ثم بالمدينة إلى سنة 1345هـ فعاد إلى القاهرة وأقام بها ملازما الزاوية.

– ومنهم السيد الطيب بن أحمد بن الطيب السفياني، جده الطيب من خاصة أصحاب الشين ومؤلف (الإفادة الأحمدية). وأبوه أحمد كان وارثا لحال والده الطيب، وكان عمره نحو ثلاث عشرة سنة عند وفاة الشيخ عام 1230هـ، وتوفي عام 1286هـ ودفن قرب والده بجبل الزعفران. وله نظم كثير في مدح الشيخ، وولده الطيب كان هو القائم على زاوية فاس متصدرا لإعطاء الطريقة. زار مصر عام 1331هـ فأخذ عنه كثيرون، وكذلك ولده الغالي مر بمصر عام 1352هـ قاصدا الحج فأعطى فيها الطريق والتقديم لبعض الأحباب.

– ومنهم مولاي عبد الرحمن بن زيدان نقيب الأشراف بالمغرب علامة في الشريعة والأدب من مؤلفاته (قراضة العقبان في استمرار الكهانة إلى آخر الزمان) و(إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس) وله تأليف في سنية القبض في الصلاة وديوان شعر. قدم مصر عام 1331 وأخذ عنه كثيرون وأسانيده كثيرة.

– ومنهم الحاج عبد الفتاح السملالي أصلا المراكشي دارا. أقام بمصر مدة وأخذ عنه كثيرون. وحج سنة 1334 وأعطى بالحجاز ثم استوطن الشام وتوفي بعد 1340هـ.

– ومنهم السيد أحمد بن الميمون البلغيثي كان متبحرا في علوم الشريعة واللغة ناثرا شاعرا مكثرا، من تصانيفه (الابتهاج) شرح منظومة المنشاوي في الأدب في مجلدين ، وله (النوازل) في جزأين، وديوان شعر، ومنظومة في رحلته الحجازية الثالثة. وكان بمكان من الملوك وبرهم. حج سنة1317 وسنة 1324 وزار بيت المقدس وتولى القضاء في عدة مدن بالمغرب وتوفي سنة 1358هـ.

– ومنهم الشيخ خليل أبو زقالي من جهة أسوان أخذ عن محمد العلمي عن الخليفة الأكبر الحاج علي التماسيني. وأخذ عنه جماعة منهم محمد بن المبارك السوسي ومحمد بن أحمد الدردابي الذي أصله من ضواحي تطوان وقدم إلى مصر مع مولاي علي الحسيني الإدريسي سنة 1324 وقصد السودان متوجها إلى الحج فأعطى الطريقة بالسودان المصري وعاد إلى المغرب وتوفي سنة 1355 هـ.

– ومنهم الشيخ مبارك السوسي الذي كان ملازما بالمسجد الحسيني وتوفي سنة 1345هـ. والأديب المحدث النسابة الحجة محمد الطيب الوزاني الذي أعطى الطريق بالإسكندرية ومصر للكثيرين وتوفي بالإسكندرية، والعلامة الأديب محمد عبد الواحد التونسي الذي أعطى الطريقة بالشام ومصر، ثم عاد إلى تونس. والعلامة الورع

الشيخ محمد عبد الله الخرشي الشنقيطي الذي أقام بمصر سنوات في غدوته للحج وروحته، وتوفي بالمغرب. والشيخ عمر الرياحي مؤلف (تعطير النواحي) في مناقب جده إبراهيم الرياحي زار مصر عام 1353 وأخذ عنه بعض الأحباب.

– ومنهم السيد محمد الأعتابي الذي أخذ العلم عن الفقيه كنون شيخ الجماعة بفاس وأخذ الطريق عن الشيخ النظيفي، وعن الشيخ أحمد محمود عن الشيخ أحمد والصغير الذي ذكر صاحب البغية محمد العربي بن السايح أنه أخذ عن روحانية الشيخ مباشرة. وأخذ أحمد محمود عن العربي بن السائح وعن الفقيه الكنسوسي. وقد تولى مناصب سامية، وكان له في النهضة الإسلامية مشاركة عظيمة ، وهو من عظماء القادة في الإصلاح في العالم الإسلامي وله خدمات للإسلام والمسلمين، وسافر إلى الآستانة وألمانيا. حج سنة 1332واستوطن المدينة سنتين وقدم مصر سنة 1338 وبها أعطى الطريق.

انتهى تلخيص كلام الشيخ محمد الحافظ التجاني المصري.

وأشهر أعلام التجانيين المصريين خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر هو المحدث الشهير الشيخ محمد الحافظ التجاني، وله تلاميذ ومريدون كثيرون في العديد من بلدان العالم. ومختصر ترجمته في آخر هذا الكتاب.

– ومن العلماء التجانيين المصريين البارزين في هذا العصر الشيخ محمد السيد التجاني، وله تآليف منها: (الفوز والنجاة في الهجرة إلى الله) انتهى من كتابته عام1382هـ. ومنها: (توضيح التجويد) و(إعمال الفكر في التوجه إلى الله تعالى بالذكر) ومنها (غاية الأماني في تراجم وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني).

– ومنهم محي الدين الطعمي صاحب التآليف الكثيرة في التصوف.

التجانية في الشرق الأوسط والشرق الأقصى

في مكة والمدينة توجد عدة منازل لمقدمي الطريقة، اتخذوها كزوايا يجتمع فيها أتباعهم ومن انتسب إليهم. ومن المقدمين الذين جاوروا بالمدينة الحاج محمد عبد المالك العلمي وأخوه العلامة اللقاني ، وأولادهما لا يزالون هناك. والسيد محمد ألفا هاشم بن أحمد بن سعيد ابن أخ الحاج عمر الفوتي وهو من ليبيريا وتخصص في الحديث النبوي وخلف تآليف كثيرة وتوفي بالمدينة المنورة يوم الاثنين 13 ذي القعدة سنة 1349هـ، وكذلك إبراهيم السوسي والحاج إبراهيم السوداني والحاج مصطفى العلوي مؤلف (عنوان النجابة فيمن دفن بالمدينة المنورة من مشاهير الصحابة).

وامتدت التجانية إلى اليمن والشام والعراق.

فمن بين مشاهير التجانيين بالشام بالقدس أحمد الدادسي ومنه انتقلت إلى الأردن، وبحيفا الشيخ أفندي محمد. وفي سوريا شيخ الإسلام السيد علي الدقر كبير مقدمي تجانيي الشام، وهو الذي برز في مقاومة الاستعمار الفرنسي هناك، واشتهر بخطبته التي تحض المواطنين على الجهاد.

أما في السودان فقد ذكر عبد القادر محمود في كتابه (الفكر الصوفي) أن الفقراء التجانيين يوجدون بكثرة لا سيما من سكان الخرطوم وأم دومان أمثال محمد المهدي وعلي أحمد عثمان. وقال أن من علمائها الكبار في ذلك الوقت 1969م، الشيخ مدثر الحجازي وكيل الجامعة الإسلامية وعميد كلية الشريعة بها. ومن أوائل رجال السودان الذين أخذوا عن الشيخ ونشروا الطريقة هناك، السيد عثمان الفلاني الأكناري المتوفي في قرية كيهيد بالسودان ، ومنهم العلامة المقدم محمد السالك الوداني - نسبة إلى ودان بلدة بصحراء شنقيط - الذي تخرج على يده جملة من المقدمين، منهم: ابن عمه الأمين الوداني ومحمد المختار، ومنه انتشرت التجانية في أقطار السودان، ومنهم أيضا الشيخ السماحي الدارفوري الذي سافر ماشيا على قدميه من دارفور بالسودان إلى فاس وأخذ عن الشيخ أحمد التجاني، وهو الذي أجاز العلامة المحدث التونسي الطيب النيفر في مروياته عن الشيخ. وقد بلغ عدد التجانيين والمنتسبين إليهم في عصرنا في السودان عدة ملايين.

وامتدت التجانية للشرق الأقصى: إلى ماليزيا وخصوصا أندونيسيا. وقد قيل إن عدد التجانيين في أندونيسيا ارتفع بسرعة كبيرة في السنوات الأخيرة حتى تجاوز بضعة ملايين وأنشئوا زوايا كثيرة تعد بالعشرات.

أصحاب الشيخ الأوائل في أفريقيا الغربية:

أول هؤلاء الأصحاب هو محمد الحافظ العلوي الشنقيطي ، بعد تحصيله للعلوم الرسمية في بلاده حتى صار إماما يرجع إليه فيها، عزم على الحج وجعل من أهم مقاصده البحث عن الشيخ المربي الذي يسلك على يده الطريق الصوفي. فاجتمع في مكة سنة 1216هـ بعلي حرازم خليفة الشيخ الذي حبب إليه الطريقة التجانية. وبعد قضاء حجه وزيارته، توجه إلى فاس وأقام عند الشيخ في زاويته يربيه مدة، ثم حين أزمع السفر إلى بلده أجازه الشيخ في طريقته إجازة مطلقة وقال له: لا تظهر بنفسك حتى يكون الله تعالى هو الذي يظهرك. وعلى يده دخل الناس في الطريقة أفواجا

وخلف عشرة من المقدمين واصلوا دعوته، كان من أشهرهم السيد مولود فال (انظر ترجمته المختصرة في الفصل الأول من هذا الباب) الذي تخرج على يده الداعية الكبير السيد بانم ولد حم مختار الذي خلف بدوره جماعة من المقدمين منهم العلامة محمد الصغير مؤلف كتاب (الجيش الكبير) في الدفاع عن الطريقة ، وهو شيخ أخيه عبيدة مؤلف (ميزاب الرحمة الربانية) (انظر ترجمتهما المختصرة في الفصل الثالث من الباب الرابع).

وممن تخرج على يد محمد الحافظ الشنقيطي أيضا ابنه وخليفته المقدم أحمد، وزوجته فاطمة، والمقدم الشهير محمد بن عبد الله العلوي[1]، والسيد محمد الحنفي(ت: 1263 هـ) بن العباس العلوي، ووالدته وأخوه العلامة محمد الذي مات مقتولا ظلما وهو يصلي صلاة الضحى، وهو والد الشيخ أحمد مؤلف كتاب (روض شمائل أهل الحقيقة). ومنهم محمد بن عبد الله بن أوداع العلوي الذي سافر مع مولود فال إلى الحج فتوفي في طريقه، وعبد الله بن محمد بن الأمين الذي سافر أيضا مع مولود فال إلى فاس والتقى بكبار أصحاب الشيخ وأخذ عنهم.

وللشيخ محمد الحافظ مؤلفات منها: (الرسالة التشيتية) - نسبة إلى بلده تشيت - وتوفي عام 1254هـ.

ومن الشناقطة الآخرين الذين أخذوا مباشرة عن الشيخ عبد الرحمن الشنقيطي الذي ترجم له صاحب البغية بقوله: (شيخ الشيوخ العالم العلامة أبو زيد سيدي عبد الرحمن ابن أحمد الشنقيطي. كان إماما جليلا في سائر العلوم. وكان يدرس بفاس العليا، وكان جميع نجباء وقته يأتون من فاس الإدريسية على أرجلهم لحضور مجلسه، وتخرج على يده جماعة. وقد توفي في فاس في شوال عام 1224هـ).

ومنهم أيضا قاضي شنقيط وإمامها العلامة محمد الطالب جد الشنقيطي العلوي الذي خلف تلاميذ كثيرين. وفي هذا يقول صاحب الجيش:

(وإذا تمهد هذا فالشيخ التجاني رضي الله عنه جمع أصول الشرف من العلم

---

(1) كان من أكبر المدافعين على الطريقة نظما ونثرا حتى لقب بحسان الطريقة. وكان راسخا في العلوم الشرعية والأدبية وله أشعار كثيرة وتآليف منها:(تنبيه أهل الله ونصرة التنويه بفضل الحضرة) وكتاب (نزهة المستمع) وكتاب (كشف الغشاء في فضل تأخير العشاء) وكتاب في(مولد النبي صلى الله عليه وسلم). وعندما توفي سنة1269 هـ خلفه ابنه أحمد الذي ألف بدوره كتبا منها(العضب اليماني) وكتاب في(منع رؤية الله بالبصر في الدنيا) وكتاب في(التحذير من فتن آخر الزمان) وتوفي سنة 1323 هـ.

والولاية والنسب النبوي. ووصفه بالولاية العظمى عدول أثبتوها له ، شاهدوه ورأوا عليه علامات الولاية والخصوصية، وأخذوا عنه ورده، ومنهم الشيخ سيدي محمد الحافظ العلوي، وقاضي شنجيط ومدرسها الفقيه الطالب جد ابن الشيخ العلوي، وإمام ودان وعالمه أوحد زمانه السالك بن الإمام الحاجي رضي الله عن الجميع. ولا نعلم أحدا أعدل من هؤلاء النفر الثلاثة في المغرب الأقصى. . . الخ).

ومن العلماء التجانيين الشناقطة الآخرين الذين اشتهروا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر: أحمد الصغير التشيتي، ومحنضر بابه بن عبيد الديماني وله نظم في الرد على المنكر على الطريقة ، وله شرح على المختصر وعاش نحو120سنة وتوفي سنة 1276هـ، ومنهم عبد الكريم بن أحمد الذي لقن الطريقة لعمر الفوتي قبل لقائه بمحمد الغالي، ومنهم العلامة الجليل المختار بن وديعة الله الماسني ومن تآليفه: (البروق اللامعة في أصحاب الفيوض الهامعة) و(الفتوح القدسانية في إعراب المغني الفردانية) و(فتح رب العالمين في شرح تذكرة الغافلين) و(إخراج الدرر في أرض الحجر) و(جامع الأنوار والأسرار في الصلاة على النبي المختار). وله أشعار كثيرة في الطريقة وتوفي سنة 1280هـ.

وعلماء موريتانيا التجانيون كثيرون جدا نخص بالذكر منهم الفقيه الأصولي المحدث المؤرخ محمد بن يحي الولاتي الشنقيطي وأحمد الأمين الشنقيطي صاحب كتاب (الوسيط).

ومنهم. العلامة الفقيه الحاج محمد فال الموريتاني والمدرس بنواكشوط، وله تآليف وفتاوى منها: (رشق السهام) و(شرح الاحمرار في النحو) و(شرح المنهج في القواعد) و(شرح جوهر المكنون في البلاغة) و(شرح عمود النسب في السيرة) و(تفسير القرآن الكريم) و(شرح الشمائل النبوية) ورسالة (ذم التبرج) وغيرها.

ويعتبر مولود فال أشهر ناشر للتجانية من السنغال إلى السودان المصري، وعندما كان في طريقه إلى الحرمين لقنها للكثير من الرجال الذين خلفوه في نشرها منهم الشيخ عبد الكريم الناقل الفوتي الذي لقنها بدوره لأكبر دعاتها الشيخ عمر الفوتي قبل رحلته للحج.

الداعية عمر بن سعيد الفوتي وخلفاؤه:

أما رائد الطريقة في إفريقيا الغربية، فهو المجاهد الكبير والداعية الشهير عمر بن سعيد الفوتي الذي ولد سنة 1213هـ (1796م) ورسغ في العلوم الشرعية

واللغوية والأدبية فأصبح داعية للإسلام والإصلاح ، ثم اجتمع ببعض المقدمين التجانيين السابق ذكرهم فتأثر بهم وأخذ عنهم الطريقة. ثم لما حج اجتمع بخليفة الشيخ في الحرمين محمد الغالي، وبقي في صحبته ثلاث سنين ، ثم رجع إلى إفريقيا داعيا إلى الله حيثما حل وارتحل، فالتف حوله عدد كبير من الأتباع، وقاد حروبا متعددة ضد الوثنيين والمسيحيين وضد الاستعمار الفرنسي في السينغال والبلدان المجاورة. وكان يحاول إقامة دولة فيدرالية إسلامية في غرب إفريقيا. لكن جيوش الاحتلال كانت عقبة في سبيل إنجاز مشروعه، ورغم ذلك استطاع أن يحقق بعض مراميه في بعض النواحي، فدخل على يده وأيدي أتباعه ملايين من الناس إلى الإسلام، وانخرط الكثير منهم في الطريقة التجانية. ومع اشتغاله بالجهاد والدعوة والأسفار الطويلة، كان شديد الاهتمام بالعلم، ففتح عدة مدارس للتعليم تخرج منها أئمة وعلماء، وقد ألف عدة كتب أهمها: (رماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم)

الذي يعتبر من أهم مراجع التجانية. وتوفي عام 1282هـ (1864م) ، فخلفه ابنه أحمد الكبير(توفي عام 1317 هـ) الذي واصل مسيرة والده.

ومن أشهر تلاميذه: المختار بن وديعة الله ، ومحمد بن عثمان مؤلف كتاب (حسم الجدال).

ومن الذين ساووا على نهج عمر الفوتي، حفيده الشيخ سعيد النور بن النور تال بن الحاج عمر[1]. ولد هذا السيد في قرية مونجا بولاية خاي في جمهورية مالي، وهو الحفيد العاشر لسنجاتكيتا ملك مالي المشهور، وهو الحفيد الثاني للمجاهد النيجيري عثمان دم فوديا ناشر الإسلام في تلك الربوع. بعد أن حفظ القرآن الكريم، تبحر في العلوم الشرعية والأدبية واللغوية وأتقن عدة لغات وكثيرا من اللهجات. ثم لازم صحبة العلامة المربي الشيخ الحاج مالك سه (ترجمته لاحقة) مدة عشرين عاما وتزوج إحدى بناته السيدة خديجة وأخذ عنه الطريقة التجانية وأجازه فيها. وخلفه بعد وفاته سنة 1922م. وقد قام خلال حياته الطويلة الحافلة التي دامت 116 عاما (ولد عام 1284هـ/1864م ، وتوفي سنة 1400هـ/1980م) بأعمال جليلة في خدمة الإسلام ومقاومة الاستعمار والدعوة إلى الله، ومن أجل جهوده الإنسانية نال احترام دول العالم،

---

(1) قد ترجم له الأستاذ محمد الغالي با الفوتي في كتاب عنوانه (أضواء على حياة الشيخ الحاج سعيد النورتال) طبع بمصر سنة 1405. وهذا الأستاذ هو أحد مقدمي الطريقة الذين أخذوا عن سعيد النور وغيره من الشيوخ، وله نظم في فقه الطريقة يشتمل على 231بيتا.

فأهدي له 43 وساما من الأوسمة التشريفية تكريما له من مختلف أنحاء الأرض. وقد قام بأكثر من 50 رحلة وكان يرأس حجاج مسلمي إفريقيا الغربية. وقد خلف الكثير من الرسائل الدينية والفتاوى والتوجيهات. ومن تأليفه كتاب (بغية الملتمس وجذوة المقتبس) وكتاب (سلم الرقاة في شرح الورقات) وهو في علم الأصول ، وكتاب (نصيحة الأخوان في إمامة أهل آخر الزمان). وتوفي بدكار يوم الجمعة 7 ربيع الأول عام 1400هـ الموافق 25 يناير 1980م. وصلى عليه شيخ التجانية بالجزائر السيد علي بن محمود حفيد الشيخ أحمد التجاني.

تآليف عمر الفوتي وما كتب عنه:

1- سيوف السعيد/ 2- سفينة السعادة / 3- تذكرة المسترشدين في التوحيد/ 4 - أرجوزة في العقائد

5 - كتاب أجوبة المسائل /6- كتاب الفتاوي في الفقه / 7 - كتاب التقيد / 8 - عاديات المذنبين في الدعوة والإصلاح والإرشاد / 9- المقاصد السنية / 10 - رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم (في الطريقة التجانية) / 11 - الفلاح المبين (في التصوف عموما والتجانية خصوصا) / 12- النصر المبين / 13-الأجوبة في الطريقة التجانية / 14 - كتاب ما وقع (في جملة حوادث) / 15- رسائل إلى بعض الحكام والعلماء /

16 - أشعار كثيرة كقصيدته:

تذكرة الغافلين في قبح اختلاف المؤمنين/ قصيدة وعظ أهل فوت /

قصيدة تذكرة المسترشدين: كتبها في روضة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة لما حج عام 1244 هـ (1828م) وهي تتألف من نحو200 بيت.

تآليف حول سيرته عمر الفوتي:

1- كتاب (أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر) للشيخ موسى كمرا(ت: 1945). وقد ترجم هذا الكتاب عامر صمب إلى الفرنسية في منشورات المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء سنة 1970.

انظر ترجمة هذا المؤلف في كتاب (الأدب السنغالي العربي) لعامر صمب (ج 1ص: 149- 176).

2- كتاب (الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية لغرب إفريقيا: شيء من

جهاده وتاريخ حياته) للشيخ محمد الحافظ التجاني المصري طبع بالقاهرة سنة 1383هـ (97 صفحة) ونقله من العربية إلى الفرنسية السيد فرناندمو.

3- كتاب (لمحة مطولة في شأن الشيخ عمر الفوتي) للحاج أحمد دم المولود سنة 1312 هـ(1895م). انظر ترجمة هذا المؤلف في كتاب (الأدب السنغالي) لعامر صمب (ج 1ص: 353 - 372).

4- كتاب (الجواهر والدرر في سيرة الشيخ عمر) للشيخ المنتقي وهو حفيد عمر الفوتي وأحد كبار شيوخ التجانية بالسنغال.

5- ترجمة الشيخ عمر الفوتي من كتاب (الأدب السنغالي العربي) لعامر صمب ج 1، ص 45- 85 - طبع بالجزائر عام 1978.

وأما مادحوه من الشعراء فلا يحصون كثرة ، منهم شيخ التجانية وناشرها في السنغال: الحاج مالك سه (توفي عام 1322م) ، وحامل لواء الشعر في إفريقيا الغربية القاضي مجخت (1835 - 1902) ، ومراقب التعليم الغربي بموريتانيا الشاعر الموهوب الحاج مام دبه.

شيخ الإسلام الحاج إبراهيم آنياس:

لكن أعظم الدعاة التجانيين السينغاليين وأكبرهم أثرا في عصرنا هو شيخ الإسلام الحاج إبراهيم ابن الحاج عبد الله آنياس، ورث إمامة الطريقة من والده الذي أخذها عن عدة خلفاء منهم السيد محمد البشير شيخ زاوية عين ماضي والمتوفى عام 1329هـ ابن محمد الحبيب ابن الشيخ أحمد التجاني. وقد تربى محمد البشير المذكور على يد السيد محمد الصغير وهو عن شيخه ووالده الحاج علي التماسيني الخليفة الأكبر لأحمد التجاني. وقد ساهم الشيخ إبراهيم في الدعوة الإسلامية بكل نشاط، ووقف طول عمره بكل صلابة أمام جميع التيارات المعادية للإسلام، وكان له صيت واسع ونفوذ لدى جل الشعوب الإفريقية، وأسلم على يديه خلق كثير[1] وقدرت مجلة آخر ساعة المصرية في عددها الصادر يوم 6أغسطس عام 1975م عدد الذين دخلوا

(1) وبفضل نشاطه ودعوة تلاميذه وأصحابه بلغ عدد الزوايا التجانية في السينغال وحدها عدد هائل من الزوايا الكبرى والصغرى.(راجع المنشور الذي كتبه طالب عبد الرحمن الأستاذ بجامعة وهران ومقدم التجانيين بها تحت عنوان: الرحلة التجانية الإفريقية) وفيه وصف لرحلته مع شيخ عين ماضي السيد علي عبر سبعة دول إفريقية عام 1405 هـ.

على يده للطريقة التجانية بأكثر من ثلاثين مليونا. وكان من أوائل من أسسوا المعاهد العربية الإسلامية على النمط العصري في السينغال، إذ أسس في دكار معهدا في الخمسينات، وآخر في كولخ مسقط رأسه. وتعتبر هذه المؤسسات نواة المعاهد الدينية العصرية في السينغال. وأما عن دوره في العالم الإسلامي فقد كان نائبا لرئيس مؤتمر العالم الإسلامي بكراتشي، وعضوا في كل من رابطة العالم الإسلامي بمكة وجمعية الجامعات الإسلامية بالرباط، كما كان عضوا في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في المؤتمر السنوي لمجمع البحوث الإسلامية، وفي المجلس الأعلى بالجزائر.

وقد كتبت أطروحات عن حياته، منها أطروحة نعمة بن عبد الله الذي كتبها بموويتانيا. وتوفي عام 1975م ودفن بجوار مسجده بكولخ في السينغال. وكما كان له من الأنصار مالا يحصى، فله أيضا معارضون منكرون منهم محمد الطاهر ميغري في نيجيريا الذي ألف في سيرته وكتبه كتابا واسعا عنوانه (الشيخ إبراهيم أنياس السنغالي حياته وآراؤه وتعاليمه) وفيه تحامل وسوء ظن بالطريقة التجانية ومؤسسها وتهجم على الشيخ أنياس وتعاليمه، لكن الكتاب مفيد في ذكره لبعض الوقائع التاريخية رغم عدم إنصافه للتجانية وشيوخها.

وتولى الخلافة من بعده الحاج عبد الله أنياس بمساعدة إخوته وأبناء عمومتهم ومنهم: الدكتور العلامة الحاج حسن سيسي الذي أدخل الإسلام والتجانية إلى أمريكا، وفتح بأكبر مدنها عدة زوايا ، ولا يزال يسلم على يديه اليوم العديد من الأمريكان السود. وبعض هؤلاء الأمريكيين وأولادهم يتعلمون الدين ويحفظون القرآن الآن بمعهد أنياس الإسلامي في كولخ.

ومن تلاميذه أيضا محمد المكي أنياس أستاذ اللغة العربية، والأمين أنياس مدير مجلة (والفجر) التي هي أول مجلة أسبوعية إفريقية للأعلام بداكار السنغال.

مؤلفات عائلة أنياس بمدينة كولخ السنغالية:

أ)- مؤلف للحاج عبد الله أنياس والد إبراهيم أنياس:

كتاب: (تنبيه الناس على شقاوة ناقضي بيعة أبي العباس) طبع بالمطبعة الثعالبية بالجزائر سنة 1368هـ (1910م). قال عنه ابنه الشيخ إبراهيم: إن الوالد هذا قد فسر القرآن لرجال ما ينيف على مائة مرة، وقد حج وزار وجاهد في الله أحسن مجاهدة.

ب)- مؤلفات الحاج محمد بن عبد الله أنياس (1881- 1959م):

1- ديوان (مرآة الصفاء) في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتوي على

(680) بيتا في بحر الخفيف بالقافية الهمزية. وقد طبع بمطبعة دار التأليف بالقاهرة عام 1955م وشرحه أحمد بن المختار الموريتاني.

2- ديوان الكبريت الأحمر في مدائح القطب الأكبر (الشيخ أحمد التجاني) يحتوي على (3246) بيتا في (29) قصيدة وقد طبع بالقاهرة سنة 1955م وشرحه محمد المختار الموريتاني.

3- كتاب (الجيوش الطلع بالمرهفات القطع إلى ابن مايابي أخي التنطع) وهو شرح لقصيدة نظمها في الرد على ابن مايابي مؤلف: (منتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني).

4- طريق الجنان في مدح سيد بني عدنان في السيرة النبوية.

5- (نيل المرام في مدح خير الأنام) في السيرة أيضا.

6- (المواهب الإلهية في الغزوات النبوية).

7- (قصيدة كشف الغمة في مدح نبي الرحمة). وله نحو الثمانية تآليف أخرى مدار أكثرها في السيرة والطريقة.

ج)- مؤلفات الشيخ إبراهيم بن عبد الله أنياس (ت: 1975):

01 - (كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس) / 02 - (طيب الأنفاس في مدائح الختم أبي العباس).

03 - (النور الرباني في مدح سيدي أحمد التجاني) / 04 - (روض المحبين في مدح سيد العارفين).

05- (روح المحب في مدح القطب) / 06- (السر الأكبر والكبريت الأحمر).

07- (مجموع دواوين القطب الجامع والغوث النافع) / 08- (الخمر الحلال في مدح سيد الرجال).

09- (تيسير الوصول إلى حضرة الرسول) فيه (2972) بيتا / 10- (نور البصر في مدح سيد البشر).

11- (الفيض الأحمدي في المولد المحمدي) / 12- (نجوم الهدى في كون نبينا أفضل من دعا إلى الله وهدى).

13- (رفع الملام عمن رفع وقبض اقتداء بسيد الأنام) / 14- (تحفة الأطفال في حقائق الأفعال) في الصرف.

15- (إفريقيا للإفريقيين) / 16- (سبل السلام إلى إبقاء المقام).

17- (الرد على المطران لفيفري في هجائه للإسلام) عام 1959م / 18- (البيان والتبيين عن التجانيين).

ولابنته رقية كتاب: تنبيه البنت المسلمة في الدين والدنيا.

دعاة آخرون للتجانية في السينغال:

ومن أعلام التجانيين بالسنغال السيد الحاج عباس صل شيخ الإسلام الساكن بلوغا في السنغال. وهو الذي شيد معهدا إسلاميا تدرس فيه العلوم الإسلامية واللغة العربية وعلوم العصر الحديث بمدينته لوغا. وله تآليف منها ديوان شعر كبير في شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم به نحو 3000 بيت، وقد تكفلت المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر بطبعه، وله ديوان آخر مثله في مدح الشيخ أحمد التجاني.

ونذكر من بين مشاهير الدعاة التجانيين في السنغال وما جاورها الشيخ محمد الحبيب التجاني بن محمود سليل أحمد التجاني، وأمه السيدة (نعمات بصراوي)، وأصلها من العراق. أما والدة والدته فهي من اسطنبول بتركيا. ولد في محرم 1349هـ بعين ماضي وتربى في البادية حيث تمرن على الفروسية ثم قرأ القرآن ومبادئ الفقه واللغة. وفي سنة 1938م رحل إلى تونس. وحصل على الشهادة الثانوية باللغة الفرنسية ثم عاد في سنة 1940م للمغرب لإتمام دراسته الدينية. وأخذ الطريقة عن والده، وفي عام 1954م توطن بدكار عاصمة السنغال، وقام بجولات في جميع دول إفريقيا الغربية والوسطى والشمالية ناشرا للطريقة حتى أنه أعلن يوم 12 أكتوبر 1976م بأن عدد الأشخاص الذين أخذوا عنه الطريقة مباشرة هو: 13870 شخصا. وتوفي بدكار عام 1403هـ (1983م) وله من العمر 54 سنة ، ودفن بمسقط رأسه عين ماضي، وخلفه ابنه الأكبر زين العابدين. وبمناسبة مرور عام من وفاته، أقيم جمع عظيم في عين ماضي وتماسين حضرته وفود من زعماء التجانيين قدموا من17 دولة.

التجانية بين السنغال ونيجيريا:

وقد انتقلت الدعوة الإسلامية التجانية من السنغال إلى نيجيريا فانتشرت هناك بسرعة مذهلة، والأرقام التي سنذكرها في آخر هذا الفصل تعطي فكرة عن مدى ذلك التوسع.

وقد تكلم محمد الطاهر ميغري في كتابه حول الشيخ إبراهيم أنياس عن بدايات دخول التجانية للسنغال ونيجيريا فقال:

(لقد دخلت الطريقة التجانية البلاد السنغالية من موريتانيا على يد الشيخ مولود

فال الكبير تلميذ الشيخ محمد الحافظ العلوي الذي أخذها من يد الشيخ التجاني مباشرة كما مر. ولكنها لم تستقر في البلاد وتنتشر إلا على يد الشيخ عمر الفوتي. ثم انقسمت على تعاقب الأيام إلى أكثر من اثني عشر فرعا ، ولكل فرع شيخ مستقل عن الأشياخ الآخرين كما سبق، وتحت كل شيخ مقدمون ولكل مقدم تلاميذ ، ولكل هؤلاء مدارس ومساجد وزوايا خاصة بهم منتشرة في المدن والقرى والأرياف، وكان تلاميذ هؤلاء الشيوخ منتشرين في طول السنغال وعرضها ، وكذلك في البلاد المجاورة لها مثل مالي وغينيا وسراليون وغانا ونيجيريا.

هذه الأقسام والفروع كلها تدور حول شخصية الشيخ عمر الفوتي. ولذلك ذهبنا فيما سبق إلى أن الطريقة التجانية ما انتشرت واستقرت في السنغال إلا على يده ، فمثلا إنه هو الذي لقن الطريقة التجانية لشرنو مودجالو والفاماب ياخو والفا مايرو وعدد غيرهم.

أ) - ولقنها شرنو مودجالو لابنه وخليفته شرنو عمر جالو الذي أسس مركز شرنو عمر في جامبيا [1] ولقنها أيضا للشيخ معاذ كاه الذي أسس مركز معاذ كاه بمدينة سرنر في غامبيا، ولقنها كذلك للشيخ عبد الله أنياس الذي أسس مركز كولخ بإقليم سين سالوم في السنغال وهو والد الشيخ إبراهيم أنياس.

- ولقنها شرنو عمر جالو لابنه وخليفته شرنو الحاج محمد بابا ، وهو لقنها لشرنو علي دم الذي أسس مركز مدينة تمبا كند بإقليم السنغال الشرقية ، وهو لقنها لشرنو محمد سعيد الذي أسس مركز مدينة غناس بإقليم سين سالوم أيضا في السنغال؛ ولقنها أيضا لشرنو الحاج أحمد دم الذي أسس مركز سوكون بالسنغال كذلك.

ب) - ولقنها الشيخ عبد الله أنياس لابنه وخليفته الحاج محمد أنياس، ولقنها أيضا لابنه وخليفته الحاج عمر أنياس، ولقنها كذلك لابنه الشيخ الحاج إبراهيم أنياس الذي أسس مركزه الخاص به في المدينة الجديدة بحضرة كولخ.

ج) - ولقنها الحاج محمد أنياس الخليفة لابنه وخليفته الحاج عبد الله أنياس.

د) - ولقنها الشيخ إبراهيم أنياس لابنه وخليفته الحاج عبد الله أنياس.

هـ) - ولقنها ألفا ماب دياخو [2] لابنه وخليفته سيرمى ، ولقنها أيضا الشيخ

---

(1) كانت جمهورية جامبيا قبل الاستعمار تعتبر إقليما في قلب السنغال ثم احتل الإنكليز ضفتي نهر جامبيا وفصلوها سياسيا عن بقية البلاد السنغالية.

(2) يبدو أن الفامات دياخو هذا المتوفي سنة 1867م - 1284هـ هو أكبر تلاميذ الشيخ عمر الفوتي

لمين وهو مجاهد من قبيلة سركولي وكذلك لقنها للشيخ فودي سليمان بغيغ وهو من قبيلة سركولي.

– وأما ألفا مايرو فهو الذي لقن الطريقة التجانية للسيد مالك سي الذي أسس مركز (تواون) بإقليم تيس في السنغال ، ولقنها السيد مالك لابنه وخليفته الحاج أبوبكر سي ، وابنه وخليفته أيضا الحاج عبد العزيز سي ، ولقنها أيضا للحاج أغون زعيم مركز سلو ، ولقنها كذلك للشيخ الحاج أحمد لمين ديان إمام المسجد الجامع بدكار العاصمة ، ولقنها كذلك للشيخ سعيد نورطال حفيد الشيخ عمر الفوتي.

فوت طورو وهو الذي واصل الجهاد الذي كان الشيخ عمر الفوتي يقوم به..

الخليفة الداعية الشيخ الحاج مالك سي

السيد مالك سي كان من أصل فلاني مثل الشيخ أحمد بمبا وكثيرين غيره من شيوخ الطرق في السنغال فعاشت أسرته مع قبيلة ولوف وتزاوجوا معهم. ولد سنة 1855م – 1282هـ في قرية بالقرب من بلدة أغاي (على الحدود الموريتانية) ودرس العلوم الإسلامية على اختلاف فروعها حتى نبغ فيها وسافر إلى معظم مدن السنغال للالتقاء بعلمائها ومن ضمن الأماكن التي زارها في السنغال بلدة (كايور) و(ديالوف) وحج سنة 1889م. وبعد عودته من الحج بدأ التدريس في مدينة (سلو) (سيتلوس) ثم انتقل إلى مدينة تواون. أخذ السيد مالك سي الطريقة التجانية وهو في الثامن عشر من عمره من يد عمه ألفا مايرو وهو الذي أخذها من يد الشيخ عمر الفوتي مباشرة كما مر. وكان للسيد مالك سي أتباع كثيرون من التكرور وولوف وببو وسركولي وغيرهم. وتخرج على يده عدد كبير من العلماء. وقد زار السيد مالك قبيلة عدو علي ومكث معهم شهرا حتى جدد إذنه على يد أحد الشيوخ هنالك يسمى الشيخ محمد علي. وحاول السيد مالك بجد أن يقرب ما استطاع بين وجهات نظر شيوخ التجانية ، وكذلك حاول بنجاح أن يربط بين زاويته وبين زاوية فاس العلاقة الودية حيث تمكن من إقناع زعيم زاوية فاس لزيارة تواون سنة 1914م – 1333 هـ. ومات السيد مالك سي سنة 1922م -1341هـ وخلفه ابنه الحاج أبو بكر سي الذي كان عمره إذ ذلك 37 سنة وتلقب بالخليفة. وكان سعيد نور وصيا عنده من قبل أبيه السيد محمد النور ابن الشيخ عمر. وهناك أيضا شيوخ كبار عمريون من شيوخ الطريقة التجانية في السنغال، وكان بينه وبينهم وسائط، وهم مثل الشيخ أحمد سعيد زعيم مركز تجاني هام في إقليم كاسمس في السنغال، وهو من قبيلة تكولا الفلانية مثل الشيخ عمر الفوتي نفسه؛ والشريف مكي حيدر زعيم مركز تجاني هام في إقليم تيس والشيخ إبراهيم ديون وهو شيخ تجاني مهم في مدينة دكار العاصمة، وأغلب الظن أنهم كلهم تخرجوا على يد السيد مالك سي.

وللشيخ مالك سي كتب تآليف وأشعار منها:

1- (كفاية الراغبين) فيه دفاع عن الإسلام عند أهل السنة.

2- (إفحام المنكر الجاني) وهو دفاع عن الطريقة التجانية.

3- (ديوان شعر) طبع بالمطبعة الأهلية بتونس عام 1333وهو يحتوي على (51) قصيدة أطولها آخرها تحتوي على (861) بيت، وعدد أبيات كل الديوان:

(5385) بيتا كما ختم كتابه الأول بقصيدة بها (64) بيتا وختم الإفحام بقصيدة بها(46) بيتا.

وله خطب بليغة ورسائل.

وأما الكتب التي فيها سيرته فمنها:

1- كتاب (تحفة الإخوان) كله في سيرة الحاج مالك ألفه الأديب الكاتب المؤرخ القاطن بسان لوي الشيخ إبراهيم جوب.

2- (ترجمة الحاج مالك سه) لمحمد تابان الموريتاني.

3- كتاب (الطريقة التجانية في السنغال) لإبراهيم مرو.

4- كتاب بالفرنسية (الإسلام في سنغال) لبول مارتي.

5- كتاب (مجهول الأمة) للشيخ أحمد التجاني سه حفيد الشيخ مالك.

6- (الأدب السنغالي العربي) لعامر صمب (ج 2 ص 118 - 162) المطبوع بالجزائر سنة 1979م فيه ترجمة وافية مفيدة.

ولابن الحاج مالك وخليفته الأول أبو بكر سه (ت 1957م) ديوان ضخم أيضا فيه كثير من المدائح للرسول صلى الله عليه وسلم وللشيخ أحمد التجاني وخلفائه ولوالده الحاج مالك وغير ذلك. وكذلك ابنه الآخر الخليفة الشيخ عبد العزيز سه (ولد 1904م) له أشعار رائعة غزيرة وخطب بليغة ورسائل إرشاد مفيدة. ثم إن للخليفة الأول أبو بكر المذكور أبناء علماء أدباء شعراء وكتاب أعلام أشهرهم أحمد.

ومن الدعاة التجانيين المعروفين اليوم في نيجيريا، السيد آدم النفاتي المولود سنة 1942م. وهو من خريجي الأزهر،رباه الشيخ محمد الحافظ المصري وأجازه في العلوم الإسلامية والتربية بالطريقة التجانية، ففتح العديد من الزوايا في نيجيريا، وهي ما بين زوايا كبيرة تقام فيها الشعائر الإسلامية من صلاة ودروس وذكر، وما بين زاوية على شكل الكتاتيب القرآنية. كما أسس مكتبة ضخمة بها نحو عشرة آلاف مجلد في العلوم الإسلامية واللغة والآداب. ومنهم أيضا الحاج أحمد ياروا المقدم التجاني بلاغوس العاصمة. ومنهم العلامة الداعية الشيخ إبراهيم صالح الحسني النيجيري وله تآليف قيمة في الطريقة.

الشيخ الحاج أحمد دم:

هو العلامة الفقيه الأديب المفسر الصوفي الفلكي الحاج أحمد دم بن محمد الأمين بن أحمد أمبك ولد في مدينة جوبيي كل في عام 1312هـ (1895م). تبحر في

شتى العلوم القديمة والحديثة وتبرز في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية. وهو من أكبر الشخصيات الأدبية والدينية في العالم الإسلامي. وهو حامل لواء العلم بمدرسة سوكون السنغالية. أخذ الطريقة التجانية في شبابه عن ألفا محمد حاو بقرية وأللدي ثم تبحر في الطريقة بعد حجه عام (1922م) ثم واصل سلوكه الصوفي في بلاده بصحبته لتلاميذ عمرتال الفوتي والحاج مالك سه. وله تآليف كثيرة منها:

1- تفسير للقرآن الكريم. قضى عشرين عاما في تأليفه عنوانه (ضياء النيرين) وهو في عشرين مجلدا - أتمه عام 1960م.

2- (العقد الثمين في هدية الصادق الأمين) في الحديث الشريف.

3- (إفادة المستفيد في عقائد التوحيد).

4- (تنبيه الأغبياء) في التوحيد.

5- (إيقاظ الوسنان) و(نصيحة الإخوان) و(تنفيس الصالحين) في التصوف.

6- (جلاء القلوب من فتر علام الغيوب) و(الحث على الإنفاق وترك المراء) في الوعظ والأخلاق.

7 - (ديوان الخطب) في الخطابة.

8- (تمرين الطلاب) في النحو.

9- (كاشفة الحجاب في علم الحساب) في الرياضيات.

10- (جلاء الفهوم في نوادر العلوم) و(غريب اللغة العربية)

11 – (الروض الندية على المقصورة الدريدية) و(الرحلة إلى الحجة).

12- (ديوان شعر) و(تشطير قصيدة ابن مرزوق).

13- (أسئلة وأجوبة مع الحاج المالك سه) جلها في الطريق.

14- (لمحة مطولة في شأن الشيخ عمر الفوتي).

15- (الرد على رسالة الحاج أحمد جاج دائرة).

الشيخ علي في ابن حان

ولد الشيخ على في تقريبا عام (1305 هـ) بقرية (طندية) بالسنغال وتبحر في العلوم الشرعية والأدبية. وأخذ الطريقة التجانية عن الحاج مالك سه. وله تآليف وأشعار في فنون كثيرة منها:

1- (تبشرة المريد في أحكام المسجد): 66 بيتا.

2- (قبة المريد في صلاة الجمعة وأحكامها): 186 بيتا.
3 - (الرسالة البديعة في الرد على من خالف الشريعة): 30 بيتا.
4- (السبحة وأحكامها): 25 بيتا.
5- (تحفة المريد في بيان ما اختفى من القرآن): 96 بيتا.
6- (كنز الأكوان في معرفة رجال الغيب): 186 بيتا.
7- (- (نصيحة الإخوان): 301 بيتا.
8- (كتاب تقريب المفهوم في علم الفلك).
9- (بيان شرائط الطريقة التجانية): 44 بيتا.
10- (سلاسل علي في الطريقة): 75 بيتا.
11- (مدح أبي العباس التجاني): 70 بيتا.
12- (راحة البلاد في عادات البلاد) 160 بيتا في نقد عوائد الناس.
13- (الرحلة إلى بيت الله الحرام) 60 بيتا.
14- (السلم في التعلم): 163 بيتا.
15- (أرجوزة رحلات الحاج عمر): 140 بيتا.
16- (الكوكب الوقاد في بيان ما في أرجوزة الغزالي): 140 بيتا.
17- (تقريظ فتح الجليل لِبِلّ فودي).
18- (مراقي البشير في منبع المسود): 92 بيتا في النحو.
19- (بحر المحيط في التصريف): 316 بيتا.
20- (منحة الخليل في مخارج الحروف): 45 بيتا.
21- (قنطرة الطلاب): 254 بيتا في النحو.
22- (أرجوزة في نظم الآجرومية): 316 بيتا.
23- (تمرين الطلاب وبغية المولع في الإعراب): 238 بيتا.
24- (توضيح الطلاب في معرفة أوزان العروض): 266 بيتا.
25- (جواب لسؤال عن مدة الحمل): 41 بيتا.
26- (هداية الأزواج في بيان حقوق الأزواج): 50 بيتا.
27- (جواب على أسئلة كوس برو في الفقه): 50 بيتا.
28- (سيف الأنوف في البيوع والأسعار): 99 بيتا.
29- (إيضاح المنهج في النكاح): (رسالة في 7 صفحات).

30- (خلاصة البرهان في ذم الدخان): 113بيتا.
31- (الرد على من قال إن الدخان حلال): (رسالة في 25 صفحة).
32- (مسائل في النكاح): 80 بيتا.

التجانية في نيجريا:

عمر الفوتي وتلاميذه هم أول من دعا إلى التجانية في نيجريا. وخليفته ابنه أحمد طال، لما اشتبك مع الغزاة الفرنسيين في سيغو قاعدة دولته فر مع أسرته وجيشه إلى سكوتو بنيجيريا وهم حين ذاك زهاء عشرة آلاف نفس، منهم أخوه محمد البشير وابنه أحمد المدني. هؤلاء كونوا النواة الأولى للتجانية في نيجيريا.

ولكن العامل الأهم لنشرها هو شريف مغربي فاسي يدعى الشريف محمد حفيد التجاني الذي أخذ الطريقة عن الشيخ الجزائري أحمد العبدلاوي عن الحاج علي التماسيني عن الشيخ أحمد التجاني. وقد جاء إلى مدينة كنو في عهد أميرها علي المشهور فأخذ عنه كثير من الأعيان ، منهم المعلم سعد بن طاهر، والمعلم محمد سلفا الذي أدخل التجانية سكان بلاد هوسا كلها وما جاورها من الأقطار.

ثم جاء إلى كنو أيضا في غضون الحرب العالمية الأولى في عهد أميرها عباس بن عبد الله الشيخ عبد الوهاب المعروف بالشريف أجذوذ ، فازدادت الطريقة انتشارا على يديه وعلى أيدي خلفائه الذين كان منهم الوالي سليمان وأمير كشنه محمد دكو. وكان الشريف أجذوذ تلميذ للشيخ المغربي محمد فتحا بن عبد الواحد النظيفي مؤلف (الياقوتة الفريدة وشرحها الدرة الخريدة) وهو من أشهر شيوخ التجانية بمراكش.

ثم جاء الشيخ محمد بن عثمان العلمي المغربي الذي أخذ عن الشيخ سكيرج العياشي، وهو من الدار البيضاء بالمغرب ، جاء إلى نيجيريا سنة 1923 (1342هـ) والتف حوله العديد من العلماء التجانيين وأمرائهم وحثهم على بناء زاوية فبنيت في مكان يسمى (كورن مبغا) في حي قوق، فدخل الناس الطريقة أفواجا في كنو وما حولها حتى عم نيجيريا كلها ، خصوصا مدنها الشمالية حيث شيدت زوايا كثيرة. وقد قام العلمي بتكوين المقدمين التجانيين في فقه الطريقة وإدارة الزوايا وبث تعاليمها. ثم ارتحل العلمي من كنو وتوفي سنة 1969(1381هـ) مخلفا المعلم محمد سلفا كإمام للطريقة، وتدفق عليه الناس من كل صوب لأخذها عنه. ومن أعلام التجانيين الآخرين الذين مكنوا الطريقة في نيجيريا خصوصا وإفريقيا الغربية والوسطى والسودان الشريف محمد الكبير العلوي والشريف عبد الرحمن المغربي، الذي قدم إلى غاو، ثم إلى كنو

في عهد أميرها عباس بن عبد الله، والسيدة خديجة المغربية التي مرت بكنو في طريقها إلى الحجاز سنة 1943(1353هـ) وقيل أنها ألفت كتيبا بعنوان (السيف الرباني في الذب عن أحمد التجاني).

ومن دعاة التجانيين الأكثر شهرة الشيخ محمد ألفا هاشم ابن أخت الشيخ عمر الفوتي. كان هو المفتي العام في دولة ابن خاله طال ابن الشيخ عمر الفوتي. وعندما سقطت دولته هاجر إلى المدينة المنورة حيث واصل بث الطريقة خصوصا بين الأفارقة القادمين من أقطار شتى. ومن أشهر تلاميذه الشيخ أحمد بن عبد الرحمن النيجيري الكتاغمي. هذا الأخير من بيت علم وإمارة. وجده هو المؤسس الأول لإمارة كتاغم في مديرية بوشي نيجيريا الشمالية. ورحل الشيخ أحمد لطلب العلم في مصر والقدس والشام ثم الحرمين واستقر إلى آخر حياته في المدينة المنورة، وله مؤلفات كثيرة في الطريقة التجانية وغيرها.

لكن في العقود الأخيرة لاشك أن الشيخ إبراهيم أنياس وتلاميذه الكثيرون هم الذين أعطوا للطريقة أنفاسا جديدة وحيوية في إفريقيا السوداء كلها.

من أعلام علماء التجانية في السنغال

- الحاج مختار طوري (ت 1918) صاحب مدرسة جاجاي التي تخرج منها كثير من العلماء في السنغال وغامبيا. ومن أعلام مدرسته الحاج عمر ساغو في فاس غامبيا، والد الحاج علي ساغو، وابنه الشيخ الحاج عمر طوري في سيرلندا(غامبيا)، والحاج يوسف الطوري.

- الحاج عبد الله سيسي(ت 1925) مؤسس مدرسة جامل الإسلامية ، وخليفته الحاج علي فاطمة سيسي، ولا تزال هذه المدرسة يديرها أبناؤه وحفدته. وتخرج منها علماء كثيرون.

- الحاج حمد سعيد باه في مدينة غناس، وهو شيخ توكولوري، أسس في غناس مركزا دينيا كبيرا ومسجدا ضخما في داكار، وله أتباع كثيرون في كل أقطار فوتا وداكار العاصمة.

- الحاج عباس صال الذي بنى مركزا إسلاميا فريدا من نوعه في السنغال ، وله تآليف بالعربية واللغة الولفية، ويواصل سير التدريس في مدرسته أبناؤه وحفدته.

- الحاج ماجور سيسي في مدينة سان لوي، العاصمة القديمة للسنغال أيام الاستعمار الفرنسي. أسس زعامة تجانية متفرعة من زعامات تيواوون حيث كان مقدما

للشيخ أبي بكرسي.

- الشيخ الحاج سيرن بوكرجال بن باحساك ، له أتباع كثيرون من المثقفين في دكار، وكان جده سيرن محمد مودجال مقدما تجانيا مشهورا.

- الحاج ما أنسونياغ المسمى بعثمان نياغ، في سرهانغ، الذي أسس مركزا إسلاميا ومسجدا في سرمانغ، وبنى زاوية تجانية ضخمة في مسقط رأسه نيجور، ودخل في الإسلام على يديه كثير من أبناء قبيلته وخاصة في مناسبة الاحتفال بمولد الرسول (صلى الله عليه وسلم).

- الحاج عمر أندو التجاني في دار السلام (1901-1977م) الذي أخذ الطريقة عن والده على داو أندو عن أحمد سعيد عن أحمد الشيخ عن الشيخ عمر الفوتي. بعد رسوخه في شتى العلوم الشرعية والأدبية وسياحات طويلة استقر ليتجرد لبث العلم والتربية الروحية. فأسس في قرية أنغامبه مدرسته الأولى ما بين 1931و 1936 ثم مدرسة أخرى في قرية وين من إقليم كولخ ما بين 1936و1948. وكثر أتباعه وتلاميذه فأسس مدرسة ثالثة سماها: دار السلام حيث مكث مواصلا مسيرته الدعوية والتربوية إلى سنة وفاته 1977. وواصل جهوده ابنه الحاج حبيب، وقد تخرج من مدرسته تلاميذ كثيرون صاروا زعماء كبارا منهم:

- الحاج سرنر هلي تري في دار رضوان في غامبيا.
- الحاج عمر دارمي في قرية طيبة في مقاطعة نيورو.
- محمد جانج.

وغيرهم كثيرون منتشرون في السنغال وغامبيا.

من الشعراء التجانيين في إفريقيا:

أشهر الشعراء الكبار التجانيين في إفريقيا السوداء الذين لهم دواوين ممتازة وضخمة في مدح الطريقة وشيوخها في هذا القرن أكثرهم من السنغال. وقد ترجم لسيرتهم ودرس بعض قصائدهم الأستاذ عامر صمب مدير المعهد الإسلامي لإفريقيا السوداء في كتابه المفيد: (الأدب السنغالي العربي) وهو في جزأين وطبع بالجزائر عام 1398هـ /1978م، فذكر منهم مثلا:

01) الشيخ عمر الفوتي ناشر الطريقة في إفريقيا (انظر ترجمته في الفصل الخامس من الباب الخامس من هذا الكتاب).

02) الحاج مامد به (ولد سنة 1919م) الذي بنى كثيرا من المدارس العربية في مالي والسنغال وموريتانيا وجاور في الحرمين.

03) الشيخ أحمد عيان سه (ولد سنة 1913م) تعلم الشعر عن شاعر تجاني موريتاني وهو محمد بن عبد الله بن قفا الدؤلي، وله كتاب في الطريقة وتلاميذ في الشعر مثل مصطفى سه ، ومحمد سه ، وصنوان.

04) الحاج عباس سل (ولد عام 1909م) له ديوان ضخم في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والشيخ التجاني ، منها همزيته الطويلة التي عارض بها همزية البوصيري ، وله في التربية كتاب: كفاية الطلاب.

05) الحاج محمد الأمين بن زبير وابن عمه محمد بن زبير من كبار مشايخ كاسمنسا.

06) الحاج عبد الله بن إبراهيم بن محمد جوب (ولد بغامبيا عام 1910م) له أشعار غزيرة وأسفار كثيرة وتآليف نفيسة منها كتابه في الفقه المسمى: (روضة المعاصرين في معرفة علوم الدين) - طبع ببيروت عام 1968م.

07) الشيخ علي في بن حان (ولد عام 1305 هـ بالسنغال) وله أشعار في كثير من الفنون.

08) العلامة الصوفي الحاج أحمد دم بن محمد الأمين (ولد عام 1312 هـ).

09) شعراء عائلة أنياس المشهورة زاويتها بكولخ.

10) شعراء عائلة الشيخ مالك سه من أولاده وحفدته وتلاميذه.

11) العلامة الأديب الشاعر المكثر القاضي مجخت كل (1835-1902م) وأحفاده مثل التجاني جخت وغيره وممرصاصم جخت (توفي في 1943)

12) الشيخ العلامة الشاعر الكبير عبد الرحمن صل بن ألفا البناجي(ولد عام 1901)

13) شعراء آخرون سنغاليون كثيرون من أبرزهم الهادي توري، والحاج إبراهيم أحمد ذات، والشيخ جيرن إبراهيم أنجل سي ، والحاج سعيد ألفا محمد دم.

الحاج بنعمرو التجاني

ومن أشهر الدعاة الجزائريين التجانيين المتأخرين: الحاج بنعمرو التجاني بن محمد الكبير بن محمد البشير بن محمد الحبيب بن الشيخ أحمد التجاني. ولد بعين ماضي في مطلع القرن التاسع عشر. أخذ العلوم الشرعية واللغوية في بلده ، كما أخذ

تربيته في الطريقة عن أسلافه. وفي عام 1948م خرج مع أربعة رجال وساح في إفريقيا مدة ثلاثة سنوات، زار خلالها سبعة عشر دولة (انظر الرحلة العمرية المخطوطة بيد مؤلفها أحمد العناية علامة عين ماضي وأحد أعضاء الوفد الذي وافق الحاج بنعمرو). وقد ألف في رحلته هذه كتابين مركزين بالفرنسية والإنجليزية عنوانهما: (الجواب الواضح) و(مفتاح الجنة)، وأسلم على يديه خلق كثير حتى أن بعض المتحمسين يصل بعددهم إلى خمسة ملايين. ويقولون إنه أعطى نحو ألف إجازة في التجانية ليقوموا بالنيابة عنه في الدعوة. لكن هذه الأرقام الخيالية مبالغ فيها جدا من غير شك. وقد شارك الشيخ بنعمرو في ثورة التحرير فاعتقل عام 1957م، وسجن وعذب وبقي على صلة بزعماء الثورة إلى الاستقلال. وفي آخر حياته حبب إليه الاعتكاف، فكان يقضي الأسابيع الكثيرة متعبدا منفردا في خلواته إلى أن توفي عام 1967م بعين ماضي ودفن بها.

إحصائيات للتجانيين في إفريقيا السوداء:

حدد أطلس تاريخ أفريقيا سنة 1958م البلدان الأفريقية التي دخلتها الطريقة التجانية مبشرة بالإسلام، فذكر: السنغال، غينيا، مالي، تمبكتو، فولتا العليا، ساحل العاج، غانا، النيجر، نيجيريا، الكمرون، تشاد، إفريقيا الوسطى.

ولعل أدل شاهد على مدى نشاط التجانيين في الدعوة الإسلامية هو العدد الهائل من أتباع الطريقة في دول أفريقيا. وفي هذا يقول الأستاذ طالب عبد الرحمن، المدرس بجامعة وهران، ومقدم الطريقة بها، في المنشور الذي كتبه سنة 1405هـ ، إثر رحلته إلى سبعة دول إفريقية:

عدد سكان الأقطار السبعة التي زرناها، ونسبة المسلمين التجانيين وغيرهم بالاعتماد على كتاب: (قسمات العالم الإسلامي) للسيد مصطفى مؤمن، وبالاعتماد على المذكرات الخاصة التي أجريناها مع العلماء والمسؤولين هناك ، كان ذلك في أشهر فيفري، مارس أبريل 1985.

البلدان	عدد السكان	نسبة المسلمين جميعا	نسبة التجانيين من المسلمين
موريتانيا	3 ملايين	100%: 3م	60%: 1.800.000
السنغال	6 ملايين	95%: 5.700م	90%: 5.130.000
غينيا كوناكري	5 ملايين	97%: 4.850م	80%: 3.880.000
ساحل العاج	6 ملايين	57%: 3.420م	70%: 2.394.000
نيجيريا	120 مليون	65%: 65م	65%: 42.250.000
النيجر	5 ملايين	90%: 4.500م	80%: 3.600.000
مالي	7 ملايين	92%: 6.440م	80%: 6.152.000
السودان	21 مليون		9.000.000
المجموع			73.206.000

لكن، يبدو أن هذه النسب في الإحصاء بعيدة عن الدقة، إذ أن كل أفراد العائلات المنتسبة للتجانية محسوبون تجانيون. وهذا غير صحيح. ولكن بالرغم من المبالغة الواقعة في هذه الأرقام فإنها شاهدة بمدى نفوذ الطريقة التجانية في تلك البلدان. أما في مصر فقد قال الشيخ محمد الحافظ التجاني في مجلته(طريق الحق) العدد 2 السنة 22 صفر 1392هـ/1972م ، أنه يوجد بها ما يقرب من 75 زاوية تجانية، وعدد التجانيين يقرب من عشرة آلاف تجاني مصري.

. وقد اعترف جميع المؤرخين بالدور العظيم الذي قام به التجانيون في نشر الإسلام والدفاع عن العربية ومقاومة الاستعمار في إفريقيا. وفي ذلك يقول الإمام العلامة المصري أبو زهرة في كتابه (الدعوة إلى الإسلام): (أما في غرب إفريقيا ووسطها، فكانت الدعوة إلى الإسلام تجيء من شمال إفريقيا قوية واضحة نيرة، وكان للصوفية فضل كبير في هذا. . . والفضل الواضح الأثر كان للتجانية والسنوسية في القرون الأخيرة، فقد كانت التجانية لها عناية شديدة بالدعوة إلى الإسلام في غرب إفريقيا السوداء يبثون فيها الإسلام ويربونهم. كانوا يعلمون الزنوج الإسلام وينشئون معاهد تدرس الإسلام ويأخذون بعض الإفريقيين إلى المغرب الأقصى يعلمونهم مبادئ الإسلام ثم يرجعونهم إلى أقوامهم دعاة ومدرسين في المعاهد التي أنشئوها. وقد استمروا على ذلك حتى انتشر الإسلام في غرب إفريقيا ووسطها ، حتى إنك ترى الكثرة الكاثرة في ساحل الذهب وساحل العاج وغانا وغينيا والسنغال والكونغو

ونيجيريا من المسلمين الأقوياء في تدينهم).

كتب حول التجانية في إفريقيا:

من بين الكتب التي تكلمت على الفتوحات الإسلامية التجانية في إفريقيا نذكر:

1- الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية بغرب أفريقيا. لمحمد الحافظ التجاني.

2- الدولة الإسلامية ماضيها وحاضرها - لعبد الحميد العبادي أستاذ التاريخ بجامعة الإسكندرية.

3- الإسلام في غرب إفريقيا - للقس برمنجهام.

4- حاضر العالم الإسلامي - لورثروت ستوارد الأمريكي.

5- حاضر العالم الإسلامي - لشكيب أرسلان.

6- دعوة الإسلام - لمحمد أبو زهرة.

7- دائرة المعارف الإسلامية - المجلد الخامس ص 432.

8- كتاب (التيجانية طريقة صوفية في العصر الحديث) وهو بالإنجليزية - لجميل أبو النصر- نشر جامعة أوكسفورد 1985.

9- (جولات سودانية) لإبراهيم محمدون ، وهو من أحفاد الشيخ عمر تال الفوتي.

10- (البساتين في تاريخ السوادين) للشيخ موسى كمراوه في مجلدين ضخمين (نحو900 صفحة).

11- (كتاب الطريقة التجانية في السنغال) لإبراهيم مرون.

12- (الإسلام والثقافة في الجمهورية السنغالية) لمصطفى آن.

13- (نحر الآبال في ذكر أدباء السنغال) لمصطفى آن.

14- (مجهول الأمة) للشيخ أحمد التجاني بن أبي بكر ابن الحاج مالك سه - مطبعة السعادة بمصر 1961م.

وباللغة الفرنسية:

15- (التأثير المريدي في التجانيين) لفرناد كيسنو.

16- (كتاب إسلام السوادين ونبذة تاريخية حول السنغال) للفرنسي فينسان منتاي.

17- (الإسلام الأسود) للقبطان آندري.

18- (مساهمة في دراسة الإسلام الأسود) لمارسيل كاردير - باماكو 1949.

19- الإسلام في السنغال - لبول مارتي 1917.

20- رحلة إلى السودان الغربي.

21- الإسلام السوداني للقبطان آندري - باريز 1924.

الفصل السادس

التجانية في تركيا والغرب

عندما بدأت الطريقة التجانية تنتشر في مصر، وفي تونس إثر دخول مفتيها الأكبر إبراهيم الرياحي لها سنة 1216هـ، اعتنقها بعض البايات والحكام الأتراك وأسرهم هناك. ولما رجعوا إلى تركيا أصبحوا من الدعاة لها في بلادهم. ثم لقاء الحجاج الأتراك مع التجانيين في الحج، وانتقال بعض المقدمين التجانيين لتركيا، جعل الطريقة تنتشر وتتوسع هناك خصوصا في منطقة الأناضول. وأتباع التجانية في تركيا هم في طليعة المدافعين عن الدين الإسلامي والثقافة واللغة العربية، وشيوخهم من زعماء مقاومة حركات التغريب والإلحاد والانحراف. وفي هذا يقول الأستاذ برنارد لويس في كتابه (الغرب والشرق الأوسط) ص177 - نقلا من كتاب الحل الإسلامي فريضة وضرورة للأستاذ يوسف القرضاوي (ص: 153) -:

(حتى في تركيا. . . في المجتمع المتغرب العلماني المترفع. . . مجتمع الجمهورية الكمالية. . . قامت حركات دينية مكافحة تعارض الثورة الكمالية، وكان على زعامتها الإخوة الدراويش ، ولم يكن فيها العلماء لأنهم كانوا موظفين رسميين. ففي حياة كمال أتاتورك، كانت الحركة النقشبندية رأس حربة المعارضة الدينية، إذ قاد عدد غير قليل من أفرادها ثورات مسلحة، وأهمها في المنطقة الجنوبية الشرقية سنة1925م، وفي مينمين سنة 1930، أما حديثا فالحركة التجانية والحركة النورية هما اللتان تبشران وتدعوان لمناهضة الثورة الكمالية. . . لكنهما لم تحملا السلاح بعد، والسنوات الأخيرة توحي بأن المنظمات الدينية هي في طريق الزوال، فلقد منعت في بلاد كثيرة وضغط عليها في بلاد أخرى. ومن غير المشكوك فيه أن هذه المنظمات ما تزال قائمة تعمل في الخفاء وأنها تلقى صدى مستحبا عند غالبية الجماهير الشعبية من الطبقات الكادحة في المجتمعات الإسلامية. حتى أن الحكومات برغم علمانيتها تجد نفسها ملزمة - لمصلحتها - بتقدير المشاعر والولاءات الإسلامية، فمسايرة المرجعية التركية من قبل عدنان مندريس وإقامة المؤتمر الإسلامي في الجمهورية العربية المتحدة هما مثلان على ذلك) انتهى.

وقد بلغت المقاومة الإسلامية التجانية ذورتها في تركيا في بداية الخمسينات ، وانتشرت أخبارها في الصحف آنذاك، حتى كتب في ذلك المفكر المشهور عباس

محمود العقاد مقالا جاء فيه قوله [1]:

(جاء في أنباء الأناضول أن أتباع الطريقة التجانية جادون في إعادة الصبغة الإسلامية إلى الحكومة التركية، وأنهم يتعقبون آثار مصطفى كمال فيمحونها ويهدمونها، ومنها تماثيله في الميادين والأماكن العامة، وأنهم هم الذين دخلوا ساحة المجلس الملي الكبير وأذنوا فيه للصلاة باللغة العربية. وقال بعضهم: إن هزيمة الحزب الذي أسسه مصطفى كمال وخلفه على رئاسته عصمت إينونو ترجع إلى جهود هذه الجماعة وتضافر دعاتها على التشهير بذلك الحزب في الانتخابات البرلمانية التي أقامت الحكومة الحاضرة في مكانها. ولا يبعد أن يطمح التجانيون كما جاء في كلام بعض الرواة الصحفيين إلى تجديد الخلافة العثمانية، أو إقامة خلافة أخرى من قبيلها.

أما الأمر الذي استوقف النظر فهو نفوذ هذه الطريقة في آسيا الصغرى وهي كما تقدم ناشئة في المغرب الأقصى، وليس في استطاعة أتباع طريقة من الطرق أن يقدموا على تلك الحركة الجريئة ما لم يكن لهم تعويل صادق على عدد كبير من أبناء البلاد.

ويقال إن شيخا من شيوخ هذه الطريقة، وهو محمد المختار بن عبد الرحمن الشنقيطي أعطى عهد التجانية لوالي مصر محمد سعيد باشا [2] وسفر بين سلطان دارفور [3] والسلطان عبد المجيد العثماني [4] بالآستانة، لأنه كان من أصحاب الحظوة لديه، وكان دخول الطريقة إلى البلاد التركية على يديه. ويروى أنه جمع مالا كثيرا من أرباح التجارة، ثم فرقه واعتزل الدنيا وانقطع للطريق ووجه همته إلى نشر الدعوة في الأقاليم الوسطى من السودان على الخصوص). انتهى [5].

وروي أيضا أن جزائريا يدعى محمد العبيدي وصل إلى إسطنبول سنة 1314هـ

(1) انظر ص 507 إلى 513 من كتاب (بين الكتب والناس) للعقاد - طبعة بيروت.

(2) هو ابن محمد علي ولد بالقاهرة سنة 1822م، وهو الذي أصبح واليا لمصر من 1854 إلى 1883م. ألغى إباحة العبيد سنة 1856م. وساند الفلاحين وشجع المشاريع العمرانية كالسكك الحديدية والسدود والحفريات الأثرية. والنشاط العلمي، كما شجع مشروع القنال حتى سمي ميناؤه باسمه (ميناء سعيد).

(3) في السودان.

(4) خلف أباه محمود الثاني وتولى الخلافة من 1839م إلى سنة وفاته 1861م.

(5) النص الكامل لهذا المقال الذي كتبه الأستاذ عباس محمود العقاد نشرته الجريدة التونسية المسماة بالنهضة) في يوم الخميس 14ذي القعدة الحرام سنة 1370هـ الموافق 16غشت سنة 1951م.

(1897م) وأسس بها زاوية تجانية. وقيل أن الشيخ الجزائري محمد عبد المالك العلمي السائحي الذي أسس بالمدينة المنورة أول زاوية تجانية (والمتوفى عام 1353/ 1934) زار ماردين في تركيا فأخذ عنه جماعة من الأتراك وأسس لهم زاوية.

أما في أوربا وأمريكا فقد قام المهاجرون الأفارقة والأتراك من التجانيين بالدعوة إلى الإسلام والطريقة، خصوصا في فرنسا وإيطاليا وبريطانيا. ففي باريس وحدها حوالي تسع أماكن يجتمعون فيها للذكر والمذاكرة. وأوسع انتشار لدعوتهم الآن هو في أوساط الأمريكان السود بحيث أسست في السنوات الأخيرة عدة زوايا لهم في شيكاغو وواشنطن ونيويورك وغيرها.

وفي إيطاليا اليوم جماعة من المثقفين الإيطاليين اعتنقوا الإسلام والطريقة التجانية ويدعون إليها بزعامة مقدمهم الأستاذ الكاتب عبد الصمد يحي التجاني الذي تتلمذ على الشيخ محمد الحافظ التجاني بمصر بعد اعتناقه الإسلام حوالي سنة 1974، ثم أخذ عن شيوخ للتجانية آخرين منهم الشيخ إدريس العراقي بفاس وغيره.

وربما هذا الانتشار الواسع هو الذي جعل بعض شعرائهم الجزائريين يقول في طريقة التجاني:

طريقته طريقة الفضل والمن ... لها كتب الخلود والنشر
تمدد نشرها لقارتنا الخمس ... وما ثم أرض قط يخلو منها الذكر
فلندن وباريس وشنطن كذا روما ... بكين وحتى الكرملين بها ذكر
فحدث عن الأعلام من تلمذوا لها ... شيوخ وحكام ومن لهم قدر
وقد شهدوا بالحق قالوا: هي المنى ... هي الحق والشفاء والعلم والدر

ويقول الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في آخر الجزء الثالث من كتابه (معلمة التصوف الإسلامي):

وقد زرت باريس سنة 1955 فوجدت في العاصمة الفرنسية وحدها أربعة عشرة زاوية تجانية تحت إشراف مقدم وهو الشيخ العربي الهشتوكي. وحكى لي أحد أقاربي أنه زار واشنطن في الأربعينيات فسمع قراءة الوظيفة في إحدى أزقة العاصمة الأمريكية فدخل فوجدها زاوية تجانية.

والأستاذ عبد العزيز بن عبد الله من مشاهير مقدمي التجانية بالمغرب وهو معدود من أعلام علماء العالم الإسلامي، وقد تقلد مناصب سامية في التعليم العالي، وحاضر في أزيد من عشرين جامعة في القارات الثلاث، وله نحو المائة مؤلف منها

نحو الأربعين معجما بثلاث لغات – العربية والفرنسية والإنجليزية – وموسوعة الأعلام الحضارية والبشرية للمغرب، وأزيد من ثلاثين معلمة حول المدن والقبائل، ومصنفات حول العلوم التجريبية والكونية والحضارة، وعشرة مصنفات بالفرنسية حول الإسلام والحضارة العربية والطريقة التجانية.

الفصل السابع

أعلام التجانية المعاصرين

تذكر في هذا الفصل نبذة من تراجم ستة من كبار شيوخ التجانية العلماء الذين ساهموا بفعالية خلال القرن الرابع عشر في خدمة العلوم الشرعية ونشر الطريقة التجانية.

1) الحاج أحمد سكيرج المغربي

هو الحاج أحمد العياشي ابن الحاج عبد الرحمن بن البرنوسي سكيرج الخزرجي الأنصاري. ولد بفاس في شهر ربيع الثاني سنة 1295هـ. ولما توفي الشيخ أحمد التجاني عام 1230هـ كان جده ابن تسع سنوات فصحب خلفاء الشيخ ، وكان يأخذ حفيده المترجم له وأخاه إلى الزاوية وهما صغيران، وتوفي سنة 1311هـ. وأما جده لوالدته فقد أخذ عن الشيخ مباشرة، ووالده الحاج العياشي جاهد وحج واعتمر وطلب في مواجهة المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يرزقه الله ولدا صالحا ينتفع به الناس ويجري الله على يديه مصالح العباد.

قرأ أحمد القرآن على الفقيه المدرس محمد بن الهاشمي الكتامي. وفي سنة 1309 التحق مع أخيه محمد بدروس العلم بمسجد القرويين. وكان التحصيل في أول أمره شاقا عليه حتى اجتمع بشيخه الحبيب بن الحاج الداودي التلمساني فشكا له حاله فقال إنك لم تهتد لطريقة التعلم، فإن السبيل السهلة في الوصول للمقصود نصف للفهم ونصف للحفظ، فسهل الله عليه العلم والحفظ والفهم وتبحر في مختلف العلوم الشرعية والأدبية، وأخذ العلم والتصوف عن العارف إدريس عمور الناس. وفي سنة 1314 ألف رسالته المحررة في الفرائض فأعجب بها شيخه وكل من رآها. وأخذ الحديث عن الصوفي عبد الله بن إدريس البكراوي. ثم أخذ الطريقة التجانية عن الفقيه العلامة محمد قنون، وعن العربي بن السائح والتجاني بن باب وعبد المالك الضرير وخصوصا على أحمد العبدلاوي الذي صحبه سنة 1316هـ وانتفع به وأخذ عنه علوما كثيرة. وفي عام 1318 درس بالقرويين متطوعا. وفي سنة 1320 عين مدرسا رسميا فأفاد وألف. وأول مؤلف له في الطريق (الكوكب الوهاج) في سنة 1318هـ. وفي سنة 1320 تزوج وولد له ابنا سماه عبد الكريم سنة 1322 وسماه بهذا الاسم حبا في أحد شيوخه في الطريق وهو الحاج عبد الكريم بنيس الذي قرأ عليه أمهات كتب التصوف

وحل له رموزها. وفي عام 1325 سافر إلى مكناس بطلب نقيب الأشراف العلامة مولاي عبد الرحمن بن زيدان واجتمع هناك بعلماء وفضلاء وألف في ذلك (الرحلة الزيدانية). وزاو طنجة في سنة 1328هـ. وفي سنة 1329 استدعاه مقدم وهران المفتي الحبيب بن عبد المالك فسافر إليه واجتمع به وبجمع من الأفاضل ثم عاد إلى فاس وألف في ذلك (الرحلة الوهرانية - أو الحبيبية) ، وفي هذه السنة قدم إلى فاس شيخ زاوية عين ماضي وحفيد ابن الشيخ أحمد التجاني السيد محمود فتجول معه بالمغرب الأقصى مدة أربعة أشهر ، ألف بعدها رسالة في هذه الرحلة. ثم أقام بطنجة وتعارف مع الباشا الحاج محمد الزكاري. وطلب للعمل في نظارة أحباس فاس الجديد فأقام بها أربع سنوات. وفي سنة 1334 هـ توجه للحج وعينته الحكومة الشريفية نائبا عنها في تهنئة الملك حسين باستقلال الحجاز وألف (الرحلة إلى الحجاز) وفيها اجتمع بكثير من علماء مصر وروى عنهم الحديث وأجاز واستجاز، منهم الشيخ سليم البشرى والشيخ بخيت والشيخ عبد الرحمن عليش وغيرهم، وكذلك علماء الحجاز. ونال أكبر تقدير من جميع الهيئات العلمية والإدارية في اجتماع جمعية أوقاف الحرمين الشريفين في العام الذي تلا الحج المذكور، ثم انتقل من النظارة إلى القضاء بمدينة وجدة. ثم تولى عضوية المحكمة العليا بالرباط ثم عاد إلى القضاء بثغر الجديدة في شعبان سنة 1342هـ وبمدينة سلطات سنة 1347 وزار مصر خلال حجه سنة 1352هـ. قال عنه الشيخ محمد الحافظ المصري:

(وقد تشرفت بزيارته وهو قاضي سطات سنة 1356 وما رأيت من بارك الله له في حياته وزمنه كسيدي الحاج أحمد سكيرج ، فإنه كان يرعى أموره الدنيوية والزراعية بنفسه مع قيامه بالقضاء والاجتماعات الدينية وإلقاء العظات التي يلين لها الصخر والإصلاح بين الناس والرد على الاستفتاءات التي كانت ترد عليه من أقطار العالم الإسلامي برسائل كل واحدة منها تصلح أن تكون مؤلفا مستقلا كافيا في موضوعه. وهذا شيء لا نستطيع حصره فإن أصحابه الآخذين عنه كثرة في مشارق الأرض ومغاربها من المحيط الأطلسي في أقصى المغرب إلى المحيط الهادي في الأقطار الأندنوسية في أقصى المشرق من كبار العلماء والأدباء وذوي الرأي. وكان كتب هذه الرسائل بنفسه وخطه مع اشتغاله بالاطلاع والتأليف نثرا وشعرا في قوة بيان وبلاغة ناصعة وتحرير حكيم. . . وقد انتفع فحول العلماء بسيدي أحمد سكيرج بملاقاته وبمكاتبته وتآليفه في العالم الإسلامي كله من عرب وهنود وأتراك وألبانيين وجاوه

وغرب أفريقيا وشرقها واليمن ومن في المشرق والمغرب. وأفرده بتأليف خاص سلطان المغرب مولانا عبد الحفيظ، وقد كان رحمه الله اجتمع به أحد العلماء الوافدين من الجنوب والتحق بدرسه الخاص الذي كان يضم نخبة أكابر علماء المغرب في قراءة التفسير والحديث وكان إذ ذاك يقرأ صحيح البخاري ، وكان بين ذلك الرجل وبين بعض الشيوخ الطرق الملازمين للسلطان خصومة فأوغر صدر السلطان عليهم ونسب إليهم ما هم منه بريئون حتى انحرف السلطان عنهم ثم بطش ببعضهم فقامت بعد ذلك فتن كانت سببا في إقصائه عن السلطنة وعن المغرب ، ثم اجتمع بعد ذلك بمدة بسيدي الحاج أحمد سكيرج فعرض عليه ما عنده من الشبه فبين له حقيقتها بالدلائل الحاسمة فلما تبين له الحق رجع عن إنكاره وأخذ الطريقة التجانية عنه وصار من أخص أصحابه حتى ألف ديوانا في مدح الشيخ سيدي أحمد التجاني به القصائد البليغة ومنها قصيدته العينية المشهورة التي يقول فيها:

ألا هل يلذ النوم والربع شاسع   وهل من لقاء الحب يفني التواضع

إلى أن قال فيها رحمه الله:

واني وإن كنت المسيء الذي اعتدى   وحارب جهرا ها أنا اليوم طائع
فما عن قلبي كان البعاد وإنما   أطاع فؤادي ما هوته المسامع
فإن تمنحوا المهموم قربا وعطفة   فمحمدة من بعض ما أنت جامع
وإن تعف عن ظلم بدا منه بعدما   قد ارتفعت عن وجه ليلى البراقع
فلا غرو أن العفو بالإرث ملككم   بدا برقه في ذلك الحي واقع
وفي ابن أبي سلمى سلو لتائب   وفي نيله ثوب النبي مطامع
وقفو سبيل المصطفى وصحابه   طريقتك المثلى فلا من ينازع

إلى أن ختمها بقوله:

شفيعي ودادي في هواك بلا مرا   وجدك يوم الحشر للكل شافع

وقد ألف مولانا عبد الحفيظ كتبا قيمة في الطريقة التجانية وفي غيرها ، وقد اجتهد من قبل في نشر العلم أيام ملكه وأمر بطبع عدة كتب مثل: البحر والإصابة وغيرهما من كتب الحديث والتفسير ومازال ينتفع بها الخاص والعام ، وقد طبع في آخر حياته أرجوزته الجامعة العرفانية في الطريقة التجانية ، وقد ذكر فيها شيخه سيدي الحاج أحمد سكيرج. . .) انتهى كلام الشيخ محمد الحافظ.

وقبل وفاته بثلاثة أيام سافر الشيخ سكيرج من سطات حيث كان يقيم إلى

مراكش فتوفي بها يوم السبت 23 شعبان عام 1363الموافق 13أغسطس سنة 1944 وهو يلهج بذكر الله تعالى. وأمر باشا مراكش أن يدفن مع القاضي عياض صاحب كتاب (الشفا في التعريف بحقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم) وكان سكيرج قد نظم هذا الكتاب كله. وبالفعل دفن معه بضريحه ونشرت جريدة السعادة بالمغرب ترجمته، ورثته، وكذلك جرائد المغرب وتونس. وقد خلف كثيرا من التآليف بلغ عددها أزيد من 150 كتابا [1].

فمن مؤلفاته:

1 - منهل الورود الصافي والهدي من فتح الكافي في شرح الشافي وهو كتاب جامع في علمي العروض والقوافي ألفه سنة 1321هـ يقع في نحو230صفحة.

2- تنوير الأفهام بختم تحفة الحكام (طبع بفاس في 48).

3- نفع العموم في المسامرة ببعض العلوم. وهو نظم وله عليه شرح عنوانه: (رفع الغموم في شرح نفع العلوم) لكنه لم يتم.

4 - الوصية الشافية. تكلم فيه على 121 علما يقع في 3042 بيت.

5- بستان المعارف فيما أورده الوارد من اللطائف عن بعض المواقف.

6-نصيحة الإخوان في سائر الأوطان (قصيدة طويلة طبعت بفاس والقاهرة).

7 - نيل الأرب في أدب العرب - طبع تونس عام 1341هـ في 28 صفحة.

8 - كتاب الإنباء بنصح الأبناء. وفي آخره تشطير لقصيدة الشيخ العمري الزواوي التي مطلعها: (بني اسلك سبيل المومنينا).

9- النفحة العنبرية في الأجوبة السكيرجية وهو كتاب نفيس في المعارف الإلهية. (طبع بالقاهرة عام 1352هـ في 160صفحة).

10- طرق المنفعة في الأجوبة عن الأسئلة الأربعة (طبع بالقاهرة 1345هـ). (في الطريقة التجانية).

11 - الظل الوريف في تاريخ محاربة الريف.

12- المنفرجة وعليها شرح الحاج محمد أنياس السنغالي (طبع القاهرة1351هـ)

(1) في السنوات الماضية قام الأستاذ المغربي محمد الراضي كنون بتحقيق بعض الرسائل وتأليف الشيخ سكيرج تحقيقا ممتازا ونشرها وذكر من تآليفه 157 عنوانا، منها تحقيقه لنظمه البديع كتاب الشفا للقاضي عياض.

13 - قرة العين في الجواب عن الأسئلة المودعة في خبيئة الكون. وهو جواب عن أسئلة أوردها الحكيم الترمذي في كتابه (ختم الأولياء) امتحانا لمن ادعى الولاية.

14 - العدة من إنشاء همزية من البردة.

15 - (كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب) في أربعة أجزاء طبع عدة مرات.

16- (رفع النقاب) وهو أيضا في تراجم رجال الطريقة التجانية في 4 أجزاء.

وألف في الدفاع عن التصوف عموما والتجانية خصوصا كتبا عديدة منها:

17- اليواقيت الأحمدية العرفانية في الأجوبة عن بعض الأسئلة في الطريقة. أملاها على السيد محمد أمغارة التطواني (طبع فاس 1333هـ في 127صفحة)

18- الكوكب الوهاج لتوضيح المنهاج. (طبع بتونس في 283 صفحة).

19- تنبيه الإخوان في الانفراد بالطريقة التجانية.

20- سبيل الرشاد في المحاورة بين ذوي الانتقاد والاعتقاد - طبع فاس64 صفحة.

21- زوال الحيرة عما نشرته جريدة الزهرة تحت عنوان: (أين حماة القرآن؟).

22 - السر الرباني لرد ترهات بن مايابا العاني - طبع بالدار البيضاء -.

23 - الحجارة المقتية بكسر مرءاة المساوئ الوقتية في الرد على ابن الموقت.

24 - عقد المرجان الموجه للشيخ محمد بن سليمان. - طبع بتونس -.

25- الإيمان الصحيح في الرد على مؤلف الجواب الصريح- طبع تونس 132 صفحة.

26- الصراط المستقيم في الرد على مؤلف المنهج القويم - طبع تونس -.

27- نيل الأماني في الطب الروحاني والجثماني المروي عن الشيخ سيدي أحمد التجاني.

28- جناية المنتسب العاني فيما نسب للشيخ سيدي أحمد التجاني بالكذب.

29-اختيارات الشيخ سيدي أحمد التجاني الفقهية.

30- تفسير بعض القرآن.

31- مباحث في التفسير.

32- ثبت في الأسانيد الحديثية.

وله دواوين كثيرة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومدح الشيخ وفي وصف رحلاته وغير ذلك من الأغراض الشعرية مما تعد أبياته بعشرات الآلاف ، ومنها:

34- (مورد الصفا في محاذاة الشفا) وهو كتاب (الشفا) للقاضي عياض في 7747 بيت. وقد فرغ من نظمه في 21 ربيع الأول عام 1350هـ.

35 -(الذهب الخالص في محاذاة كبرى الخصائص) وهو نظم للخصائص الكبرى في السيرة النبوية للحافظ السيوطي، نظم نحو خمس أسداس الكتاب في 19150 بيتا وبقي سدس الكتاب، بلغ في نظمها إلى قول السيوطي: (باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بساعة الإجابة وبليلة القدر وبشهر رمضان) وكان ذلك عشية يوم الخميس 22 رجب عام 1363هـ وتوفي بعد ذلك بشهر فأكمل نظم الكتاب أخوه الأكبر منه سنا الحاج محمد سكيرج.

36- الرحلة الزيدانية إلى مكناس باستدعاء من النقيب عبد الرحمن بن زيدان عام 1326 هـ.

37 - الرحلة الحبيبية الوهرانية الجامعة للطائفة العرفانية (طبع فاس 1329هـ في 143 صفحة).

38- رحلة منظومة عنوانها: (تاج الرؤوس بالتفسح في نواحي سوس) - طبع فاس 64 صفحة.

39- الشطحات السكيرجية: (طبع بالقاهرة سنة 1352 في 64 صفحة).

40- السحر البابلي الموجه للعارف التادلي(طبع بالإسكندوية عام 1347 في 32 صفحة).

41- ذكرى زيارة أحمد سكيرج للقطر المصري سنة 1352هـ (طبع بالقاهرة في 20 صفحة).

42- الروضة اليانعة والثمرة النافعة في شرح الفذلكة الجامعة فيصرف الجامعة، ويليه: إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي، (طبعا بفاس وترجما للفرنسية).

43- العبرة بطول العبرة (طبع بالقاهرة في 38 صفحة) وتنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح طول الزمان ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيفما كان (طبع بتونس 1339هـ في 232 صفحة).

44 - الوردة في تخميس البردة (مطبوع بفاس عام 1333 هـ في 28 صفحة).

45- السحر الحلال في مدح سيد الرجال (قصائد في مدح الرسول - طبع فاس في 16 صفحة).

46- ضوء الظلام في مدح خير الأنام (معشرات على حروف المعجم في مدح الرسول - طبع فاس).

47 - كمال الفرح والسرور بمولد مظهر النور (طبع فاس 1333هـ في 24 صفحة).

48-مطالع الأسرار لمدارك الأحرار في شرح صلاة الفاتح لما أغلق بالحروف المهملة (طبع فاس16صفحة).

49 - مورد الوصول لإدراك السول وهو شرح لجوهرة الكمال بالحروف المهملة (طبع فاس 1332هـ في 12صفحة).

50 - حضرة التداني في شرح أبيات الختم التجاني (طبع بفاس في 14 صفحة).

51 - نور السراج في شرح إضاءة التاج على منظومة سيدي الغالي السنتيسي لدرة التاج وعجالة المحتاج لسيدي الحاج عبد الكريم بنيس في فقه الطريقة التجانية (طبع بفاس في 62 صفحة).

52 - النفحات الربانية في الأمداح التجانية (مرتبة على حروف المعجم طبع فاس في 128صفحة).

53 - العدة في إنشاء همزية من البردة ويليها: الترصيع في تضمين البردة على نوع بديع من فن البديع (طبع تونس عام 1339هـ في 25 صفحة).

54- البعثة المكية: وهي رحلته للحجاز سنة 1334 هـ مبعوثا من السلطان يوسف لدى شريف مكة الملك حسين في نحو220 صفحة.

55 - الجوهر المنظوم في ختم مقدمة ابن آجروم.

56 - الفتح المبين في ختم المرشد المعين، في نحو 40 صفحة جله نثر وآخره شعر.

57 - منهج الدراية في نظم النقابة في 1400 بيت أتمه سنة 1322هـ.

58 - الراية المنشورة في الجواب عن الأسئلة المنوطة بالصداق والشورة (وهي 43 جوابا).

59 - الأجوبة المرضية عن الألغاز النحوية (وهي قصيدة نونية أجاب بها عن

ألغاز أبي سعيد فرج بن لب الثعلبي في النحو وهي نحو 60 لغزا).

60- الفيوضات العرفانية وهي رسالة في الدفاع عن التجانية في 134 صفحة.

61- نهج الهداية في معنى الختمية التي تظاهر بها الشيخ التجاني. في120 صفحة.

62 - زهر الأفانين في الجواب عن الأسئلة الثلاثين - وجهها لعبد العزيز بن عبد الماجد السوداني.

63 - حديقة أنسي في التعريف بنفسي - كتبها لما بلغ خمسين سنة عام1345هـ.

64 - الجواهر المنتثرة في الجواب عن الأسئلة الإحدى عشرة (في التصوف بعث بها إليه الفقيه أحمد بن الحسين الدويراني قائد دويران بناحية مراكش).

65- الغنيمة الباردة بترجمة سيدنا الوالد مع سيدتنا الوالدة (ترجم فيها لوالديه وهي تحتوي على قصائد في رثائهما وأرجوزة في والده تنيف أبياتها على 470 بيت).

66 - استخراج تراجم النحو من البسملة (وهي نحو100 صفحة).

67- تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني (نحو110 صفحة).

68- جنة الجاني بتراجم بعض أصحاب الشيخ التجاني (نظم في 360 بيت).

69- القطوف الدانية بشرح الجامعة العرفانية (وهو شرح لأرجوزة سلطان المغرب عبد الحفيظ في شروط الطريقة التجانية وفضائلها وطبعت بتونس عام 1345 هـ في 44 صفحة وشرح منها سكيرج 29 بيتا فقط في 84 صفحة).

70- الذخيرة للآخرة (ديوان قصائد تقرب من السبعين في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم أبياتها تجاوز الألفين).

71- رسالة الامتنان والرحمة إلى سائر الأمة (في التصوف، في نحو25 صفحة).

72- السر الباهر بما انفرد به الجامع عن الجواهر(في 30 صفحة، غير تام).

73- شراب أهل الاختصاص من بحر البسملة بين الخواص (في نحو 30 صفحة).

74- نظم العهود (في 291 بيت مقتديا بكتاب العمود المحمدية للشعراني).

75- الحوض المورود في مدحي سيد الوجود (قصائد في أكثر من 1000 بيت).

76- شرب المدام بتخميس أبيات رأيتها في المنام (كان رأى في المنام أنه نظم قصيدة في مدح العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، وكتب الأبيات الثلاثة الأخيرة منها بالمداد الأحمر فلما استيقظ وجد نفسه يرددها فطلب من عدد كبير من شعراء المشرق والمغرب تخميسها. . . .).

77- تحفة الأنام بتراجم من خمس أبياتا حفظتها في المنام (وهي المشار إليها).

78 - حسن الوسائل في الأجوبة عن بعض النوازل (جمع فيه بعض فتاويه الفقهية).

79- رياض السلوان بمن اجتمعت به من الأعيان (ترجم فيه لأكثر من 75 شخصا)

80- قدم الرسوخ لما لمؤلفه من الشيوخ (ترجم فيه لما يقرب من ستين شيخا مع ذكر إجازاتهم له، في 300 صفحة).

81 - فهارس الشيوخ لصاحب قدم الرسوخ (جمع فيه فهارس كثير من علماء المشارقة والمغاربة، منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط).

82- يواقيت المعاني في مذهب الشيخ التجاني(نظم في نحو500 بيت).

83 - الجوهر المنظوم من كلام القطب المكتوم (جمع فيه ما بلغه من اللطائف والحكم من كلام الشيخ التجاني، وهو مرتب على حروف المعجم كتبه سنة 1328هـ).

84 - حياة القلب الفاني بمدح القطب التجاني (فيه قصائد غير ما جمعه في النفحات الربانية).

85 - هدية الزائر لنادي الترقي بالجزائر (وهي مسامرة ألقاها بنادي الترقي في الجزائر العاصمة باقتراح من أحمد توفيق المدني، تكلم فيها على مدينة فاس وذلك في 2 جمادى الأولى عام 1364هـ 17نوفمبر1927م،صفحاتها: 28).

86 - كنز الأسرار في الكلام على دور الأنوار(موضوعه حول أحد الأذكار الخاصة في الطريقة عنوانه (دور الأنوار).

87 - شفاء العليل بتحويل البردة من بحر البسيط إلى البحر الطويل.

88 - تقرير الشدة بتشطير البردة.

89- القصيدة الكافية بتضمين الهمزية في كافية (أبياتها 456).

90 - المجموعة السكيرجية (جمع فيه عددا كبيرا مما اختاره من القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم على نحو المجموعة النبهانية).

91 - الزبابي المبثوثة (في نحو300 صفحة جمع فيه عددا من تقييداته وأشعاره ومرائيه في أطوار حياته).

92- نسمات الأسحار في نظم الأشعار (ديوان حافل بمواضيع مختلفة).

93- أسنى المطالب فيما يعتني به الطالب (كناش جمع فيه بعض الفوائد).

94- ثمرة الفنون في فوائد تقر بها العيون (كناش اتخذه أيام شبابه جمع فيه فوائد وقصائد ومرائي وفنون مختلفة).

95- خزانة أدبية، وفوائد علمية (كتب منه نحو 60 صفحة).

96- تطييب النفوس بما كتبته من بعض الدروس والطروس (في نحو 300 صفحة).

97 - المنتخبات (جمع فيه عددا كبيرا من الفوائد في فنون متنوعة).

98- غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود (وهي رحلته التي وافق فيها شيخ زاوية عين ماضي السيد محمود بن البشير بن محمد الحبيب ابن الشيخ أحمد التجاني إلى أن وصل إلى الرباط وذلك عام 1329هـ، وهي في 202 صفحة).

99- فتح الباري بشرح الحكم العطائية مع عمي الحاج الزكاري (وهو غير تام).

100- نصيحة الصبيان في سائر الأوطان (وهي تشطير لقصيدة محمد الحجوي الثعالبي التي سماها: حفظ الرمق بالتربية والتهذيب).

101- الاغتباط في الجواب عن الأسئلة الواردة من الأغواط (وعددها 12 سؤالا).

102- وقاية العطب ببعض الخطب (جمع فيه بعض خطبه الجمعية) وهو غير تام.

103- معارضة مقصورة ابن دريد (خاطب بها شيخ الجماعة بالرباط السيد المكي البيضاوي عام 1344 هـ، أبياتها: 100).

104- دائرة الخيال (وهو تأليف غريب خاطب فيه أناسا اجتمع بهم خياليا).

105- الدر الثمين من فوائد الأديب بلامينو الأمين.

106- الرحلة لتدشين مسجد باريس سنة 1926م وهي قصيدة على نسق

الشمقمقية لابن الونان، وهو الذي كان ألقى أول خطبة بالمسجد المذكور بمحضر سلطان المغرب يوسف وعدد من الوزراء والأعيان. كما أنه هو الذي نظم كل ما نقش بالمسجد المذكور من قطع شعرية. وله قصائد أخرى عارض بها الشمقمقية المذكورة منها واحدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

2- الشيخ الفقيه الحجوجي المغربي [1]

هو محمد بن محمد بن المهدي بن محمد بن العربي الذي يرتفع نسبه إلى إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم.

ولد بفاس في 27 من رمضان عام 1297هـ. قرأ القرآن على ابن عمه أحمد الحجوجي (المتوفى عام 1333) وتعلم التجويد ثم دخل كلية القرويين سنة 1315 فأخذ عن عدة شيوخ منهم محمد بن جعفر الكتاني، وأحمد بن الخياط وغيرهم بحيث بلغ عددهم أكثر من أربعين شيخا. وقد بسط الكلام عليهم وترجم لكل واحد منهم وذكر إجازاته له في كتاب خاص سماه: (كنز اليواقيت الغالية في الأسانيد العالية) في أربعة أجزاء. وفي نفس السنة (1315هـ) انخرط في الطريقة التجانية على عدة مقدمين. وفي عام1324 توجه للحج فألف رحلته المسماة: (بلوغ المرام في الرحلة لخير الأنام) وفي هذه السنة أجيز في الإرشاد بالطريقة. وفي سنة 1327 حج مرة ثانية وألف رحلته المسماة: (شفاء الغرام في حج بيت الله الحرام). وحج مرة ثالثة سنة 1360. وجال في المغرب والجزائر وتونس والشام ومصر واليمن والحجاز وأفاد واستفاد، وقد كتب بخط يمينه مجلدات كثيرة ورتب على نفسه أورادا وأذكارا كثيرة، واعتكف في رمضان مرات عديدة في الزاوية التجانية بفاس. وتوفي ليلة الأحد الثالث من جمادى الثانية عام 1370هـ الموافق 11مارس 1951م ودفن بالزاوية التجانية بدمنات بعد أن صلى عليه مولاي السباعي مقدم زاوية الدار البيضاء. وقد ألف كثيرا من الكتب والرسائل والأشعار والمراسلات والطر على عدة كتب. وها هي عناوين مؤلفاته:

01- الحلل السندسية على الشمائل الترمذية تتبع فيها تراجم الرجال وفوائد الحديث ومن أخرجه من الأئمة ولطائف مهمة، وهو في ست مجلدات.

---

(1) اقتبست هذه الترجمة من ترجمة طويلة بعث بها إلي الأستاذ طالب عبد الرحمن، وكتبها ولد المترجم له أحمد بن محمد الحجوجي.

02- المنح الوهبية في شرح المنظومة المسماة: تلخيص الشمائل النبوية. وهو شرح على منظومة الشيخ عبد الرحمن العراقي على الشمائل، في جزء ضخم.

03- (بغية السائل في تخريج أحاديث الشمائل) في مجلد.

04- (سبل النجاة في التعلق بسيد السادات) وهو كتاب في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مرتبة على الحروف الهجائية في مجلد.

05 - (شفاء السقام بمولد خير الأنام).

06- (بلوغ القصد والمرام في قراءة مديح خير الأنام).

07- (بلوغ المرام في زيارة قبر خير الأنام).

08- (النبذة المختصرة في الرد على من يرد على أولياء الله الخيرة) وهو أول كتاب ألفه.

09- (منحة الوهاب في تخريج أحاديث الشهاب) في مجلد.

10- (إرشاد المقيم والساعي لفهم أحاديث القضاعي) في مجلدين.

11- (فتر القدير في شرح التاريخ الصغير للإمام البخاري) وهو تأليف جيد منقح، في أربعة مجلدات ضخام.

12- فهرسته المسماة بـ (نيل المرام في معرفة رجال الإسناد).

13- رحلته المسماة (شفاء الغرام في حج بيت الله الحرام وزيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام) وهي تشتمل على فوائد تاريخية وفقهية تتعلق بالحج.

14- (نزول السكينة على من يسرد أحاديث موطأ عالم المدينة).

15- (نفحات الباري على من يسرد أحاديث الإمام البخاري).

16- (افتتاح لصحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري).

17- (ختمة لصحيح مسلم).

18- (ختمة لصحيح البخاري).

19 - (نزهة السالك في ختم موطأ إمام الأئمة وعالم دار الهجرة مالك).

20- (الفتح المبين في قراءة الأربعين) اشترط فيها الحديث الصحيح المخرج في عشرة كتب حديثية.

21 - (هداية السالك إلى ختم موطأ عالم المدينة مالك).

22 - (ترقية همة الطالبين في شرح كتاب الضعفاء والمتروكين للإمام البخاري) في مجلدين وهو كتاب نفيس.

23 - (هداية الأنام في شرح لكتاب خير الكلام في القراءة خلف الإمام للبخاري) في مجلد ضخم.

24 - (عجالة المحتاج في ختم حديث صاحب اللواء والتاج).

25 - (نزهة الأذهان في شرح كتاب المنفردات والوحدان لمسلم بن الحجاج) في مجلدين.

26 - (تذكرة المسترشدين بشرح كتاب الضعفاء والمتروكين لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي) في مجلد ضخم.

27 - (إدراك القصد والمرام بشرح مسند الدارمي الحافظ الإمام) في ثمان مجلدات.

28 - (سر الرحمن فيما في مسند الدارمي من تراجم الرواة والقبائل والبلدان) في أربعة مجلدات.

29 - (فتح الودود في شرح كتاب مراسيل أبي داود) في مجلد.

30 - (بلوغ الطالب نيله في شرح كتاب: عمل اليوم والليلة لابن السني) في ثلاث مجلدات.

31 - (نجاح الدارين في شرح كتاب قرة العينين في رفع اليدين) في مجلد.

32 - (تنوير الصدر بشرح كتاب الشكر) وهو جزء للحافظ أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا البغدادي. في مجلد وهو قيم.

33 - مرشد السالك لأقوم منهج ببيان بعض مناسك الحج.

34 - (عجالة المحتاج في ذكر بعض مناسك الحاج وزيارة ضريح صاحب اللواء والتاج).

35 - (القول المعرب في حكم كيفية النافلة بعد المغرب).

36 - (القول الموجز الفصيح مما يتعلق بحديث التنفير من الميل إلى زهرة الدنيا للمخرج في الصحيح).

37 - (شفاء القلب الكئيب في مخاطبة الحبيب).

38 - (افتتاح بردة المديح لمحمد بن سعيد الصنهاجي الدلاصي البوصيري).

39 - (ختمة للبردة).

40 - (كنز اليواقيت الغالية في الأسانيد العالية).

41 - (الجواب المقنع عن قول من قال: البزولة الميتة لا ترضع).

42 - (رشحات الأقلام التي تحمد من تسرد في شرح كتاب الأدب المفرد) في أربع مجلدات.

43 - (النفحات الطيبة الذكر في الأجوبة عن الأسئلة العشر).

44 - (جواهر الأطواق في شرح كتاب مكارم الأخلاق للخرائطي) في مجلدين.

45 - (سلافة الصفا في تراجم رجال الشفا) في مجلدين اشتمل على أزيد من ألف ترجمة.

46 - (هداية والد شفوق لولد صالح من رق الأغيار معتوق).

47 - (نصيحة في نادي الأمم الراقية موقظة لمن في قلبه لوطنا بقية باقية).

48- ديوانه الشعري الذي سماه: (حديقة الأنوار البهية في جمع القصائد الشعرية) وهي مرتبة على الحروف الهجائية.

49 - (نصيحة الإخوان لمن يريد الفوز بالرضوان) وهي منظومة اشتملت على 111 بيت.

50 - (النفحات القدسية في القصائد الشعرية).

51 - (إيقاظ النائم وزرع حب الوطن في ابنه الهائم).

52 - (نصيحة أخ لأخيه في الله بما تحمد في الدارين عقباه).

53 - (نيل المرام في ذكر بعض ما يتعلق على النساء معرفته من الأحكام).

54 - (بحور المواهب الزاخرة في الوصية النافعة في الآخرة).

55 - (كمال العبد وغناه في تعلقه بالله وإعراضه عما سواه) وهي قصيدة بدء أبياتها بأوائل السور وفيها رموز وهي من (ألم) إلى(نون) مشتملة على 78 بيت.

56- (السر الهائل في ترجمة رجال الشمائل) في مجلد.

57 - (الحكم النورانية والفتوحات الصمدانية) وهي حكم حاذى بها حكم ابن عطا الله السكندري في التصوف وعددها 182 تنقص حكمة واحدة عن عدد حكم ابن عطا الله الذي عددها 183.

58 - (فتوح الرحمن في التعلق بسيد الأكوان).

59 - (مفتاح السعادة في جمع الهمة على الفرد الكامل من أهل الإفادة).

60- (حزب الالتجاء إلى حضرة رب الأرباب والتذلل لباب الملك الوهاب).

61 - (حزب السؤال لحضرة العلي المتعال).

62 - (حزب الاعتصام بحبل الملك العلام).

63 - (فتح المنان في مراعاة حقوق الإخوان).

64 - (اليواقيت السنية في الشعبة الحجوجية الحسنية).

65 - (لوامع أنوار فيوض أسرار وسطوع شموس وأقمار وعبير أفنان وأزهار).

66 - (إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض تراجم رجال الطريقة التجانية) وهو كتاب اشتمل على مقدمة ومطلب وثلاث طبقات وخاتمة في ثمانية أجزاء.

67 - (نخبة الإتحاف في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف) وفيه ثلاثة أجزاء وهو مرتب على ترتيب البلدان.

68-(فتح الملك العلام في تراجم علماء الطريقة التجانية الأعلام) في مجلدين.

69 - (القول المحكم في صفة المقدم).

70 - (القول السديد في صفة المريد).

71-(تيسير الأماني لقراء شهدة الجاني) وهو شرح كتاب (شهدة الجاني) لأبي عبد الرحمن الشنقيطي.

72-(بستان الحقائق العلية في ترتيب الأوراد ونوافل الخيرات على الأوقات النهارية والليلية) في مجلد.

73-(جلاء القلب الحزين العاني في التمسك بالعهد التجاني).

74-(رحلة التداني المنسوجة من مداد الإمام التجاني).

75 - (رحلة القرب والتداني وحلة القبول والتهاني وفيض الفتاح الساني المقتبس من بحر الإمام التجاني).

76- (فيض فضل الله المنتشر المقتبس من كلام الشيخ التجاني: بسير زمانك سر).

77 - (مواقف القرب والتداني من حضرات السر الحقاني) في ثلاثة كراريس.

78- (تنبيه الأنام لبيان بعض أسرار من صدره عليه السلام) في كراسة.

79 - (بهجة النفوس بذكر بعض مناقب سيدي محمد بن أحمد أكنسوس) في مجلد.

80 - (الأزهار العطرة الروائح في التعريف بمولانا العربي بن السائح) في

مجلد.

81 - (رياض المعارف القدسية في ترجمة سيدي محمود بن المطمطية).

82 - (السعادة الأبدية المسوقة لمولانا محمود من الحضرة الختمية).

83 - (عنوان القبول والتهاني المبعوث لسيدي محمد الصغير من حضرة الختم التجاني).

84 - (سر الإكسير المسوق من الحضرة الأحمدية لسيدي محمد الكبير).

85 - (السر الباهر المرسل من محض الفضل إلى مولانا الطاهر).

86 - (عنوان السعادة والتهاني المبعوثة لسيدي محمد السائح من مقام الإمام التجاني).

87 - (نسمات القرب والإفضال المبعوثة لسيدي أحمد بن محمد بن فضل الكبير المتعال).

88 - (سلافة المعاني المهيئة لسيدي محمد بن مولود من ساحة الإمام التجاني).

89 - (الفتوحات الامتنانية العالية المسوقة من حضرة الختم التجاني إلى البلاد السينغالية).

90 - (نخبة أولي الأبصار بشرح منظومة الشيخ حسن العطار) في النحو.

91 - (عقد الدرر والياقوت والمرجان في تفسير القرآن) أربعة مجلدات.

92-(فيض الله الممدود في شرح مسند أبي داود) وهو آخر ما كتب ولم يكمله.

3- الشيخ الحاج محمد النظيفي المغربي [1]

هو محمد (فتحا) بن عبد الواحد بن الحسن الذي يرتفع نسبه إلى محمد بن بني الثرى النظيفي، ولد ببلدة آيتكن من إقليم سوس الأقصى عام 1270هـ، وكان منذ صباه موهوبا في الحفظ حتى أنه حفظ القرآن بإتقان في السنة السابعة من عمره، ثم أخذ العلوم على مشايخ وعلماء نواحي بلدته في الجنوب ثم أكمل دراسته في كية القرويين على علماء أعلام منهم شيخ الجماعة العلامة النابغة الحاج محمد كنون

(1) هذه الترجمة مقتبسة من كتاب ولد المترجم له الحاج أحمد الذي عنوانه: (مبادئ الإشراق والإسعاد فيما للتجاني من الأذكار والأوراد) المطبوع في دار الكتاب بالدار البيضاء عام 1394هـ.

صاحب التآليف العديدة الذي أجازه إجازة مطلقة. ثم قام بالتدريس ونشر العلم في عدة أماكن بالمغرب الأقصى. وفي سنة 1305هـ سافر للحج. وقد كان في بداياته متمسكا بالطريقة الناصرية مثل والده وكان مقدما فيها مدة اثنتي عشرة سنة. ولما اطلع على كتاب (جواهر المعاني) لعلي حرازم رغب في الانخراط في الطريقة التجانية فقصد زاوية مراكش للأخذ عن الفقيه الصالح المقدم التجاني السيد أحمد محمود حنيني. فأذن له فيها وأجازه إجازة مطلقة.

وكان ذلك في عام 1305هـ، ثم أجازه فيها سنة 1310هـ الحاج حسين الإيفراني، كما أجازه فيها وفي العلم العلامة الحاج محمد كنون وأحمد العبدلاوي وعبد الله الكنسوسي (المتوفى في آخر محرم عام 1294هـ) وكلهم بإسنادهم إلى العربي بن السائح، وقد أقام بمراكش من عام 1317هـ ناشرا العلم وداعيا للطريقة فأنشأ زاوية أولى صغيرة بدرب الحركاصة عام 1318هـ ثم لما وجد سعة من المال بني في عام 1338 الزاوية الكبرى المشهورة في حومة القصور بباب الفتوح وهي مازالت حتى الآن، وظل منذ إنشائها ملازما فيها إقامة الصلوات الخمس وإقامة مجالس الذكر والعلم والقرآن حتى أقعده المرض فعهد إلى ابنه الحاج أحمد بالنيابة عنه وذلك في سنة 1362 هـ. وتوفي سنة 1366هـ ودفن بزاويته. وواصل ابنه المذكور مسيرة والده وله اليوم في المغرب أتباع كثيرون. وقد ألف الشيخ عدة كتب وله أشعار كثيرة، نذكر منها:

1- الدرة الخريدة على شرح الياقوتة الفريدة (أربعة أجزاء في مجلدين) وموضوعه في فقه الطريق والتربية والأخلاق والتصوف.

2- زبدة الخريدة على الياقوتة الفريدة (جزء واحد).

3- الأجوبة النظيفية على الأسئلة المرضية.

4- نصرة السلطان وإغاظة الشيطان.

5- مجموعة زبدة الإعراب في نظم قواعد الإعراب.

6- الطيب الفائح والورد السائح في صلاة الفاتح (وهو مجموع أدعية تدور حول صلاة الفاتح).

7- العطر النافح على الطيب الفائح (وهو شرح كتابه الطيب الفائح).

8- تقرير لطيف في شرح بعض ألفاظ قصيدة أم هانئ.

9- مواهب اللطيف (وهو ديوان شعر في جزء واحد).

10- تخميس الوتريات - شعر- (جزء).

11- تخميس البردة (جزء صغير).

12- تخميس قصيدة أم هانئ.

13- النفحات على الوتريات.

14- الأطرزة الإبريزية على القصيدة الهمزية.

15- التطريز المليح على بردة المديح.

4- الشيخ محمد الحافظ التجاني المصري [1]

ولد بالمنوفة بكفر خورص من كراشمون بالقطر المصري سنة 1315هـ، من أسرة يرتفع نسبها إلى آل البيت الشريف، حفظ القرآن العظيم وهو صغير، ثم تجرد لطلب العلوم فتبحر في الشرعيات من تفسير وحديث وفقه وتصوف كما رسخ في العلوم الأدبية واللغوية، وتعلم طرفا من الرياضيات والعلوم العصرية، وأخذ الخط عن محمد مرتضى صابر، وصحب كثيرا من الشيوخ في القاهرة وغيرها من مدن مصر، ولازم العلامة سلامة العزامي حتى تأهل للإفادة، وتخصص في علوم الحديث. وقد مال بكليته منذ صباه إلى طريق الصوفية. فقد أخذ الطريقة الخلوتية وهو ابن اثنتي عشرة سنة عن إسماعيل ابن الشيخ سليم بن سليم السباعي الخلوتي وبعد وفاته أخذ عن الشيخ محمود بن خليل - من بلده - ومكث في الذكر الأول: (لا إله إلا الله) سنة غالبها صيام وقيام، وأطلعه الشيخ سليم بن إسماعيل المذكور على رسالة الشيخ صاع السباعي: (السر المكتم في الاسم الأعظم). ثم أخذ الشاذلية عن محمد العقاد المتوفى بطنطا. ثم اعتنق النقشبندية عن الشيخ جوده النقشبندي، وأيضا عن سلامة العزامي خليفة الشيخ محمد أمين الكردي النقشبندي مؤلف كتاب (تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب). كما أخذ عن أمين البغدادي النقشبندي الذي أذن له بالتلقين في الطرق كلها. وحبب إليه السياحة فجال في البلدان حتى اجتمع سنة 1337هـ بأحمد السباعي - وأصل آبائه من أحواز مراكش، وكان يسكن بنواحي المنوفة بمصر- فقرأ في داره بعض كتب الطريقة التجانية ثم أخذ عنه الإذن فيها. ثم اتصل بأكابر شيوخ التجانية في إفريقيا الشمالية وإفريقيا السوداء وأجازوه في الإرشاد ونشر الطريق. وممن أجازه

(1) هذه الترجمة مقتبسة من الرسالة التي كتبها مقدم الوادي سابقا محمد العروسي، وفيها نص دقيق لرحلة المترجم له في الجنوب الشرقي الجزائري عام 1356هـ، وهي موجودة في كناش بزاوية تغزوت.

الشيخ أحمد بن حمه التجاني كبير شيوخ التجانية بالجزائر ورئيس زاوية تماسين، وذلك سنة 1356هـ حين زار القطر الجزائري (انظر نص هذه الإجازة في الباب الخامس الفصل الرابع).

وقد قضى كل حياته في خدمة الدين والعلم والإرشاد ونشر الطريقة التجانية خصوصا في الأوساط المثقفة بمصر وتركيا وإفريقيا السوداء، بحيث تتلمذ عليه وأخذ عنه جماعات من الأساتذة ومديري المعاهد والجامعات والكتاب في مجالات الدين والفلسفة والعلوم (الانتباه للرقم) [1]. وكان له فضل كبير في تنقية الطريقة التجانية من الشوائب وتيارات الغلو الدخيلة عليها. وأسس مجموعة من المجلات الإسلامية، وكانت مجلته (طريق الحق) أكثر إفادة وشمولا وعاشت ثلاثين سنة، وبقيت تناضل في سبيل الدعوة الإسلامية بعد وفاته تحت إشراف مريديه إلى أن توقفت منذ مدة. وفيها معلومات غزيرة حول أعلام التجانيين وزواياهم. وقد توفي - رحمه الله - ليلة الاثنين 29 جمادى الثانية 1398هـ بالقاهرة.

وقد ألف رسائل كثيرة بالإضافة إلى مئات من المقالات والبحوث كما ألف

(1) مما كتبه تركي رابح في الترجمة المذكورة: (وقد كان للشيخ حمدان الونيسي العالم المتصوف تأثير بعيد المدى في شخصية ابن باديس وتوجيهه العام ، وظل يذكره بإجلال كبير طول حياته، وقد أوصاه أن يقرأ العلم للعلم لا للوظيف ولا للرغيف وأخذ عليه عهدا غليظا ألا يقرب الوظائف الحكومية عند فرنسا أبدا حتى لا تكبله بقيودها الثقيلة، وما أشبه فعل المصادفات في حياة الشيخ عبد الحميد بن باديس بفعل المصادفات في حياة الإمام محمد عبده فكلاهما قاده القدر في بداية حياته العلمية إلى الالتقاء بشيخ متصوف زاهد يمتاز بنور البصيرة كما يمتاز بسعة العلم والمعرفة، فقد شاء القدر أن يلتقي محمد عبده في بداية حياته العلمية بالشيخ درويش خضر خال أبيه وهو شيخ متصوف زاهد فينقلب محمد عبده وكأنه شخص آخر حتى كأن عصا سحرية قد مسته، فقد استطاع الشيخ درويش أن ينفذ إلى أعماق نفسية ووجدان محمد عبده الذي كان هاربا من الدراسة لجفاف أسلوبها وعقم طريقتها إلى محمد عبده الذي أصبح ينشد الصفا الروحي والتعليم كي يستطيع فهم القرآن الكريم وإعداد نفسه ليهتدي ثم يهدي غيره (انظر زعماء الإصلاح في العصر الحديث) للأستاذ أحمد أمين ص 283 وكذلك كان عبد الحميد بن باديس - بفارق بسيط- مع أستاذه الشيخ حمدان لونيسي العالم المتصوف الذي استطاع أن ينفذ إلى أعماق نفسية تلميذه فيطبع حياته العلمية والعملية بطابع روحي وأخلاقي لم يفارقه طول حياته. وقد ظل ابن باديس يذكر تأثير شيخه على نفسيته بكل إجلال واحترام حتى آخر رمق في حياته) انتهى. ونشير إلى أن من أساتذة عبد الحميد بن باديس التجانيين الآخرين الشيخ محمد الصادق النيفر الأستاذ بجامع الزيتونة بتونس.

كتب نذكر منها:

1) الحق في الحق والخلق.
2) سبيل الكمال (ترجمت ونشرت بألمانيا).
3) رسول الإسلام ورسالته الجامعة.
4) رد أوهام القاديانية في قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: 40].
5) رسائل في فنون مختلفة: (التوحيد- التصوف - الرد عن المنكرين - تراجم- لبعض الصالحين - علاج علل المجتمع الإسلامي).
6) أهل الحق العارفون بالله السادة.
7) سلطان الدولة التجانية بغرب أفريقيا عمر بن سعيد الفوتي.
8) سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.
9) رد أكاذيب المفترين على أهل اليقين.
10) علماء تزكية النفس.
11) الانتصاف في رد الإنكار على الطريق.
12) قصد السبيل في الطريقة التجانية.
13) أصفى مناهل الصفاء في مشرب خاتم الأولياء.
14) فصل المقال فيما يرفع الإذن في الحال.
15) شروط الطريقة التجانية.
16) مجموع الأوراد في الطريقة التجانية.
17) تفسير فاتحة الكتاب وجزء عم.
18) نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين.
19) تحقيق وتعليق على الإفادة الأحمدية.
20) مقدمة لكتاب الكفاية في علم الرواية.
21) مقدمة لكتاب الجامع الكبير للحافظ الأسيوطي.
22) تفسير جزء تبارك.
23) تفسير سورة البقرة والأجزاء من: 25- 29 من القرآن الكريم.
24) رسالة في الحج والعمرة.
25) ترتيب وتقريب مسند الإمام أحمد بن حنبل على حروف المعجم.
26) ترتيب (ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث للنابلسي).

27) تخريج أحاديث جواهر المعاني.
28) الحد الأوسط بين من أفرط ومن فرط (في التوحيد).
29) الاستدراك على المستدرك.
30) الدين القيم وقضايا العصر.
31) تحفة الأذكياء في زيارة الأولياء.
32) مقدمة عمدة القارئ شرح صحيح البخاري.

وفي كتابه (رد أكاذيب المفترين على أهل اليقين) ردود على من أشاع أن بعض شيوخ التجانيين بالجزائر تواطؤوا مع الاستعمار الفرنسي. وفيه بيان لبعض مناقبهم ومآثرهم التي منها الصلح بين القبائل المتنازعة وتعليم الناس القرآن والشريعة في مدارس زواياهم، وجهادهم ضد الاستعمار. فهو مثلا يذكر كيف أصلح الشيخ محمود حفيد الشيخ التجاني وشيخ زاوية عين ماضي أصلح بين قبائل الريف بالمغرب لما اشتعلت نار الفتنة بينهم، ويذكر مساندته المادية والمعنوية للمجاهد المشهور عبد الكريم الخطابي زعيم ثورة الريف المشهورة.

5- الشيخ أحمد بن محمد حمه التجاني الجزائري

جده هو الخليفة التجاني الشهير محمد العيد بن الحاج علي التماسيني أكبر خلفاء الشيخ أحمد التجاني. ولد بوادي سوف في الجنوب الشرقي الجزائري أواخر عام 1316هـ. شب في رعاية والده شيخ زاوية تماسين الذي كان فقيها وحافظا مجيدا للقرآن. تعلم المترجم له القرآن حتى حفظه تجويدا على الرجل الناسك الصالح السيد أحمد بن محمد السا القماري، واتخذ منه أحزابا كورد يومي له إلى وفاته. ثم أخذ العلوم الدينية واللغوية حتى شهد له بالتحصيل فيها أساتذته الذين نذكر منهم السيد محمد بن البرية القماري المدرس بتماسين وقمار سابقا والشيخ مبارك بلمازق الذي كان عالما لغويا شهيرا في المنطقة، والشيخ محمد اللقاني ابن السائح الشاعر الوطني المعروف والمدرس بزاويتي قمار وتماسين في ذلك العهد، والشيخ المفتي العلامة محمد بن جديدي الوادي السوفي، والعلامة الفقيه الأصولي الأديب الصوفي ابن العبيدي، والشيخ السعيد السوفي الكوينيني الذي علمه علم القراآت والتجويد، وآخرون غيرهم. وقد أجازه في الحديث النبوي الشريف الإمام محمد الطاهر بن عاشور التونسي. وأخذ التصوف بطريق التربية التجانية عن والده وعن أخيه الكبير السيد محمد العيد. وفي عام 1346هـ الموافق لسنة 1927م تولى المشيخة العامة في

الطريقة التجانية فقام بأعبائها بكفاءة وإخلاص ، واتصل بشيوخ الطرق في الدول الأخرى ، وقام بأسفار عديدة داخل الجزائر وخارجها إلى دول إفريقية، كما اتصل بعلماء الإصلاح في الجزائر خصوصا البشير الإبراهيمي الذي كان صديقا له رغم اختلاف المشارب. وكان يتعاطى كما سبقه من سلفه من أهله الفلاحة بنوعيها غراسة النخيل في الجنوب وزراعة القمح والحبوب بالشمال. وشارك في ثورة التحرير حيث كان على صلة دائمة بزعماء الثورة خصوصا العقيد الحواس، وكان يجتمع ببعضهم في طولقة والمغير فأمدهم بالسلاح والمال وجعل من زاويته بتماسين ملجأ لهم أحيانا، واستشهد بعض مقدميه وسجن ابنان له إلى أن استقلت البلاد. وبقي مرشدا لأتباعه إلى أن توفي عام 1398هـ - 1978م ودفن بتماسين بعد أن خلف ذكرى طيبة بأخلاقه وأعماله.

6- الشيخ محمد عبد المالك بن العلمي الجزائري

هذه ترجمة نموذجية تظهر من خلالها وشائج العلاقات بين التجانيين المغاربة والمشارقة، ومدى الحب والولاء الذي يربط مريديهم بشيوخهم، وبنشاطهم في خدمة الطريقة والإسلام.

وقد كتبها الشيخ محمد الحافظ التجاني المصري ونشرها في رمضان من سنة 1355هـ في الرسالة السادسة من رسائل الوحدة الإسلامية التجانية:

سيدي محمد عبد المالك بن الصغير بن سيدي محمد بن العلمي بن عبد المالك بن عبد القادر بن معمر بن أحمد بن السائح الشريف الحسني ، وهو أول من نزل بتقرت خط الجريد بصحراء الجزائر. ووالدته السيدة فاطمة بنت الطاهر ابن الأخضر بن سيدي عبد القادر البوطي بن عبد المالك ، وهو الذي أرسل إليه الشيخ رضي الله عنه الإجازة قبل أولاد السائح مع سيدي محمد بن المشري ، وضمن له ألا تخلو داره من الولاية وأن يخرج من ذريته أربعون عارفا. وسيدي العلمي رباه سيدي الحاج علي ثم كمل تربيته سيدي محمد الحبيب. وسيدي الصغير تربى على سيدي أحمد عمار ، وسيدي عبد المالك تربى على سيدي البشير وأتم ولده سيدي محمد الكبير تربيته. وقد خالطوا دار الشيخ واختلط دمهم بدمهم فإنهم أصهارهم رضي الله عنهم. ولد سيدي عبد المالك بالحجيرة سنة 1297هجرية وقد وهب والده ليلة مولده نصفه للشيخ رضي الله عنه أي لخدمة الزاوية. وفي سنة 1301 قضى سيدي البشير حفيد الشيخ رضي الله عنه سنة في نواحيهم وتزوج خالته السيدة عائشة بنت الطاهر.

وحين عزم على الأوبة طلبت أمه من أختها أن ترجو سيدي البشير أن يتفل في فم سيدي عبد المالك فمسكه وتفل في فمه وتذكر ولده سيدي محمود وقال أنه في سنه.

وفي أواخر السنة الثامنة وأوائل السنة التاسعة من القرن قدم إليهم سيدي أحمد عمار وجعل سيدي الصغير خليفة عن أبيه وأذن له. وبعد مدة كتب له الإجازة بذلك وختمها هو وسيدي البشير، ثم طلب أحمد عمار سيدي الصغير ليصحبه في سفره فمكث معه حتى توفي سيدي محمد بن العلمي في ربيع الأول في السنة العاشرة وأوصى بسبعين بعيرا لسيدي أحمد عمار وثلاثة وأربعين لباقي أولاد الشيخ رضي الله عنه وبغلة محملة بالحلي من فضة وذهب للزاوية. وحين أراد سيدي الصغير السفر لدار الشيخ قابل سيدي محمد العروسي ابن سيدي محمد الصغير ابن سيدي الحاج على فشاوره في شأن الهبة التي وهبها في ولده سيدي عبد المالك فأشار عليه أن يستسمح شيخ الزاوية سيدي أحمد عمار ويفتديه بشيء من المال وقال له إن خدام الشيخ كثيرون، فحسن لديه ذلك وأخذ سيدي عبد المالك معه إلى عين ماضي والتقى بسيدي أحمد عمار فأدى ما أوصى به والده سيدي محمد بن العلمي وكان قد أعد ستمائة ريال ليدفعها عن ولده وذكر لسيدي أحمد عمار ما أشار به حفيد سيدي الحاج علي فقال الذي أعرفه أنا لا يعرفه ولد سيدي الحاج علي. إنه يوشك أن تضعف عن الخدمة فيقوم هو بها وفيه مصالح للزاوية وأنا لا أترك حق الشيخ. وفي عام خمسة عشر توفي سيدي أحمد عمار في قمار فسافر مع والده ليعزي أولاد الشيخ ومكث هناك يقرأ القرآن مع سيدي محمود ابن سيدي البشير وسيدي الطاهر ابن سيدي أحمد عمار وسيدي علال على سيدي الشيخ عبد الله بن الحسين. ولقي هناك الشيخ عبد العزيز السملالي وكان من خواص أصحاب الشيخ رضي الله عنه فقرأ عليه كذلك. وكان هو وأولاد الشيخ يصلون الصلوات الخمس ويقرؤون معا.

ثم طلبه والده إلى العلية فطلب أن يصحب شيخه الشيخ عبد العزيز السملالي فأتى به والده إلى العلية. وفي سنة 17 تزوج بنت عمه سيدي الحاج محمد بن عبد القادر بن الأخضر بن عبد القادر البوطي. ثم أصابه مرض طويل وفي خلاله في سنة 18 أتاهم خمسون ضيفا وكان له ستة أشهر ما وقف فمشى إلى جده سيدي ابن العلمي وتوسل إلى الله به أن يرزقه بما يكرم به ضيوفه فلقيه شيخ من أولاد السائح وقال أقبل هذه الهدية فصب له من مزود جلد غزال صغير في برنوسه فملأه فصنع لهم الطعام وكفاهم. وقال أحد الشيوخ من يوم وفاة سيدي ابن العلمي ما ذقت طعم طعامه إلا

اليوم. ومن يومها وسيدي عبد المالك يطعم الطعام، وكان إذ ذاك بالعلية. وفي سنة 19 سافر إلى سيدي البشير ليلقي بنفسه بين يديه ليربيه، وكان يود لو أنه أمره بالإقامة في الزاوية يقرأ القرآن ويدرس العلم. فلما اجتمع بسيدي البشير وكان معه أحد الخاصة من مقدمي والده ليخاطب سيدي البشير في أمره، فأجابه سيدي البشير أنه هو الذي سيتولى تربيته. وانصرفا راجعين إلى حيث أمر سيدي البشير بإنزالهم. وكان سيدي عبد المالك قد نسي مسبحته، فأرسلها إليه سيدي البشير مع خادمه أحمد بن قنيش، فقال له خذ المسبحة وسيدنا قد أذنك في جميع ما حصل لجدك سيدي محمد بن العلمي. ثم كتب إلى والده يوصيه به وأقام بالعلية، ثم سافر أخوه إلى الحج وسافر هو إلى سيدنا البشير، وأراد أن يهدي له فرسه فقال له هي مقبولة واقض عليها مصالح الزاوية، واذهب إلى الأغواط فأقم بها شهرا وارجع تجد الإجازة مكتوبة. وجاءهم نبأ وفاة أخيه بمكة ثم عاد إلى سيدي البشير فأعطاه الإجازة وتاريخها 13صفر الخير سنة 1320 هجرية. وجاء سيدي البشير إلى العلية سنة 21 وقال له: (ما جئت إلا لأجلك) وكان يقول إذا تكلم القوم في حال سيدي عبد المالك وإنفاقه: اتركوا عبد المالك فإن أمره إلي. وقام الناس بضيافته وزاد سيدي عبد المالك على الناس، ثم رافقه إلى واد ريغ ورجع.

ثم زاره مدة واستأذنه في الحج فأذن له وقال له أنت في ضمان الله ذهابا وإيابا وصرح الحاكم له ولأخيه سيدي العلمي بالحج عام 22 عربي وهي أول حج لله فحج وزار ورجع إلى بلده بخير وأخذ يتردد على شيخه سيدي البشير رضي الله عنه.

وفي عام 25 هجرية شرع في السفر إلى الأقطار الحجازية ومر بتونس وطرابلس ولقي بها الحاج أحمد التوقاتلي وكان من أهل الفتح ومن مقدمي الطريقة التجانية، ومر بمصر ولقي بها الحاج الهاشمي بالإسكندرية والسادة التجانية ببلبيس والعدلية، والتقى بسيدنا الشيخ الشنقيطي في غيتا، واجتمع بسيدي الشيخ عبد العزيز السملالى الذي كان يقرأ عليه وكان يدرس بالأزهر، ثم أم المسجد الأقصى بطريق بورسعيد ويافا، والتقى بالشيخ البشير شيخ المغاربة بالقدس وكان تجانيا، وزار سيدنا الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأقام بالقدس شهرا ثم سافر بطريق البر إلى المدينة المنورة رغم انقطاع الطريق، فوصل المدينة في ربيع الأول سنة 29 وبقي بها إلى أول الحج. وفي هذه المرة حصل له ما حصل من المحبوبية عند المصطفى صلى الله عليه وسلم وإكرامه له والتمتع برؤيته الشريفة، واجتمع في المدينة بسيدي الحاج

عبد القادر المهاجي وكثير من الصالحين ، وكان السبب في صلته بدار الشيخ رضي الله عنه. وسافر إلى الحج مع المحمل الشامي واجتمع في مكة بسيدي الطيب السفياني مقدم زاوية الشيخ الكبرى بفاس رضي الله عنه، والسيد محمد بن عبد الرحمن الشنقيطي مقدم الطريق بمكة، وسافر إلى جدة وأراد السفر إلى الشام ثم يعود إلى المدينة فرأى والدته في رؤيا فهم منها الرجعة إلى بلده فرجع واجتمع بالمقدم الشيخ الدادسي بسوسة، وزار سيدي إبراهيم الرياحي بتونس، ثم سافر إلى بسكرة ولقيه أخوه سيدي العلمي وجماعة وطلبوا منه السفر إلى بلدهم فقال حتى أبدأ بزيارة سيدي البشير وأولاد سيدنا رضي الله عنه، فسافر إليهم والمسافة خمسة عشر يوما. ولما وقع بصره على الزاوية نزل فمشى على أقدامه حتى وصل المسجد ولم يعرفه أحد من المسجد إلا سيدي محمود وعرفهم به بعد الصلاة. وأسرع خادم الشيخ سيدي البشير ليبشره بقدوم سيدي عبد المالك فخاطبه سيدي البشير من أعلى البنيان وقال له رأيته قبلك ، وأبقاه سيدي البشير عنده شهرا بكردان وعين ماضي. وكان سيدي عبد المالك لا يأكل من الزاوية كما مر في وصية جده سيدي محمد بن العلمي. ويوم انتهى زاده الذي معه أذن له سيدي البشير بالسفر ، وزارهم سيدي محمود ثم سيدي علال. ثم سافر هو لزيارة سيدي البشير ليستأذنه في زيارة الشيخ بفاس فأذن له.

ولقي سيدي الطيب السفياني رضي الله عنه وقال له: إني أنذك بإذن الشيخ رضي الله عنه. أنت مأذون في كل ما كان يأذن فيه سيدي أحمد التجاني في الحياة وبعد الوفاة ، فقال في نفسه وهل بعد الموت من إذن فقال له إن العبادة في الحياة الأخرى عبادة تلذذ لا تكليف. ووقع له من برزخية الشيخ أن يقرأ مائة ألف من صلاة الفاتح نيابة عن سيدي البشير فما أتمها حتى اشتد به الشوق إليه وخطر له هل يوافيه حيا أولا. وسافر بعد أن أقام اثني عشر يوما ورأى رؤيا تدل على وفاة سيدي البشير. ومر بسيدي علال بن سيدي أحمد عمار ففرح به غاية الفرح وأتى بولده وقال له قل عن سيدي عبد المالك إن شاء الله يربح فقال ذلك، وقال له: اطلب ما تريد، فقال: يا سيدي أطلب محبتكم دنيا وأخرى.

وأذن له بالسفر إلى سيدي البشير فوجده على وشك الاحتضار فقال له: يا سيدي أريد التجديد في كل شؤون الطريق ما ظهر منها وما بطن ، فقال له إن ذلك كله قد حصل لك من قبل. وتوفي رضي الله عنه أواخر سنة 27 أو أوائل سنة 28 وتولى سيدي علال.

وكان سيدي عبد المالك يتردد على زيارة دار الشيخ كعادة أبيه وجده كل سنة مرتين.

وفي سنة 31 سافر إلى الحج ومعه ولده سيدي البشير وأقام بالمدينة خمس سنوات كل سنة يحج ، ووقع له من الفتوحات والكرامات والاجتماع به صلى الله عليه وسلم والمحبوبية عنده ما الله أعلم به. وأخبرني أنه كان يقرأ 5000 من صلاة الفاتح بعد كل صلاة رضي الله عنه. واعتكف سبعة شهور في الحرم المدني وثلاثة في مكة وتوفي ولده البشير سنة 34 أو 35.

وقدم الوفد المغربي سنة 36 وكان معهم أحد قواد القبائل ، قال عنه سيدي عبد المالك هذا السيد يجاور أمنا خديجة ، وكان ذلك وقت الضحى فما جاء الظهر إلا وقد توفي إلى رحمة الله. وأخذ الشريف القاضي بن حبيلس عنه الطريق عند مقام سيدنا إبراهيم في الحرم الشريف. ثم سافر إلى المغرب وحفظهم الله من الغواصات. ومر بتماسين وكان الخليفة بها سيدي البشير ابن سيدي حم ، فقال لمن حضر اليوم كأنكم تلاقيتم مع سيد الوجود صلى الله عليه وسلم والشيخ سيدي أحمد التجاني. وسافر إلى بلده واجتمع بالحكام والأعيان وتكلم معهم بأن الهنود لهم أربطة والطرق لها: زوايا بالمدينة فلماذا لا يكون للسادة التجانية زاوية ، فأشار عليه بعضهم بأن يرجع إلى خليفة الطريقة سيدي علال في ذلك. فلما سافر إلى سيدي علال ، وقال له اطلب ما تحب، قال لي سيدي عبد المالك رحمه الله تعالى: (فالحق سبحانه وتعالى نزع ما في قلبي وما ورد علي إلا أنه سيتوفى فقلت له يا سيدي اطلب لي الموت على الإيمان فكسته صفرة وبقي ساعتين لا يتكلم ثم قرأ إلي الفاتحة). وبعدها بزمن توفي رضي الله عنه وتولى الخلافة سيدي محمد الكبير وهو أسن من سيدي علال، وجدد له الإذن، ثم سافر إلى فاس ولقي بها سيدي محمود فكتب له خطابات للأحباب في مختلف البلدان فأداها ثم عاد إلى فاس ثم رجع إلى عين ماضي، وأذن له سيدي محمد في السفر إلى أبي سمغون وتوات والهقار والصحارى. وكان يطعم الناس ويكرمهم في كل سياحاته وهو الذي يضيفهم. وعاد إلى عين ماضي ثم سافر إلى الحج سنة 41 فوافق الحج وكانت الوقفة الاثنين ، وفي هذه السنة وقع للحجاج خوف شديد وقيل له: إن 17000 حاج ردوا ولم يصلوا للمدينة وما بقيت إلا قافلة الشيخ أحمد شمس والبدو لا يؤذونها ، فقال لهم: والشيخ سيدي أحمد التجاني ماله قافلة هنا ، فقيل له: إن هنا خمسة أبعرة مسافرة إلى المدينة فقال: تلك قافلة الشيخ ، وتوجه إلى المدينة وكان برفقته سيد من

ذرية سيدنا السيد محمد بن المختار الشنقيطي صاحب كتاب (الواردات) و(مولد إنسان الكمال)، وقد تقدمت ترجمته، وكان سائرا لزيارته صلى الله عليه وسلم على قدميه فرأى صفا من العسكر على يمينهم وصفا على يسارهم وآخر خلفهم وكل في يده حربة من نار حتى فتح لهم باب فشاهدوا منه المصطفى صلى الله عليه وسلم فصار كل يسلم عليه صلى الله عليه وسلم. ولقيهم البدو في محطة الغابة ومعهم البنادق فنزلوا عن الجمال حتى وصلوا إليهم فسلم عليهم سيدي عبد المالك وقال لهم: ما مرادكم نعطيكم الفاتحة أم نسوي لكم الرز ، بل نعطيكم الفاتحة أولا، ثم قرأ لهم الفاتحة وهيأ لهم الطعام والشاي، ثم عاهدهم على الصلاة وتابوا عن الدخان، ونزل عندهم تلك الليلة وصنع لهم قصعة للرجال وأخرى للنساء وثالثة للأولاد. ودخلوا المدينة بخير. وفي هذه السنة تفاوض مع سيدنا الشيخ ألفا هاشم في أمر الزاوية في المدينة وطلب منهم أن يكتبوا لخليفة الطريقة سيدي محمد الكبير يستأذنونه في ذلك فكتبوا إليه معه. ومر بمصر في عودته من الحج.

وقد تشرفنا بالاجتماع به في أوائل سنة 1342، ونحمد الله حيث منّ علينا بمحبته وصحبته وقد أفاض الله الخير لنا على يديه جزاه الله عنا وعن الطريق والمسلمين خير الجزاء، فلقد كان رحمة عامة للخلق رضي الله عنه. ولما اجتمع بسيدي محمد الكبير بعين ماضي عرض عليه أمر الزاوية وقال لهم: ها هو ذا قادم إليكم السيد عبد المالك فما فعل فأطيعوه فتوجه إلى الحر سنة 1342 وكانت حجة الجمعة آخر سنة من حكم الشريف حسين، ومنع الشريف الوصول إلى المدينة إلا من طريق العقبة فمعان فالمدينة، فأخذ صاحبه سيدي أحمد بن العباس السائحي وسافر إلى وابغ ومنها سافر في القافلة إلى المدينة ووصل قبل من سافر بالباخرة والقطار ، وأعطى الخطاب للشيخ ألفا هاشم فتكلموا مع أولاد مكوار في بيت باب السلام وحصل الاتفاق على1200جنيه.

والحاج محمد مكوار من خواص أهل هذه الطريقة المشرفة وقد زار القطر المصري واجتمعنا به في الكتامية وكان يمثل المحب الخالص والود الصادق المحبة الخادم لخوانه أكمل خدمة، وقد توفي بين ينبع والمدينة في ذي الحجة سنة 1341 رحمه الله تعالى. وقد قال - صلى الله عليه وسلم - : طوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر. وقد أراد الله عز وجل أن يكون هذا الخير وهو وجود زاوية للسادة التجانية في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم على يد ذلك الولي الكامل سيدي

محمد عبد المالك رضي الله عنه فاختاره الله لهذه المكرمة واختارها له. والله أعلم حيث يجعل فضله وخيره. والزاوية التجانية بجوار باب السلام، ويرى الجالس بها الداخل إلى الحرم الشريف والمصلين، ويسمع النداء للصلاة فيا لها من منة. رزقنا الله عز وجل جواره صلى الله عليه وسلم. وقد اشترى دورا ووقفها لزوار المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا يزال الإنفاق والإطعام والإكرام قائما لضيوف المصطفى صلى الله عليه وسلم. وأعد إحداهما لمدرسة خيرية إسلامية. وإنها لصدقة جارية له أجرها إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

وكان في كل سنة يحج ويزور المصطفى صلى الله عليه وسلم ويسافر إلى بيت المقدس. وكان يتجول في الشام ولبنان ويمر في بعض شرق الأردن. ومن قبل سافر إلى العراق ووصل إلى ماردين وأعطى بها الطريق. وقد اجتمعنا ببعض التجانيين منها بالحج. وكان يعود إلى المغرب فيقصد دار الشيخ بعين ماضي بالصحراء ويمر بداره فينفق كل ما عنده ويتجول بالمغرب كله والصحاري. وزار الشيخ رضي الله عنه مرارا واجتمع بأكابر السادة التجانية بأنحائه.

وإن ما كان يقوم به سيدي عبد المالك من الإنفاق لشيء مدهش محير. فقد كان حيثما كان في المغرب أو المشرق يضيف الناس فهو خير كله حيثما توجه ، وكان يسافر في بلاد المغرب بقافلته الخاصة فيضيف القرية التي ينزل بها بأجمعها رجالا ونساء وأطفالا وشأنه: (أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا). وكان في عزمه أن يشتري زوايا ويوقفها في مكة وجدة وينبع والسويس وبور سعيد والإسكندرية بحيث يجد الحاج راحته حيثما كان. وكان في عزمه أن يخاطب الحكومات التي في طريق البر من المغرب إلى الحجاز في التصريح له ولقافلته ولمن يشاء بالمسير برا إلى الأقطار الحجازية. وأمرني أن أسافر إلى السودان لأعرف طريق السفر وقال لي: (عليك أن تخبر الطريق إلى الجنينة بالسودان المصري) واختار هو أن يسافر في الطريق الأشق الأصعب الذي يجتاز الصحراء الكبرى بإفريقية وهي التي يضل فيها الخريت حتى يصل إلى الجنينة ، فعاجلته المنية، وقد وقع أجره على الله وله ثواب ذلك كله، فقد كان صادق العزم رحمه الله تعالى. وهو الذي أمر بإلحاق مكتب لتعليم القرآن بالزاوية التجانية بكفر إبراش شرقية. وكان يشير بأن يلحق بكل زاوية مدرسة لتعليم العلم والقرآن حيث يحتاج لذلك.

وكنت ترى بيته بمكة يؤمه الوفود بالمئات أفواجا ، وفي منى يقيم السرادق

بالمسجد ويقبل الكافة على طعامه ليلا ونهارا ، ويضع السقايات للماء يستقي من شاء كما شاء وكلما فرغت ملئت طوال أيام منى وبمسجد نمرة وعرفة. أما في المدينة فحدث ولا حرج عن الكرم الفياض وعما كان يجريه على خدمة الحرم والفقراء وأهل الخير ، وحدث عن النفقة المدهشة والزاوية لا تزال ملأى بالأضياف ليلا ونهارا وكذلك الدور ، وهو قائم بالخدمة بنفسه وأصحابه مثل حبيبه سيدي الحاج عبد القادر الزواوي من أهل المدية بالجزائر والمهندس وشاهين وابن سعيد. وترى الطسوت ملأى بالأرز والزبيب واللوز والكسكسي وعليها الذبائح والطعام الفاخر الشهي الهنيء. . وهو لا يمل كله بشاشة وتواضع ومهابة ، يرى فيه الكرم مجسما والخلق الفاضل والسخاء والأريحية مع الجد في العبادة والفناء الكامل في المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويقضي الليل عابدا الله في المسجد الشريف ، وكان له خصوصية أن يبيت ببيت الله في الحرم المدني وكان الخدم لا يخرجونه منه.

وكان يقيم المولد ببيت المقدس بالزاوية بالحرم ، فتفد الأمم على طعامه وهو الذي يخدمهم رضي الله عنه. وفي بلبيس أقام المولد وكان يوم السوق فتسامع الناس فجاءوا وأكلوا وإنها لبركة ظاهرة. وكان لأصحابه خيرا من آبائهم وأهليهم. ولقد كان محمديا من كمل الورثة الذين تحققوا بمقام الخلافة والتربية العملية. ولقد كان رضي الله عنه عالما ربانيا أفاض الله عليه من العلم اللدني من غير تعليم ظاهر ما يجريه سبحانه على خاصة أصحابه. ولقد سأله في بنها أمامنا الأستاذ الفاضل الشيخ إبراهيم عبد المتعال عالم عرب الرمل في جمع من أهل العلم عن بعض الحقائق الإلهية وخاض معه في المقام المحمدي فشرع يتكلم ويفيض وأبدى من الأسرار الربانية والحقائق العرفانية مالا يدركه إلا العلماء الربانيون حتى أدركتنا الحيرة ، رحمه الله تعالى.

وقد شهد له الأكابر بالولاية الكبرى وبلوغ مرتبة التربية الخاصة منهم سيدي البشير حفيد الشيخ ورأينا كتابته بذلك وسيدنا الشيخ الشنقيطي.

وقد كان سريع الإجابة يجري الله الحكمة على لسانه بالقول الفصل. قال له الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد القصاص أحد أفاضل العلماء بالعريش وقد رأى حاله وزهده وكرمه: لقد طلقت الدنيا يا شيخ عبد المالك ، فقال له: (ما تزوجتها ولله الحمد). وكان يحب العريش وأهل العريش وخصوصا المقدم الشيخ رضوان محمد. أما صبره في مرضه وتسليمه لله فشيء عجيب ؛ وكان لا ينقطع عن عباداته النوافل حتى وهو مريض.

وكان محافظا على الوضوء دائما. وقد رأيناه توضأ بين المغرب والعشاء فوق عشرة مرات وهو مريض كل مرة يصلي لركعتين. أما كراماته وخوارق العادات التي وقعت على يده فكثيرة ويحسن أن تفرد بالتأليف. وأغلب أموره خارقة للعادة فقد نشأ في حجر الولاية فهو ولي من الصغر ، طبعه الله على المكارم ورباه الله بأعينه واصطنعه لخدمة عباده. ومما وقع له وهو صبي صغير أن امرأة حبلى سألته: ماذا في بطني يا عبد المالك؟ فقال لها: في بطنك حوارة أي ناقة صغيرة. وقد ولدت بالفعل مخلوقا على صورة ناقة صغيرة. وإنما أنطقه الله.

ومن مكارمه أنه أرسل أخاه سيدي اللقاني يخطب له امرأة فلما تكلم عنها تكلم ابن عم لها فقال: لقد كنت أريدها لنفسي ، فقال أهلها: إن سيدي عبد المالك أولى ودفع الصداق فعلا ، فأخبره أخوه أنهم آثروه على ابن عمها فأمره سيدي عبد المالك أن يرجع إليهم ويخبرهم أن ما دفعه هو هدية إليها وأصدقها من عنده لابن عمها. وقد كان السبب في تعريف أهل المشرق بدار الشيخ سيدي أحمد التجاني كالسيد أحمد الدادسي مقدم القدس والشريف الشيخ عز الدين القسام وحسين أفندي محمد طه والسيد علي الدقر علامة الشام. وكان الواسطة في تشرف الكثيرين بإذن سيدي محمد الكبير خليفة الطريقة التجانية الأكبر ثم من بعده صنوه سيدي محمود وأولاد الشيخ رضي الله عنهم.

وقد كان شأنه الإيثار على نفسه رحمه الله لقد كان لله لا له. وقد سرى حاله في أهل الطريق فشعروا بحياة جديدة وروح فاضلة وعلم من اتصلوا به أن يوحدوا الوجهة في الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه وأن يعلموا أن كل من تشرف بالنيابة عنه إنما هو مبلغ عن الشيخ فيجب احترام الجميع وتعظيمهم وعدم التفريق بينهم وأن يعرف لكل منهم ميزته ورتبته. وحيث إن أولاد الشيخ رضي الله عنهم ميزتهم معروفة ثابتة فيجب على كل من له تعلق بالشيخ رضي الله عنه أن يحرص على الوصلة بهم وتوثيق روابط الود القلبي بجناحهم والقيام بحقوقهم ، لأنهم أبناء الشيخ رضي الله عنه البنوة الروحية التي بها تشرف كل من كان من أهل هذه الطريقة فهم شركاؤهم فيها وهم أبناؤه البنوة الجسمانية ، وهذه لم يشركهم فيها غيرهم فلهم الاتصال الحسي والمعنوي فهم أولاد قلبه وروحه وسره وحسه. وقد بين صاحب المنية فضلهم وقد عرضها مؤلفها على سيدي محمد الحبيب ابن الشيخ وأقره عليها.

ومن كلام سيدي عبد المالك في ذلك: (إننا إذا أردنا أن نجعل أي شيخ من

مشايخ الطريق هو المرجع الأعلى لأهلها في شؤونهم الخاصة بالطريق لتعذر ذلك لاتساع نطاق الأحباب في مختلف البلاد، وقد يشتهر رجل في ناحية ولا يعرف في ناحية أخرى،أو لاختلاف الناس في التقدير، ولكن فضل أولاد الشيخ متفق عليه بين أهل الطريق. ومن تعمد عدم الاتصال بهم فمحبته للشيخ رضي الله عنه مدخولة. فيجب أن يكون من يتولى الخلافة الظاهرة من أولاد الشيخ رضي الله عنه هو المرجع الأعلى لشؤون أحباب الطريق في المعمورة كافة). والحمد لله إن من تولى هذه الخلافة إلى الآن هو أهل للخلافة تتحقق فيه الولاية ومقام المشيخة وحمل السر وبذلك تتوحد الكلمة بين سائر الأحباب في المشرق والمغرب وليحب كل شيخه الذي أخذ عنه ما شاء ويعتقد فيه ما أراه الله له فإن كل المزايا التي تظهر في أصحاب الشيخ مرجعها إلى الشيخ رضي الله عنه.

ونحمد الله حيث تشرفنا بصحبته في الحج مرتين وبالسفر في معيته إلى المسجد الأقصى مرارا وإلى الشام وبعض شرق الأردن، وزرنا أنبياء الله عليهم السلام، وقد رأينا من مكارم أخلاقه وتواضعه وكريم شيمه ما يقصر الوصف عنه. وقرأت معه مشاهد سيدي الحاج علي حرازم وقسما كبيرا من الجامع لجده سيدي محمد بن المشري رضي الله عنه. وقد أذن لي بكل ما لديه الإذن فيه. وكان ذلك بالحرم المدني الشريف والمسجد الأقصى. وقد كان قلبه معلقا بالحج والزيارة يلهج بالمدينة وفضلها، تمكنت محبة الرسول صلى الله عليه وسلم من سويداء قلبه فبدت آثارها عليه واضحة، وحج عشرين حجة واجتمعت عليه الكلمة، وكان أبعد الناس عن الدعوى لا يرى لنفسه حالا ولا مقاما، ذا همة عالية، تطوى له السبل، عظيم الثقة بربه، شمل وده وبره كل من اتصل به من غير تفريق بين طائفة أو جنس، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ولقد كان نفسه رحمة، ووجوده بركة، ورؤيته سعادة، وصحبته حياة.

الفصل الثامن

بعض العلماء التجانيين الجزائريين

في الفصل الأول من الباب الرابع ذكرت أن الفقيه الحجوجي المغربي ألف كتابا في تسع مجلدات، ذكر فيه تراجم بعض علماء التجانية وعنوانه: (إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية) وفيه مئات من الأسماء. ولا نريد في هذا الفصل سوى الإشارة إلى بعض أشهر علماء الجزائر الذين اعتنقوا الطريقة التجانية. وقد ذكرنا منهم في الفصل الأول من هذا الباب محمد بن عبد الله الجيلاني، ومحمد بوراس المعسكري، وأبو راس المازوني، هؤلاء الثلاثة كانوا من أكابر العلماء وأصحاب الفتيا في الغرب الجزائري خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري. فلنشر الآن باقتضاب سريع إلى آخرين:

1 – الشيخ علي بن عبد الرحمن مفتي وهران، وصاحب الأسانيد العالية التي تربوا على خمسين سندا في مختلف الفنون، وعلى يديه تخرج جماعات من الفقهاء والصوفية، وكان كبير مقدمي التجانية في الغرب الجزائري وتوفي عام 1325هـ.

2- تلميذه شيخ العاصمة العلامة المصلح عبد الحليم بن سماية. مآثره في العلم والإصلاح معروفة. وقد أخذ الطريقة التجانية عن الشيخ علي بن عبد الرحمن السابق وهو عن مصطفى بن أحمد الحرار وهو عن الشيخ محمد الصاع الرضوي البخاري(نسبة إلى بخارى بالمشرق) وهو عن بعض خلفاء الشيخ أحمد التجاني الذين أخذوا عنه مباشرة. ولد الشيخ عبد الحليم بالجزائر العاصمة عام 1283هـ (1866) وتوفي بها في رمضان عام 1351هـ (1933م) ودفن بتربة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي. راجع ترجمة الشيخ عبد الحليم في المراجع التالية:

أ – تاريخ الجزائر العام الجزء الرابع لمفتي الجزائرالشيخ عبد الرحمن الجيلالي، وهو أحد تلاميذ المترجم له.

ب – (مجلة الأصالة) العدد 13 صفر ربيع الأول لم 1393 مارس أبريل 1973 ص 212- 199مقال لعبد الرحمن الجيلالي تحت عنوان: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية السياسي والثقافي(ص: 286).

ج- نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة لمحمد علي دبوز – المطبعة التعاونية سنة 1965، ص 116- 127.

د – الحركة الوطنية الجزائرية من 1900 إلى 1930 م (لأبي القاسم سعد الله الجزء الثاني) ص 191. . . . . . . 194 (الطبعة الثانية 1977م).

و- الشيخ عبد الحميد بن باديس، (فلسفته وجهوده في التربية والتعليم) لتركي وابر – ص 108 – 109: طبع بالجزائر1974م.

3- الشيخ أحمد أبو حمدان الونيسي وهو أستاذ عبد الحميد بن باديس بمدينة قسنطينة ومقدم الطريقة التجانية بها. وقد هاجر إلى المدينة المنورة وتوفي بها سنة 1910م. وعائلة الونيسي معروفة منذ القدم بالعلم والتصوف. وكان منهم الفقيه الصوفي العلامة أبو الحسن علي بن مسعود الونيسي [1] الذي ذكره الرحالة أبو القاسم الزياني في رحلته التي قام بها حوالي سنة 1233هـ وعنوانها الترجمانة الكبرى ذكر أنه اجتمع به في قسنطينة.

4-الكاتب الصحفي المصلح: عمر بن قدور الجزائري مؤسس الجريدة الإصلاحية (الفاروق) في أبريل سنة 1924 م كما اشترك مع محمد بن بكير في إصدار جريدة (الصديق). وقد أخذ الطريقة التجانية لما نفته الحكومة الفرنسية إلى الأغواط عن المقدم الكبير الفقيه العلامة السيد محمد بن التاوتي الأغواطي. وألف في الدفاع عن الطريقة كتابا في جزأين عنوانه: (الإبداء والإعادة في مسلك طريق السعادة) طبع بالجزائر عام 1344هـ انظر ترجمته وكفاحه في:

ج – مجلة الأصالة العدد- 59/58 رجب شعبان 1398 هـ / جوان – جويلية 1978م ص: 64- 55 مقال محمد ناصر عنوانه: (رائد الدعوة إلى التضامن الإسلامي عمر بن قدور الجزائري).

د – مجلة الثقافة التي تصدوها وزارة الإعلام الجزائرية ع 1 و2 – 1971.

هـ – (شعراء من الجزائر) لصالح خرفي – معهد الدراسات العربية القاهرة (969) ص: 55- 37.

5- الشاعر الفقيه المصلح محمد اللقاني بن السائح. وهو من نواحي تقرت ولد بنفطة عام 1313هـ. أخذ مبادئ العلوم عن الشيخ محمد التجاني الذي قدم من الوادي إلى الطيبات حيث كان يسكن المترجم له – لنشر العلم – ثم واصل دراسته في نفطة وتونس ثم رجع مدرسا بزاويتي تماسين وقمار. كان ينشر مقالاته الإصلاحية وقصائده الوطنية في جريدتي (الشهاب) و(صدى الصحراء) وغيرهما. وقد كان متمسكا بالطريقة التجانية خصوصا بعد رجوعه من تونس، كجل أفراد قبيلته.

---

(1) من تآليف أبي الحسن علي الونيسي: (شرح البخاري) في 13جزء، وحاشية على شرح السيد للمواقف العضدية، وحاشية على القطب وله أيضا نظم فيمن حضر بدرا من الصحابة وذكر أنسابهم، وله فتاوي.

6- شاعر الجزائر الشهير الشيخ محمد العيد آل خليفة المولود عام 1323هـ (1904م) والمتوفى عام 1399هـ (1979م). وهو غني عن التعريف لشهرته وديوانه معروف. ومن أحسن المراجع للتعرف عليه كتاب (شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة) - لأبي القاسم سعد الله - الطبعة الثالثة في الدار العربية للكتاب 1984 - ووالد المترجم له كان مقدما في التجانية. أما هو فقد سلك الطريقة منذ صباه ثم انقطع زمانا ثم رجع نادما مستغفرا وأمضى الفترة الأخيرة من حياته في الانقطاع للعبادة والسلوك الروحي. وله في الطريقة التجانية قصائد كثيرة، يقول في إحداها مخاطبا شيخ زاوية عين ماضي الحاج ابن عمر [1]:

يا ابن التجاني المضيئ بنوره ... وشبيهه في البأس والإقدام
كن ضامنا لي عفو جدك إنني ... قد همت عن واديه بعض هيام
في فترة للقلب هاروتية ... بالسحر أضغاثية الأحلام
ثم انتبهت فلم أزل متضرعا ... متطلبا منه الرضا بدوام
فعساه يسعفني يبذل لبانتي ... وعساه يسعدني بنيل مرامي
هو قائدي للصالحات ورائدي ... وكفيل تربيتي بهاو إمامي
أحببته طفلا ولذت به فتى ... ومجاوز الخمسين في الأعوام
فليشهد الكونان والثقلان لي ... أني له أبدا من الخدام

ومن قصائده في هذا المجال قصيدة أنشدها عام 1956م لما ذهب إلى زيارة ضريح الحاج علي التماسيني وعنوانها (تحية الزيارة) وفيها 46 بيتا اقتطفنا منها ما يلي:

سلام وارث الختم التجاني ... عليك مبارك سامي المعاني
أقدمه أسير الذنب مضني ... كسير القلب معقود اللسان
لعلك أن تشرفني برد ... كريم من تحياك الحسان
أتيتك زائرا أرجوك عفوا ... وهل يرجوك عفوا غير جاني
ومالي شافع إلا اعترافي ... بتيه عاقني وثنى عناني
فهل أحظى بقرب بعد بعدو ... تبرأ ذمتي بعد ارتهاني

إلى أن قال:

طغى شوقي إليك فهز عزمي ... وسيرني إليك بلا تواني
وأنت بقدسك العلوي عني ... (علي) في المكانة والمكان

(1) انظر ترجمته، الفصل الأول من هذا الباب.

وأوتيت القطابة وهي عرش ... عظيم التاج عالي الصولجان
وربيت الهداة بغير حصر ... بكل تورع لك واستنان
وأعقبت الفحول فهم سراع ... إلى الطاعات تسبق في الرهان
وهم لهج بذكر الله طهر ... لما ارتضعوه من أزكى اللبان
ففي الخلوات هم رهبان نسك ... وفي الجلوات إخوان افتنان
مجالسهم رياض مذاكرات ... لجاني العلم دانية المجاني
وعافوا في الطريقة كل دعوى ... تجر إلى الفضيحة والهوان
فما كشفوا عن الأسرار ستر ... ولا افتتنوا بها أي افتتان
ومن ينجب كمثل بنيك يخلد ... وتأمن داره نوب الزمان
عليك تحية الرحمن تغشى ... ضريحك كالعبير الأقحوان
وطبت وطاب كل بنيك ذكرا ... وفزت بهم وفازوا كل آن

7- المفتي العلامة الشيخ الأخضر بن أحمد بن حمود السوفي القماري - نسبة إلى قمار إحدى مدن وادي سوف بالجنوب الشرقي الجزائري- كان فقيها بارعا وتولى القضاء مدة بقمار وله فتاو ومراسلات منها محاورته الفقهية مع شيخ الإسلام في تونس إبراهيم الرياحي ، وقد ذكرها عمر بن محمد بن علي بن إبراهيم الرياحي في كتابه (تعطير النواحي بترجمة الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي) كما أورد نصها الكامل إبراهيم بن محمد الساسي العوامر في كتابه (الصروف في تاريخ الصحراء وسوف) ص: 232. وقد جرت هذه المحاورة مراسلة عام 1255هـ.

8- الفقيه القاضي العيد بن أحمد بن سعد القماري ولد بتماسين حوالي سنة 1839م وتوفي بقمار سنة 1912 م وبها نشأ وفيها قرأ القرآن على المقرئ سي محمد باسه، وبها تلقى الفقه عن الحاج أحمد بن القبي وغيره ، كما تلقاه في توزر بالجريد التونسي. ثم انخرط في القضاء سنة 1872م بقمار فمكث فيه 28 عاما ، وحمدت سيرته إلى أن استعفى من وظيفته من تلقاء نفسه سنة 1899.

9- الفقيه المدرس الحاج علي بالقيم ولد بقمار سنة 1840م ، قرأ القرآن والعلوم بزاوية الشيخ مصطفى بن عزوز بنفطة ، ثم ذهب حاجا فمكث في الحجاز عامين ورجع إلى قمار حيث أخذ الفقه عن الأخضر بن أحمد قاضي قمار في وقته ، ثم صار مدرسا بقمار وعلى يديه تخرج جماعة من الفقهاء والعلماء.

10- الشيخ محمد العروسي وابنه الشيخ السائح: عاش السيد محمد العروسي شيخا في الزاوية التجانية بقمار. وقد قرأ القرآن عن مقرئ مغربي يدعى: سي محمد

الطالب الشنقيطي ، وأخذ الفقه عن الأخضر بن أحمد القماري ، وأخذ التصوف عن والده السيد محمد الصغير ابن الحاج علي التماسيني. اشتهر بالزهد والعبادة والكرم وإصلاح ذات البين ودوام الذكر مع ملازمته لتدريس العلوم الشرعية ولدراسة كتب التصوف خصوصا إحياء علوم الدين للغزالي والفتوحات المكية لابن العربي. ولما توفي سنة 1919م خلفه على الزاوية ابنه الشيخ السائح، وقد ولد هذا الأخير سنة 1866م بامية الفرجان (نحو 40كلم شرقا من تقرت) حال توجه أهله من قمار إلى تماسين حسب عادتهم كل سنة - رحلة الشتاء إلى وادي ريغ ورحلة الصيف إلى سوف - وقد قرأ القرآن على الشيخ سي محمد الصاع ابن الحاج علي بن الخوصة بقمار ، وأخذ الفقه على الشيخين الحاج علي بالقيم القماري وسي مبارك بن المبارك التاغزوتي، كما أخذ اللغة والنحو والصرف والبلاغة على السيد محمد بن سريسي خرير الزيتونة - وهو من بني خيار من القطر التونسي - الذي لازمه بزاويته مدة عشر سنوات، وأخذ الأدب عن قريبه السيد الطيب بن الأخضر حتى تضلع فيه وصار آية من آيات البيان العربي شعرا ونثرا وخطابة. وأخذ التصوف عن والده. وكانت مجالسه كلها مذكرات علمية. وكان له اتصال دائم مع علماء تونس. وتوفي سنة 1945م ودفن بمقام والده جوار مسجده المعروف بزاويته شرقا من قمار. وخلفه على الزاوية أخوه الأخضر (توفي عام 1958) وابن أخيه الغزالي (ت: 1956) ثم ابن عمه معمر بن البخاري بن محمد العروسي (ت: 1966) ثم ابنه محمود بن معمر (ت: 1993) ثم ابن عمه علال بن محمد الصغير بن محمد السائح.

11- العلامة الفقيه الشاعر الأديب محمد بن بلقاسم الزبيري القماري – وهو معروف باسم: سي محمد بالبرية - نسبة إلى أمه: ولد بقمار عام: 1879م وبها توفي عام 1949 م. حذق القرآن وملأ وطابه من العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والفلكية. ومن جملة أشياخه الفقيه الحاج علي بالقيم والقاضي أحمد بن محمد دغمان والسيد بلقاسم بن القبي الفلكي والفرضي المشهور بمنطقة سوف في وقته. كان للمترجم له اتصالات ومساجلات أدبية ومناقشات فقهية مع علماء غير بلده كالشيخ الخضر بن الحسين الذي تولى مشيخة الأزهر الشريف وكمفتي الديار التونسية – ومقدم التجانيين بها - الشيخ البشير النيفر وآخرين غيرهما. وكان - رحمه الله – أديبا ناثرا وشاعرا وإليك نموذجا من شعره الذي قدمه بقوله:

(الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد فإني كنت فيما مضى من زمان سلف حين تعاطيت كؤوس الهناء الصرف أنشأت أبياتا من مجزوء الكامل في الحضرة، وذا كالغزل بأن يجرد الشاعر من نفسه

شخصا يحاوره دلالا وعتابا وسؤالا وجوابا ، ويظهرون رموز العشق عليه وتخييلا، لقلة صديق يظهرون كنوز الحب لديه)، وهذا النوع يسمى بالتشبيب أيضا - ونص الأبيات:

قد طال ليلي بالسهر ... وبشير[1] وصلك ما ظهر
أنكثت عهد وصالنا ... وبدت أحاديث أخر
أم أرجف الواشي ... فأبدل صفو ودك بالكدر
أتروم تترك وصل حب ... في هواك على خطر
ما ضر لو واصلته ... جنح الظلام المعتكر
عوذت حبي أن يخون ... بحرف صاد والزمر
أيخون بعد ودادنا ... ويلوح منه لنا غدر
واها لذياك الزمان ... وما حواه من البهر
تصفو ليالي وصله ... وتسر أعين من نظر
يا حبذا يا حبذا ... تلك الليلات الغرر
حيث الحبيب مسامري ... والزمهرير[2] لنا زهر
نذر الزمان بغدره ... والآن قد أوفى النذر
يا صاحبي إن رمت أن ... تحظى بخير يدخر
فاجعل مديحك للنبي ... المصطفى خير البشر
صلى عليه الله ما ابتسم ... الصباح وما سفر
ولآله وصحابة ... ساداتنا النجبا الغرر
ولشيخنا القطب التجا ... ني ذي المقام المدخر
ما ناله من آمل ... كلا ولا بلغ الوطر
ولغوثنا الأسمى خليفته ... التماسيني الأغر
تحظى بخير عاجل ... وتكون منهم في زمر

12- العلامة الشيخ أحمد بن محمد دغمان القماري: نشأ بقمار وقرأ بها ومبادئ العلوم ثم رحل إلى الجريد التونسي والى جامع الزيتونة حيث أتم دراسته وأقام ببلدة الكاف معلما إلى أن بعثت إليه الزاوية التجانية بقمار ليباشر القضاء بها وبقي في هذه الوظيفة مدة تقرب من 14 عاما ثم تولى خطة القضاء بالوادي من سنة 1293هـ

(1) يشيربه إلى شيخ زاوية تماسين في ذلك الوقت الشيخ البشير التجاني.
(2) يعني بالزمهرير: القمر، كما في لغة طي.

إلى 1295هـ وعلى يديه تخرج جماعة من فقهاء المنطقة. وقد كان معاصرا للشيخ العلامة المكي بن عزوز وكانت بينهما مراسلات علمية وأدبية ومحاورات فقهية. والمترجم له شعر ونثر وفتاو كرس حياته لخدمة العلم إلى أن توفي بقمارعام 1308هـ.

13- الشيخ الحاج بلقاسم بن كابو المتوفى في أول الخمسينات من هذا القرن. كان علامة ومدرسا ومفتيا ومقدما في الطريقة التجانية بوهران ؛ وشيخه فيها هو علي بن عبد الرحمن مفتي وهران ومقدم الطريقة فيها.

14- السيد الحبيب بن عبد المالك كان مفتيا بوهران ومقدما في الطريقة. وقد ألف الشيخ سكيرج رحلته الوهرانية وسماها عليه الرحلة الحبيبية.

15- السيد الحاج المنصور في سيق - بالغرب الجزائري - كان علامة ومفتيا ومقدما في الطريقة بتلك النواحي، وقد توفي.

16- ولده الشيخ أحمد البدوي كان علامة ومفتيا ومقدما للطريقة بمدينة سيدي بلعباس.

17- العلامة الحاج بخالد بن كابو كان مفتيا ومقدما بسيدي بلعباس.

18- الفقيه المفتي الحاج الأخضر المنصوري ببلدة ندرومة كان علامة ومقدما في الطريقة بتلك النواحي .

19- المقدم العلامة الجليل محمد بن عبد الله كان مدرسا ومفتيا ومقدما في الطريقة بمدينة مغنية.

20- العلامة أحمد بن رابح كان مفتيا ومقدما في الطريقة بجبالة بلدية ندرومة. وله كتاب في التجويد ورسم القرآن وما يتعلق بذلك يقع في 3015 بيتا. وابنه هو الأستاذ طالب عبد الرحمن مقدم الطريقة الحالي بوهران وهو مدرس الحديث الشريف بالمعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية في جامعة وهران ، وله تآليف قيمه عديدة منها أطروحته: (السنة عبر العصور) وله نشاط كبير في نشر الطريقة في الأوساط المثقفة ، وله كتاب العلوم الفقهية الإسلامية في الأحاديث النبوية ، وكتاب الطريقة التجانية في ضوء الشريعة الإسلامية ، وموسوعة الأحاديث النبوية الشريفة.

21- الشيخ الفقيه الأخضر طالب إمام مسجد بوحنيفية وهو مفتي ومدرس ومقدم في الطريقة.

22- الشيخ العلامة مفتي الحنفية بالعاصمة سابقا السيد محمد بوقندورة مفتي الحنفية في أواخر القرن 19.

23- الشيخ الفقيه مفتي الحنفية بالمدية مصطفى فخار- توفي عام 1979م.

24- العلامة الفقيه مفتي قسنطينة وعنابة الشيخ ابن الموهوب وقد توفي خلال

الثورة وعائلته معروفة منذ أجيال بالعلم كان منها العلامة المصلح مفتي قسنطينة الشيخ مولود بن الموهوب الذي تولى الإفتاء بالشرق الجزائري لمدة طويلة ابتداء من سنة 1908م. [1]

25- العلامة المؤرخ الفقيه الحاج عبد الرحمن بودية في المشرية وهو من أصل شنقيطي.

26- المقدم الكبير العلامة الحاج أحمد العناية الماضوي الذي سافر مع الشيخ الحاج ابن عمر مدة أربع سنوات وتسعة أشهر طافا خلالها نحو خمسة عشر قطرا ، وأسلم على أيديهما عددا من الوثنيين والمسيحيين في إفريقيا.

27- العلامة الحاج العلمي المقدم التجاني بالأغواط.

28- قاضي مدينة الجلفة سابقا الفقيه الصوفي الأديب الكاتب عبد الله بن محمد الشارف بن علي حشلاف. له تآليف ورسائل في الفقه والأدب والتصوف. من كتبه:

- كتاب بهجة الأنوار في نسب آل بيت النبي المختار وقد ذكر فيه أعيان العائلات الشريفة النسب بالقطر الجزائري.
- كتاب الروض العاشق في شمائل ابن المشري الصادق.
- كتاب الإرشاد في تجديد العهود والأوراد.
- كتاب القول الفصل في جواز زيارة الأولياء الكمل. وهو مطبوع وأتمه في فاتح شعبان من عام 1354هـ.

29 - العلامة الحاج علي بن البشير الإدريسي الحسني الذي أخذ العلم في وطنه وادي المبطوح بين مدينتي سيق وسيدي بلعباس، ثم جاور في الأزهر 18 سنة عاد بعدها ليؤسس في سيق مدرسته المشهورة بالجامع الأعظم فقصدها طلاب من كل فرج ثم ورثه في العلم ونشر الطريقة أخوه الحاج المنور الذي هو من أساتذة مفتي معسكر بلهاشمي بن بكار مؤلف كتاب (حاشية رياض النزهة).

31- والدي أحمد مفتاح بن عبد الباقي (ولد عام1920) كان فقيها أديبا شاعرا له بحوث ومقالات وأشعار وطنية ودينية وقومية وفتاوي. توفي رحمه الله عام 1986م. ونكتفي بإيراد قصيدة واحدة له نظمها سنة 1951وهي من وحي المولد النبوي لتلك السنة 1370 هـ وقد نشرها في مجلة النجاح التي كانت تصدر بقسنطينة ، ونصها:

(1) راجع (الحركة الوطنية الجزائرية من 1900 إلى 1930م) لأبي القاسم سعد الله الجزء الثاني من ص:165 إلى ص 173.

ربيع الشهور أضأت الآفاقا بضوء جديد وكانت غساقا
عنادا وبغضا وعجبا وكبر وزورا وكفرا وشركا نفاقا
وفحش الزناء وأكل الربا وسفك الدماء مثيرا حناقا
فتلك خلال الشعوب قديما جميعا أحاط بها ذا وحاقا
برابر عرب وعجم زنوج عكوفا عليها سواء وفاقا
إلى أن تجلت شموس الأمان بقلب الحجاز تلوح ائتلاقا
وسرعان لاحت بكل البقاع شعاعا منيرا أزال المحاقا
فعاد الظلام منارا يضيء كصبح جميل يشع انفلاقا
وذاك بفضل رسول عظيم وآل وصحب بحرب حذاقا
تباروا لحب الإله ببذل نفوسا ومالا خيولا نياقا
وباعوا النفوس الغوالي لأجل نبي كريم أحب السباقا
أتانا برشد لكل منيب وسيف لباغ يبث الشقاقا
وقاد الجهاد جهاد الضلال وعبا جيوشا وخيلا عتاقا
فذل الأعاجم شرقا وغربا وجاء العدو يود الوفاقا
وأرض الكياسر أمست لخيل جنود الإله رباطا رواقا
ومالت إليهم جميع القلوب كميل السيول تصب اندفاقا
وأثنى الكتاب عليهم ثناء جميلا وشكرا متما رشاقا
فطاب الزمان قرونا طوالا وساغ الشراب إلينا وراقا
ومجد الشعوب يدوم بعدل ويذوي بظلم الملوك اتفاقا
فيا قوم هل من طبيب حكيم يداوي الكلوم ويبري النفاقا
ويا قوم هل من خبير عليم يحل القيود فنرمي الوثاقا
فليت رياح زمان الرسول تثير سحابا يعم الآفاقا
يصب علينا مياه الإخاء فنشرب منها كؤوسا دهاقا
وليت شباب الزمان يدين بدين النبي فنضحي عتاقا
وبلغ إلهي سلامي لخير رسول أحن إليه اشتياقا
وصلى الإله على من رءاك عيانا فساد سواك وفاقا

مراجع

للتعرف على المحيط السياسي والديني والاجتماعي والثقافي الذي عاش فيه الشيخ أحمد التجاني

1) - (تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر) لسعد الله أبي القاسم - 9 مجلدات -

2) - (مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب الأشراف بالجزائر) قدمه وعلق عليه أحمد توفيق المدني -وطبع بالجزائر طبعة ثانية عام 1980. وفيه تاريخ الحكام الأتراك بالجزائر من سنة 1168هـ (1754م) إلى دخول الجيوش الفرنسية سنة 1245هـ (1830م).

3) - كتاب (محمد عثمان باشا داي الجزائر: 1766م - 1791م) وهو جزء من كتاب مذكرات الزهار السابق. لكن فيه أيضا خلاصة مفصلة عن أهم الأحداث في العصر التركي الداخلية والخارجية وترجمة لأشهر علمائه. قدمه ونشره أحمد توفيق المدني سنة 1937م.

4) - (حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا) لأحمد توفيق المدني.

5) - (الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني) لأحمد بن محمد علي بن سحنون الراشدي، حققه وقدمه المهدي البوعبد لي - وطبع بالجزائر سنة 1973م.

6) - (بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين من الأعراب كبني عامر) لعبد القادر المشرفي. ذكر فيه المتعاونين مع العدو وموبقاتهم. أتم تأليفه سنة 1178هـ.

7) - (درء الشقاوة في فتنة درقاوة) لمحمد بوراس (1165هـ - 1238هـ) وصف فيه ثورات الدرقاويين على الأتراك.

8) - (عجائب الأسفار ولطائف الأخبار) لمحمد أبوراس الناصري.

9) - (الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها الجنود الكافرة) لمحمد الجيلاني بن رقية التلمساني ألفه سنة 1189هـ (1775م) سجل فيه الهجومات التي توالت على الجزائر بعد احتلال الترك وكان شاهد عيان لبعضها وأتم كتابته عام 1194هـ.

10) - (الرحلة) لأحمد هطال وهو الكاتب الخاص للباي محمد بن عثمان الكبير وقد رافقه في غزوته على الأغواط وعين ماضي سنة 1189هـ فدون تلك الغزاة في (الرحلة) التي حققها ونشرها محمد بن عبد الكريم الزموري.

11) - (الرحلة القمرية في السيرة المحمدية) لمحمد المصطفى بن عبد الله بن زرقة الدحاوي ، وفيه وصف لفتح وهران الثاني سنة 1206هـ .ومؤلفه كان كاتبا خاصا للباي، وعين قاضيا بوهران بعد فتحها وتوفي سنة 1215هـ بالوباء وكان من تلاميذه محمد أبو راس.

12) - (در الأعيان في أخبار مدينة وهران) لحسن خوجة وهو من المؤرخين الرسميين لدولة الأتراك. ومن جملة ما في هذا الكتاب وصف لانتصار الدرقاويين على الباي سنة 1219هـ الذي مات فيه أحمد هطال التلمساني صاحب (الرحلة) المذكورة سابقا.

13) - (مذكرات أبي القاسم بن أحمد الهواري البوزغاتي) وهو قاضي مجاجة (الشلف). في عهد الأتراك - ولد سنة 1201هـ وتوفي سنة 1284هـ.

15) - (الأخبار المبينة لاستيلاء الترك على قسنطينة) لمحمد الصالح بن العنتري القسنطيني. والكتاب مترجم إلى الفرنسية وطبع بقسنطينة سنة 1846م. وهو من المصادر القيمة فيه

تاريخ قسنطينة من منتصف القرن الحادي عشر الهجري إلى سنة 1253هـ.

15) - (المرآة) لحمدان بن عثمان خوجة ، وفيه وصف للبلاد الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي وبعده. طبع في باريس بعد ترجمته سنة 1833م. وترجمه محمد العربي الزبيري ونشر بالجزائر سنة 1975م.

18) - (الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب) لأبي القاسم بن أحمد بن علي الزياني- المتوفى سنة 1249 هـ (1833م).

17) - (البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف) لنفس المؤلف السابق.

18) -(تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وتاريخ الجزائر) لمحمد بن الأمير عبد القادر الجزائري.

19) -(ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين) ليحيى بو عزيز. طبع سنة 1980.

20) - (مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث) لمحمد العربي الزبيري.

كتب الرحلات والتراجم وغيرها:

21) - (الرحلة أو: نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان) لأبي عبد الله محمد بن زاكور الفاسي - (ولد سنة 1075هـ وتوفي في 1120 هـ). طبعت في الجزائر سنة 1319 هـ (1902) وفي الرباط سنة 1378 هـ (1967م).

22) - (الرحلة المراكشية) لمحمد المكي الدرعي الناصري وهي رحلة داخل المغرب في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي.

23) - (رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب) لأبي العباس أحمد أفكاي (القرن 17م).

24) - (الرحلة الناصرية) لأحمد الناصري الدرعي - توفي في 1129هـ (1717 م).

25) - (الرحلة الفاسية) لأبي العباس أحمد الفاسي - توفي في 1214هـ

26) - (الرحلة أو الترجمانة الكبرى) لأبي القاسم بن أحمد بن علي الزياني المذكور سابقا.

27) - (الرحلة أو ماء الموائد) لأبي سالم عبد الله بن محمد العياشي - ولد 1037هـ. (1628م) وتوفي 1090هـ (1679م) - وهي مشهورة مترجمة إلى الفرنسية.

28) - (الرحلة أو نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد) لأبي العباس أحمد بن المهدي الغزال كاتب السلطان مولاي محمد بن عبد الله، ألفها سنة 1182هـ.

29) - الرحلة أو (لسان المقال) لابن حمادوش. وفيها وصف لأحوال البلاد في النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجري.

30) - (أنيس الغريب والمسافر) لمسلم بن عبد القادر. فيه ذكر حوادث الغرب الجزائري من سنة 1192هـ إلى سنة 1247هـ قبل وفاة المؤلف بسنة.

31) - (تقييد ابن المفتي) أنهى تأليفه سنة 1166هـ.

32) - (رحلة الحسين بن محمد الورتلاني) المتوفى سنة 1193هـ.

33) - (رحلة الحاج ابن الدين الأغواطي) - كتبها سنة 1242هـ.

34) - (رحلة ابن عمار) وقد عاش إلى أوائل القرن الثالث عشره.

35) - (تعريف الخلف برجال السلف) لمفتي الجزائر بلقاسم الحفناوي.

ملحق صور لبعض شيوخ الطريقة التجانية





فهرس المحتويات

١

هذا الكتاب

أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه

• كتاب: (أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه) ليس بكتاب فقه الطريقة، ومعرفة أحكام وشروط وآداب تلاوة الأوراد. بل هو ترجمة للشيخ وأتباعه الناشرين لطريقته (...) واعتمد المؤلف في إنجاز عمله على مئات المراجع الموثوق بها العربية منها والأجنبية التي لم توجد مجتمعة في كتاب من كتب الطريقة. والمؤلف - وهو يعرض الأحداث والقضايا -يؤيد ما يقول بالنقول المعتمدة بنقلها بأمانة، ويشير إلى مراجعها بدقة (...) وقد ناقش في كتابه قضايا حساسة جدا قد تثير له مشاكل من جهات مختلفة. ولكن ما ذنبه إذا كان اعتمد على مصادر صحيحة معترف بها، وصرح بذلك، وأحال القارئ عليها؟

• وخلاصة كلمتي هذه التي لا أريد بها إلا وجه الله والدار الآخرة هي: أن هذا الكتاب مفيد جدا:

• لمن يريد أن يعرف حياة الشيخ سيدي أحمد التجاني العلمية والعملية وحياة بعض أتباعه بإجمال.

• لمن يحب أن يطلع على جملة وافرة مما كتب حول الطريقة التجانية من مؤلفات ورسائل.

• ولمن يرغب في الاطلاع على انتقادات الغير للتجانيين.

• وأخيرا لمن يرجو أن يعلم ما تعرضت له عين ماضي من اعتداءات ظالمة.

• ولكن لا يفيد أبدا العوام ولا أنصاف المثقفين الذين يجادلون بغير علم ولا الذين اكتفوا بما عندهم من علم ونسوا قول الله تعالى: ﴿وَقُلْ ربي زِدْني عِلْماً﴾.

من تقريظ الشيخ الأستاذ
التجاني عبد الرحمن طالب

